سلسلة فضائل أهل البيت عند أهل السنّة

أهل البيت فى مصر

عدّة من الباحثين والمفكّرين المصريّين

إعداد وتقديم
سيد هادى الخسروشاهى

تحقيق
شوقى محمد

هويــة الكتــاب

● **اسم الكتاب: أهل البيت في مصر**
● **المؤلّف: عدّة من الباحثين والمفكرّين المصريّين**
● **إعداد و تقديم: سيد هادى الخسروشاهى**
● **تحقيق: شوقى محمد**
● **الناشر: المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية ــ المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية**
● **الطبعة: الأولى ــ ١٤٢٧ هـ . ق / ٢٠٠٦ م**
● **الكمية: ٢٠٠٠ نسخة**
● **السعر:**
● **ردمک:**

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)

الأحزاب: ٣٣

فهرس مواضيع الكتاب

مقدمة المركز ...١٣
كلمة المحقّق ...١٧
مدرسة وثقافة تقريبية ...١٨
هذا الكتاب ...٢٠
المقدّمة ...٢٣

مكانة آل البيت ومنزلتهم

مكانة آل البيت ومنزلتهم/ النبوى جبر سراج ...٣٥
من هم آل البيت؟ ...٣٩
وجوب محبّة آل البيت ومودتهم: ...٤٤
اختصاص أهل البيت بفضائل كثيرة: ...٤٧
فى مشروعية الزيارة لقبور الصالحين: ...٤٩

أهل البيت فى مصر

أهل البيت فى مصر/ الشيخ عبدالحفيظ فرغلى ...٥٧
لماذا مصر؟ ...٦٠
من جاء من أهل البيت إلى مصر؟...٦٣
دوحة النبى (صلى الله عليه وآله) المباركة لماذا الكثير من أغضانها فى مصر؟/ أحمد أبو كفّ ...٦٧
(١) دوحة النبى (صلى الله عليه وآله) المباركة ...٦٧
(٢) المشهد الحسينى ...٧٥
(٣) رؤوس الشهداء فى مصر ...٩٠

١ ـ على زين العابدين، زهرة آل البيت: ...٩٠
٢ ـ ثم يأتى الحديث حول الرأس الثانى: ...٩٢

١ ـ الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب (عليهما السلام)

أهل البيت المدفونون فى مصر/ حنفى المحلاوى ...١٠٥
الإمام الحسين بن على بن أبى طالب ٨ ...١٠٨
من هو؟ ...١٠٨
علمه وصفاته: ...١١٤
وصف الضريح ...١١٦
المرقد الحسينى/ الدكتورة سعاد ماهر ...١٢١
القبّة: ...١٢٩
الإمام الحسين (عليه السلام)/ مأمون غريب ...١٣٥

٢ ـ السيدة زينب (أم الشهداء) (عليها السلام)

السيدة زينب (عليها السلام)/ على أحمد شلبى ...١٥١
رحلة إلى الشام ...١٦٥
خطبة علوية زينبية ...١٧٠
بيان الحقيقة واجب ...١٧٥
أُم الشهداء زينب بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام/ صافيناز كاظم ...١٨٣
السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب/ حنفى المحلاوى ...٢٠١
من هى: ...٢٠١
علمها وصفاتها ...٢٠٣
وصف الضريح ...٢٠٦
مرقد سيدة زينب (عليها السلام) د. سعاد ماهر ...٢٠٩

٣ ـ السيدة نفيسة (عليها السلام)

السيدة نفيسة (عليها السلام)/ توفيق أبو علم ...٢١٣

مولدها وسبب تسميتها بـ «نفيسة» ...٢١٥
نفيسة العلم ...٢٢٥
أخلاقها ...٢٣١
من بلد الرسول محمد ٩ إلى القاهرة ...٢٣٤
السيدة نفيسة حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله)/ حنفى المحلاوى ...٢٤١
من هى ...٢٤١
صفاتها وعلمها ...٢٤٥
وصف المزار ...٢٤٨
مرقد السيدة نفيسة/ د. سعاد ماهر ...٢٥١

٤ ـ السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليها وعليه السلام

السيدة سكينة بنت الحسين/ د. حمزة وعبدالحفيظ و عبدالحميد ...٢٥٥
سكينة فى بحر الأحداث ...٢٥٧
سكينة الأديبة ...٢٦٢
شجاعتها ...٢٦٦
كرمها وظرفها وأدبها ...٢٦٧
وفاتها ...٢٧٠
المشهد الموجود بالقاهرة ...٢٧١
سكينة المفترى عليها/ صافيناز كاظم...٢٧٣
❊ مشهد أول ...٢٧٣
❊ مشهد ثان ...٢٧٤
❊ مشهد ثالث ...٢٧٧
❊ لقطات من الماضى ...٢٨٠
❊ عودة إلى المشهد...٢٨٣
❊ الافتراءات...٢٨٤
❊ المشهد الختامى ...٢٨٧

السيدة سكينة بنت الإمام الحسين/ حنفى المحلاوى ...٢٩١
من هى ...٢٩١
صفاتها وعلمها ...٢٩٣
وصف المقبرة ...٢٩٦
مرقد السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليهما السلام)/ الدكتورة سعاد ماهر ...٣٠١

٥ ـ السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها وعلى أبيها السلام

فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)/ مجدى فتحى السيد...٣٠٥
فاطمة بنت الحسين ومقتل الحسين ...٣٠٨
مواقف عطرة من سيرة فاطمة بنت الحسين ...٣١٠
وفاة فاطمة بنت الحسين ...٣١٢
السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها وعلى أبيها السلام حنفى المحلاوى ...٣١٥
من هى ...٣١٥
صفاتها وأخلاقها...٣١٦
زهدها وقربها من الله ...٣١٧
وصف الضريح ...٣١٧

٦ ـ السيدة رقيّة بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام

السيدة رقيّة بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام/ حمزة النشرتى ...٣٢١
من هى ...٣٢١
المشاهد التى بجوارها ...٣٢٧
❊ مشهد السيد محمد المرتضى ...٣٢٧
❊ مشهد أسماء ...٣٢٧
❊ مشهد السيدة زبيدة ...٣٢٧
مشهد عاتكة والجعفرى...٣٢٩

تعليق: ...٣٣٠
السيدة رقيّة من آل بيت النبوة/ حنفى المحلاوى ...٣٣٣
من هى ...٣٣٣
صفاتها وأخلاقها...٣٣٥
وصف الضريح ...٣٣٦

٧ـ إبراهيم ابن الإمام الحسن (عليهما السلام)

مرقد إبراهيم بن الحسن(عليهما السلام)/ د. سعاد ماهر ...٣٤١

٨ـ الإمام حسن الأنور حفيد الإمام الحسين بن على (عليهم السلام)

الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة، و شيخ بنى هاشم/ أحمد أبو كف ...٣٤٩
الحياة الدينية والعلمية ...٣٥٥
حياة الحسن الأنور السياسية ...٣٥٨
الحياة الاقتصادية ...٣٦٠
حسن الأنور والولاية ...٣٦٥
ذرّية الحسن ...٣٦٧
منزلته العلمية...٣٦٨
تشدّده فى إقامة معالم الدين ...٣٦٨
كرمه ...٣٦٩
وفاته ...٣٦٩

٩ـ الإمام زيد ابن الإمام على زين العابدين (عليهما السلام)

الإمام زيد بن على زين العابدين (عليهما السلام)/ حنفى المحلاوى...٣٧٧
من هو...٣٧٧
صفاته وبلاغته ...٣٨١
وصف المشهد ...٣٨٤
مرقد زين العابدين/ د. سعاد ماهر ...٣٨٧

١٠ ـ محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)
الإمام محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)/ حنفى المحلاوى ...٣٩١
من هو.. ...٣٩١
صفاته وعلمه ...٣٩٥
وصف المقبرة ...٣٩٥

١١ ـ السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)
السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق/ حنفى المحلاوى ...٤٠١
من هى ...٤٠١
صفاتها وعلمها ...٤٠٣
وصف المقبرة ...٤٠٣
مرقد السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق/ د. سعاد ماهر ...٤٠٧

١٢ ـ السيدة كلثوم حفيدة الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)
السيدة كلثوم بنت القاسم/ حنفى المحلاوى ...٤١١
من هى ...٤١١
علمها وورعها ...٤١٢
وصف المشهد ...٤١٢

زيارة قبور أهل البيت (عليهم السلام)
زيارة قبور أهل البيت (عليهم السلام)/ النبوى جبر سرّاج ...٤١٧
خاتمة ...٤٣٣

ملاحق الكتاب
ملحق (١): كتاب أخبار الزينبات
مقدمة ...٤٣٩
وثيقة تاريخية حول مرقد السيدة زينب ...٤٣٩
تصدير ...٤٤٣

السيدة زينب رمز الحقّ والفضيلة ...٤٤٣
جثمان السيّدة فى مصر ...٤٤٥
أخبار الزينبات ...٤٤٩
فمن الزينبات: ...٤٤٩

ملحق (٢): مالك الأشتر
مالک الأشتر ...٤٦٥

ملحق (٣): محمد بن أبى بكر (رضى الله عنه)
محمد بن أبى بكر (رضى الله عنه) ...٤٦٩

الفهارس الفنّيّة
فهرس الآيات ...٤٧٧
فهرس الأحاديث ...٤٧٩
فهرس الأعلام ...٤٨٣
فهرس الأماكن ...٥٠١

مقدمة المركز

مع الزيادة المستمرّة فى تأليف الكتب التى تصدح بمناقب وسيرة أهل بيت النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، المستندة إلى المصادر والوثائق المختلفة والمحفوظة فى خزانات متعددة، ومع النموّ الكمّى للعناوين والموضوعات والزوايا التى تتصل بالحديث عن تاريخ العترة الطاهرة وأبنائهم الطيّبين، المنتشرين فى بقاع عدّة من بلاد الإسلام العريضة، إمّا خوفاً من ظالم، أو هجرةً لعيش أفضل، أو طلباً للعلم والحكمة، أو نشراً لتعاليم دين جدّهم الأكرم (صلى الله عليه وآله)، أو نفياً وإبعاداً من قبل السلطات... ، فمهما تعدّدت الأسباب للسفر إلى تلك البقاع البعيدة عن مدينة جدّهم، وعن عشيرتهم وأهليهم، فالهدف يبقى سامياً، ويتلخّص بنشر الأُصول الأخلاقية والمعنوية والدينية فى الأمة من ناحية، والدفاع عن حياض الدين القويم ـ كتاباً وسنّةً ـ بقمع الشبهات والأوهام التى يحاول الأعداء نسجها فى عقول العوام من ناحية ثانية، وحلّ المشاكل التى تهمّ الناس والهموم التى تعانى منها شعوب هذه الأمة وتقديم المعونة لهم من ناحية ثالثة.

نقول: إنّه مع الزيادة فى هذه التراكمات الموضوعية على هذا الصعيد، بدأت الفكرة تلحّ فى أذهان البعض من الوسط الثقافى الإسلامى إلى تصنيف معجم يضمّ كلّ ما أُلّف وكتب فى أهل البيت (عليهم السلام)، ويبدى اهتماماً كبيراً فى الكشف عن أبرز العناوين التى تصدّت بالحديث عن سيرة وتاريخ وشخصيات هذا البيت العتيق.

ولعلّ كتاب «أهل البيت فى المكتبة العربية» من آثار المحقّق المتتبع المرحوم السيد عبدالعزيز الطباطبائى، من أروع ما صنّف على هذا الصعيد، حيث عرض لعناوين الكتب والرسائل المؤلّفة فى حبّ وسيرة وتاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، والمنسوبة للمتقدّمين والمتأخّرين، وحسب الحروف الألفبائية، مع ذكر النسخ المتعدّدة لها، وأماكن وجودها فى خزانات مكتبات العالم كلّه.

لكن الأستاذ حجة الإسلام والمسلمين السيد هادى الخسروشاهى حفظه الله قد قام بمبادرة جديدة تجدر الثناء عليها وتقديرها، حيث أحضر كل ما كتب عن أهل البيت (عليهم السلام)المدفونين بمصر، من الأبناء والأحفاد الأشراف من ولد على بن أبى طالب وبناته، والتى تشهد أضرحتهم أرض الكنانة، وتشمخ مآذنهم سماء القاهرة، واقتطف منها ما يراه مناسباً للحديث عن الشخصية الشريفة، وموضع دفنها، وأبرز ما قيل فيها، وبأقلام متعددة، بعيدة عن كل ما يمسّ المشاعر المذهبية، ويعكّر صفو النفوس النبيلة.

إنّنا نجد لزاماً علينا ـ من واقع خبرتنا فى التقريب ـ أن نثمّن جهد السيد المعدّ، لأنّ من شأنها أن تسهم فى توثيق الروابط المقدّسة بين الأمة وأبناء هذا البيت الشريف من جانب، وفى تمتين أواصر الوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية عبر الارتكاز على محور أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة من جانب آخر، ويقيناً أنّ كلّ نجاح نحقّقه فى هذا الميدان ـ من طبع الكتب بعد تحقيقها وتوثيقها ـ سوف يصبّ بالضرورة فى تجاه تحقيق التقارب والترابط بين أطراف المسلمين كافة.

ومن هنا فحبذّا لو تلتقى جهود كلّ العاملين والمصلحين مع جهود المؤسّسات والمراكز والهيئات الثقافية الإسلامية التى تعنى بشأن التقريب والوحدة، وعلى رأسها المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية الأغرّ، عبر مركزه العلمى المبارك، من أجل إرساء أعمدة الأخوّة والمحبة والوداد بين أفراد المسلمين، ورفع راية التوحيد عالياً، والتكاتف ضد كلّ الهجمات الشرسة التى يشنّها الأعداء ضدّ هذا الدين، وهذه الأُمة المرحومة.

كما أنّنا نقدّم شكرنا وتقديرنا للمحقّق الكريم الأخ الفاضل شوقى شالباف (شوقى محمد) الذى بذل جهداً حثيثاً فى سبيل توثيق وتصحيح الموارد المدرجة فى طىّ هذا السفر الشريف، وما قام به من تعليقات رآها ضرورية لتدوينها، فشكر الله سعيه، ووفّقه للمزيد من الأعمال التى تخدم الدين والرسالة، إنّه ولىّ التوفيق.

مركز التحقيقات والدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمى للتقريب بين المذاهب
الإسلامية

كلمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبى الهدى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين المخلصين.

وبعد، فإنّ الله قد تفضّل علىّ وأكرمنى بأن أتاح لى الفرصة أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب الذى أراه «موسوعة» منوّعة تحكى حياة وسيرة بعض أهل البيت (عليهم السلام) ممّن نزلوا مصر الكنانة وتوفّوا بين أهاليها.

والحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) حديث طويل ومتفرّع، لأنّه يتصل بكلّ جانب من جوانب حياة الأُمة الإسلامية بكلّ تفاصيلها وتاريخها. ولذا فإنّنى أعجز عن أن أروى جانباً واحداً فكيف بالباقى؟!

لكن استميح القارئ عذراً لو اقتطعت من وقته لأقول كلمة مختصرة وهادفة فى مسألة سرّ تهافت الناس إلى صوب أهل بيت على وأحفادهم: نسائهم ورجالهم، صغيرهم وكبيرهم رغم وجود البيوتات الأخرى من آل أبى طالب؟! ولمَ هذا التقديس العظيم لأحفاد فاطمة دون غيرها من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

فهل اكتسبوا هذه الحفاوة والاحترام والتقديس لكونهم من أبناء النبى (صلى الله عليه وآله)فحسب، أم أنّهم رافقوا شرف نسبهم بمناقب أخرى؟

فصحيح أنّ لأبناء على (عليه السلام) شأوناً كبيراً، وصحيح أنّ أحداً غيرهم عجز أن يبلغ ما بلغوه من سموّ ورفعة، وجلالة وتقدير جماهيرى واسع، ولكن الصحيح أيضاً أنّهم لم يدركوا هذا المقام السامى إلاّ بتوافرهم على الورع والتقوى، والعلم والشجاعة والخلق الحميد!

فهم لم يكتسبوا تقديس الناس وتجليلهم بسبب نسبهم الشريف فحسب، بل بما بذلوه من جهود فى ترويض نفوسهم، وتهذيبها من كلّ علائق الدنيا الدنية.

إذ هم يجالسون العلماء والحكّام، يقعدون مع الفقراء ويأكلون مع المساكين أيضاً. وإذ هم يهدون الناس إلى النور، ويمسحون عنهم غبار الجهل، تراهم يمدّون المحتاجين بما يقدرون عليه، ولم يحتفظوا لأنفسهم شيئاً سوى القليل! وهكذا برزوا مصاديق حيّة للشريعة المعطاءة، ومشاعل نيّرة تضيء درب المحرومين.

والتاريخ خير شاهد على ذلک، حيث يؤكّد على الدور الكبير الذى لعبه أبناء على فى نشر مفاهيم الدين الصحيحة فى ربوع الأرض الإسلامية، وترويج الثقافة السليمة حيثما حلّوا، وأينما نزلوا.

وليس هذا الكلام ينطبق على الأجداد العظام الذين ضمّوا جملة معان رفيعة فى أدقّ تفاصيل حياتهم، وجسّدوا أوامر الشريعة، بل ينسحب إلى أبنائهم وأحفادهم، فضلاً عن حواريّهم وتلاميذهم، حتّى صاروا يمثّلونهم فى المحافل المختلفة.

وإذا ما تأمّلت الأمة مواقف الأحفاد ـ فضلاً عن الأبناء ـ تجده امتداداً حقيقياً لسلوک ومواقف جدّهم الأعلى: على بن أبى طالب (عليه السلام) الذى كان يعدّ أحد أبرز وأعظم وأهمّ تلاميذ وحواريّى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وبالتالى سوف تعود الأمة إلى وعيها الذى كادت تفقده، وترجع إلى تراثها الذى أهملته، فتستمدّ منه أروع الدروس والعبر من أجل بناء حياة أفضل لأجيالها المتلاحقة.

مدرسة وثقافة تقريبية

إنّ من يطالع سيرة أىّ فرد من أفراد هذا البيت الشريف، وفى أىّ بقعة من بقاع الدنيا عاش، يجده مدرسةً بحدّ ذاته، ونبع بركة يفور منه الخير والصلاح والخُلق الكريم، سواء كان فى الجزيرة العربية أو فى العراق أو مصر أو المغرب أو... فحاله هو هو، وسلوكه هو هو، لاتمنعه العقبات الجغرافية عن تقديم المعونة للآخرين، ولاتصدّه الحواجز النفسية: قطرية أو قومية وما شاكل عن المساهمة فى مساعدة الناس.

أى أنّهم قد جسّدوا الثقافة التقريبية فى سلوكهم اليومى، وبالتالى خطوا الخطوة الأولى نحو الوحدة والتقريب بين أطراف المسلمين.

لقد ساهموا بأفعالهم وأقوالهم فى إنشاء تيار من الوعى التقريبى الصحيح للأجيال المتعاقبة، من خلال تعريف الرسالة الإسلامية وصاحبها بالصورة الصحيحة، وتوجيه مشاعر المسلمين فى غرب البلاد وشرقها باتجاه كتابهم الكريم، وتمتين العلاقات والوشائج فيما بينهم، ورفض كل الحواجز المصطنعة بينهم.

وهذا ما دعا إلى تهافت الناس: عالمهم وجاهلهم، كبيرهم وصغيرهم، أبيضهم وأسودهم، إلى الالتفات حول مشاهدهم المشرّفة، وتقبيل أضرحتهم، ولثم صفحات قبورهم، وتلاوة الأدعية والزيارات المأثورة لأرواحهم، ليترجموا وفاءهم وحبّهم لهم.

وليس هذا فحسب، بل تبارى العلماء والمفكّرون، والأدباء والمثقّفون فى الكتابة عنهم، والثناء عليهم من خلال سرد سيرتهم الحسنة، وتحليل مواقفهم، بالتأليف تارة وبالتدريس أخرى.

فقد أُلّفت عشرات الكتب التى تحكى فضائلهم، وتتحدّث عن مناقبهم الشريفة. فكما صنّف ابن خالويه (٣٧٠ هـ) وهو إمام اللغة والنحو، وابن أبى حاتم الرازى (٣٢٧ هـ) وهو إمام فى الرجال، وهكذا ابن حجر (٩٧٣ هـ)، وابن الفحام الفقيه المعروف (٤٥٨ هـ)، وابن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) وهو إمام فى الحديث والتاريخ، وهكذا جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) والسخاوى الحافظ (٩٠٢ هـ)، والفخر الرازى (٦٠٦ هـ) وهو إمام فى التفسير، كذلك صنّف القاضى الجعابى (٣٥٥ هـ)، والسبط ابن الجوزى (٦٥٤ هـ)... ، وابن الطيب المغربى الفاسى (١١٨٧ هـ) فى منظومته المسمّاة «الدرّة الفريدة فى العترة المجيدة».

ولم ينقطع هذا الاهتمام عند الكتّاب المسلمين وأدبائهم الأوائل، بل امتد حتّى عند المعاصرين، شعوراً منهم بمسؤولية المساهمة فى هذا الاندفاع العارم باتجاه التعريف بأفراد وسيرة ومناقب هذا البيت الشريف، ممّا يدلّل على دوام تمسّک واعتزاز هذه الأمة بذرّية النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله).

هذا الكتاب

وهذا الكتاب يعدّ إحدى المحاولات الجديرة بالتقدير فى هذا السياق، إذ فضلاً عن كونها مبادرة هادفة ترمى إلى التعريف بمنازل أبناء على فى مصر الكنانة، فهو يمثّل مشروعاً ينهض بمستوى الوعى الثقافى والتقريبى لدى المسلمين، ويدفعها إلى المزيد من التطوّر.

كما أنّه يقوم بتأسيس أشبه ما يكون بمنتدىً ثقافى وتاريخى فى الوسط العربى الإسلامى، يحاول من خلاله الأستاذ الحجّة السيد هادى الخسروشاهى التعريف بشخصيات من آل على (عليه السلام) قد نزلوا مصر الكنانة، وعاشوا وسط أهلها، ثم

بيان منزلتهم وجلالتهم، ومحاولة تحديد تاريخ مدفنهم، ومواضع أضرحتهم، وغير ذلک... عبر جمع مقاطع من الكتب التى أُلّفت بهذا الصدد.

فإضافة إلى سعيه إلى نشر الثقافة الإسلامية عبر التعريف لرموزها الكريمة، وتأسيس مناخات ملائمة تزيد من تمسّک الناس بدينهم ورسالتهم المقدّسة، فهو يخطو خطوةً هامةً بما يمتلک من صبر وموهبة، وحكم موقعه وعلاقاته بدار التقريب الشريفة بالقاهرة، نحو تجذير الوعى التقريبى لدى المسلمين فى الشمال الأفريقى، وتعزيز النظرة التجليلية إلى مكانة ودور أهل البيت (عليهم السلام) العلمى والأخلاقى والإصلاحى فى ذلک الجزء من العالم الإسلامى.

إنّ هذا المشروع الموضوعى ـ على بساطته ـ خليق بأن ينال الحظوة من التقدير من قبل الآخرين، والاقتداء به لإنشاء مشاريع أخرى على وتيرته، كأن يكون: أهل البيت فى المغرب أو تونس أو العراق أو ايران أو... فهذا الكتاب ربّما أضحى أساساً لما بعده من تأليفات جامعة فى هذا الموضوع.

إنّنا بحاجة إلى دراسة التاريخ من زاوية أخرى، وحاجتنا أشدّ إلى التعرّف على شخصيات البيت النبوى، وعلمائهم الأشراف، والوجوه التى ساهمت فى تثبيت الدين ونشر علومه فى كافة بقاع العالم.

فأمر رائع حقّاً أن نساهم جميعاً فى تعريف شخصيات البيت الشريف، أينما كانت مشاهدهم، والأروع منه أن نلغى كلّ الحواجز المصطنعة فيما بيننا، ونلتقى معاً، وبقلب واحد ينبض بحبّ أبناء وأحفاد بيت الرسالة لنشكّل منعطفاً إسلامياً واحداً، ونواجه أعدائنا بقوة، مستمدّين منهم أروع الدروس والعبر من أجل بناء حياة أفضل ووداد دائم.

فمن أجدر من مثقّفى هذه الأمة ومفكّريها لأن يكونوا أمثلة حقيقية لكلّ معانى السموّ الإسلامى، ومن أجدر منهم لأن يفهم رموز هذه المعانى؟

وباختصار شديد، فقد قام هذا السيد الجليل بإنجاز كبير على الصعيد الثقافى، أراد منه تجذير الوعى التاريخى والتقريبى للأمة، ولاسيّما بين محبّى وعشاق آل بيت محمد (صلى الله عليه وآله)، وجذب الاهتمام بمشاهدهم الشريفة، والقيام بمسؤولية الحفاظ على الإرث النبوى والعناية به، كما صرّح به فى خاتمته، فجزاه الله جزاء المحسنين، وبلّغه شفاعة النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المكرمين.

ولابدّ من الإشارة إلى قيمة هذا الكتاب فى إطار تقريبى وتاريخى، إذ يمكن أن يعدّ مصدراً مهمّاً جامعاً يقدّم للباحثين ما يحتاجونه فيما يتعلّق بآل على فى مصر الكنانة، ودليلاً مختصراً لمشاهد الأشراف فى القاهرة لمن أراد زيارة أضرحتهم المقدّسة. ولذا وقع الاختيار على هذا الكتاب لتحقيقه وتوثيقه، وطبعه بحلّة جديدة، بمعونة وإشراف مركز التحقيقات والدراسات العلمية التابع لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وختاماً لايسعنى إلاّ أن أتوجّه بالشكر والامتنان لمركز التحقيقات والدراسات هذا لتبنّيه نشر الكتب التى تعنى بالفكر الوحدوى المشرق، وتخدم أهداف التقريب المباركة، بغضّ النظر عن كون أصحاب هذه الكتب من الشيعة أو أهل السنّة.

نسأل البارى عزّ وجلّ أن يوفّق العاملين فى هذا المركز، من مسؤول ومدراء أقسام علمية وفنية وإدارية، ويزيد من ألطافه لخدمة الدين، وتوحيد صفوف أتباعه، وغرس المحبّة والإخاء بينهم، إنّه سميع عليم.

والحمد لله ربّ العالمين.

شوقى محمد

٢٥ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ ـ ٢٨/ كانون الأول ٢٠٠٥م

المقدّمة

... لطالما راودنى حبّ الاطّلاع أن أقف بنفسى على معالم الحبّ والودّ الذى يكنّه شعب مصر لأهل البيت(عليهم السلام)، خصوصاً وأنّ وشائج تاريخية عريقة ربطت بين الشعبين المسلمين فى إيران ومصر ألقت بظلالها على المشاعر والعلاقات بينهما، ممّا جعلهما ـ وفى مقدّمتهم العلماء والمثقّفون منهما ـ يستشرفون التطلّعات الثقافية فى كلا البلدين، ويتبادلون الرؤى والأفكار المتجدّدة فى حركتيهما العلمية والثقافية رغم الحواجز والموانع التى حاول أعداء الإسلام والمسلمين وضعها لعرقلة هذا التواصل والتناصر.

وهكذا تحقّقت الأُمنية، فخططت رحالى فى مصر، وكانت أُولى محطّاتى هى القاهرة عاصمة مصر الكنانة، ورحت أجول بقلب شَغُوف، وعقلية ثقافية تاريخية يقظة واعية، أجواء القاهرة وغيرها من الحواضر المصرية العريقة، فأدهشنى ما رأيت من ظواهر فاقت تصوّرى الأوّلى عن مدى وعمق الحبّ والودّ الذى يحمله مسلمو مصر لأهل البيت (عليهم السلام)، حتّى شعرت وأنا فى وسط تلك الظواهر الولائية كأنّنى فى إيران أو العراق، حيث ألفنا المراسم والشعائر المتعارفة فى إحياء ذكرى أهل البيت (عليهم السلام)ومدحهم أو رثائهم، فكان ممّا وقع نظرى عليه وأدهشنى هو الأفواج الضخمة من المسلمين المصريّين الذين يتوافدون ـ ليل نهار ـ لزيارة مساجد ومقامات أهل البيت (عليهم السلام)فى القاهرة; للدعاء والصلاة والذكر فيها.

وقد كرّس هذا الودّ والحبّ لأهل البيت (عليهم السلام) فى مصر وجود مقامات مشرّفة متعدّدة منها: مسجد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام)، ومقام رأسه الشريف الذى قد دُفن فيه، ومسجد ومرقد السيدة زينب ابنة الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)، حيث يعتقد المؤرّخون بأنّها دُفنت فيه، ومسجد ومرقد السيدة نفيسة ابنة زيد بن الحسن بن على ابن الإمام الحسن المجتبى (عليهم السلام)، وزوجة السيد إسحاق ابن الإمام الصادق (عليه السلام) التى رافقته إلى مصر وماتت ودُفنت فيها.

ومن الآثار المتميّزة فيها: وجود لوحة جميلة تزيّن أحد أبواب حرم السيدة نفيسة، مكتوب عليها فقرة من دعاء «الافتتاح» الشهير، المنقول عن الإمام المهدى (عليه السلام)، وهى «اللّهم إنّا نرغب إليک فى دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله...» كما أنّ هناک مجموعة أُخرى من الألواح النفيسة داخل الحرم، تتضمّن مقاطع من ذكر ومدح أهل البيت (عليهم السلام).

وينقل المؤرّخون كرامات كثيرة، ودعوات مستجابة لهذه المراقد الشريفة.

ومن المشاهد التى أثارت دهشتى: الاحتفال الجماهيرى الضخم بمناسبة مولد الإمام الحسين (عليه السلام)، وحين تواجدى فى مصر تلقّيت دعوة من شيخ الطريقة العزمية ـ وهى إحدى الطرق الصوفية فى مصر ـ لحضور مراسم إحياء ذكرى مولد سبط النبى (صلى الله عليه وآله)الإمام الحسين (عليه السلام) الذى أُقيم فى جوار المسجد الحسينى، ولبّيت الدعوة بشوق، وقصدت السرادق الخاصّ المعدّ للضيوف، ففوجئت بالسيل البشرى من المسلمين المصريّين ـ والذى قدّرته الصحف المصرية آنذاک بحوالى مليونى نسمة ـ كانوا قد توافدوا من القاهرة، ومن مختلف المدن المصرية القريبة منها والبعيدة; للمشاركة فى إحياء هذه الذكرى الإسلامية الكبرى.

وقد راعنى أنّنى لم أر قط مثل هذا العدد من المشاركين فى أىّ مكان آخر، حيث كانت جميع الشوارع المؤدّية إلى مسجد سيدنا الحسين (عليه السلام) مزدحمة بالوافدين، وقد أُغلقت كلّها بوجه مرور السيارات ووسائل النقل المختلفة، ولايجد أحد قدرة على الحركة إلاّ بشقّ الأنفس، ولم يكن لنا سبيل إلاّ السير بعناء على الأقدام مسافة كبيرة جداً وسط هذه الكتل البشرية حتّى وصلنا إلى المسجد، إلاّ أنّنا وبسبب الزحام الشديد، وعدم إمكانية الوصول إلى المكان المخصّص للضيوف الذى أقامته العشرات من مشيخات الطرق الصوفية المحبّة لأهل البيت (عليهم السلام)، اضطررنا ـ أنا والإخوة أعضاء سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى القاهرة ـ إلى مغادرة المكان بعد لحظات من وصولنا.

وقد يتسائل سائل عن السرّ فى عراقة هذه المودّة الراسخة والحبّ الشغوف لآل البيت (عليهم السلام) عند شعب مصر، والذى سبق فى عمقه التاريخى عهد الدولة الفاطمية، ولعلّنا نجد الجواب عندما نقلّب وريقات التاريخ الإسلامى المدوّن، فنجد أنّ هذا الودّ والحبّ لآل البيت (عليهم السلام) قد نما وترعرع منذ صدر الإسلام، حين

فتح الجيش الإسلامى الظافر بلاد مصر، وكان الروّاد الأوائل بهذا الفتح مجموعة من كبار صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وخواص أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، والدُعاة إلى حبّه وولايته، والمجاهرين بموقعه ومواقع أهل بيته (عليهم السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله) والرسالة، وعلى رأسهم: أبو ذرّ الغفارى والمقداد بن الأسود الكندى وأبو أيّوب الأنصارى، وعندها يمكننا التأكيد على أنّ مودّة أهل البيت (عليهم السلام) وحبّهم دخل قلوب المصريّين فى اليوم الذى دخل فيها الإسلام، فقرنوا مع شهادتهم بأن لا إله إلاّالله محمد رسول الله: ودّ آل محمد (صلى الله عليه وآله) وحبّهم.

كلّ هذا قبل أن تستوثق الأُمور لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، ويتصدّى لخلافة المسلمين، ويؤكّد هذه الحقيقة التاريخية ما نقله ابن الأثير فى «الكامل» عن حوادث سنة ٣٦هـ من أنّ مبعوث الإمام على (عليه السلام) إلى مصر دعا فى خطبته إلى مبايعته «فقام الناس فبايعوه واستقامت مصر، وبعث عليها عمّاله...»، كما أورد المقريزى فى «خطط مصر»: أنّ قيس بن سعد الأنصارى بُعث على مصر، فدخلها مستهلّ ربيع الأول سنة سبع وثلاثين للهجرة، ومصر يومئذ من جيش على (عليه السلام).

وتوّجت أجواء الحبّ والودّ والولاء لآل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) بتعيين الإمام على (عليه السلام)محمد بن أبى بكر وقيس بن سعد على مصر، وهما خُلّص أصحابه والمحبّين لآل البيت (عليهم السلام)، فكان لهم الدور الرائد فى تعريف شعب مصر بمقام أهل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم وفواضلهم، حتّى سرى حبّ آل البيت (عليهم السلام) وودّهم فى عروقهم، وأشرق فى نفوسهم، وانفلقت معانيه السامية فى عقولهم.

ولم يستطع الولاة والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مصر بعد استشهاد أمير المؤمنين على (عليه السلام)، وخصوصاً فى عهد معاوية بن أبى سفيان تغيير عقائد مسلمى مصر وحبّهم وولائهم لأهل البيت (عليهم السلام) رغم القتل والسجن والنفى للكثير منهم; وذلک لعمق عقيدتهم بأهل البيت (عليهم السلام)، ورسوخ حبّهم وودّهم لهم، وغاية ما استطاعوا فعله هو أنّهم حوّلوا أجهزة السلطة وجيشها إلى ولاية السلاطين، وصنعوا منهم أتباعاً لهم، يدورون معهم ما دارت معائشهم.

أمّا فى عهد بنى العباس، وبعد أن استتبّ لهم الحكم والسلطان، اشتدّوا بالتنكيل بالعلويّين وآل البيت (عليهم السلام)، ممّا أدّى إلى بروز انتفاضات ونهضات علوية هنا وهناك، كان منها نهضة على بن محمد بن عبدالله ـ وهو من أحفاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ـ وهو أول علوى دخل مصر فى تلك الحقبة الزمنية وبويع فيها من قبل المسلمين، وكان له أثر كبير فى إخراج محبّى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم من عزلتهم التى ضربها عليهم بنو أُميّة ومن بعدهم بنو العباس.

وتوالت انتفاضات العلويّين فى مصر، ورغم أنّها لم تستطع أن تحقّق هدفها فى إقامة حكومة موالية لأهل البيت (عليهم السلام)،إلاّ أنّها عزّزت حالة الولاء والحبّ لأهل البيت (عليهم السلام)عند أهل مصر.

وظهرت حركة تجديد الولاء والحبّ لأهل البيت (عليهم السلام) مرّةً أُخرى فى مصر على يد الفاطميّين، وقد أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية نسبةً إلى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام); لاعتقادهم بأنّهم من ذرّيتها ،وكان أول خليفة فاطمى استولى على الاسكندرية عام (٣٠١ هـ) هو عبيدالله المهدى المنتسب إلى محمد بن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وأقام حكومة السلسلة الفاطمية فى تونس عام (٣٠٨ هـ).

ثم امتدّ بحكومته إلى أجزاء من مصر، إلاّ أنّ الأمير المعزّ لدين الله، هو أوّل خليفة فاطمى يفلح فى بسط سيطرته على كلّ مصر، حيث فتحها عام (٣٥٨هـ) وبنى مدينة القاهرة واتّخذها عاصمةً لمصر، وانتشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى عهده، وأصبح الفقه الشيعى أساساً للشعائر والعبادات والمعاملات، وانتشرت فى عهده أيضاً محافل ذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومدائحهم، وأسّس الجامع الأزهر تيمّناً باسم فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بهدف تدريس علوم أهل البيت (عليهم السلام) وفقههم.

وتوالى تأسيس مؤسّسات التعليم والتربية فى عهود الخلفاء الفاطميّين، كان منها: دار الحكمة; لتتواصل الحركة العلمية فى نشر معارف وعلوم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)فى حواضر مصر وآفاقها.

وممّا تميّزت به هذه المؤسّسات العلمية ـ وخصوصاً الجامع الأزهر ـ هو عقد حلقات الدروس العلمية، والحوار العلمى بين علماء مذهب أهل البيت وعلماء المذاهب الإسلامية الأُخرى; كعلماء الشافعية والحنفية والمالكية وغيرهم.

❊ ❊ ❊

وقد كان من الأمانى التى خالجتنى قبل أن أحطّ رحالى فى القاهرة أن أطّلع عن قرب على المراقد والمقامات الشريفة لآل البيت (عليهم السلام) فى مصر، بهدف تحقيق طموحى لتأليف كتاب عن معالم أهل البيت (عليهم السلام) فى مصر، إلاّ أنّ هذه الأمانى ـ بعد الذى شاهدته ـ تحوّلت إلى ضرورة ملحّة أخذت علىّ جميع مشاعرى، فانبريت لهذا الأمر بعزيمة لا تنفسخ، خصوصاً وأنّ مثل هذا العمل الثقافى التاريخى سوف يصبّ فى إطار تعميق العلاقات التاريخية والثقافية فى بُعدها الإسلامى الرسالى بين الشعبين المسلمين فى إيران ومصر; لتعيد لحواضرهما ذلک التواصل والتكامل فى محور أهل البيت (عليهم السلام)حبّاً وودّاً وولاءً، وعندها سوف تتلاشى الموانع التى صنعتها يد الاستكبار على أرضية الجهل والعصبية والوهم، فتجد جامعة الأزهر الشريف تعانق حوزة قم المقدّسة علماً ومعالم ومعارف ومنابر، وتجد مشاعر الحبّ والودّ والولاء لأهل البيت (عليهم السلام) فى مصر تناغم نظائرها فى إيران ويحاكى أحدها الآخر; ليعكس حقيقة وحدة الكلمة فى أصل كلمة التوحيد، وعندها سنجد أنّ العلاقات الأخوية الشاملة والراسخة لا ينقصها إلاّ العلاقة السياسية القائمة على وحدة الهدف الكبير، والتواصل التاريخى الثقافى المشترک، والمصلحة الإسلامية والإنسانية المتبادلة.

والذى زاد فى ترسيخ فكرة تأليف كتاب، بل سلسلة كتب عن معالم أهل البيت (عليهم السلام) فى مصر، هو ملاحظتى الفاحصة لثلاث ظواهر أصيلة تشكّل مادّة المعالم الشاخصة لأهل البيت (عليهم السلام)، ومدى حبّهم وودّهم فى أوساط مسلمى مصر، وهذه الظواهر هى:

الظاهرة الأُولى: ظاهرة الحبّ الشغوف والودّ العميق فى الأوساط الشعبية العامة، من خلال مجالس الذكر، ومناسبات المواليد والوفيات لأهل البيت (عليهم السلام)، خصوصاً ذكرى سيدنا الحسين (عليه السلام) كما يعبّر المصريّون، والتى أخذت حالة

شعائرية تقليدية، توارثتها الأجيال وتفاعلت معها، دون أن تؤثّر فيها سلباً التحوّلات العصرية المتواصلة.

الظاهرة الثانية: ظاهرة الثقافة الولائية لأهل البيت (عليهم السلام) بين أوساط الكثير من مثقفى مصر، سواء كانوا أزهريّين أم غيرهم، وانفتاحهم الموضوعى على مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)وعلومها وثقافتها خصوصاً فى القرن الأخير، فهناك عشرات الكتّاب وعشرات الكتب، بحثت بعقلية علمية وقلم واع مسائل أهل البيت (عليهم السلام) ومعالم مدرستهم الإصلاحية، ولعلّ الحركة العلمية والثقافية التى كانت على عهد الدولة الفاطمية كان لها الأثر الكبير فى نشوء ودوام هذه الظاهرة، وقد أشار عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فى مصر: عبدالحليم الجندى فى كتابه «الإمام الصادق» (عليه السلام) إلى ذلک قائلاً: «الإمام الصادق هو الإمام الوحيد فى التاريخ الإسلامى، والعالم الوحيد فى التاريخ العالمى الذى قامت على أُسس مبادئه الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية دول عظمى، ومصر تذكر منها أكبر دولة عرفها التاريخ فيها من عهد الفراعنة: الدولة الفاطمية التى امتدّ سلطانها من المحيط الأطلسى إلى برزخ السويس، ولولا هزيمة جيوشها أمام الأتراک لخفقت أعلامها على جبال الهمالايا فى وسط آسيا»[1و2].

الظاهرة الثالثة: أنّ العديد من علماء الإسلام المصريّين ـ وخصوصاً كبار شخصيات جامعة الأزهر الشريف ـ لم يقتصروا على إبراز حبّهم وودّهم لأهل البيت (عليهم السلام) فى محاضراتهم وخطبهم ومحافلهم العلمية، بل نجدهم منفتحين بعقلية طلاّب الحقّ على علوم مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) فى المطارحات والمناقشات العلمية، ولعلّ أبرز مصاديق ذلک هو مطارحات إمام الأزهر الأكبر: العلاّمة الشيخ عبدالحليم البشرى مع العلاّمة الحجّة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين العاملى فيما اشتهر بعد ذلک بـــ «المراجعات».

---

١. عبدالحليم الجندى: الإمام الصادق (عليه السلام)، ط القاهرة.

٢. وقد نشره المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلامية ضمن تطلّعاته فى هذا المضمار فى طبعة أنيقة ومحقّقة، أشرف على تحقيقها المركز العلمى التابع للمجمع تحقيقاً علمياً، جديرة بأن تُطالع وتُقلَّب صفحاتها بإمعان.

وقد وفّقنى الله سبحانه لأن أشرع بهذا العمل المهمّ، فقمت بجمع الكتب التاريخية، قديمها وحديثها، التى ألّفها ونشرها كبار علماء الأزهر الشريف، والباحثون والمؤرّخون المصريّون، فاكتشفت أنّ جلّ هذه الكتب تظهر مدى حبّ أهل البيت (عليهم السلام) وودّهم عند المصريّين بصفة عامة، ولم يقف التنوّع المذهبى الفقهى عقبة أمام ذلک، بل كثيراً ما كان يكشف عن مدى القرب من أهل البيت سلام الله عليهم ومدرستهم المباركة، وقد كرّر لى بعض كبار رجالات الدين والسياسة فى مصر عند لقائى بهم مقولتهم عن علاقة أهل مصر بأهل البيت (عليهم السلام)، وهى: «إنّ شعب مصر شيعى الهوى وسنّى المذهب»[1]، وهكذا هو فعلاً فيما سمعناه ورأيناه.

وبعد تجميعى لهذه الكتب التى بلغت العشرات، جاءتنى فكرة أُخرى، وهى أن أعدّ كتاباً جامعاً أو سلسلة كتب متكاملة باللغة العربية، يكون مخاطبوها كلّ الشيعة وغير الشيعة، ومن ثم تترجم إلى اللغة الفارسية والإنجليزية وإلى اللغات الحيّة الأُخرى.

وكانت باكورة هذه الجهد والسعى بدءاً هو هذا الكتاب الذى بين يديكم، تحت عنوان: «أهل البيت فى مصر» ويتضمّن مختارات ممّا كتبه بعض العلماء أساتذة الأزهر الشريف، أو بعض البارزين من الباحثين والمفكّرين المصريّين، حيث قمنا بتلخيصها وتنقيحها وتبويبها; لتكون المجموعة الأُولى من مشروعنا.

وجدير بالذكر أنّ الكثير من العلماء والمفكّرين الإسلاميّين والكتّاب المثقّفين كتبوا كثيراً عن أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، وفى مصر خصوصاً، منهم: الدكتور عبدالحليم محمود (شيخ الأزهر الأسبق)، والشيخ محمد زكى إبراهيم (رائد العشيرة المحمدية الراحل)، والشيخ أحمد حسن الباقورى (وزير الأوقاف الأسبق)، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ عبدالحليم الجندى، والأُستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود، والأُستاذ خالد محمد خالد، وعبدالرحمان الشرقاوى، والسيدة صافيناز كاظم، والأديب عبدالحميد جودة السحّار، والأُستاذ حسن كامل الملطاوى، والأُستاذ عبدالعزيز سيد الأهل، وعشرات غيرهم، وكلّ ذلک يدلّ بوضوح على موقع ومقام أهل البيت (عليهم السلام) فى نفوس هذه الشريحة العليا من العلماء والمفكّرين والكتّاب المصريّين.

---

١. آخرهم صديقى الأستاذ الدكتور مصطفى الفقى حيث يقول: «إنّ المصرى سنّى المذهب شيعى المزاج» الأهرام ٢٠٠٢/١٢/٣١، مقال: «دعوة ونداء».

ولا يفوتنى أن أُشير إلى أنّ الضوء الذى سلّطته فى هذا الكتاب على مشاهد ومراقد أهل البيت (عليهم السلام) فى مصر هو لمحة خاطفة، لا تستوعب كلّ ما فى الواقع، آملاً أن تتمّ الإحاطة المناسبة لها فى الكتب القادمة إن شاء الله.

* * *

إنّ نشر هذا الكتاب باللغة العربية أولاً ـ وبعدها باللغة الفارسية والإنجليزية ـ وإن كان يعدّ جهداً متواضعاً فى حجمه، إلاّ أنّه كبير فى معناه ودلالاته، فهو خطوة إيجابية مباركة على طريق التفاعل الإسلامى والتقارب المذهبى، ومفردة ثقافية لتحقيق أرضية التكامل والتحسين للعلاقات السياسية بين جمهورية مصر العربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأمر الذى سيصبّ فى هدفه الكبير المتمثّل بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، وبوحدة الأُمة الإسلامية جمعاء، بقومياتها المتنوّعة وأقطارها المتعدّدة.

وهذه المقولة تصديق لما قاله أخى العزيز السيد محمد خاتمى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى مقابلته الصحفية مؤخّراً، فى الردّ على سؤال مراسل وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية بأنّ: «مصر وإيران ركيزتان أساسيّتان للحضارة الإسلامية» وبلا أدنى شكّ إذا انطلقت هاتان الركيزتان كجناحين قويّين يمكنهما الطيران إلى أعلى القمم، وهو ما يخافه الأعداء، وهم فى كلّ يوم يواصلون السعى لخلق العقبات والمشاكل للحيلولة دون تحقّقه، ولكن بلا تردّد بإرادة الرجال وعزيمتهم يمكن التغلّب على هذه المشاكل، وتمهيد الطريق لتطوّر جديد فى العلاقات بين البلدين الهامين فى العالم الإسلامى[1].

---

١. عقد الرئيس السيد محمد خاتمى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى بداية الدورة الثانية لرئاسته وفى ختام «أسبوع الحكومة» مؤتمراً صحفياً ضمّ جمعاً من الصحفيّين من وسائل الإعلام الداخلية والأجنبية، أجاب على أسئلتهم، منها سؤال حول العلاقات المصرية الإيرانية على النحو التالى:

وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية (أرنا):

بالنسبة للسياسة الخارجية لدىّ عدّة أسئلة حول علاقات إيران ومصر التى تعتبر من الدول المهمة فى العالم الإسلامى، منذ فترة مضت أعلن السيد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بأنّهم على استعداد لإقامة علاقات منطقية مع إيران، أودّ أن أسأل سيادتكم عن مستقبل هذه العلاقات والعقبات الموجودة فى طريقها، مع الأخذ فى الاعتبار أنّ البعض يعتقد بأنّه من الممكن أن تكون التيارات المتشدّدة غير راغبة فى استئناف العلاقات!

رئيس الجمهورية: إنّ لمصر عندنا جميعاً والعالم الإسلامى والعالم العربى مكانةً وقاعدةً مهمةً، فشعبها شعب نبيل جداً، حضارته عريقة، له دور ممتاز فى الحضارة الإسلامية، كما كان له دور حيوى فى المحافل السياسية والاجتماعية خلال القرن الأخير فى المجتمع العربى الإسلامى.

واليوم يتمتّع المفكّرون والعلماء المصريّون باحترام فائق، فمصر وإيران كانتا ومازالتا فى الواقع ركيزتين أساسيتين للحضارة الإسلامية فى تاريخ العالم الإسلامى، ولا يقتصر تعامل مصر وإيران على وقتنا هذا، فالمصريّون يحبّون إيران وشغوفون بأهل البيت، كما كان لهم دور مهم فى تجديد الفكر فى العالم الإسلامى، فهم قاعدة مهمّة، كما أنّ صلة الشعبين العظيمين لا يمكنها أن تنقطع

وسيقوم قريباً مركز البحوث الإسلامية فى مدينة قم المقدسة فى ايران ـ الذى أسّسته منذ ربع قرن، ولازلت أشرف عليه ـ بطباعة ونشر هذا الكتاب باللغة الفارسية، ومن ثم ترجمته إلى اللغات الحيّة الأُخرى، وبذلک يمكننا وضع الكتاب فى متناول مسلمى العالم على اختلاف لغاتهم; ليعرف الجميع أنّ قواسم مشتركة وأساسية تجمعنا ـ شيعة وسنّة ـ فى وحدة ثقافية تاريخية شاملة، وروح معنوية إسلامية واحدة، وأن لا عقبات تقف فى طريقها لتحقيق أفضل صور العلاقات السياسية الإسلامية بين بلدانها، وفى مقدّمتها: إيران ومصر.

نودّ أن نشير إلى أنّ الطبعة الأُولى لهذا الكتاب تمّ إصدارها فى ٢٠٠ صفحة عن «دار الهدف» عام ١۴٢٢ هـ ـ القاهرة ـ وتضمّنت الطبعة الثانية التى أصدرتها (مكتبة الشروق الدولية) عام ١۴٢٥ هـ ـ ٢٠٠۴م أكثر من ٣٣٠ صفحة.

ونرى من الضرورى أن نعرب للسيد المهندس عادل المعلّم مدير هذه المؤسسة الموقّرة، عن فائق تقديرنا للقيام بنشر هذا الكتاب التاريخى القيّم.

وختاماً أتضرّع إلى الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه تعالى، وأن يتقبّله منّى بأحسن القبول، ويحقّق الهدف السامى الذى قصدته من ورائه، إنّه سميع مجيب، وهو على كلّ شىء قدير.

سيد هادى الخسروشاهى
أرض الكنانة ـ القاهرة ١۴٢۴ هـ ـ ٢٠٠٣م

بهذه السهولة، ولا يمكن للقضايا السياسية أن تخدشها وإن كان من الوارد أن تختلف السياسات والحكومات فى وجهات النظر، وهذا الاختلاف فى وجهات النظر لا يزول فى يوم وليلة.

لقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ـ أى العلاقات بين المفكّرين وشعبنا والمفكّرين وشعب مصر ـ قائمة، واليوم مازالت محلّ تشجيع وتأييد. ولأسباب تعلمونها جميعاً، والعالم يعرفها; تأثّرت العلاقات فيما بين مصر وإيران من الناحية السياسية. آمل فى المستقبل فى نفس الوقت الذى نشجّع فيه مختلف العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شعبى البلدين، أن نتمكّن من أن نسير فى الاتجاه الذى حافظنا فيه، وما زلنا نحافظ فيه على المبادئ والمعايير مع رعاية مبدأ إزالة التوترات واجتناب التدخّل فى الشؤون الداخلية; لنتمكّن من حلّ المشاكل، وعلى الصعيد السياسى مع رعاية المعايير التى ننشدها، يمكننا من تحسين موقفنا إلى مرحلة أفضل ممّا هو عليه الآن.

على أية حال، فإنّ مصر تعتبر مهمّة بالنسبة لنا، كما أنّ مصر لها نظرة واهتمام خاصّ بإيران، من هنا فنحن نؤيّد التعاون الثنائى على كافّة الأصعدة، وإن شاء الله نستطيع أن نصل إلى المرحلة التى نتغلّب فيها على المشاكل السياسية.

مكانة آل البيت ومنزلتهم

بقلم
النبوى جبر سراج

مكانة آل البيت ومنزلتهم[١]

النبوى جبر سراج

قال (صلى الله عليه وآله) «الزموا محبّتنا أهل البيت، فإنّه من لقى الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا» أخرجه الطبرانى[٢].

وأخرج الطبرانى فى الأوسط كذلک قوله (صلى الله عليه وآله): «خُلق الناس من أشجار شتّىً، وخُلقت أنا وعلى بن أبى طالب من شجرة واحدة، أنا أصلها، وفاطمة ابنتى غصنها، وعلى لقاحها، والحسن والحسين فروعها، وشيعتنا أوراقها، من تعلّق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنّة، ومن تخلّف عنها هوى إلى النار»[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله): «أثبتكم على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتى ولأصحابى».

رواه ابن حبّان فى صحيحه[٤] والطبرانى فى المعجم الكبير[١].

١. مقتبس من كتاب أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله)، طبع مكتبة طاهر للتراث، القاهرة ٢٠٠١م.
٢. المعجم الأوسط للطبرانى ٣: ١٢٢ حديث (٢٢٥١) بإسناده عن ابن أبى ليلى عن الحسن بن على (عليهما السلام). وفيه: «الزموا مودّتنا» بدل «محبّتنا»، وفى آخره بعد «بشفاعتنا»: «والذى نفسى بيده، لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا».
٣. لم نعثر على هذا الحديث فى معاجم الطبرانى الثلاث المطبوعة، وخاصةً الأوسط منها رغم وجود فهرس كامل قد قام بتنظيمه الدكتور محمود الطحّان، ونشرته مكتبة المعارف فى الرياض. غير أنّ الحديث بعينه أخرجه ابن جرير الطبرى فى بشارة المصطفى: ٧۶ حديث (٨) عن ابن عباس. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحديث قد رواه وأخرجه الفريقان عن طرق عدّة ولو كانت بألفاظ متغايرة أحياناً، إلاّ أنّها متقاربة، نذكر من المصادر لا على سبيل الحصر: الأمالى للطوسى ١: ١٨، الأمالى للمفيد البغدادى: ٢۴۵، بصائر الدرجات: ٧٨ و ٨٠، تفسير جوامع الجامع ٢: ٢٨٢ عند تفسير الآية الشريفة: ٢۴ من سورة إبراهيم المباركة، شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى ١: ۴٠۶ وما بعده، تاريخ دمشق لابن عساكر ۴: ٣١٨، كنوز الحقائق للمناوى: ١۵۵، المقتل للخوارزمى: ١٠٨، كفاية الطالب: ۴٢۵، نزهة المجالس ٢: ٢٢٢، الرياض النضرة ٢: ٢۵٣، الإصابة: ٣٠۶، لسان الميزان ۴: ۴٣۴، المستدرک على الصحيحين للحاكم ٣: ١۶٠، عنه فى كنز العمال ١١: ۶٠٨ حديث (٣٢٩۴۴)، السيدة فاطمة الزهراء لمحمد بيومى: ١٠٢ و ١۶۶ وغيرها.
۴. صحيح ابن حبّان ۶: ٢٨۵ رقم (۶٩٨٧) بسنده عن على بن أبى طالب (عليه السلام).

أخرج ابن حبّان: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى، والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتّى يحبّنى، ولا يحبّنى حتّى يحبّ ذرّيتى»[۲].

وعندما اشتدّت قطيعة قريش لقرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصةً وللمسلمين فى بداية الرسالة ـ فقد كانوا يعبسون فى وجوه آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)، ويقطعون الحديث عند رؤيتهم ـ غضب لذلک الرسول (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، ففى الأثر: «ما بال أقوام يتحدّثون، فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّهم لقرابتهم منّى»[۳].

لهذا نجد المحبّين يتسابقون فى إظهار الحبّ الصادق لآل البيت، ولله درّ الإمام محيى الدين بن عربى قال:

رأيتُ ولائى آل طه فريضةً❊❊❊على رغم أنّ البُعد يورثنى القُربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى❊❊❊بتبليغه إلاّ المودّة فى القُربى

كما قال كذلک برواية ثانية:

أرى حبَّ آل البيت عندى فريضةً❊❊❊على رغم أهل البُعد يورثنى القُربا
فما اختار خير الخلق منَّا جزاءه❊❊❊على هديه إلاّ المودّة فى القربى[۴]

وفى الحديث الشريف: «لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلاّ أدخله الله النار». رواه الحاكم على شرط الشيخين[۵].

---

۱. لم نعثر عليه فى المعجم الكبير المطبوع، ولكن الحديث بعينه أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ۱۲: ۵۶ رقم (۲۴۱۵۷) عنه، وأيضاً عن ابن عدى فى الكامل ۶: ۳۰۲. وأخرجه أيضاً المناوى فى الفيض ۱: ۱۴۸ وفى الكنوز أيضاً: ۵.

۲. صحيح ابن حبّان ۶: ۲۸۰ ـ ۲۸۱ رقم (۶۹۷۲). وأخرجه أيضاً الشبلنجى فى نور الأبصار: ۱۲۶.

۳. أخرجه ابن ماجة فى سننه ۱: ۵۰ حديث ۱۴۰ عن العباس بن عبدالمطلب، وقال: فى الزوائد: رجال اسناده ثقات. وأخرجه الحاكم فى المستدرک ۴: ۷۵ وذكر حديثاً آخر عن العباس عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «والذى نفس محمد بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله». وأورده المتقى الهندى فى الكنز ۱۲: ۱۰۲ رقم (۳۴۱۹۳) وعزاه إلى ابن ماجة والروياني والطبرانى وابن عساكر.

۴. ذكرهما ابن حجر فى الصواعق المحرقة ۱: ۱۱۰.

۵. المستدرک على الصحيحين ۴: ۳۵۲ (المؤلّف).

وعندما حذّر الإمام على كرّم الله وجهه معاوية بن أبى سفيان قال له: إيّاک وبغضنا، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يُبغضنا ولا يحسدنا أحد إلاّ ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار» رواه الطبرانى فى الأوسط[١].

لذلک التزم السلف الصالح بما أُمروا به من حبّ آل البيت وإكرامهم وتوقيرهم، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يقول لعبدالله بن الحسن بن على ـ رضى الله عنهم جميعاً ـ وقد جاءه فى حاجة: إن كانت لک حاجة فأرسل أو اكتب بها إلىَّ، فإنّى أستحى من الله أن يراک على بابى[٢].

أمّا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد قال للإمام الحسين رضى الله عنهما حين علم أنّه كان قادماً إليه، فلمّا قابله عبدالله بن عمر فى الطريق قال له: إنّ أبى مشغول ببعض الأُمور، فرجع، فلمّا علم عمر بذلک نهر ابنه، ودعا الحسين واعتذر له، وقال له: حتّى وإن كنت أنا مشغولاً فلا أنشغل عنک، فأنت ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقضى له حاجته بعد أن اعتذر له عمّا بدر من ابنه عبدالله[٣].

وما أروع ما قال الفرزدق فى مدح آل البيت فى شخص الإمام زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهم جميعاً، مبيِّناً فضلهم:

من معشر حبُّهم فرضٌ وبغضهمُ*** كفرٌ وقربهمُ منجىً ومعتصمُ
يستدفع السوء والبلوى بحبِّهم*** ويستزاد به الإحسانُ والنعمُ
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهم*** فى كلِّ بدء ومختوم به الكلمُ

وأخرج الحديث أيضاً ابن حجر فى الصواعق: ١٤٣ وقال: إنّه صحيح. والسيوطى فى الدرّ المنثور ٦: ٧ وعزاه إلى أحمد بن حنبل وابن حبّان والحاكم كلّهم عن أبى سعيد الخدرى. وأخرجه جمعٌ فى كتب المناقب، مثل: ابن المغازلى: ١٣٨، والسيوطى فى الخصائص ٢: ٢٦٦، والقندوزى فى الينابيع: ٤٨، والأمر تسرى فى أرجح المطالب: ٣٣٤ وغيرهم.

١. المعجم الكبير للطبرانى ٣: ٨٢ رقم (٢٧٢٦). (المؤلّف).
نعم، وقد أخرجه فى المعجم الأوسط أيضاً ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ رقم (٢٤٢٦) بسنده إلى معاوية بن حُدَيج عن الحسن بن على (عليهما السلام).

٢. أورد الأثر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧: ٣٦٦ بسنده عن ضمرة وذكر أيضاً: أنّه كان يستعين به على سليمان فى حوائجه، فقال له عمر: إن رأيت أن لاتقف ببابى إلاّ فى الساعة التى ترى أنّه يؤذن لک فيها علىَّ، فإنّى أكره أن تقف ببابى فلا يؤذن لک علىَّ.

٣. رواه ابن حجر فى التهذيب ٢: ٣٠٠ ضمن ترجمة الحسين بن على (عليهما السلام) برقم (٦١٥) وأضاف: «فقال: أنت أحقّ بالإذن من ابن عمر، وإنّما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم».

إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم***أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم***ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا[١]

وفى الأثر: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيتى، والقاضى حوائجهم، والساعى لهم فى أُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمُحبّ له بقلبه ولسانه»[٢].

فواجب المسلم أن يملأ قلبه بحبّ من وصّى بحبّهم المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فبحبّهم ينال الخير الكثير فى الدنيا والآخرة، وما أجمل ما قال المحبّ:

فيا ربِّ زدنى من يقينى بصيرةً***وزد حبَّهم يا ربِّ فى حسناتى[٣]

ورحم الله الشاعر الملهم، شاعر الأولياء، شيخنا الشيخ على عقل إذ يقول فى دفع ملامة الذين يلومونه فى شدّة تعلّقه بآل البيت:

ومهما أُلامُ على حبِّهم***فلستُ الفتى خائف اللائمهْ
فروحى على بابهم ترتمى***ونفسى بأعتابهم خادمهْ
إذا مسَّ نفسى فتور المعاصى***بذكرهمو أصبحت هائمهْ
فيا عاذلى ثمَّ يا عاذرى***سواءُ رضاك أو اللائمهْ
فقل ما تشاءُ وكن ما تشا***فإنِّى أُحبُّ بنى فاطمهْ

من هم آل البيت؟

لمّا نزلت الآية الكريمة فى سورة الشورى: (**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى**) سأل ابن عباس رضى الله عنهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: يا رسول الله، مَن قرابتک الذين نزلت فيهم الآية؟ قال:

«على وفاطمة والحسن والحسين»[١].

---

١. ديوان الفرزدق ٢: ٣٥٥.
٢. أورد هذا الأثر المحبّ الطبرى فى ذخائر العقبى: ١٨، وابن حجر فى الصواعق: ٢٣٧، والزبيدى فى إتحاف السادة المتّقين ٨: ٧٣، كلّهم عن على (عليه السلام). وأخرج الأثر الخوارزمى فى المقتل ٢: ٢٥ ولكن بلفظ: «أنا لهم شفيع يوم القيامة ولو أتوا بذنوب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذرّيتى، والقاضى لهم...الخ».
٣. ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ١٦، والبيت من قصيدة طويلة لدعبل بن على الخزاعى، يذكر فيها ما أصاب آل محمد (صلى الله عليه وآله) من رزايا، انظر ديوانه: ٦٣.

كذلک جاء: أنّ ذوی قربی رسول الله (صلی الله علیه وآله) كلّ من ينسب إلی جدّه الأقرب عبدالمطلب[۲]، وقيل: قريش كلّها[۳]، وقيل: كلّ مسلم محبّ لرسول الله (صلی الله علیه وآله)[۴].

وإنّما المعنی الخاصّ لذوی القُربی يقصد به علياً وفاطمة والحسن والحسين كما جاء فی إسعاف الراغبين فی سيرة المصطفی وفضائل أهل بيته الطاهرين، للصبّان[۵].

روی أنّه لمّا نزل قوله تعالی: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [الأحزاب: ۳۳]، لفّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) كساءً علی علیٍّ وفاطمة والحسن والحسين، وقال:

«اللّهم هؤلاء أهل بيتی، فأذهبْ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[۶].

وفی رواية قال: «اللّهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتک وبركاتک علی آل محمد كما جعلتها علی إبراهيم، إنّک حميد مجيد»[۱].

---

۱. ذكر الخبر الطبرانی فی المعجم الكبير ۳: ۴۷ رقم (۲۶۴۱)، والعلاّمة القندوزی فی ينابيع المودّة ۱: ۱۰۵ وعزاه إلی أحمد وابن أبی حاتم والحاكم فی المناقب والواحدی فی الوسيط وأبی نعيم فی الحلية وغيرهم. وذكره من المفسّرين ابن كثير فی تفسيره ۴: ۱۶۹ ـ ۱۷۰، والقرطبی فی أحكام القرآن ۱۶: ۲۲، والزمخشری فی الكشاف ۴: ۲۱۹ ـ ۲۲۰، وعلی بن إبراهيم القمی فی تفسيره ۱: ۲۷۵، والثعلبی فی الكشف والبيان ۸: ۳۱۰، كلّهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذيل آية: ۲۳ من سورة الشوری المباركة.

۲. ذهب إليه البعض لرواية مسلم عن زيد بن أرقم، قال له الحُصين بن سبرة: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه أهل بيته؟ قال: أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علی وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كلّ هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم. (صحيح مسلم ۴: ۱۸۷۳ رقم (۲۴۰۸) كتاب فضائل الصحابة).

۳. قاله الزجاج فی معانی القرآن ۳: ۱۷۶ قال فی ذيل الآية (**إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی**): «الخطاب لقريش خاصة، قاله ابن عباس وأبو مالک والشعبی».

۴. ذهب إليه بعض المفسّرين; كالقرطبی فی أحكام القرآن ۱۶: ۲۲ حيث قال: الآية منسوخة، وانّما نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون النبی (صلی الله علیه وآله)، فنزلت الآية وأمرهم الله بمودّة نبيّه (صلی الله علیه وآله) وصلة رحمه، فلمّا هاجر آوته الأنصار ونصروه، وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قال: (**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلَی رَبِّ الْعَالَمِينَ**)، وعزاه إلی الضحاک والحسين بن الفضل.

۵. إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ۲۲۵.

۶. أخرجه ابن عساكر فی تاريخ دمشق ۱۳: ۲۰۴ ترجمة الحسن بن علی (عليهما السلام)والطبرانی فی المعجم الكبير ۳: ۵۳ رقم (۲۶۶۶) و: ۵۴ رقم (۲۶۶۸) و: ۵۵ رقم (۲۶۶۹) والحاكم الحسكانی فی شواهد التنزيل ۲: ۶۴ رقم (۶۸۶) وما بعده، وابن المغازلی الشافعی فی المناقب: ۳۰۵، والشبلنجی فی نور الأبصار: ۲۲۵، والذهبی فی سير أعلام النبلاء ۳: ۳۸۵.

وجاء كذلک أنّ آل البيت هم زوجاته (صلى الله عليه وآله)؛ أخذاً من سياق الآيات القرآنية فی سورة الأحزاب، فالحديث القرآنی موجّه إلى نسائه (صلى الله عليه وآله) ثم أتبعه الله تعالى بهذه الآية (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [الأحزاب: ٣٣] وهو ما ذهب إليه الزمخشری فی تفسيره[٢و٣].

ولقد أصبح الإقرار بفضل آل البيت والشعور بفضلهم سمة من سمات المسلمين، ولدى المصريّين خاصّةً، ويستدلّ عليه بانعطاف قلوب المصريّين نحوهم، وزيارتهم لهم فی أضرحتهم، والمزاحمة للوقوف عند قبورهم، وإهداء آيات الدعاء وقراءة القرآن على أرواحهم، والتعبير عن حبّهم لنبيّهم وعترته الطاهرة. وكذلک انجذاب الأرواح إلى مشاهدهم، والصلاة فی المساجد المنسوبة إليهم فی صلاة الفجر والعشاء، وخاصّةً فی شهر الروحانيات شهر رمضان.

لأنّ واجب العرفان والوفاء يقتضی إسناد الفضل لأصحابه، أهل البيت الذين طهّرهم الله تطهيراً، فهم أهل التقوى، وأهل العلم والحكمة، وهم نوّاب المصطفى (صلى الله عليه وآله)فی نشر فضائله وأخلاقه، فحبّ الناس لأهل البيت يعدّ امتداداً لحبّ الرسول (صلى الله عليه وآله)والتأسّی به وحبّ من أحبّه.

وممّا يؤيّد أنّ أهل البيت هم على وفاطمة وابناهما خاصّةً، ما رواه أنس بن مالک ٢: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقف عند بيت السيدة فاطمة

١. وأخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر فی تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٣ ترجمة الحسن بن على (عليهما السلام) والطبرانی فی المعجم الكبير ٣: ٥٣ رقم (٢٦٦٤) و(٢٦٦٥)، والشبلنجی فی نور الأبصار: ٢٢٥، والكنجی الشافعی فی كفاية الطالب: ٣٧٢.

٢. تفسير الكشاف ٣: ٥٣٨.

٣. يذكر أنّ عكرمة ومقاتل بن سليمان ينفردان من بين المفسّرين جميعاً بتخصيص الآية بنساء النبی (صلى الله عليه وآله)، ويرويان عبر التمسک بالسياق العام: أنّ المراد بالبيت هنا بيت النبی الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومساكن زوجاته. بل أنّه يروى عن عكرمة أنّه كان ينادی بالأسواق والطرقات بهذا. ومن يتتبّع كتب جرح الرجال وتراجمهم يرى ما يكفيه عن هذين الرجلين أن يدير الصفح عنهما، فضلاً عن استماع أقوالهما، فقد اتّهما بالاضطراب والوضع والتدليس، بل قد عُرفا بالكذب عند المحدّثين، وبالتجسيم أيضاً. راجع فی أحوالهما: تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧ و١٠: ٢٨١، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢، التاريخ الكبير للبخارى ٨: ١٤، وفيات الأعيان ٤: ٣٤٢، الكاشف للذهبی ٢: ٢٧٦.

ابنته وهو خارج لصلاة الفجر، ويقول: «الصلاة أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)»[١].

كما كان يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله»[٢].

ومعلوم أنّ المودّة تكون من أثر المحبّة، بل هى الثبات على المحبّة، ومعلوم كذلک أنّه لا دين لمن لا محبّة له، وأنّ محبّة آل البيت نابعة من محبّته (صلى الله عليه وآله)، ومحبّة النبى (صلى الله عليه وآله) نابعة من محبّة الله تعالى. ومن هنا، فإنّ محبّة آل البيت أصبحت واجبة على كلّ مسلم; لأنّها أجر لنبيّه (صلى الله عليه وآله) على هديه المسلمين إلى نور الإيمان فى الدنيا، كما أنّها وفاء له بعد انتقاله.

وقد أشار المحبّ إلى هذا المعنى، فقال:

إنَّ النبى هو النور الذى كشفت❊❊❊به عمايات باقينا وماضينا

ورهطه عصمةٌ فى ديننا ولهم❊❊❊فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا

وهناک فريق آخر يرى أنّ أهل البيت هم ذرّية النبى (صلى الله عليه وآله); تمييزاً لهم عن باقى المهاجرين والأنصار[٣]، كما يرى غيرهم: أنّ اللفظ يتّسع

١. أخرجه عن أنس الإمام أحمد فى المسند ١: ٣٣١ قال: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر...». والترمذى فى سننه ٥: ٣٥٢ رقم (٣٢٠٦) وقال: وفى الباب عن أبى الحمراء ومعقل بن يسار وأُمّ سلمة. والسيوطى فى الدر المنثور ٦: ٦٠٦ ذيل تفسير الآية (٣٣) من سورة الأحزاب المباركة وعزاه إلى ابن جرير وابن مردويه، وفى ص ٦٠٥ عزاه إلى ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسّنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وابن مردويه.

٢. رواه بهذا اللفظ ابن مردويه عن ابن عباس، قال: «شهدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تسعة أشهر، يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول...» الدر المنثور ٦: ٦٠٦.

٣. وهو ما يتمسّک به الفريق الأعظم والأكبر من المفسّرين، لرواية أبى سعيد الخدرى وأم سلمة وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه وواثلة بن الأسقع وعائشة أخرجه جمع غفير من المحدّثين وأعلام الفقهاء كأحمد بن حنبل فى المسند ٤: ١٠٧ و٦: ٢٩٦ و٣٠٤، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ٤٨ ضمن ترجمة الإمام الحسن بن على (عليهما السلام)، ومحبّ الدين الطبرى فى الذخائر: ٢١ ـ ٢٤، وابن المغازلى فى المناقب: ٣٠٥ ناهيک عن أرباب التفسير كالطبرى وابن كثير والسيوطى فى الدرّ المنثور والحبَرى عند تفسير الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الأحزاب: ٣٣.

ليشمل الأمة الإسلامية، ولقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب: ٦].

ويرى الأُستاذ حسن الملطاوى: أنّ آل البيت هم المنسوبون إلى النبى (صلى الله عليه وآله)من أولاد فاطمة وعلى رضى الله عنهما، وقال: «إنّ الفقهاء ذكروا أنّه من خصائصه (صلى الله عليه وآله)أنّه ينسب إليه أبناء بناته، فأولاد فاطمة رضى الله عنها يُنسبون إليه، وأولاد الحسن والحسين رضى الله عنهما يُنسبون إليه (صلى الله عليه وآله)، بينما أولاد أُختيهما زينب وأُم كلثوم يُنسبون إلى أبيهم عبدالله بن جعفر وعمر بن الخطاب، زوجيهما، وإنّما خرج أولاد فاطمة وحدها; للخصوصية التى ورد الحديث بها، وهو مقصور على ذرّية الحسن والحسين (عليهما السلام); لقوله (صلى الله عليه وآله): «لكلّ بنى آدم عصبةٌ، إلاّ ابنى فاطمة، أنا وليّهما وأنا عصبتهما»[١]...».

أمّا لفظ «الشريف» الذى اختصّ به أهل البيت وسلالتهم الطاهرة فيُطلق على كلّ من كان من أهل البيت، سواء كان حسنيّاً أو حسينيّاً أو علويّاً، من ذرّية محمد بن الحنفية ـ وهو ابن الإمام على من زوجته الحنفية ـ أو غيره من أولاد على، أو جعفريّاً أو عقيليّاً أو عباسيّاً، فيقال: الشريف العقيلى، والشريف العباسى، والشريف الجعفرى، والشريف الزينبى[٢]. ولما تولّى الفاطميون الخلافة فى مصر قصروا لفظ الشريف على ذرّية الحسن والحسين.

ومن هنا، فإنّ اختصاص الحسن والحسين وذرّيتهما بالـ «آل» خصوصية وإيثار; لأنّ أباهم الإمام عليّاً كان الابن والأخ للرسول (صلى الله عليه وآله) فقد قال (صلى الله عليه وآله): «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبى

١. أخرج الحديث الطبرانى فى المعجم ٣: ۴۴ رقم (٢۶٣١) و(٢۶٣٢) بلفظ: «كلّ بنى أُنثى...» و«كلّ بنى أمّ...»، والحاكم فى المستدرک ٣: ١۶۴ بهذا اللفظ. وابن حجر فى الصواعق: ٢٣۶.

٢. يقول الحافظ ابن حجر فى الألقاب: «الشريف ببغداد لقب لكلّ عباسى، وبمصر لكلّ علوى. ولاشک أنّ المصطلح القديم أولى، وهو إطلاقه على كلّ علوى وجعفرى وعقيلى وعباسى، كما صنعه الذهبى، وكما أشار إليه الماوردى من أصحابنا، والقاضى أبو يعلى من الحنابلة...» (نزهة الألباب فى الألقاب ١: ٣٩٩ رقم ١۶۶٩).

بعدى»[١]. أمّا أُمّهما، فهى ابنته (صلى الله عليه وآله)، وريحانته، وبضعة منه (صلى الله عليه وآله)، ورضى الله عنهم جميعاً، وأكرمنا بمحبّتهم.

❊ ❊ ❊

وجوب محبّة آل البيت ومودتهم:

قال النبى (صلى الله عليه وآله) للعباس عمّه لمّا شكا إليه نفراً من قريش، قال: «والذى نفسى بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله»[٢].

ولذلك، قال أبو بكر (رضى الله عنه) صلة قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحبّ إلىَّ من صلة قرابتى[٣].

ولذلك أنشأ الإمام الشافعى هذه الأبيات فى وجوب حبّ آل البيت:

---

١. صحيح الترمذى (٣٧٥٨).
أقول: أخرجه الترمذى مسنداً إلى جابر بن عبدالله (٥: ٦٤٠ ـ ٦٤١ رقم ٣٧٣٠) وقال: وفى الباب عن سعد وزيد بن أرقم وأبى هريرة وأم سلمة. وبسند آخر عن سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبى وقّاص، وقال: هذا حديث حسن صحيح (٣٧٣١). وأخرجه الطبرانى ١: ١٤٦ رقم (٣٢٨) بسنده عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه إلى قوله: «من موسى».
ويذكر أنّ حديث المنزلة من أثبت الآثار، وقد صرّح بتواتره أعلام الحديث، كالحاكم: «هذا حديث دخل حدّ التواتر» (كفاية الطالب: ٢٨٣ ب ٧٠)، والسيوطى فى الأزهار المتناثرة: ٧٦ رقم ١٠٣، ونظم المتناثر: ٢٠٦ رقم ٢٣٣، وإتحاف ذوى الفضائل: ١٦٩ رقم ٢١٧. وقال ابن الجوزى والخطيب التبريزى: «أخرجاه فى الصحيحين واتّفقا عليه» (تذكرة الخواص: ٢٧ ب ٢، مشكاة المصابيح: ١٧١٩٣ رقم ٦٠٧٨ مناقب على (عليه السلام)) وقد أخرجه البخارى فى صحيحه ٣: ١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣ كتاب فضائل أصحاب النبى باب مناقب على رقم ٩، و٤: ١٦٠٢ رقم ٤١٥٤ كتاب المغازى، غزوة تبوك، كما أخرجه مسلم فى فضائله رقم (٦١٦٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على عن سعد. وقال ابن عبدالبرّ والتلمسانى: «هو من أثبت الآثار وأصحّها» (الاستيعاب ٣: ٣٤٠ بداية ترجمة على (عليه السلام)، الجوهرة فى نسب الإمام على: ١٤).
وممّا يجدر ذكره أنّ الإمام أحمد قد أخرجه من طرق كلّها صحيحة، فى فضائل الصحابة، مناقب على: ٥٦٧/٢ و٥٦٩ و٥٩٢ و٦٣٣ و٩٥٦ و٩٦٠ و١٠٠٥ و١٠٠٦ و١٠٧٩ عن سعد و٥٩٨ و٦٤٢ و١٠٩١ عن أسماء.
٢. صحيح البخارى (٣٧١٤ ـ ٣٧٦٧).
أقول: لم أعثر عليه فى صحيح البخارى المطبوع فى دار ابن كثير ودار اليمامة للنشر، لكن الحديث أورده المتقى الهندى فى الكنز ١١: ٧٠٠ رقم (٣٣٣٩٥) وعزاه إلى أحمد والترمذى والحاكم عن عبدالمطلب بن ربيعة، وعن الحاكم أيضاً عن العباس. وقد أخرجه التزمذى فى كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبدالمطلب رقم (٣٧٥٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والشجرى فى الأمالى ١: ١٥٧.
٣. أخرج الأثر البخارى ٣: ١٣٦١ رقم (٣٥٠٨) عن عروة بن الزبير عن عائشة، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١٢).

یا آل بیت رسول الله حبّکمو***فرض من الله فی القرآن أنزله
یکفیکم من عظیم الفخر أنّکمو***من لم یصلِّ علیکم لا صلاة له[۱]
یشیر إلی أنّه لا تُقبل صلاة من لم یصلِّ علی آل البیت فی التشهّد.
وکما قال المحبّ:
أحبّ النبی المصطفی وابن عمه***علیاً وسبطیه وفاطمة الزهرا
همو أهل بیت أُذهب الرجس عنهم***وإنّی أری البغضاء فی حقّهم کفرا
علیهم سلام الله ما دام ذکرهم***لدی الملأ الأعلی وأکرم بهم ذکرا[۲]
وکذلک قال الإمام الشافعی:
یا راکباً قف بالمحصب من منی***واهتف بساکن خیفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجیج إلی منی***فیضاً کملتطم الفرات الفائض
إن کان رفضاً حبّ آل محمد***فلیشهد الثقلان أنّی رافضی[۳]
وقال المحبّ کذلک:
هم القوم من أصفاهم الودَّ مخلصاً***تمسَّک فی أخراه بالسبب الأقوی
هم القوم فاقوا العالمین مناقباً***محاسنهم تحکی وآیاتهم تُروی
موالاتهم فرض وحبّهمو هُدیً***وطاعتهم ودّ وودهمو تقوی[۴]

---

۱. بیتان من البسیط، یؤکّد فیهما الإمام علی أنّ حبّ أهل البیت فرض، وهو العالم الحبیر. ورد البیتان فی دیوانه: ۱۱۵ رقم (۱۱۸).
۲. الأبیات أوردها المحبّ فی الریاض ۲: ۱۱۰ فی مناقب علی (علیه السلام)، والشبلنجی فی نور الأبصار: ۲۳۲ ـ ۲۳۳، ونسبوها إلی أبی الحسن بن جبیر.
ویظهر هنا أنّ الأبیات قد حدث فیها خلط، حیث أنّ عجز البیت الثانی کما یلی
.....***وأطلعهم أفق الهدی أنجماً زهرا
مولاتهم فرض علی کلّ مسلم***وحبّهمو أسنی الذخائر للأخری
وما أنا للصحب الکرام بمبغض***فانّی أری البغضاء فی حقّهم کُفرا
۳. الأبیات من الکامل، أنشأها الإمام لمّا نسبت إلیه الخوارج الرفض; حسداً وبغیاً. وردت الأبیات فی دیوانه: ۹۳ رقم (۸۴). ووردت أیضاً فی مناقب الشافعی ۲: ۷۱، وفی الوافی بالوفیات ۲: ۱۷۸ أنّ الربیع بن سلیمان قال: خرجنا مع الشافعی من مکة نرید منی، فلم ننزل وادیاً ولم نصعد شعباً إلاّ وسمعته یقول الأبیات تلک.
۴. الأبیات یرویها الشبلنجی فی نور الأبصار: ۲۳۳، وابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمة: ۲۹ عن بعضهم فی مدح أهل البیت (علیهم السلام).

وقال الفخر الرازى: «إنّ أهل بيته (صلى الله عليه وآله) ساووه فى هذه الأشياء:

فى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد، فيلزم أن قال: اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

وفى الطهارة، قال تعالى: (**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [الأحزاب: ٣٣].

وفى المحبّة، وفى قوله تعالى: (**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى**)[الشورى: ٢٣]...»[١].

وما أفضل ما قال المحبّ:

يا بنى الزهراء والنور الذى❊❊❊ظنّ موسى أنّه نور قبس

لا أوالى قطُّ من عاداكم❊❊❊إنّهم آخر سطر فى عبس[٢]

ونقول متمثّلين قول المحبّ:

صلُوا حبل ودّى بالنبى وآله❊❊❊تمسّكت بالمختار جزئى وأجمعى

❊ ❊ ❊

اختصاص أهل البيت بفضائل كثيرة:

من هذه الخصائص: تحريم الصدقة عليهم، وتعويضهم الخمس من الفىء والغنيمة، وكذلک إطلاق لقب الأشراف عليهم، ويطلق اللقب على سائر أهل البيت، وخاصّةً على ذرّية الحسن والحسين والسيدة زينب[٣].

---

١. التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦ ذيل تفسير آية القربى: ٢٣ من سورة الشورى.

٢. تحفة الأحباب للسخاوى: ١١٢ ـ ١١٣ يرويها ضمن زيارة مخصوصة ينقلها عن بعض السلف. ويشير إلى قوله تعالى فى آخر آى عبس: (**أُولـئِکَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**).

٣. وهل يشاركون أولاد الحسن والحسين (عليهما السلام) فى أنّهم ينسبون إلى النبى (صلى الله عليه وآله)؟ لقد ذكر جمهور الفقهاء أنّ من خصائصه (صلى الله عليه وآله) أنّه يُنسب إليه أولاد بناته، ولم يذكروا مثل ذلک فى أولاد بنات بناته، فالخصوصية للطبقة العليا فقط، وهم أولاد فاطمة (عليها السلام) ينسبون إليه، وأولاد الحسن والحسين (عليهما السلام) يُنسبون إليهما فينسبون إليه (صلى الله عليه وآله) أمّا أولاد زينب و أم كلثوم فإنّهم يُنسبون إلى أبيهم، لا إلى الأُم، ولا إلى النبى (صلى الله عليه وآله)فجرى فيهم الأمر على قاعدة الشرع فى أنّ الولد يتبع أباه في النسب، لا أُمه، وانّما خرج أولاد (عليها السلام)للخصوصية التى وردت عنه (صلى الله عليه وآله)، وهى مقصورة على ذرّية الحسن والحسين (عليهما السلام). فقد أخرج الحاكم بسنده عن

ومن خصائصهم كذلک: وجوب إكرامهم وتوقيرهم، لأجل قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد كان هذا حال الصالحين معهم.

ومنها: أنّ محبّتهم تطيل العمر، وتحصل بها البركة، وتبيّض الوجه يوم القيامة وعكس ذلک كرههم.

وعلى خلاف ذلک، فبغضهم يورث الشقاوة، ويُعرض المبغض لهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسودّ الوجه يوم القيامة، وما أحسن ما عرض هذا المعنى المحبّ:

فيا مَن يواليهم ويحفظ ودَّهم❊❊❊ويكرم مثواهم هنيئاً لک البشرى
فلابد يوم العرض تسمع قائلاً❊❊❊تفضّل تفضّل فادخل الجنة الخضرا
ويا مَن يعاديهم لفرط شقائه❊❊❊تمهَّل قليلاً أنت فی سقر الحمرا

ومنها: أنّ أولاد فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسمّون أبناءه (صلى الله عليه وآله).

وهذه الخصوصية لأولاد فاطمة ابنته رضى الله عنها دون بقية أولاد بناته، وأبناء فاطمة هم: الحسن والحسين والمحسن وزينب و أم كلثوم، فهم الذين لهم هذه الخصوصية، وما تبع هذا من ذرّيتها من الأبناء الذكور; لأنّ أبناء الإناث ينسبون الى آبائهم.

ومنها: أنّ مهدى آخر الزمان من ذرّية أهل البيت.

وممّا يبيّن مكانة أهل البيت، وخاصّةً الحسن والحسين هذه المحاورة التى تمّت بين الحجّاج والشعبى حول بنوّة الحسنين ونسبتهما إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكان الشعبى يحبّ آل البيت، ويقول عنهم: إنّهم أبناء النبى (صلى الله عليه وآله) وذرّيته.

فذات يوم استدعاه الحجّاج إلى مجلسه، وحضر المجلس علماء الكوفة والبصرة، ولمّا دخل الشعبى لم يحسن الحجّاج استقباله، ولمّا جلس سأله الحجّاج: يا شعبى، أمر بلغنى عنک يشهد عليک بجهلک!

جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «لكلّ بنى أُمٍّ عصبةٌ، إلاّ ابنى فاطمة، أنا وليّهما وعصبتهما». ولهذا جرى السلف والخلف على أنّ ابن الشريفة لا يكون شريفاً.

فقال الشعبى: ماهو أيّها الأمير؟

قال الحجّاج: ألم تعلم أنّ أبناء الرجل إنّما ينسبون إليه؟ والأنساب لا تكون إلاّ بالآباء؟ فما بالک تقول عن أبناء فاطمة الزهراء بنت النبى (صلى الله عليه وآله): إنّهم أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذرّيته، مع أنّ أباهم على، وليس لهم اتّصال بالنبى (صلى الله عليه وآله) إلاّ من جهة أُمّهم فاطمة؟!

فردّ عليه الشعبى ردّ الواثق: أيّها الأمير، ما أراک تتكلّم إلاّ بكلام من يجهل كلام الله وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله).

فقال الحجّاج وقد اشتدّ غضبه: ويلک! كيف تقول لى هذا؟!

فقال الشعبى: هؤلاء هم العلماء والقرّاء وحَمَلَة كتاب الله، أليس الله تعالى يقول: (يَا بَنِى آدَمَ)، (يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ)، وألم يقل سبحانه وتعالى عن سيّدنا إبراهيم (عليه السلام): (ومن ذرّيته عيسى)، فهل كان اتّصال عيسى (عليه السلام) بسيّدنا إبراهيم (عليه السلام)إلاّ من جهة الأُم فقط؟ كما صحّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال عن الحسين (رضى الله عنه): «هذا ابنى سيّد شباب أهل الجنّة».

عندئذ خجل الحجّاج، وأخذ يتلطّف مع الشعبى بعد أن أفحمه الشعبى بالحجّة من الكتاب والسنّة[1].

* * *

فى مشروعية الزيارة لقبور الصالحين:

لكى ندفع شبهات المنكرين للزيارة نستند الى أدلّة منسوبة للأئمة الكبار... فجميعهم متّفق على زيارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) فى القبر الشريف، وأنّها أعظم قربةً لمن له سعة، وأنّها مستحبّة وواجبة كذلک. ويدلّ على زيارة

١. حكى المحاورة محمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول ١: ٢٤ ـ ٢٥.

قبور أهل البيت: القياس، أى قياس الأولى، وهو قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله)[١].

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزور أصحابه فى البقيع وفى أُحد ـ رضى الله عنهم جميعاً ـ ومن بعده (صلى الله عليه وآله) كان الصحابة الكرام يواظبون على هذه الزيارة، ولو كانوا يأتون إلى هذه الأماكن من بلاد بعيدة. ومن بعد الصحابة إلى اليوم يواظب المقتدون به (صلى الله عليه وآله)على هذه الزيارة كسنّة متوارثة جيلاً بعد جيل.

غير أنّ هناك من يعترضون على زيارة مشاهد آل البيت، لزعمهم أنّ الحديث الشريف ينصّ على عدم شدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد فقط: المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى. بينما جاء فى تفسير الحديث الشريف «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد»[٢]: أنّ جميع المساجد متساوية فى فضل

١. أفتى فقهاء الإسلام بجواز زيارة القبور، وخاصّةً قبور الأنبياء والأولياء الصالحين، استناداً إلى مجموعة من الأدلّة الشرعية من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس والعقل، بل قد أفتى أئمة المذاهب كلّها باستحبابها وأفضليتها. يقول ابن هبيرة ٥٦٠هـ فى كتابه «اتّفاق الائمة»: اتّفق مالك والشافعى وأبو حنيفة وأحمد رضى الله عنهم على أنّ زيارة قبر النبى مستحبّة (عنه كتاب المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦).

وقد ألّف تقى الدين السبكى الشافعى ٧٥٦هـ كتاباً حافلاً فى خصوص زيارة النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله)وباقى الأولياء الصالحين أسماه «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» ردّاً على ابن تيمية، وذكر كثيراً من أحاديث الباب، ثم عقد باباً فى نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها، ثم قال: «إنّ ذلك مجمع عليه بين المسلمين» وقال: «لا حاجة إلى تتبّع كلام الأصحاب فى ذلك مع العلم باجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه، والحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله) من أفضل المندوبات والمستحبات، بل يقرب من درجة الواجبات» (راجع ص ٤٨).

ويقول السيد نور الدين السمهودى ٩١١هـ فى كتابه الموسوم «وفاء الوفا ٢: ٤١٢» بعد ذكر أحاديث الباب: «وأمّا الاجماع، فأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها... وأضاف الدمنهورى الكبير ـ وهو من كبار المتأخرين ـ إلى ذلك: قبور الأولياء والصالحين والشهداء» وبه قال الحافظ أبو العباس القسطانى المصرى ٩٢٣ هـ فى كتابه «المواهب اللدنية» فى الفصل الثانى منه، وكذا الشربينى محمد الخطيب ٩٧٧ هـ فى كتابه «مغنى المحتاج ١: ٣٥٧».

٢. أخرج الرواية البخارى فى صحيحه ١: ٣٩٨ كتاب صفة الصلاة ب ١٤ من أبواب التطوّع حديث ١١٣٢ وص ٤٠٠ ب ١٩ ح ١١٣٩، ومسلم فى صحيحه ٢: ١٠١٤ كتاب الحج ب ٩٥ ح ١٣٩٧ كلاهما عن أبى هريرة، والترمذى فى سننه ٢: ١٤٨ ب ٢٤٢ من أبواب الصلاة ح ٣٢٦ عن أبى سعيد الخدرى.

الصلاة فيها إلاّ فى هذه المساجد الثلاثة المذكورة يكون الثواب أكبر[١]. وهذا لا يعنى ألاّ يسافر المرء إلى مسجد غير هذه الثلاثة المذكورة، وإلاّ لما حرص المسلمون على الصلاة فى مسجد قباء على سبيل المثال، وهم قد جاءوا إلى هذا من بلاد بعيدة، وكذلک يحرص الحجّاج والمعتمرون على زيارة مساجد المدينة ومكّة للصلاة فيها.

فالمعنى ينصرف إلى بيان أفضلية المساجد الثلاثة على غيرها، ولا ينفى السفر لزيارة غيرها والصلاة فيها، وكلٌّ له درجته عند الله.

وحول الحديث الثانى، وهو قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تجعلوا قبرى عيداً» من رواية أبى داود[٢] فإنّ ما فهمه العلماء المنصفون هو: ألاّ تجعلوا قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) كالعيد بالعكوف عليه وإظهار الزينات عنده، والاشتغال عنده باللهو والطرب ممّا يجتمع له فى الأعياد، أى: لا يؤتى القبر إلاّ للدعاء والزيارة. وهذا كلام ابن حجر (رضى الله عنه)، ثم أضاف: وكذلک يعلم من الحديث: ألاّ تجعلوا للزيارة يوماً مخصوصاً مثلما للعيد يوم مخصوص، فلا يزار القبر إلاّ فى هذا اليوم فقط[٣].

كما يستفاد من الحديث: الزجر عن سوء الأدب عند القبور، والتزام الأدب الذى لا يتجاوز الدعاء والاعتبار والتأسى بأعمال وسيرة الصالحين الذين تضمّهم هذه القبور.

وعن الحديث النبوى الشريف: «اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٤]، فقد جعل بعض المعترضين من هذه ذريعةً لمنع الزيارة، ويزعمون أنّ سبب المنع لديهم المحافظة على التوحيد، وهذا الزعم باطل; لأنّ

١. انظر شرح الكرمانى على صحيح البخارى ٧: ١٢.
٢. سنن أبى داود ٢: ٢١٨ كتاب المناسک باب: زيارة القبور ح ٢٠٤٢. وأورده المتقى الهندى فى الكنز ١: ٤٩٨ ح ٢١٩٩ وعزاه إلى الحكيم.
٣. الجوهر المنظم لابن حجر، ذكره السمهودى فى وفاء الوفا ٢: ٦١٢.
٤. رواه ابن أبى شيبة فى المصنّف ٨: ٣٢٥، وابن عبدالبرّ فى التمهيد ٥: ٤١ و٤٣ كلاهما عن أبى سعيد الخدرى.

الممنوع هو اتّخاذ القبور مساجد يعكفون عليها، أمّا الزيارة والدعاء عند القبور بقصد الموعظة والاعتبار ممّا أوجبه الشرع الذى شرّع الزيارة والدعاء.

بل كيف يكون الشرک والزائر حين يدخل المسجد يصلّى لله تحية المسجد أولاً، فيعظّم ربّه، ويسجد له، ويشهد أنّه لا إله إلاّ هو شهادة توحيد خالص؟!

ومن هنا، فإذا كان الهجر لكلّ مسجد فيه قبر، لهجر المسجد النبوى الشريف والصلاة فيه بعد إدخال القبر فيه فى عهد عمارة عمر بن عبدالعزيز له، ولما كانت الصلاة فيه بألف صلاة[١]. ولقد قال (صلى الله عليه وآله): «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة» والحديث برواية البزّاز، وهو بسند صحيح[٢].

وقد قال النووى: يسنّ الإكثار من زيارة القبور، وإكثار الوقوف عند قبور أهل الخير والصلاح[٣].

كما قال ابن الحاج فى مدخله: ما زال العلماء كابراً عن كابر، مشرقاً ومغرباً، يتبرّكون بزيارة قبور الصالحين، فإنّ بركتهم جارية بعد موتهم، كما كانت فى حياتهم[٤].

وكذلک قال الإمام الغزالى (رضى الله عنه) ـ كما نقل عنه ابن الحاج فى مدخله ـ إنّ السفر لأجل العبادة يدخل فى جملة زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء[٥].

فما القول بعد هذا فى زيارة أضرحة أهل البيت الذين دعانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مودّتهم ومحبّتهم، وحدّث عن فضلهم؟! فمن اعتقد خلاف ذلک فهو المحروم.

---

١. لرواية أبى هريرة عنه (صلى الله عليه وآله) التى أخرجها مسلم فى صحيحه ٢: ١٠١٢ كتاب الحج ب ٩٤ فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة ح ١٣٩٤ وما بعده.
٢. مجمع الزوائد ٤: ٦ عن على (عليه السلام) وأبى هريرة برواية البزّاز، أمّا برواية ابن عبيد «ما بين بيتى ومنبرى...» أخرجها البخارى فى صحيحه ١: ٣٩٩ ب١٨ من أبواب التطوع ح١١٣٧ و١١٣٨ عن عبدالله بن زيد وأبى هريرة.
٣. حكاه عنه السيد نور الدين السمهودى فى وفاء الوفا ٢: ٤١٣.
٤. المدخل ١: ٢٦١.
٥. المدخل ١: ٢٦٩.

وقد اهتم كثير من المسلمين بزيارة أضرحة آل البيت، كما اهتمّوا بزيارة مشايخهم أينما كانوا، مستندين إلى كلام جاء فى «نور الأبصار» للشبلنجى قال: فإنّ الأنوار التى على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأضرحة، ولا ينكر ذلک إلاّ من ختم الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة[١]. كما قال: إنّ مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية، فإذا كان صاحب المزار غير موجود فيه فإنّ ثواب الزيارة يحصل، كما أنّ الزيارة تصل إليه فى أىّ مكان أينما كان[٢].

وكما قال العلاّمة العقاد: إن لم تكن هذه الأماكن التى دُفن فيها رأس الإمام الحسين ـ وسمّاها فى أنحاء العالم الإسلامى كلّه ـ قال: فإنّها الأماكن التى تحيا بها ذكراه لا مراء...

وأيّاً كان الاختلاف فى موضع الرأس الشريف، فهو فى كلّ موضع أهل للتعظيم و التشريف[٣].

وقال فى كتابه «أبو الشهداء»: وإنّما أصبح الحسين بكرامة الشهداء وكرامة البطولة وكرامة الأُسرة النبوية معنىً يستحضره الرجل فى قلبه، وهو قريب أو بعيد من قبره، وهذا المعنى فى القاهرة، وفى عسقلان، وفى دمشق، وفى الرقّة، وفى كربلاء، وفى المدينة، وفى غير تلک الأماكن سواء[٤].

وصدق المحبّ حيث قال:

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب***وذروا الجميع ويمموا نحوى فمشهده بقلبى

ويضيف الصوفية قولهم: حكم باب البرزخ حكم التيار الذى نزل فيه إنسان، فيغطس ثم يطفو فى موضع آخر، وتلک خاصيّة من خواصّ الأولياء الذين لهم ما يشاؤون عند ربّهم.

* * *

١. نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار: ٣٥٦.
٢. المصدر السابق: ٣٥٧.
٣. أبو الشهداء الحسين بن على: ٢٦٢.
٤. المصدر السابق.

أهل البيت فى مصر

بقلم
عبدالحفيظ فرغلى
أحمد أبو كف

أهل البيت فى مصر[١]

الشيخ عبدالحفيظ فرغلى

تعرّض أهل البيت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) لمحنة شديدة، وكان لهذه المحنة جذور عميقة تمتدّ إلى أيام الجاهلية، وظهرت أيام النبى (صلى الله عليه وآله)، واشتدّت بعد وفاته..

وكانت هناك أحداث عاتية قد حدثت فى أيام ثالث الخلفاء عثمان (رضى الله عنه)، انتهت بمصرعه على يد بعض الثوّار الذين حاصروا داره عدّة أيام، ثم قتلوه وهو يقرأ فى مصحفه، وكان بين المدافعين عنه ابنا على كرّم الله وجهه: الحسن والحسين، وحين علم «على» بمقتل الخليفة جاء إلى الدار حزيناً والهاً، وثار غاضباً فى وجه ابنيه، وقال لهما: كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ وشتم محمد بن طلحة، ولعن «عبدالله بن الزبير».

واجتمع الناس على «على» يبايعونه، ولم يكن بالراغب فى هذه البيعة، وقال للناس وقد اجتمعوا حوله وتكاثروا عليه: «لا حاجة لى فى أمركم، فمن اخترتم رضيت به». وكأنّه (رضى الله عنه) كان يحسّ بما ستنتهى إليه الأمور، وبما يبيت نحوه من غدر، وتحت إلحاحهم الشديد قَبِل، وصعد المنبر وألقى بيانه الذى يوضّح فيه طريقه للناس: «ليس لى من دونكم إلاّ مفاتيح مالكم معى، وليس لى أن آخذ درهماً دونكم...».

ولكن على الرغم من هذه الخطّة التى من شأنها أن تقوّم الأمور، إلاّ أنّ التبييت كان أقوى من خطّته، والمكيدة أشدّ من أن تقف فى طريقها المبادئ والمثل، فظهرت فكرة الأخذ بثأر عثمان، وأحسن استغلالها استغلالاً يرجّح كفّة الباطل على الحقّ... واشتدّ الخلاف، وأُريقت دماء، وانتهى الأمر بقتل الإمام على كرّم الله وجهه، بيد مارق من الخوارج هو عبدالرحمان بن ملجم.

١. مقتبس من مقدّمة كتاب «أهل البيت فى مصر» ط. القاهرة.

وهال مقتل «علىّ» الناس فالتفّوا حول ابنه «الحسن» (رضى الله عنه)... ولكنّه لقى حتفه بعد قليل مسموماً، وبعد أن كان سبباً فى حقن دماء المسلمين، فقد آثر صلح معاوية ـ على ما فيه من غمط لحقّه ـ على الاستمرار فى القتال وإراقة الدماء، وصدق قول جدِّه العظيم عنه: «إنّ بنىَّ هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين»[١].

وبوفاة الحسن استتبّ الأمر لمعاوية قليلاً، فأراد أن يمهّد لولاية ابنه يزيد، فقد سنحت أمامه الفرصة، وتمكّن معاوية من أن يأخذ العهد لابنه قبل وفاته، وبايعه الناس على ذلك ما عدا بضعة نفر، منهم: الحسين وعبدالله بن عمر وعبدالرحمان بن أبى بكر وعبدالله بن الزبير، لذلك كان شغل يزيد الشاغل، حين تولّى الخلافة بعد موت أبيه أن يأخذ هؤلاء بالبيعة.

ولجأ الحسين (رضى الله عنه) إلى مكّة معتصماً بها، ولاجئاً إليها من عنت هؤلاء الذين اغتصبوا الحقّ من أهله، وقتلوا أباه، وسمّوا أخاه...

وبقى الحسين بمكّة وقتاً جاءته فيه الرسل والوفود من الكوفة طالبين منه الخروج إليهم، فعزم على ذلك، ولكن عزمه هذا أقلق عليه قلوباً تحبّه، وخشيت أن يصيبه ما أصاب أباه وأخاه من الخذلان...

ولكن الحسين كان يرى بعين لا يرى بها غيره، إنّه ما زال يحفظ لمكّة قداستها، وخشى أن يكون سبباً فى انتهاك حرمتها، فقال: «لأن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إلىَّ من أن أُقتل خارجاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتّى يقضوا بى حاجتهم، والله ليعتدى علىَّ كما اعتدى اليهود فى السبت».

ويمضى الحسين إلى الكوفة، ولكنّه يُضيق عليه الخناق فى الطريق، ويُحاصر فى كربلاء بجيش كثيف ينتهى باستشهاده (رضى الله عنه) بعد أن أبلى بلاءً حسناً، وبعد أن حيل بينه وبين الماء، وبعد أن ناشد المحيطين به من أهله وذوى

١. أخرجه البخارى فى صحيحه ٢: ٩٦٢ كتاب الصلح ب ٩ قول النبى (صلى الله عليه وآله) للحسن بن على: ابنى هذا سيد... ح٢٥٥٧ و٣: ١٣٢٨ كتاب المناقب ب٢٢ علامات النبوة فى الإسلام ح٣٤٣٠، وص١٣٦٩ كتاب فضائل الصحابة ب٢٢ مناقب الحسن والحسين ح٣٥٣٦.

قرابته والمناصرين له أن يتفرّقوا عنه فى سواد الليل; لأنّ القوم ليس لهم مطمع سواه، ولكنّ هؤلاء أبوا مفارقته، واستشهدوا دونه، واستشهد معهم.

وأثارت هذه الحادثة ثائرة الناس، وكان من نتائجها ثورة المدينة بعد ذلك التى قمعت بكلّ عنف[١]، وتبعها حصار مكة وضربها بالمنجنيق.

وكان الوالى فى المدينة قبل نشوب الثورة يخشى وجود السيدة زينب بها، فطلب منها بأمر يزيد أن تخرج من المدينة وتختار أىّ بلد تريد، ولكنّها رفضت فى أول الأمر قائلة: «قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيِّرنا، وسيق الباقون كما تُساق الأنعام، وحُملنا على الأقتاب، فوالله، ما خرجنا وإن أريقت دماؤنا».

وأحاط بها نساء بنى هاشم مشفقات عليها من مصير آخر مشؤوم إن هى استمرّت فى مناوأة الوالى.

وقالت لها ابنة عمها زينب بنت عقيل: «يا ابنة عمى، قد صدقنا الله وعده، وأ ورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، وسيجزى الله الشاكرين، إرحلى إلى بلد آمن» فاختارت مصر.

* * *

لماذا مصر؟

ذكرنا تلك الأسباب لنخلص منها إلى اختيار السيدة زينب رضى الله عنها ـ وهى أول مهاجرة من أهل البيت ـ مصر مقاماً لها، فلماذا اختارت مصر بالذات لتهاجر إليها؟

والجواب على ذلك ورد على لسان ابنة عمها حين قالت لها: «إرحلى إلى بلد آمن». فقد كانت مصر فى هذه الآونة أكثر البلاد أماناً واستقراراً، فالحجاز وحاضرتاه مكة والمدينة، قد اشتعل غضباً على «يزيد» كما يقول المسعودى:

١. وقد جرت على ألسنة المؤرّخين بوقعة الحرَّة سنة ٦٣ هـ حينما ثار أهل المدينة على عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد وأخرجوه وبنى أُمية منها، ولمّا كتبوا إلى يزيد يستغيثون به بعث إليهم مسلم بن عُقبة المُرِّى، وهو الذى سمِّى مسرفاً; لإسرافه فى القتل والجريمة وإراقة الدماء بالجملة، فقمع الثورة وبدّد أهلها، وهتك عرضها، بعدما أباحها لجنده ثلاثاً، يقتلون الناس كيفما شاءوا، ويأخذون المتاع والأموال بما يحلوا لهم، وفيها الصحابة الكرام والقرّاء والزهّاد والحفّاظ، فقُتل فيها خلق كثير. انظر تفصيله فى الكامل ۴: ۱۱۱ ـ ۱۲۲.

ولمّا شمل الناس جور يزيد وعمّاله، وما ظهر من فسقه وقتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنصاره... أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان، ومروان بن الحكم وسائر بنى أُمية.

ونما فعل المدينة ببنى أُمية إلى يزيد، فسيّر إليهم الجيوش بقيادة مسلم بن عقبة المرّى الذى حاصر المدينة من جهة «الحرّة»، وأخاف أهلها، وقتل منهم عدداً كبيراً، ولاسيّما من بنى هاشم الذين لم ينج منهم سوى على بن الحسين المعروف بالسجاد، وعلى بن عبدالله بن العباس وقد عصم الله الأول بدعائه، ومنع الثانى أخواله من كندة الذين كانوا فى جيش مسلم بن عقبة.

وترك مسلم بن عقبة المدينة متّجهاً إلى مكّة التى ثارت بقيادة ابن الزبير، ولكنّه هلك فى الطريق، وتولّى بعده قيادة الجيش الحُصَين بن نمير الذى نصب المجانيق حول الكعبة ورماها بالأحجار المحماة، حتّى اشتدّ الأمر على أهل مكّة وابن الزبير[1].

فلا يمكن ـ والحالة هذه ـ أن يستقرّ مقام أهل البيت فى هذا الجوّ المشحون بالخطر فى الحجاز، أمّا الشام فهو مقرّ الأمويّين، الذين اصطنعوا أهله بالمال والوعود، وزيّنوا لهم كراهية على وبنيه.

أمّا العراق وهو شيعة على، فقد وجّه إليه الأمويّون سخطهم، وبلوا أهله بالجبّارين، من أمثال زياد ابن أبيه، ثم ابنه عبيدالله، ثم الحجّاج بن يوسف الثقفى، الذين تتبّعوا شيعة على وبنيه فأذاقوهم ألوان العذاب.

ظلّت هذه الأنحاء ـ الحجاز والعراق والشام ـ تضطرب بالفتن والقلاقل، ولم ينج من ذلك إلاّ مصر التى جعلها الله كنانته فى أرضه، وقد أصبحت معقل الإسلام ودار الأمان.

ولقد ورد فى فضائل مصر أخبار كثيرة، خصّها الله بالذكر فى كتابه الكريم فى مواطن متعددة[2]، كما جاء عن عيسى (عليه السلام) أنّه مرّ بسفح «المقطم» فى

١. انظر مروج الذهب ٣: ٧٨ وما بعده.
٢. فقد ذكر السيوطى أنّ مصر ذكرت فى القرآن فى أكثر من ثلاثين موضعاً، بعضها من طريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية. فمن الصريح قوله: (اهْبِطُوا مِصْراً) البقرة/٦١ و(أَن

أثناء ذهابه إلى الشام، فالتفت إلى أُمه وقال لها: «يا أماه، هذه مقبرة أُمة محمد (صلى الله عليه وآله)»[١].

وبغضّ النظر عن ثبوت هذا الخبر أو عدم ثبوته، فإنّه يدلّ على فضل مصر، وأنّها ستظلّ مهوى القلوب ومحطّ الأنظار من عترة النبى الكريم على مرّ الزمان[٢].

ولقد مرّ بمصر كثير من الأنبياء، منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وإدريس، ويوسف (عليهم السلام)، ونجت مصر من الفتن التى اشتعلت فى غيرها من الحواضر والأقطار الأخرى، وليس يرجع ذلک فى الحقيقة إلاّ إلى طبيعة أهلها الذين امتازوا «بالبساطة واليسر وعدم المبالغة، والصبر وقوّة العزيمة والهدوء».

جاء فى كتاب مصر العربية[٣]: «وحدثت موقعة كربلاء التى استشهد فيها سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعه كثير من أهل بيته وولده، ولم يطمئنّ بهذه الأسرة الكريمة المقام بعد أن أدركوا الحقد الذى يتعقّبهم به خلفاء بنى أمية وولاتهم... فأقبلت وفودهم إلى مصر، حيث وجدوا فى رحابها الأمن والهدوء...

تَبَوَّءَا لقَوْمكُمَا بمصْرَ بُيُوتاً)يونس/٨٧ و(اشْتَرَاهُ من مصْرَ) يوسف/٢١ و(ادْخُلُوا مصْرَ) يوسف/٩٩ و(أَلَيْسَ لى مُلْكُ مصْرَ)الزخرف/٥١. ومن الكنايَة قوله تعالى: (وَقَالَ نسْوَةٌ فى الْمَدينَة) يوسف/٣٠ و(دَخَلَ الْمَدينَةَ)القصص/١٥ و(فَأَصْبَحَ فى الْمَدينَة) القصص/١٨ و(وَجَاءَ رَجُلٌ منْ اقْصَى الْمَدينَة يَسْعَى)القَصص/٢٠ و(لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فى الْمَدَينَة) الأعراف/١٢٣ و(آوَيْنَاهُمَا إلَى رَبْوَة)المؤمنون/٥٠ و(اجْعَلْنى عَلَى خَزَائن الأَرْضَ) يوسف/٥٥ و(إنَّ فرْعَوْنَ عَلاَ فى الأَرْض)القصص/٤ و(ونُريدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذَينَ اسْتُضْعفُوا فى الأَرْض) القَصص/٥ و(نُمَكِّنَ لَهُمْ فى الأَرْض)القصص/٦ وَ(إلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فى الأَرْض) القصص/١٩ و(الْيَوْمَ ظَاهرينَ فى الأَرْض) غَافر/٢٩ و(أَوْ أَن يُظْهرَ فى الأَرْض الْفَسَادَ)غافر/٢٦ و(وَيَسْتَخْلفَكُمْ فى الأَرْض)الأعراف/١٢٩ و(لنُفْسدُوا فى الأَرْضَ)الأعراف/١٢٧ و(كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارقَ الأَرْضَ وَمَغَاربَهَا)الأعراف/١٣٧ وَ(يُريدُ أَنْ يُخْرجَكُمْ منْ أَرْضكُمْ)الأعراف/١١٠ والشعراء/٣٥ و(فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّات وَعُيُونَ * وَكُنُوز وَمَقَام كَريمَ)الشعراء/٥٧ ـ ٥٨ و(كَمْ تَركُوا من جَنَّات وَعُيُون * وَزُرُوع وَمَقَام كَريم) الدخان/٢٥ ـ ٢٦ و(مُبَوَّأَ صدْق) يونس/٩٣ و(كَمَثَل جَنَّة برَبْوَة)البقرة/٢٦٥ و(ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) المائدة/٢١ وَ(نَسُوقُ الْمَاءَ إلَى الأَرْض الْجُرُز)السجدة/٢٧ و(وَقَدْ أَحْسَنَ بى إذْ أَخْرَجَنى منَ السِّجْن وَجَاءَ بكُم مِّنَ الْبَدْو) يوسف/١٠٠ فجعلَ الشام بدواً، وسمّى مصر مَصراً ومدينةَ (نوَر الأبصارَ: ٣٥٤ نقلاً عن حَسن المحاضرة للسيوطى).

١. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ١: ٥١.

٢. وقد وردت أخبار فى مصر، منها: ما روى عن كعب بن مالک عن أبيه يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول: «إذا اقتحمتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ لهم ذمّة ورحماً». وفى مسلم أيضاً عن أبى ذرّ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ستفتحون مصر، وهى أرض يسمّى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ له ذمّة ورحماً». وغيرها.

٣. تأليف أحمد حسنين القرنى وعبدالحفيظ فرغلى القرنى.(منه)

وأُكرمت وفادتهم، وأفسحت لهم صدرها، ولاقتهم بما يليق بهم وبمجدهم الكريم، من حفاوة وتكريم، وبذلک أصبحت مصر داراً للأُسرة النبوية المجيدة التى بادلت مصر الحبّ والوفاء... وأصبحت مصر فى نظر العالم الإسلامى منذ ذلک الوقت رمزاً للوفاء والتقدير، يتطلّع إليها المسلمون فى شتّى الأقطار، وأصبحت بيوت الهاشميّين فى مصر قبلةً يحجّ إليها المسلمون، وأضحت قبورهم من بعدهم مثار ذكرى ومهبط رحمة وكعبةً يقصدها الآلاف، يستعيدون فيها سيرة رسول الله الكريم، ويتبرّكون فيها بآثار عثرته الطاهرة الزكية. ولحكمة ما اختصّ الله مصر بهذه النعمة المباركة، فقد أكرمها الله بأوليائه الطاهرين وأصفيائه المقرّبين، حتّى إن شاء الله أن يُقبض بعيداً عن مصر، قيّض الله له من ينقل رأسه الشريف إليها».

* * *

من جاء من أهل البيت إلى مصر؟

تفرّق بعض أهل البيت فى الأمصار، وبقى بعضهم فى مكّة والمدينة، ويحسن بنا أن نذكر أسماء ولد على بن أبى طالب، لنعرف هذا النسل الشريف، ومن جاء منه إلى مصر.

أمّا أولاد على من فاطمة الزهراء، الذين ينتسبون إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، فهم: الحسن والحسين ومحسن وأُم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى.

وأولاده من غيرها: محمد وأُمّه خولة بنت إياس الحنفية، وقيل: ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفى، وعبدالله وأبو بكر وأُمّهما ليلى بنت مسعود، وعمر ورُقيّة وأُمّهما تغلبية، ويحيى وأُمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت متزوّجة من جعفر الطيار (رضى الله عنه)، وأعقبت منه عوناً ومحمداً وعبدالله، ثم تزوّجها أبو بكر الصدّيق، ثم تزوّجها على بن أبى طالب، الذى أعقب منها يحيى وجعفر والعباس وعبدالله وأُمّهم أُم البنين بنت حزام الوحيدية، ورملة وأُم الحسن وأُمّهما أُم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى.

كما أنّ له بنات أُخريات، هنّ: أُم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأُم الكرام نفيسة وأُم سلمة وأُم أبيها.

أمّا العقب للإمام على من أولاده، فكان من الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس رضى الله عنهم أجمعين.

ويوجد بمصر كثير من الأضرحة والمزارات لا حصر لها، والتى ينسب كثير منها إلى أهل البيت، ومصر من قديم تشتهر بكثرة ما بها من المساجد والقباب والأضرحة، وما ذلک إلاّ لطيبة وصلاح يغلبان على أهلها، والشاهد على ذلک واضح.

قال القضاعى: «إنّه كان بمصر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة من المساجد: ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع مسلوک، وغالب هذه المساجد كانت بالقرافة الكبرى ومدينة مصر والكيمان والعسكر وأرض القطائع»[١].

فما بالک بما وجد بعد ذلک؟

جاء فى كتاب تحفة الأحباب: «أنه لمّا قُتل الحسين بن على بأرض كربلاء طيف برأسه وسير فى البلاد، إلاّ بأرض مصر، فإنّ أهلها لم يمكّنوا حامليه من الدخول على تلک الحالة البشعة... ثم يقول: إنّ أهل مصر تلقّوا أهل البيت بمدينة الفرما ـ وهى أول مدينة من مدائن مصر ـ وحملوهم فى الهوادج، وأوسعوا لهم فى الكرامة، وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وأووهم، وبنوا لموتاهم المشاهد واتّخذوها مزارات، وجعلوا لهم أرزاقاً من أموالهم تقوم بهم، فكان أهل البيت يقولون: يا أهل مصر! نصرتمونا نصركم الله، وآويتمونا آواكم الله، وأعنتمونا أعانكم الله، وجعل لكم من كلّ مصيبة فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجاً»[٢].

وهناک اختلافات حول وجود بعض أصحاب الأضرحة بداخلها، فمن منكر ومن مثبت. وحجّة المنكر عدم وجود النصوص القاطعة والشواهد الدالّة على التنقّل والارتحال فى بعض الأحيان، أو وجود نصوص متعارضة مع ماهو شائع معروف.

---

١. تحفة الأحباب: ١٨٠ ط القاهرة.
٢. المصدر السابق: ٢٢١.

ونحن فى حديثنا هنا،ليس من هدفنا أن نكذّب أحداث التاريخ، ولكنّا نودّ أن نلقى الضوء على أصحاب هذه الأضرحة من السلالة الطيّبة الطاهرة، وننوّه إلى أنّ هناک مصادر كثيرة مفقودة، كما أنّ حركة التأليف فى الفترة التى تقع بين منتصف القرنين الأول والثانى، لم تكن قد نضجت بعدُ، وهى الفترة التى شهدت الأحداث الدامية التى تعرّض لها أهل البيت. يضاف إلى ذلک حملة التشويه الكبرى التى دعا إليها الأمويّون; ليطمسوا بها آثار الهاشميّين وفضائلهم، ليحولوا بينهم وبين التعريف بهم حتّى لايلتفّ الناس حولهم ويظاهرون فى نيل حقّهم.

على أنّه لايمنع أن يكون هناک بعض الأخبار التى جاءت فى بعض المصادر التى أُلّفت فيما بعد، والتى اعتمد أصحابها على الرواية التى كانت العماد الوحيد للعرب قبل عصر التدوين والتأليف، مثل كتب السيرة والطبقات والفتوح والأنساب والتاريخ. ثم لا ننسى ما فعله التتار بعد ذلک بالكتب والمؤلّفات التى أغرقوها فى دجلة، وجعلوها جسراً عبروا عليه.

وقد اعتنى الصوفية على وجه خاصّ بشأن هذه المزارات والأضرحة على اعتبار أنّها ذكرى من ذكريات الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأثر من آثاره الشريفة. فصاحب الضريح منسوب إلى المصطفى، ومن حقّ المنسوب أن يحترم; إجلالاً للمنسوب إليه.

❊ ❊ ❊

دوحة النبى (صلى الله عليه وآله) المباركة لماذا الكثير من أغصانها فى مصر؟[١]

أحمد أبو كفّ

(١)
دوحة النبى (صلى الله عليه وآله) المباركة[٢]

دوحة النبى (صلى الله عليه وآله) المباركة ظلّلت أرض مصر من أوراقها وأغصانها، ولآلئ من كنوز آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) رصعت جبين مصر، وصارت أنواراً مضيئة يفوح عطرها الذكى.

وهذه الدوحة النبوية المباركة ألقت ثمارها وأوراقها أكثر ما ألقت من نسل فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلى بن أبى طالب كرّم الله وجهه ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبعضها من نسل الحسن بن على.

بل إنّ أرض مصر وأهل مصر ـ حبّاً فى آل البيت وعشقاً وتشيّعاً ـ لم يكتفوا بتلك الأضرحة والمشاهد الحقيقية، وإنّما بنوا عشرات ومئات من أضرحة أو مشاهد الرؤيا[٣].

إذا كانت القاهرة ـ خاصّةً القديمة منها ـ تُعرف بمدينة الألف مئذنة، فإنّ ما على جغرافية أرضها من قباب ومشاهد يفوق العدد والحصر، ولاشكّ أنّ هذا إن

---

١. مقتبس من كتاب «آل البيت فى مصر» ط. دار المعارف بالقاهرة.
٢. الدوحة: الشجرة العظيمة، ومنه حديث الرؤيا: «فأتينا على دوحة عظيمة» أى شجرة. راجع النهاية: مادة «دوح».
٣. مشاهد الرؤيا أو أضرحة الرؤيا مصطلح يطلق على تلك المشاهد التى بُنيت جراء رؤيا يراها أحد الصالحين فى منامه مؤدّاها أن يقيم مسجداً أو ضريحاً لأحد من أهل البيت (عليهم السلام) أو الولىّ المسمّى فى الرؤية، فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه. وقد كثر بناؤها فى العصور الوسطى، وما زالت شاهدة تاريخية تحكى حياة أهل البيت، وتعكس محبة المصريين لهم، لكن هذا لايمنع من إعمال التحقيق وايجاد الوثائق التى تؤكد أو تنفى واقع الأمر.

دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ مصر أرض الإيمان، وأنّ أهل مصر منذ أن ارتفعت الراية الخضراء فى سمائها، اختاروا الإسلام عن صدق ويقين واقتناع.

آمن المصريون برسالة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وتحمّسوا للدين، بل أنّهم قد انغمسوا فيما وقع من أحداث مصيرية، ولا أكون متجاوزاً أو مبالغاً إذا قلت: إنّ أهل مصر كانوا من صنّاع السياسة فى صدر الدولة العربية الإسلامية وما بعد ذلک من قرون.

وقد كان تحمّس أهل مصر للنبى الكريم (صلى الله عليه وآله) ولدعوته، ولآل بيته، تحمّساً يدعو إلى الفخر ما يدعو إلى التساؤل.

والذين يتساءلون لهم بعض العذر من تساؤلهم; لأنّهم ليس لهم رؤية شاملة بالنسبة لمصر بالذات، وبالنسبة لتاريخها الإيمانى والعقائدى، حتّى من قبل الإسلام، بل إنّ ـ وهذا ثابت تاريخياً ـ الذين ليس لهم رؤية بالنسبة للمصريّين، ليس لهم هذه الرؤيا أيضاً بالنسبة للفرس، حول سرّ تحمّس أهل فارس لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والإجابة التى يمكن أن نعطيها بالنسبة لمصر هى نفس الإجابة لفارس! فأهل الحضارات والمعتقدات القديمة كان تحمّسهم وتشيّعهم رائعاً للدين الجديد ولآل البيت. وطبعاً، إنّ تشيّع المصريين يختلف بعض الشيء عن تشيّع الفرس!

إنّ الإسلام جاء كسفينة أمان; ليخرجهم من الظلمات إلى النور، بما فى هذه المعانى من أبعاد وأبعاد، بل إنّ الذين لم يدخلوا الإسلام من أهل تلک البلاد كان الإسلام بالنسبة لهم رائعاً; لأنّه حافظ على معتقداتهم واحترمها من خلال شريعته السمحاء.

فمثلاً فى مصر، حين جاء عمرو بن العاص وفتحها جند الإسلام، وجد منه القبط مالم يجدوه من الرومان، ومن كلّ غاز لها من قبل، ألّف عمرو بن العاص بين المسلمين والقبط، وأرسل كتاب أمان إلى بنيامين بطريرک القبط، وردّه إلى كرسيّه، وأعاد إليه إدارة شؤون الكنيسة، وكان الرومان قد أقصوه عن هذا

الكرسى ثلاثة عشر عاماً، فعاد بنيامين إلى الإسكندرية، بعد أن كان مختفياً فى الصحارى، وعاش الأقباط فى ظلال حرّية العقيدة والأمان.

سألنى أحدهم ـ بعد أن كتبت عن كوكبة من آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) ـ هل هم فى مصر حقّاً؟ وهل دُفنوا فيها؟!

أجبته وبثقة: نعم، على الأغلب.

وأضفت قائلاً:

ـ إنّنى لم أكتب إلاّ عن الذين عاشوا فى حدود القرون الأولى تقريباً للإسلام، بمعنى أنّنى كتبت عن بعض من دُفن من آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) فى مصر، فى إطار قرون أربعة أو خمسة من الهجرة، والمدفونون فى مصر من آل البيت يفوقون هذا العدد ـ بلاشكّ ـ أضعافاً مضاعفة.

وقلت: إنّنى لم أتشرّف بالكتابة عن بعض المشهورين، والذين لهم قبور لا تزال فى مصر من آل البيت، وهم كثيرون، وممّا هو ثابت أنّهم مدفونون عندنا، وثابت أيضاً أنّهم من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقلت كذلك: إنّنى أردت من هذه الحلقات القليلة أن أزيل النقاب عن الكثير ممّا لا يعرفه الكثيرون، خاصّةً بالنسبة للشباب المسلم والشابّات المسلمات، فحياة أهل البيت هى نماذج وقدوة ينبغى على الشباب المسلم ـ فتياناً وفتيات ـ أن يتأسّوا بها، ويعرفوا شيئاً من سيرتها ومن تاريخها، ومن قوة إيمانها وصدقها، ومن دفاعها عن العقيدة السمحاء، وعن دين محمد (صلى الله عليه وآله).

فليس من الدين فى شىء أن يذهب المسلم إلى ضريح سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ليزوره، وهو لا يعرف شيئاً عن تاريخه، وعن صلابته فى الإيمان والمبدأ، والنضال والكفاح إلى حدّ الاستشهاد.

ومن غير المعقول أن تذهب السيدة المسلمة إلى مقام سيدتنا زينب، أو سيدتنا فاطمة النبوية، أو سيدتنا نفيسة، دون أن تعرف شيئاً عن التاريخ الإيمانى لتلك النماذج المسلمة الرائعة من آل البيت.

إنّ تعرّف التاريخ والسيرة يجعلک تقتنع أكثر، وتكون لک أُسوة حسنة تتأسّى بها، وتجعلها نبراساً لک ومصباحاً هادياً.

فالتاريخ والسيرة عظات وعبر، ومن لم يتأسّ بذلک يصبح كالببغاء، يظلّ يردّد دون وعى ما يسمعه، وهذا ليس من الإسلام فى شىء.

فالحبّ التلقائى الوراثى وحده لا يكفى، وإنّما الحبّ المبنى على المعرفة، يصبح يقيناً، خاصة بالنسبة لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين ضربوا بسلوكهم وسيرتهم أعظم الأمثال، وجمعوا حولهم قلوب المؤمنين فى حياتهم ومماتهم على السواء.

* * *

بعد كربلاء عادت السيدة زينب أُخت الإمام الشهيد الحسين بن على إلى المدينة المنوّرة ومعها سيدات آل البيت، بالاضافة إلى الزهرة التى بقيت من صلب الحسين، سيدى على زين العابدين.

لكن حين ضيّق عليها الأمويون الخناق فى المدينة، وخيّروها أن تذهب إلى أرض الله الواسعة ـ غير مكّة بالطبع ـ حتّى لا تؤلّب المسلمين عليهم، اختارت مصر داراً لإقامتها ومقامها، لماذا؟

تجمع كتب التاريخ أنّها اختارت مصر أرض الكنانة، لما سمعته عن أهلها من محبّتهم لآل البيت، ومودّتهم لذوى القربى من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وكذلک لما وعته عمّا حدّثت به أُم سلمة من أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بأهل مصر، حين بدأ التفكير فى فتحها، وروى عنه قوله (صلى الله عليه وآله):

«إنّكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنّ لهم ذمّةً ورحماً»[1]. وفى رواية أخرى: «ذمّةً وطهراً»[2].

---

١. أخرجه مسلم فى صحيحه ۴: ١٩٧٠ كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبى (صلى الله عليه وآله)بأهل مصر ح٢٥۴٣/٢٢۶ عن أبى ذرّ.

٢. المصدر السابق: ح٢٥۴٣/٢٢٧. ورحماً لكون هاجر أم اسماعيل منهم، وصهراً لكون مارية أم إبراهيم منهم.

وقد فسّر البعض «رحماً وطهراً»: مارية القبطية التى يقال: إنّها كانت ابنة المقوقس عظيم القبط فى مصر، التى أرسلها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتزوّجها، وأنجب منها ابنه إبراهيم[١].

ويعجز القلم عن أن يصف موكب السيدة زينب حين بدأت تشارف أرض مصر، من الذين ذهبوا على اختلاف طبقاتهم لاستقبالها عند «بلبيس» عام ٦١ هجرية، حتّى أنّها رضى الله عنها حين شاهدت احتفاء أهل مصر بها، ظلّت تردّد وتقول: (**هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**) [يس: ٥٢].

ومنذ ذلک التاريخ كانت السيدة زينب أول جوهرة من دوحة النبوة المباركة ترصع أرض مصر، بل هى رضى الله عنها ظلّت منذ هذا التاريخ قبساً من أقباس النبوة فى مصر.

وما فعله أهل مصر مع السيدة زينب فعلوه مع تلک الأغصان من الدوحة النبوية المباركة التى جاءت إلى مصر بعدها.

فعلوه مع السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور، التى جاءت إلى مصر فى الخامس والعشرين من رمضان عام ١٩٣ هـ، تلقتها نساء مصر ورجالها بالهوادج والخيول، رافعين المصاحف عند العريش، مكبّرين مهلّلين، فرحين مستبشرين بتلک اللؤلؤة المباركة التى ستضاف إلى عقد لآلئ آل البيت فى مصر.

وحين فكّرت السيدة نفيسة فى العودة إلى المدينة المنورة، فإن أهل مصر لم يتركوها، وتكاثروا عليها من كلّ فجّ وفى كل وقت يرجون بركتها، وأسقط فى يدهم حتّى أنّهم ذهبوا إلى الوالى; كى يتشفّع لهم ويرجو السيدة نفيسة البقاء.

وقيل على لسان السيدة نفيسة: إنّ سبب تفكيرها فى العودة إلى المدينة المنوّرة هو كما قالت: «إنّى كنت قد اعتزمت البقاء عندكم، غير أنّى امرأة ضعيفة، وقد تكاثر الناس حولى، فشغلونى عن أورادى، وجمع زادى»[٢].

---

١. راجع خطط المقريزى ١: ٤٧.
٢. ذكره الشبلنجى فى نور الأبصار: ٣٨٩.

وما فعله أهل مصر مع لالئ آل بيت النبوة فعلوه أيضاً مع تلك الرؤوس الشريفة، التى بذلوا من أجلها الغالى والنفيس لنقلها أو دفنها فى مصر.

فعلوا ذلک مع رأس الإمام الحسين بن على.

وكذلک مع رأس سيدى زيد بن زين العابدين، ورأس سيدى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على.

❊ ❊ ❊

أمّا رأس كلٍّ من سيدى زيد بن على زين العابدين، وسيدى إبراهيم بن عبدالله فقد جازف المصريون أيام الأمويّين وأيام العباسيّين على التوالى، وسرقوا الرأسين من المسجد الجامع ـ جامع عمرو ـ لكى يدفنوهما، ليصبحا مزارات، رغم أنّ التشيّع لآل البيت كان فى أيام دولة الأمويّين، وفى فترات كثيرة فى زمن العباسيّين جريمة لا تُغتفر، فرأس سيدى زيد دُفن بالفسطاط، ورأس سيدى إبراهيم دُفن بالمطرية[١].

لكن لماذا هذا كلّه؟

إنّ الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) رأس هذه الدوحة المباركة يقول: «المرء مع من أحبّ»[٢].

وأهل مصر أحبّوا آل البيت ووقفوا معهم، بلاشكّ.

وأهل مصر أيضاً حفظوا عن ظهر قلب، ووعوا ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله)، وما قاله صدق. فقد روى الإمام أحمد بسنده: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إنّى أوشک أن أُدعى فأُجيب، وإنّى تارک فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلى السماء، وعترتى أهل بيتى، وإنّ اللطيف الخبير

١. راجع المصدر السابق: ٤٠٦.

٢. أخرجه البخارى ٥: ٢٢٨٣ كتاب الأدب باب: علامة الحبّ فى الله عزّ وجلّ ح٥٨١٦ و٥٨١٧ و ٥٨١٨، ومسلم ٤: ٢٠٣٤ كتاب البرّ والصلة والأدب باب: المرء مع من أحبّ ح٢٦٤٠/١٦٥ كلاهما عن ابن مسعود.

أخبرنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض يوم القيامة، فانظرونى بما تخلفونى فيهما»[١].

وروى الديلمى والطبرانى وابن حبّان والبيهقى: أنّه (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وتكون عترتى أحبّ إليه من عترته، وأهلى أحبّ إليه من أهله وذاته»[٢].

وقد كان أهل مصر ـ وما زالوا ـ مؤمنين محبّين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ودوحته المباركة، وسيظلّون على هذا الإيمان إلى أن يشاء الله. ومن هنا جاء تحمّس أهل مصر لآل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)، ولكلّ أثر من آثار النبوة الكريمة.

وأقصد بآثار النبوة الكريمة تلك المخلّفات النبوية الشريفة التى تقبع فى حجرة المخلّفات فى مسجد سيدى الإمام الحسين، بعد أن جاءت إلى مصر فى القرن السابع الهجرى من مدينة «ينبع» حتّى أنّ المصريّين بلغوا من حرصهم على تلك المخلّفات ـ كما تقول الدكتورة سعاد ماهر ـ أنّهم جعلوا من بين وظائف الدولة المهمة: وظيفة «شيخ الآثار النبوية». بنوا لها رباطاً; أى حصناً من الحصون العسكرية، أو قلعةً ليحفظوها بها، ولم تذهب الآثار النبوية إلى تلك الغرفة المباركة فى المشهد الحسينى إلاّ فى موكب هائل، وحراسة مشدّدة من مكانها فى «سراى عابدين» فى عام ١٣٠٥ هـ، وهذا الموكب اعتبره البعض من المواكب المشهورة فى تاريخ مصر الحديث[٣].

* * *

١. مسند أحمد ٣: ١٧ عن أبى سعيد الخدرى. وحديث الثقلين قد رواه أجلاّء علماء الجمهور وأكابر محدّثيهم فى صحاحهم وسننهم وبأسانيد متعدّدة، ففضلاً عن الإمام أحمد فقد رواه مسلم والترمذى والدارمى وابن ماجة وأبو داود وصاحب الجمع بين الصحاح الستّ والحميدية من إفراد مسلم والسمعانى فى فضائل الصحابة والطبرانى وابن حجر وأغلب المفسّرين. وقد روى من طريق أهل البيت باثنين وثمانين طريقاً.

٢. فردوس الأخبار للديلمى ٥: ١٥٤ ح٧٧٩٦، المعجم الكبير للطبرانى ٧: ٧٥ ح٦٤١٦، شعب الإيمان للبيهقى ٢: ٦٥٤ رقم ١٥٠٥، كلهم عن أبى ليلى.

٣. مخلّفات الرسول (صلى الله عليه وآله) فى المشهد الحسينى: ٣٢.

والذين لم يقتنعوا، وما زالوا يتساءلون أيضاً: لماذا آل بيت النبى صلوات الله وسلامه عليه فى مصر؟

أقول: معهم الحقّ; لأنّهم لا يعرفون أنّ مصر لم تكن بعيدة عن مكة والمدينة فى يوم من الأيام، ولا بعيدة أيضاً عن تلك الفتنة التى قامت بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب، حيث قتله أبو لؤلؤة المجوسى فى عام ٢٣ هـ. وهذه الفتنة هى التى مهّدت «للفتنة الكبرى» كما يسمّيها طه حسين.

ومنشأ هذا كان من مصر أيضاً.

لقد كانت الفتنة التى أدّت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان من مصر! وأذكى نيرانها صحابى قديم، اشتهر ـ كما يقول صحيح مسلم ـ بأنّه أول من حيّا النبى (صلى الله عليه وآله)بتحية الإسلام[١]، وبأنّه رابع ـ أو خامس على رواية الطبرانى[٢] ـ من اعتنق دين الإسلام[٣]، واشتهر بالورع والتقوى، وكان من أئمة الحديث، وقصد به «أبو ذرّ الغفارى».

١. راجع صحيح مسلم ۴: ١٩١٩ ب٢٨ من فضائل الصحابة ح٢٤٧٣/١٣٢ بطوله.
٢. المعجم الكبير ٢: ١٤٧ ترجمة جندب بن جنادة الغفارى رقم ١٦١٧ و١٦١٨.
٣. فى رواية الحاكم فى المستدرک ٣: ٣٤٢: «كنت ربع الإسلام».

(٢)
المشهد الحسينى

منطقة المشهد الحسينى كانت مقرّ حكم الفاطميّين فى القاهرة، وفى مكان المشهد الحسينى الحالى وحوله «قصر الزمرّد»، أهم قصور دولة الفاطميّين. وهذا القصر كان يشمل من منطقة «خان الخليلى»، ويمتدّ ربّما إلى حافة شارع بور سعيد الآن. وفى مكان الزمرّد ـ وكان أشرف مكان بالقصر تقام به الصلاة ـ جىء بالرأس الشريف ليُدفن هناك، ولأنّ الزمرّد لونه أخضر، قد سمّيت المنطقة بالباب الأخضر، ومنطقة الباب الأخضر، هى التى تضمّ مقام الحسين (رضى الله عنه).

وهذا المقام يضمّ الرأس الشريف، وعليه الآن المقصورة من الفضّة، تحوى فصوصاً خمسة من الماس هدية من طائفة «البهرة». وكانت المقصورة قبلها من خشب الساج الهندى، المحفور والمعشق... نُقلت إلى متحف الفن الإسلامى، وقبل مقصورة الفضّة كانت هناك مقصورة من النحاس نُقلت إلى مشهد آخر.

وقد تردّدت الآراء حول رأس الإمام الحسين[١]:

رواية تقول: إنّ الرأس أُرسل إلى عمرو بن سعيد بن العاص والى يزيد على المدينة المنوّرة، حيث قام الوالى بدفنها فى البقيع عند قبر السيدة فاطمة رضى الله عنها[٢].

ورواية أخرى تقول: إنّ الرأس وجد بخزانة يزيد بن معاوية بعد موته، فأُخذ، ودُفن بدمشق عند باب «الفراديس»[٣].

ويقول ابن كثير: ادّعت الطائفة المسمّاة بالفاطميّين الذين ملكوا الديار المصرية: أنّهم دفنوه، وبنوا عليه المشهد المشهور بمصر[٤].

---

١. بينما اتفقت الأقوال فى مدفن جسده الطاهر. راجع نزهة المشتاق ٢: ٦٦٨، إعلام الورى ١: ٤٧٠، البداية والنهاية ٨: ٢٠٣.

٢. راجع المنتظم ٥: ٣٤٤، تاريخ أبى الفداء ١: ٢٦٦، تاريخ الإسلام للذهبى: حوادث ووفيات ٦١هـ ـ ٨٠هـ، مرآة الجنان ١: ١٠٩، البداية والنهاية ٨: ٢٠٤.

٣. راجع أنساب الأشراف ٣: ٢٤١، المنتظم ٥: ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ٢٠٤، سمط النجوم العوالى ٣: ١٩٧ ـ ١٩٨.

٤. البداية والنهاية ٨: ٢٠٦ وفيه: «... المشهد المشهور به بمصر، الذى يقال له: تاج الحسين، بعد سنة خمسمائة».

ويحصى العقّاد عدّة أماكن ذُكرت بأنّ رأس الإمام الحسين دُفن فيها، وهى: المدينة المنوّرة، كربلاء، الرقّة، دمشق، عسقلان، القاهرة، مرو[١].

وأقرب رواية للتاريخ: أنّه بعد استشهاد الإمام الحسين على أرض كربلاء، جرى التمثيل بالجثّة، فقدم الجسد الطاهر خولى بن يزيد الأصبحى ليجزّ الرأس، لكنّه لم يستطع، وارتعد جسده، فتقدّم شمر بن ذى الجوشن بنفسه وجزّ الرأس، ثم أرسله إلى يزيد بن معاوية ليتلقّى المكافأة، وهى توليته على إحدى الإمارات الإسلامية[٢].

وترى د. سعاد ماهر: أنّ أقوى الآراء هو الذى يقول: إنّ الرأس طيف به فى الأمصار الإسلامية حتّى وصل إلى عسقلان[٣] حيث دُفن هناك، وحينما استولى الفرنجة على عسقلان[٤]، تقدّم الصالح طلائع[٥] وزير الفاطميّين بمصر، فدفع ٣٠ ألف درهم، واستردّ الرأس الشريف ونقله إلى القاهرة.

ويؤيّد هذا الرأى ابن خلّكان، الذى يذكر فى تاريخه: أنّ رأس الحسين ابن بنت محمد (صلى الله عليه وآله) كان مدفوناً بعسقلان قبل نقله إلى مصر، وإنّ الأفضل شاهنشاه[٦] بنى مشهد الرأس فى عسقلان[٧].

وابن بطوطة[١] يؤيّد الرواية، ويقول بعد زيارته لعسقلان: «ثم سافرت من القدس الشريف إلى ثغر عسقلان، وهو خراب، وقد عاد رسوماً طامسة وأطلالاً

١. أبو الشهداء الحسين بن على: ٢٦١ ـ ٢٦٢.
٢. تاريخ أبى مخنف ١: ٤٩٣ ـ ٤٩٤، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٦.
٣. مدينة الشام، من أعمال فلسطين، تقع على ساحل البحر بين غزّة وبيت جبرين، ويقال لها: عروس الشام، قد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين. راجع معجم البلدان ٣: ٣٢٧.
٤. وذلك سنة ٥٤٨ هـ، وبقيت فى أيديهم نحو خمس وثلاثين سنة حتّى حرّرها صلاح الدين الأيوبى منهم سنة ٥٨٣ هـ. راجع معجم البلدان ٣: ٣٢٧.
٥. أبو الغارات طلائع بن رُزّيک الأرمنى المصرى، من الأدباء والخطباء فضلاً عن كونه وزيراً للفاطميّين، ولى نواحى الصعيد، واستولّى على مصر بعد أن أخذ بثأر الظافر. له كتب وديوان شعر صغير، تزوّج العاضد ابنته ثم دبّر قتله مع بعض الأمراء، فاغتيل سنة ٥٥٦ هـ. راجع وفيات الأعيان ٢: ٥٢٦ ـ ٥٢٩، البداية والنهاية ١٢: ٢٤٣، أعيان الشيعة ٧: ٣٩٦ وما بعده.
٦. أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى، الملقّب بالأفضل، مولده بعكّا، خلف أباه فى إمارة الجيوش المصرية، أرمنى الأصل، وطّد دعائم الملک للآمر بأحكام الله العبيدى صاحب مصر، ودبّر شؤون دولته، لكنّه نقم عليه لأمر، فدسّ له من قتله على مقربة من داره بالقاهرة عام ٥١٥ هـ.
٧. وفيات الأعيان ٢: ٤٥٠.

دارسة، وبها المشهد الشهير، حيث كان رأس الحسين بن على قبل أن يُنقل إلى القاهرة، وهو مسجد عظيم سامى العلو»[٢].

ثم يقول ابن بطوطة عند زيارته للقاهرة: «ومن المزارات الشريفة: المشهد المقدّس العظيم الشأن، حيث رأس الحسين بن على، وعليه رباط ضخم عجيب البناء، على أبوابه حلق فضة وصحائفها، وهو موفى الحقّ من الإجلال والإعظام»[٣].

ويقول المؤرّخ الهروى فى كتابه «إشارات إلى أماكن الزيارات»: «وفيها ـ أى عسقلان ـ مشهد الحسين... فلمّا أخذتها الفرنج، نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة سنة تسع وأربعين وخمسمائة»[٤].

وتفنّد الدكتورة سعاد ماهر الآراء التى قيلت، من الناحية الأثرية، من خلال كتابيها «مخلّفات الرسول (صلى الله عليه وآله) فى المشهد الحسينى» و«مساجد مصر».

فعن القول بوجود الرأس فى المدينة المنوّرة، هناك ما ينقصه الدليل المادى الذى ذكره المسعودى، وهو أنّه كان يوجد حتّى القرن الرابع الهجرى شاهد مكتوب عليه العبارة الآتية: «الحمد لله مميت الأُمم ومحيى الأُمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سيدة نساء العالمين، والحسن بن على بن أبى طالب، وعلى بن الحسين بن على، ومحمد بن على، وجعفر بن محمد. رضوان الله عليهم أجمعين».

---

١. أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد اللواتى الطنجى، المعروف بابن بطّوطة، رحّالة ومؤرّخ معروف، ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة ونشأ فيها، وطاف بلاداً كثيرة، واتصل بملوك وأُمراء، توفّى بمراكش سنة ٧٧٩ هـ راجع إيضاح المكنون ١: ٢٦٢.
٢. رحلة ابن بطوطة: ٦٠.
٣. المصدر السابق: ٨٧.
٤. والسائح الهروى هو أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى، المولود بالموصل، وقد استوطن حلب، كان فاضلاً جوّالاً فسمّى بالسائح بنى له مدرسة يدرّس بها ويخطب، له كتاب الاشارات المذكور والخطب الهروية، توفّى ٦١١ هـ، وقبره فى مدرسته بظاهر حلب. راجع سير اعلام النبلاء ٢٢: ٥٦ ـ ٥٧.

فلو أنّ الرأس كان مدفوناً فی البقیع لما أغفل ذكر اسم سید الشهداء. وهذا النصّ منقول من كتاب «الإشراف والتنبیه» للمسعودی عن ابن كثیر فی «البدایة والنهایة»[١].

أمّا قول غالبیة الشیعة الإمامیة «الاثنی عشریة»، بأنّ الرأس مدفون مع الجسد فی كربلاء، فهو لا تؤیّده مراجعة الحوادث، فمن المستبعد عقلاً أن یعید یزید بن معاویة الرأس إلی كربلاء، حتّی لا یزید النار اشتعالاً، وهو یعلم بأنّها مركز الشیعة والمتشیّعین للإمام الحسین، والمؤیّدین لمذهبه. هذا بالإضافة إلی ما جاء فی أحداث سنة ٢٣٦ هـ، من أنّ الخلیفة المتوكّل أمر «النویریج» بالمسیر إلی قبر الحسین وهدمه، فتناول النویریج مسحاةً وهدم أعلی قبر الحسین، وانتهی هو ومن معه إلی الحفر أو موضع اللحد، فلم یروا أثراً للرأس. ولا یمكن أن یتصوّر أحد أنّ الرأس قد بلی فی ذلک الوقت المبكّر، إذا عرف أنّ أرض كربلاء رملیة تحتفظ بالعظام مئات السنین[٢].

أمّا الرأی الذی یقول: إنّ الرأس موجود فی رباط مرو بخراسان هو منقوض من أساسه; لأنّ أبا مسلم الخراسانی الذی قیل: إنّه نقل الرأس من دمشق، لمّا استولی علیها وبنی علیها الرباط بمرو، لم یكن أبو مسلم موجوداً بالشام وقت فتحها أیام العباسیّین، ثم إنّ العباسیّین لو ظفروا بالرأس لأظهروه للناس.

وأقرب الآراء: أنّ الرأس وضع أول الأمر فی خزائن السلام بدمشق، ثم دفن فی عسقلان علی البحر، وحین استولی الفرنجة علی عسقلان تقدّم الصالح طلائع بن رزّیک وزیر الفاطمیّین بمصر، فدفع ٣٠ ألف درهم، واستردّ الرأس الشریف،

١. الإشراف والتنبیه: ٤٩، وراجع البدایة والنهایة ٨: ٢٠٦.

٢. لم تنفرد الشیعة الإمامیة وحدها بهذا القول، فقد ذهب غیرها إلیه. راجع علی سبیل المثال كتاب نزهة المشتاق لابن ادریس الحسنی المعروف بالشریف الإدریسی من علماء القرن السادس الهجری: ٦٦٨، بل فی تذكرة الخواص: ٢٦٥ أنّه أشهرها. والبدایة والنهایة لابن كثیر ٨: ٢٠٥ حیث یقول: «اشتهر عنه كثیر من المتأخّرین أنّه (أی قبر الحسین (علیه السلام)) فی مشهد علی، بمكان من الطفّ عند نهر كربلاء... وقد ذكر ابن جریر وغیره أنّ موضع قتله عفی أثره حتّی لم یطّلع أحد علی تعیینه بخبر... وذكر هشام بن الكلبی أنّ الماء لما أُجری علی قبر الحسین لیمحی أثره نضب الماء بعد أربعین یوماً، فجاء أعرابی من بنی أسد فجعل یأخذ قبضة قبضة ویشمّها حتّی وقع علی قبر الحسین، فبكی وقال: بأبی أنت وأمی، ما كان أطیبک وأطیب تربتک! ثم أنشأ یقول: أرادوا لیخفوا قبره عن عدوّه*** فطیب تراب القبر دلّ علی القبر»

ونقله إلى مصر، حيث جاء الرأس فى حراسة ثلّة من الجند، واستقبله الخليفة الفاطمى ـ كما يقول الإمام الشعرانى[١] فى طبقات الأولياء[٢] ـ هو وعسكره حفاة من الصالحية، وقد وضع الرأس الشريف فى كيس أخضر من الحرير، على كرسى آبنوس، وفرش تحته المسک والطيب، وبنى عليه القبّة المعروفة.

والدليل على وجود الرأس الشريف ما ذكره عثمان مدوخ فى كتابه «العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد» وقد ألّفه فى القرن التاسع عشر، وقال فيه: «إنّ المرحوم عباس كتخدا الفزدوغلى لمّا أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسينى، قيل: إنّ هذا المشهد لم يثبت فيه دفن، فأراد تحقيق ذلک، فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس، ونزل فيه الأستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملوى المالكى... وكانا من كبار العلماء العاملين، وشاهدا ما بداخل البرزخ، ثم ظهرا وأخبرا بما شهداه. وهو كرسى من خشب الساج، عليه طست من ذهب، فوقه ستار من الحرير الأخضر، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق، داخله الرأس الشريف...».

والذى نريد أن نقوله هنا: إنّنا لا نرجّح وجود الرأس الشريف فقط، بل إنّنا نؤكّد ذلک، ليس ممّا أوردناه من الأدلّة، وإنّما أيضاً من خلال الاهتمام بالمشهد الحسينى قرناً وراء قرن، ذكرنا بعضاً منه وأغفلنا الكثير من الاهتمامات المتنوّعة.

ودليل آخر محسوس ملموس، هو كثرة الإخوة الإيرانيّين، الذين جاءوا إلى مصر عبر العصور، واختاروا مقامهم وسكناهم، بل مقدار أعمالهم، بجوار الرأس الشريف، حتّى أنّ الكثير من الأسماء الإيرانية كانت إلى فترة قصيرة ـ ولا تزال

١. أبو محمد عبدالوهاب بن أحمد بن على الحنفى الشعرانى، من العلماء المتصوّفين، يرجع نسبه إلى ابن الحنفية محمد بن على بن أبى طالب (عليه السلام). ولد سنة ٨٩٨ هـ فى قلقشندة بمصر، ونشأ بساقية أبى شعرة إحدى قرى المنوفية، وإليه يرجع نسبه، له مصنّفات منها: طبقات الأولياء، لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار، البدر المنير وغيرها، توفّى سنة ٩٧٣ هـ بالقاهرة. راجع شذرات الذهب ٨: ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

٢. طبقات الأولياء: ٢٦. وراجع نور الأبصار: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

ـ تنتشر فوق الدكاكين والوكالات وغيرها، وانتشر حول المشهد بالذات بيع السجّاد الشيرازى والتبريزى.

ويضاف إلى ذلك تلك المقصورة التى أهدتها جماعة «البهرة» للمشهد الحسينى، وهذه الجماعة فيها الكثير من العلماء والباحثين الذين درسوا وتأكّدوا من وجود الرأس الشريف، وهو السبب فى إهدائهم المقصورة عام ١٩٦٥، والتى تكلّفت ٣٠٠ ألف جنيه، جُمعت من جماعة البهرة أنفسهم، بالإضافة إلى تلك المقصورة التى أُهديت إلى مشهد السيدة زينب رضى الله عنها.

والواقع أنّ لجلال المشهد وبركته، فإنّ الدولة بمصر المؤمنة قد جعلت من المشهد الحسينى المسجد الرئيسى الذى يختصّ بصلاة العيدين فيه، كما تقام فيه أيضاً الاحتفالات بالمناسبات الدينية المهمّة.

هكذا يثبت وجود الرأس فى مصر.

وعلى أيّة حال، ففى أىّ مكان رأس الحسين أو جسده ـ كما يقول سبط ابن الجوزى[١] ـ فهو ساكن فى القلوب والضمائر، قاطن فى الأسرار والخواطر[٢].

والمهمّ كما يرى العقاد: «أيّاً كان ذلك الموضع الذى دُفن فيه الرأس الشريف، فهو فى كلّ موضع أهلٌ للتعظيم والتشريف، وإنّما أصبح الحسين بكرامة الشهادة، وكرامة البطولة، وكرامة الأُسرة النبوية... معنى يستحضره المسلم فى صدره، وهو قريب أو بعيد من قبره»[٣].

لكن ماذا بقى من القديم الآن، وقد ثبت أنّ الرأس الشريف موجود فى مشهد الإمام الحسين بمصر؟!

يقول المقريزى[٤]: «نقل رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة يوم الأحد ٨ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (٣١ أغسطس ١١٥٣م)، وصل الرأس إلى

١. شمس الدين يوسف بن قُزعلى بن عبدالله التركى العوينى الهُبيرى البغدادى الحنفى، المعروف بسبط ابن الجوزي الواعظ البليغ والمؤرّخ المتفنّن. ولد سنة ٥٨١ هـ ثم رحل إلى دمشق وسكنها، فأفتى ودرّس، حتى توفّى فيها سنة ٦٥٤ هـ بسفح قاسيون. راجع وفيات الأعيان ٣: ١٤٢.
٢. تذكرة الخواص: ٢٦٦.
٣. أبو الشهداء الحسين بن على: ٢٦٢.
٤. أحمد بن على بن عبدالقادر الحسينى العبيدى المقريزى، مؤرّخ الديار المصرية، أصله من بعلبك من احدى حاراتها: حارة المقارزة، ولد سنة ٧٦٦ هـ، ونشأ بالقاهرة، وقد ولى الحسبة والخطابة

القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من نفس الشهر، ثم أُنزل بالرأس إلى الكافورى ـ حديقة القصر الفاطمى ـ ثم حُمل فى سرداب إلى قصر الزمرّد، ودُفن عند قبّة الديلم بباب دهليز الخدمة»[١].

ويضيف ابن عبدالطاهر: أنّ طلائع بن رزّيک بنى الجامع خارج باب زويلة ليدفن الرأس به ويفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر الفاطمى، وعمدوا إلى هذا المكان الموجود به الآن، هو قصر الخلافة الفاطمية فى ذلک الوقت، وبنوه له، وكان ذلک فى خلافة الفائز الفاطمى سنة ٥٤٩ هـ (١١٤٥م). وحمل الرأس الشريف فى سرداب طويل حُفر تحت الأرض من باب زويلة إلى القبّة الشريفة[٢].

ويقول ابن جبير الذى زار مصر فى عصر الأيوبيّين، وبعد الحريق الذى شبّ فى المشهد عام ٦٤٠ هـ: وفى عهد الصالح نجم الدين أيوب، أنّه أنشئت منارة على باب المشهد عام ٦٣٤ هـ (١٢٣٧م)، أنشأها أبو القاسم ابن يحيى السكرى، ولم يتمّها، فأتمّها ابنه وهى مليئة بالزخارف الجصية والنقوش، تعلو الباب الأخضر، وقد قام بترميمها وتوسيعها بعد ذلک القاضى الفاضل عبدالرحيم البيسانى، ثم فى عصر الناصر محمد بن قلاوون أمر بتوسيع المسجد عام ٦٨٤ هـ.

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليم بتوسيع المسجد لما رآه من الإقبال العظيم من الزائرين والمصلّين، ثم بعد ذلک أحضرت للمسجد عُمَد الرخام من القسطنطينية، وبُنيت ثلاثة أبواب من الرخام جهة خان الخليلى، ومثلها الباب الأخضر بجوار القبّة بالجهة الشرقية.

ولمّا قدّم مصر السلطان عبدالعزيز العثمانى عام ١٢٧٩ هـ وزار المقام الحسينى، أمر الخديوى إسماعيل بعمارته وتشييده على أتمّ شكل وأحسن نظام،

والإمامة مرّات فيها. من مصنّفاته المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويُعرف بخطط المقريزى، وتاريخ الأقباط، والسلوک فى معرفة دول الملوک وغيرها، توفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ. راجع الاعلام ١: ١٧٧.

١. خطط المقريزى ٢: ٣٢٣.

٢. المصدر السابق.

واستغرقت العملية التى أشرف عليها على باشا مبارك ووصفها فى خططه عشر سنوات.

هذه ملامح ممّا حدث لسبط الرسول (صلى الله عليه وآله) وحضور رأسه الشريف إلى مصر، وتشريف مصر به; ممّا يجعل المشهد الحسينى قبلة لمحبّى آل البيت، والمؤمنين الصابرين المجاهدين.

* * *

أُقيم المشهد الحسينى، لكنّ الدولة الفاطمية تلاشت، ولكنّ الأيوبيّين الذين أنهوا الحكم الفاطمى الشيعى بمصر اهتمّوا بالمشهد. فصلاح الدين[١] جعل به حلقة تدريس وفقهاء، وفوّض ذلك للفقيه البهاء الدمشقى السنّى المذهب. وكان يجلس عند المحراب الذى يقع الضريح خلفه، وفى مكان هذه المدرسة بنى المسجد الحسينى.

وزيادة فى الاهتمام ـ كما يقول الأثرى حسن عبدالوهاب ـ فإنّ صلاح الدين الأيوبى أهدى للمشهد مقصورةً، تشبه المقصورة التى أهداها للإمام الشافعى عام ٥٧٤ هـ.

وبعد صلاح الدين كان الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى بنى إيواناً للتدريس، وبيوتاً خاصةً للفقهاء، وقد وصفها ابن جُبَير فى رحلته[٢]، وهذا الرحّالة زار مصر عام ٥٧٨ هجرية. وفى عصر الكامل[٣] الأيوبى بُنيت المنارة على باب

١. يوسف بن أيّوب بن شاذى، صلاح الدين الأيّوبى، الملقّب بالملك الناصر، ولد سنة ٥٣٢ هـ بتكريت، كان أبوه وأهله من قرى دُوَين فى شرقى إذربيجان وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد، نزلوا تكريت، ثم ولى أبوه أعمالاً فى بغداد والموصل ودمشق، فنشأ هو فى دمشق، وتأدّب بها وبمصر كان له دور فى إنهاء الحكم الفاطمى بعد مرض العاضد، وصار يخطب للعبّاسيين، ثم استقلّ بملك مصر، ثم اضطربت البلاد الشامية والجزيرة، فدُعى إلى ضبطها، فأقبل على دمشق واستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب، توفّى بدمشق سنة ٥٨٩ هـ.
ويذكر أنّ حكم الأيوبيّين قد امتدّ إلى القسم الأكبر من بلاد الشام ومصر فترةً تقرب من التسعين عاماً، وقد استمرّت فى مصر حتى قُبيل سقوط بغداد بيد المغول. راجع دراسة وثقية للتاريخ الإسلامى لمحمد ماهر حمادة: ٢٥٩، والاعلام ٨: ٢٢٠.
٢. رحلة ابن جبير: ٢٤.
٣. محمد بن محمد العادل ابن أيّوب، ناصر الدين، من سلاطين الدولة الأيوبية، ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ ونشأ بها، فأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاّها مستقلاً بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ، ثم اتّجه إلى توسيع نطاق ملكه حتّى امتلك الديار الشامية، له مواقف مشهورة فى الجهاد بدمياط،

المشهد عام ٦٣٤ هـ ، تعلو الباب الأخضر، تهدّم معظمها، ولم يبق حتّى الآن إلاّ القاعدة المربّعة وعليها لوحتان تثبتان ذلک.

وفى عصر الصالح نجم الدين أيوب[١] (٦٣٧ ـ ٦٤٧ هجرية) احترق بناء المشهد فى عام ٦٤٠هجرية، وقد رمّمه الصالح ووسّعه، وألحق به ساقيةً وميضأةً[٢]، ووقف عليه أراضى.

وظلّت العناية بالمشهد الحسينى أيام المماليک، فالظاهر بيبرس[٣] حين بيعت قطعة أرض بجانب المشهد من حقوق الفاطمى، ردّ ثمنها وهو ٦ آلاف درهم ووقفها على الجامع. ثم إنّ الناصر محمد قلاوون[٤] وسّع المسجد عام ٦٨٤هجرية.

وفى العصر العثمانى تم توسيع المسجد نظراً للإقبال الشديد عليه من جماهير مصر المؤمنة، وصنعت له مقصورة من أبنوس مطعَّم بالصدف، عليه ستر من

وولع فى البناء والترميم، من آثاره بمصر المدرسة الكاملية، توفّى بدمشق سنة ٦٣٥ هـ ودُفن بقلعتها. راجع السلوک للمقريزى ١: ١٩٤ وما بعده.

١. أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين، الملقّب بالملک الصالح، من كبار الملوک الأيوبيّين بمصر، ولد ونشأ بالقاهرة، وولى بعد خلع أخيه سنة ٦٣٧ هـ ، فضبط الدولة بحزم، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوک بنى أيوب، وفى أواخر أيامه أغار الفرنج على دمياط سنة ٦٤٧ هـ واحتلوها، وكان غائباً فى دمشق، فلمّا قدم مات بناحية المنصورة، ونقل إلى القاهرة. راجع الاعلام ٢: ٣٨.

٢. الميضأة والميضاة: الموضع يتوضّأ فيه، أو المطهرة يتوضّأ منها.

٣. بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، الملک الظاهر، صاحب الفتوحات، ولد سنة ٦٢٥ هـ بأرض القپچاق، ثم أُسر وبيع فى سيواس، ثم نُقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة فاشتراه الأمير علاء الدين البندقدار، وبقى عنده، فلمّا قبض عليه الملک الصالح نجم الدين الأيوبى أخذه فجعله فى خاصة خدمه، ثم أعتقه، ثم اصبح «أتابک العسكر» بمصر أيام الملک المظفّر، ثم استولى على سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ ، وكان يباشر الحروب بنفسه، وله وقائع مع التتر والافرنج، وأخباره وعمائره كثيرة، توفّى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ ومرقده معروف فيها، أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. راجع النجوم الزاهرة ٧: ٩٤.

٤. محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحى، من كبار ملوک الدولة القلاوونية، ولد سنة ٦٨٤ هـ بدمشق، وأقام فيها مدّة طفولته، ثم ولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ وهو صبى، وخلع منها لحداثته بعد عام، وأُعيد إليها سنة ٦٩٨ هـ فأقام بالقلعة كالمحجور عليه، والأعمال كلّها بيد الأمير بيبرس ونائب السلطنة الأمير سلاّر، واستمرّ الحال نحو عشرين سنة، وضاق بالأمر فأظهر العزم على الحجّ، وتوجّه بعائلته وحاشيته ومماليكه وخيله، حتّى بلغ الكرک فنزل قلعتها واستولى على ما فيها من أموال، ثم وثب فدخل دمشق، ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفّر بيبرس حتّى ظفر به فقتله خنقاً بيديه وشرّد أنصاره، وامتلک قيادة الدولة واستمرّ حكمه ٣٢ عاماً، كانت له فيها سير وأنباء وعمران كثير، توفّى بالقاهرة سنة ٧٤١ هـ . راجع الأعلام ٧: ١١.

الحرير المزركش، ونقلت إلى المشهد الحسينى فى احتفال كبير وصفه الجبرتى بأنّها حملت وأمامها طائفة الرفاعية والصوفية بطبولهم وأعلامهم، وبأيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر، وبأيديهم قماقم ماء الورد يرشّونه على الناس.

أمّا عبدالرحمان كتخدا فقد أعاد بناء المسجد عام ١١٧٥ هجرية، وعمل له صهريجاً وحنفية، وخصّص رواتب لخدمه وسدنته[١].

ثم إنّه فى عهد الخديوى[٢] إسماعيل ـ كما يقول على باشا مبارك ـ أعاد عمارته وتشييده، واستغرق ذلک عشر سنوات، وفُرش بالفرش النفيسة، ونوِّر بالشموع والزيوت الطيّبة والأنفاس الغازية فى قناديل البلّور، ورتّبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذّنين والمبلّغين والبوّابين والفرّاشين والكنّاسين والوقّادين والسقّايين ونحو ذلک، وأوقفوا عليه أوقافاً جمّة بلغ إيرادها نحو ألف جنيه فى السنة.

وكما يقول على مبارک كمهندس قام بتصميم البناء الحالى: وقد صرفت هذه العمارة ٧٩ ألف جنيه من ميزانية الأوقاف، هذا عدا ما تبرّع به الأُمراء وعليّة القوم.

ويذكر أنّه أُحضرت للمسجد الأعمدة الرخامية من القسطنطينية، وقد احتوى صحن الجامع على ٤٤ عموداً، كما بُنى له المئذنة الكبيرة الحالية على الطراز العثمانى، وهى تشبه القلم الرصاص، وعلى هذه المئذنة لوحتان بخطّ السلطان عبدالمجيد خان.

* * *

١. عجائب الآثار فى التراجم والأخبار لعبدالرحمان الجبرتى ١: ٤٩٢.
٢. الخُدَيوى: لقب أُطلق على بعض الحكّام، منحه السلطان العثمانى عبدالعزيز لإسماعيل باشا والى مصر عام ١٨٦٧م، ثم أُطلق على أفراد سلالة محمد على فى مصر. راجع المنجد فى الاعلام: ٢٦٧.

على أنّنا لا يمكن أن نتحدّث عن المشهد الحسينى دون أن نتحدّث عن غرفة تجاور الرأس الشريف، وهذه الغرفة أنشأها عباس حلمى الثانى[١] لمجموعة من الآثار النبوية الشريفة، كانت قد نُقلت إلى المشهد الحسينى عام ١٣٠٥ هجرية، وحُفظت فى دولاب فى الجدار الجنوبى الغربى للمزار الشريف.

وهذه الغرفة الآن مفروشة بالسجّاد الثمين، وفيها مصابيح وثريات بلّورية نادرة، وجدرانها مكسوّة بالرخام المجزّع[٢]، وبها محراب صغير، كما أنّها تحتوى على دولاب عبارة عن دولاب حائط، وهو فجوة فى الجدار قُوِّى ظهرها بقُضبان من حديد، وكُسيت بالجوخ[٣] الأخضر، ولهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعَّم بالعاج[٤] والصدف والأبنوس[٥]، وكُتب بأعلى الباب بأحرف من عاج: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**)[٦]

هذه الغرفة لها بابان: أحدهما يفتح على المسجد، والآخر يفتح على مشهد الإمام الحسين، وفى داخل الدولاب الآثار النبوية الشريفة، وتشمل: قطعةً من قميص الرسول (صلى الله عليه وآله) ومكحلةً، ومِرْوداً[٧]، وقطعةً من قضيب، وشعرات من شعره الشريف، ثم مصحفَيْن كريمَيْن بالخطّ الكوفى على رقّ[٨] غزال: أحدهما منسوب لعثمان (رضى الله عنه)، والثانى لسيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

١. عباس حلمى بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد على، ويُعرف بالخديوى عباس حلمى الثانى، أحد الذين حكموا مصر، ولد بالقاهرة سنة ١٨٧٤م وتعلّم بمدرسة عابدين، وولى الخديوية بعد وفاة أبيه ١٨٩٢م بإرادة سلطانية من الآستانة، نشبت الحرب العالمية الأولى وهو فى أوربا، فتأخّرت عودته، فخلعته الحكومة البريطانية التى بسطت سيطرتها على مصر آنذاك، وولّت أحمد فؤاد مكانه، فاستقرّ فى لوزان بسويسرا، وقضى بقية عمره مغترباً حتى توفى فيها سنة ١٩٤٤م (١٨٧٤ هـ) ونقل جثمانه إلى القاهرة ليدفن فيها. راجع الاعلام ٣: ٢٦١.
٢. المجزَّع: ما فيه سواد وبياض.
٣. الجُوخ: النسيج من الصوف.
٤. العاج: أنياب الفيل.
٥. الأبنوس: نوع من الشجر، يكثر فى البلدان الحارّة، خشبه ثمين يميل إلى السواد، وعوده صلب للغاية.
٦. النساء: ٥٨.
٧. المِرْوَد: الميل يُكتحل به.
٨. الرَقّ: جلد رقيق يُكتب عليه، وذلك لمّا يخترع الورق بعد.

وهذه الآثار النبوية الشريفة ـ كما تقول المصادر ـ تداولها آل البيت، وتسارع عليها الخلفاء والأُمراء.

وقد ذكرت المصادر أيضاً أنّ ما تركه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته: ثوباً حَبِرة[۱]، وإزار عثمانى، وثوبان صحاريان، وقميص صُحارى[۲]، وقميص سحولى[۳]، وسراويل، وجبّة يمانية، وخميصة أو كساء أبيض، وقلانس[۴]... ومجموعات من شعره الشريف[۵].

أمّا هذه الآثار الموجودة بالمشهد الحسينى فهى بعض ما خلّفه الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قامت د. سعاد ماهر بدراسة هذه الآثار، ويقال: إنّ هذه الآثار فى مصر، كانت عند بنى إبراهيم فى مدينة «ينبع» بالحجاز، وهؤلاء توارثوها، وفى القرن السابع الهجرى ۱۳ ميلادى، فى عصر الظاهر بيبرس، اشترى هذه الآثار الشريفة من بنى إبراهيم الوزير المصرى الصاحب تاج الدين، ولكن اختلفت المصادر على المبلغ الذى دفعه، فمصادر تقول: إنّه دفع فيها ۶۰ ألف درهم فضة، وقيل: مبلغ ۲۵۰ ألف درهم، وقيل كذلك مائة ألف درهم. وهذه الآثار نُقلت إلى مصر، وحُفظت بمكان على النيل سمّى «رباط الآثار» أو «الرباط الصاحبى التاجى»، وعُرف مؤخّراً باسم «أثر النبى» فى حى مصر القديمة.

وهذا الرباط لأهميته كان له شيخ بوظيفة «شيخ الآثار النبوية»، وكان هذا الشيخ من القضاة الموثوق بهم، ومنهم من ذكره ابن إياس فى حوادث ۸۸۹ هجرية وهو الشيخ ولى الدين أحمد. وفى الضوء اللامع للسخاوى ذكر فى عام

---

۱. الحَبرُ من الثياب: ما كان موشيّاً ومخطّطاً.
۲. صُحَارى: منسوب إلى صُحار، وهى قرية باليمن اشتهرت بصناعة القمصان والثياب.
۳. قال ابن الأثير: يروى بفتح السين وضمّها، فالفتح منسوب إلى السَحُول، وهو القصّار; لأنّه يسحَلُها، أى يغسلها، أو إلى سَحُول وهى قرية باليمن. وأمّا الضمّ فهو جمع سَحْل، وهو الثوب الأبيض النقى، ولا يكون إلاّ من قطن... وقيل: إنّ اسم القرية بالضمّ أيضاً. راجع النهاية ۲: ۷۶۰.
۴. القَلانس والقلانيس والقلاس والقلاسى: جمع قَلَنْسُوة، نوع من أنواع ملابس الرأس، ويكون على هيئات متعدّدة.
۵. راجع البداية والنهاية ۶: ۳ وما بعده.

٨٧٠ هجرية كان شيخ الآثار هو ولى الدين أبو زُرْعَة أحمد بن محمد الذى نُقل قاضياً لدمياط.

والواقع أنّه كما اختلف المؤرّخون ـ على عادتهم ـ على ثمن شراء هذه المخلّفات النبوية من بنى إبراهيم، فقد اختلفوا أيضاً فى نوعها وعددها، ولكنّهم يذكرون الكثيرعن رباط الآثار، وكيف بُنى ومن بناه، ومهاجمة مياه الفيضان له، واهتمام

الخلفاء والسلاطين به، ومنهم الأشرف شعبان[١] فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، ومنهم أيضاً السلطان برقوق[٢] عام ٧٨٤ هجرية.

والمهم أنّ هذه المخلّفات النبوية الشريفة ظلّت فى رباط الآثار إلى أن نُقلت منه إلى قبّة السلطان الغورى[٣] عام ٩٢٦ هجرية أو قبل هذا التاريخ; خشية السرقة، بعد أن تصدّع مبنى رباط الآثار.

ولقد بقيت هذه الآثار بقبّة الغورى حوالى ثلاثة قرون، إلى أن نُقلت فى عام ١٢٧٥ هجرية، وبعدها نُقلت إلى ديوان عموم الأوقاف، ثم فى عام ١٣٠٥ هجرية نقلت إلى سراى عابدين، ومن سراى عابدين إلى المشهد الحسينى فى دولاب خاصّ، إلى أن أنشئت لها الغرفة الحالية عام ١٣١١ هجرية.

---

١. شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولد عام ٧٥٤ هـ بالقاهرة، وولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤ هـ ، عرف بحبّه للعلم وأهله، كثير البرّ والصدقات، وقد اضطرب أمر الجيش مدة، وفى عام ٧٧٨ هـ لما أراد الحجّ ثار عليه بعض مماليكه، فعاد فقاتلهم، لكنّه انهزم وعاد إلى القاهرة واختفى فيها، واكتشفوا مخبأه وقبضوا عليه، ثم خنقه الأمير اينبك البدرى ورماه فى بئر. راجع الدرر الكامنة ٢: ١٩٠، الأعلام ٣: ١٦٤.

٢. الظاهر برقوق بن آنص ـ أو أنس ـ العثمانى، أول من ملك مصر من الشراكسة، جلبه إليها أحد تجار الرقيق فباعه فيها، ثم أُعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد إلى مصر، وتقدّم فى دولة المنصور القلاوونى، وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون سنة ٨٧٤ هـ ، وانقادت إليه الشام ومصر، قام بأعمال من الاصلاح، وبنى المدرسة البرقوقية بمصر توفى بالقاهرة سنة ٧٩٢ هـ . راجع الضوء اللامع ٣: ١٠.

٣. قانْصُوه بن عبدالله الظاهرى الأشرقى الغورى، الملقّب بالملك الأشرف سلطان مصر، جركسى الأصل، خدم السلاطين، وولى حجابة الحجاب بحلب، ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل فى القاهرة سنة ٩٠٥ هـ ، كان ملمّاً بالأدب، له ديوان شعر، قصده السلطان سليم العثمانى سنة ٩٢٢ هـ بجيش جرّار، فقاتله لكنّه انهزم عسكر الغورى، فأُغمى عليه وهو على فرسه، فمات قهراً. راجع خطط المقريزى ٣: ٤٢٠ ـ ٤٢١، الأعلام ٥: ١٨٧.

وعملية النقل من قصر عابدين إلى المشهد الحسينى جرت فى احتفال كبير تقدّمه رجال الطرق الصوفية... وتقدّمه الشيوخ والبكرى والسادات وقناصل الدول وغيرهم، وسار الموكب الكبير من قصر عابدين، بشارع عبدالعزيز، فالعتبة الخضراء، إلى شارع محمد على، فميدان باب الخلق، فطريق تحت الربع، فالسكرية، فالعقادين بالغورية، فالسكّة الجديدة إلى أن وصلت إلى المشهد الحسينى.

ولكن يأتى سؤال هنا: هل هذه المخلّفات النبوية الشريفة الموجودة بالمشهد الحسينى هى المخلّفات الموجودة والتى تمّ توارثها منذ عصر النبوة؟

إنّ فى المشهد الحسينى ـ كما أحصت د. سعاد ماهر ـ ثلاث قطع من النسيج، وقطعة من القضيب ـ أى العصا ـ والمكحلة، والمسبل أو المورد، وبعض شعر اللحية والرأس الشريف.

وبالطبع فهناك الكثير فى عالم الإسلام فى استانبول، وپاكستان، وتونس، بل هناك فى المسجد الأحمدى فى «طنطا» غرفة خاصّة وخزانة بها شعرات من شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الواقع أنّه منذ أن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ بل وقبل وفاته (صلى الله عليه وآله) ـ كانت مثل هذه المخلّفات الشريفة مطلباً للمسلمين، يحفظونها بين أحداق العيون، بمعنى أنّه لم يكن بنو إبراهيم فى «ينبع» وحدهم الذين توارثوا مخلّفات الرسول (صلى الله عليه وآله)، فالكثير كان لديهم الكثير من المخلّفات الشريفة، بل أنّه فى مصر أيضاً كانت هناك كثير من المخلّفات الشريفة ـ خاصّةً الشعرات ـ فى الخانقاوات والمساجد والمقتنيات الخاصّة.

وهذا يعنى أنّ فى المشهد الحسينى قليلاً من كثير من الآثار النبوية الشريفة، بل أنّه ـ وهذا ما يثبت وجهة نظرى ـ فى المشهد الحسينى ـ كما أحصيت ـ ١٥ شعرة من شعرات الرسول (صلى الله عليه وآله)الشريفة، فبعضها اشتُرى من بنى

إبراهيم، وبعضها أُهدى للمشهد الحسينى. وهذا يؤكد ما قيل من أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يهدى شعره بين الناس![1]

١. أخرج مسلم ٢: ٩٤٧ كتاب الحج ح١٣٠٥ عن أنس: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاّق: «خذ» وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. وفى أُخرى: فأعطاه أبا طلحة فقال: «اقسمه بين الناس».

(٣)
رؤوس الشهداء فى مصر

ثلاثة من الرؤوس الشريفة لثلاثة من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءت إلى مصر لترصع جبينها، وتصبح لآلئ ومحاور بركة، ومقامات تُزار، ليس لأهل مصر وحدهم، وإنّما لمحبّى وعاشقى آل البيت رحمة الله عليهم، الذين أذهب لله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

والرؤوس الشريفة، حسب الترتيب التاريخى لدخولها مصر هى كالآتى:

الأول: رأس سيدى زيد بن على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم، وهو مدفون فى المشهد المنسوب لسيدى على زين العابدين، فى الحى المعروف بذلك الاسم، وكان يُعرف فى عصور الإسلام الأُولى «الحمراء القصوى» أو هو مدفون قرب ضريح نجله سيدى حسن الأنور، قرب سور مجرى العيون.

الثانى: رأس سيدى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب، وجدّته لأبيه السيدة فاطمة النبوية. وهذا الرأس مدفون فى حى المطرية، فى شارع البرنس «ماهر حالياً».

والثالث: رأس سيد شباب أهل الجنة، سيدى الإمام الحسين بن على، فى الحى الذى يحمل اسمه (وقد أفضنا فى الرأس الشريف وكيف جاء مصر).

* * *

١ ـ على زين العابدين، زهرة آل البيت:

فالمعروف أنّ سيدى زين العابدين هو الوحيد الذى بقى من بنى الحسين بن على بعد مأساة كربلاء، وقد عاش حياته قطباً كبيراً، نفحة عطرة زكية، وأنجب بذوراً صالحة، منها سيدى زيد.

وفى نطاق اغتصاب بنى أُمية للخلافة من آل البيت، كان سيدى زيد أول من طالب بحقّه فى الخلافة فى أيام الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك، فكانت

الجفوة والصراع مع الخليفة الأموى، وكانت السبب فى خروج سيدى زيد على بنى أُمية.

وكما سار جدّه الإمام الحسين (رضى الله عنه) إلى الكوفة، سار إليها أيضاً سيدى زيد، وفى اللحظات الأخيرة حين همّ بالعودة إلى المدينة المنوّرة; لعدم ثقته بأهل الكوفة، أقنعوه بالنصر والبقاء ومحاربة الأمويّين معه، قائلين له: نعطيک الأيمان والعهود والمواثيق ما تثق به، فإنّا نرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذى تُهلک فيه بنو أُمية!

وما زال أهل الكوفة على إغرائهم ـ وهم الذين خذلوا جدّه ـ حتّى اقتنع سيدى زيد، وبقى هناک.

وهكذا نشب القتال بين سيدى زيد ومناصريه وبين يوسف بن عمر والى الكوفة، من قبل هشام بن عبدالملک. وتفرّق الكوفيّون كعادتهم! من حول سيدى زيد، ليبقى فى فئة قليلة من أهله يحارب الأمويّين، حتّى سقط شهيداً فى صفر عام ١٢٢ هـ ، وقبل زوال ملک الأمويّين بعشر سنوات.

واختلفت المصادر على مكان دفن رأس سيدى زيد، فقيل: إنّ جسده الشريف حُمل إلى الكوفة ثم أُحرق وذرّ رماده فى النهر; ليكون عبرةً لمن تحدّثه نفسه بالخروج على الأمويّين![1]

وقيل: إنّ رأسه احتزّ، وبُعث به إلى الخليفة الأموى، فنصبه على باب دمشق: ثم أُعيد الرأس الشريف إلى المدينة[2].

لكن أغلب المؤرّخين يقولون: إنّ الرأس جاء مصر، فالكندى فى كتابه «الولاة والقضاة» وهو من المؤرّخين الثقات، يؤكّد قدوم الرأس إلى مصر[3].

---

١. تاريخ دمشق ١٩: ٤٧٧، بغية الطلب ٩: ٤٠٤٦، المعرفة والتاريخ ٣: ٣٤٨، وفيات الأعيان ٦: ١١١ ترجمة هيثم بن عدى، مروج الذهب ٣: ٢٢٠ ذكر أيام هشام بن عبدالملک، أمالى الصدوق: ٣٢١ مجلس (٦٢) ح٣، تاريخ الإسلام ٨: ١٠٦ وغيرها

٢. البداية والنهاية ٩: ٣٤٤ حوادث سنة ١٢٢ هـ .

٣. الولاة والقضاة ١: ٨٢. ويذكر أنّ ياقوت الحموى يذهب إلى هذا الرأى حينما يتكلّم عن مصر فيقول: «وعلى باب الكورتين مشهد فيه مدفن رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الذى قُتل بالكوفة، وأُحرق، وحُمل رأسه فطيف به الشام، ثم حُمل إلى مصر فدفن هناک». معجم البلدان ٥: ١٤٣.

وفى «الجوهر المكنون» نصّ يقول: «إنّه بعد قدوم رأسه ـ يقصد رأس سيدى زيد ـ إلى مصر، طِيفَ به، ثم نُصب على المنبر الجامع بمصر ـ جامع عمرو ـ فى سنة ١٢٢ هـ فسُرق، ودُفن فى هذا الموضع، إلى أن ظهر، وبُنى عليه المشهد فى عهد الدولة الفاطمية».

* * *

٢ ـ ثم يأتى الحديث حول الرأس الثانى:

رأس سيدى إبراهيم بن عبدالله، المدفون فى مشهده، داخل المسجد الحالى، الذى يعرف باسم مسجد سيدى إبراهيم، فى حىّ المطرية. وهو مسجد تعدّدت أسماؤه فى الماضى، فقد عُرف باسم مسجد التبر، ومسجد التبن، ومسجد البئر، ومسجد الجميزة.

أمّا الاسم الذى يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة، كما ترى الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» فهو مسجد «تبر» أو مسجد «سيدى إبراهيم»، ولكلٍّ دلالة.

لكن، من هو سيدى إبراهيم الذى تدور الحياة حوله فى المطرية، ويأتيه الزوّار من كلّ أنحاء عالم الإسلام؟

سيدى إبراهيم كما تجمع المصادر عليه هو إبراهيم الجواد ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب، وهو من أوائل الذين جمعوا بين سلالة الحسن والحسين رضى الله عنهما، من خلال جدّه الحسن المثنّى ابن الحسن السبط، ومن خلال جدّته السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين بن على.

وثابت فى المصادر أنّ سيدى إبراهيم قُتل فى عهد الخليفة المنصور العباسى سنة ١٤٥ هـ.

وكما يقول المقريزى فى خططه[١]: «أُرسل إلى مصر فنُصب فى المسجد الجامع العتيق» أى مسجد عمرو بن العاص.

١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٤: ٢٨٠ ذكر مسجد تبر.

ويقول المؤرّخ أبو المحاسن فى كتابه «النجوم الزاهرة» «... وبينما الناس فى ذلک، قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبدالله فنصب فى المسجد أياماً، فى محلّة مطر، وهو الاسم القديم للمطرية»[١].

وفى «الولاة والقضاة» للكندى يقول: «ثم قدمت إلى مصر رأس إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب، فى ذى الحجّة سنة خمس وأربعين ومائة، لينصبوه فى المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره...»[٢].

ويقول القضاعى فى كتابه «عيون وفنون أخبار الخلايف» حول مسجد سيدى إبراهيم: «مسجد تبر بُنى على رأس إبراهيم بن عبدالله، أنفذه المنصور، فسرقه أهل مصر، ودفنوه هناک...» ويقصد بهناک أى المطرية.

أمّا الشيخ الشبلنجى فى «نور الأبصار»، فهو يحقّق الاسم، ويذكر بعضاً ممّا جرى لسيدى إبراهيم، ويقول: «هو إبراهيم بن عبدالله المحض، أخو محمد المهدى ـ يقصد محمد النفس الزكية ـ وكان مرضى السيرة، من كبار العلماء»[٣].

قال أبو الحسن المعمرى: «قُتل إبراهيم فى ذى الحجّة سنة خمس وأربعين ومائة، وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وحمل ابن أبى الكرام رأسه الشريفة إلى مصر».

* * *

والسؤال الذى ينبغى طرحه هنا لنعرف تسلسل الأحداث حول آل البيت: كيف قُتل سيدى إبراهيم؟ ولماذا؟ وكيف جاء رأسه الشريف إلى مصر بالذات دون بقية الولايات أو الأمصار الإسلامية؟

حين انتهت دولة الأمويين فى ١٣٢ هـ، وظفر العباسيون بالخلافة، أدرک آل على بن أبى طالب أنّ أبناء عمومتهم من العباسيّين قد خدعوهم واستأثروا بالخلافة دونهم، مع أنّهم ـ بالطبع ـ أحقّ بها منهم.

---

١. النجوم الزاهرة ١: ١٢١.
٢. الولاة والقضاة ١: ٤٢. وفى نور الأبصار: ٤٠٦: «وقال الكندى فى كتابه الأمراء...» وذكر هذا النصّ.
٣. نور الأبصار: ٤٠٦.

وطبيعة الأمور أن ينشأ نتيجة لذلک صراع يغذّيه وينفخ فى جذوته الكثيرون من المخلصين، وأيضاً الكثير من المتآمرين على دين الإسلام، والذين يعرفون كيف يصيدون فى المياه العكرة.

وهكذا، ألقت الظروف على كلٍّ من محمد وإبراهيم ولدى عبدالله المحض أن يكونا أول المطالبين بالخلافة لبنى على، وأول الخارجين من آل البيت على العباسيّين، رغم أنّ محمداً وإبراهيم لم يكونا وحدهما من أعمدة آل البيت فى ذلک الوقت، فقد كان هناک من أحفاد الإمام الحسين: جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على، إمام الشيعة الإمامية، لكنّه لم يحرّک ساكناً، وأوصى أصحابه ومشايعيه بالخلود إلى السكينة، حتّى تحين الفرصة الذهبية[1].

كان محمد ـ إذاً ـ وأخوه إبراهيم أوّلى المطالبين بالحقّ، ومحمد كان الأخ الأكبر لإبراهيم[2].

---

١. لكن من يقف على سيرته (عليه السلام) يجده أنّه كان يحضّ على الجهاد بالنفس والمال، ويقول للمسلمين: «الجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد» (بحار الأنوار ٩٧: ٢٣، وسائل الشيعة ١٥: ٤٩). وكان يرى الانحياز إلى الظالمين تمكيناً لهم، والجهاد مع العادلين تثبيتاً للاسلام، فقد سأل يوماً عبدالملک بن عمرو الأحول الكوفى (من الممدوحين): «لِمَ لا تخرج إلى هذه الديار التى يخرج إليها أهل بلادک؟» أى تجاهد مع الولاة، فقال عبدالملکَ: انتظر أمركم، فقال الإمام: «اى والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه».

ولمّا سأله عبدالملک أنّ البعض يقولون أنّک لا ترى الجهاد، أجابه: «أنا لا أرى الجهاد؟!... بلى والله، إنّى أراه، لكنّى أكره أن ادع حلمى إلى جهلهم». راجع جواهر الكلام ٢١: ١٣، الإمام الصادق (عليه السلام)للمستشار عبدالحليم الجندى: ٤١٤.

٢. محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، الملقّب بالنفس الزكية، أحد الأشراف من الطالبيّين، ولد سنة ٩٣ هـ بالمدينة ونشأ بها، كان غزير العلم شجاعاً حازماً، لما ذهب ملک الامويّين وقامت دولة العباسيّين تخلّف هو وأخوه إبراهيم عن الوفود على السفّاح، ثم على المنصور، ولم يخف المنصور ما فى نفسه، فطلبه وأخاه، فتواريا بالمدينة، فقبض على أبيهما واثنى عشر من أهلهما، وأذاقهم العذاب حتّى ماتوا فى الحبس بالكوفة بعد سبع سنوات، فعنذاک خرج محمد ثائراً فى (٢٥٠) رجلاً، فقبض على المدينة وبايعه أهلها، وأرسل أخاه إلى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس، وجرت مراسلات بينه وبين المنصور انتهت بقتال بعدما أرسل له المنصور جيشاً بأربعة آلاف فارس، فقاتلهم محمد بثلاثمائة رجل على أبواب المدينة، ولمّا اشتدّ الأمر تفرّق عنه أصحابه فقتله عيسى بن موسى وبعث برأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ.

وأمّا أخوه فسيّر الجموع نحو الكوفة، فكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، إلى أن قتله حميد بن قحطبة، وبعث برأسه إلى المنصور فى تلک السنة التى قُتل فيها أخوه محمد. راجع الاعلام ٦: ٢٢٠ و١: ٤٨.

ولذلک فقد طالب محمد النفس الزكية بالخلافة، وساعده أخوه إبراهيم استناداً على دعواه الأساسية من أنّه من أولاد على وفاطمة الزهراء، وهو الوصى والإمام كما ذكر ذلک فى خطابه إلى أبى جعفر المنصور، ضمن الخطابات التى تبودلت بينهما وسجّلتها كتب التاريخ، وأهمّها كتاب ابن طباطبا: «الفخرى فى الآداب السلطانية».

وكان محمد قد طالب بحقّه أيضاً استناداً إلى أحداث واتّفاقات جرت فى أواخر دولة الأمويّين يقول عنها ابن طباطبا: «إنّ بنى هاشم من العلويّين والعباسيّين اجتمعوا فى مغرب دولة الأمويّين، وتذكّروا حالهم، وما تعرّضوا له من الاضطهاد، وما آل إليه بنو أُمية من الاضطراب، وميل الناس إلى آل البيت، ورغبتهم فى أن تكون لهم دعوة، واتّفقوا على مبايعة محمد النفس الزكية، الذى كان فى ذلک الوقت من سادات بنى هاشم، علويّيهم وعباسيّيهم، فضلاً وشرفاً وعلماً، وكانت مبايعته بعد اجتماع حضره كبار آل البيت، ومنهم الإمام جعفر الصادق وعبدالله المحض، وابناه محمد وإبراهيم، كما حضره أبو العباس السفّاح، والمنصور، وغيرهم».

ثم تغرب شمس الأمويّين.

ولكنّ العباسيّين ها هم الذين يخلفون الأمويّين ويضربون بالاتّفاق عرض الحائط، ومن هنا يمتنع محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم عن مبايعة أبى العباس السفّاح، وحين حاول أخوه المنصور أن يأخذ له البيعة فى الحجاز، يمتنع النفس الزكية عن البيعة; لأنّه أحقّ بها، ويمتنع أخوه تدعيماً له.

وكان لابدّ من احتدام الصراع الذى وصل إلى حدّ استخدام السلاح، والقتل والصلب، واحتزاز الرؤوس!

حين ولى المنصور الخلافة! كانت دعوة محمد النفس الزكية وإبراهيم قد جمعت حولها الأنصار والمشايعين، وصارت خطراً يهدّد الدولة العباسية، وهنا

رأى المنصور أنّه لابدّ من التخلّص منهما، ولابدّ من الظفر بهما، مع إعمال كلّ الحيل، كما يقول الطبرى فى تاريخه الجزء التاسع[١].

بل إنّ المنصور العباسى أصدر تعليماته إلى واليه بالمدينة المنورة، أن يبذل كلّ ما فى طاقته للقبض على الأخوين، لكنّ الوالى ـ فى الواقع ـ تهاون فى القبض عليهما، بل إنّه اتّصل سراً بمحمد النفس الزكية، وساعده على الهروب من المدينة المنورة، فسافر إلى عدن، ثم إلى السند، ثم إلى الكوفة، بعدها عاد إلى المدينة المنورة بعد أن جمع عدداً كبيراً من الأعوان والمشايعين.

وهنا يقسو المنصور على واليه فى المدينة، فيعزله، بل يأمر بتكبيله بالحديد، ويحبسه بعد أن يصادر أمواله، ويولّى مكانه خالد بن عبدالله القسرى الذى اتُّهم أيضاً بالتهاون والتفريط فى مصادرة النفس الزكية وأخيه إبراهيم، ثم يولّى المنصور على المدينة رباح بن عثمان بن حيّان، وهو عم مسلمة بن عقبة المرّى قائد معركة «الحرّة» فى عهد يزيد بن معاوية الأموى.

ويتولّى مسلمة بن عقبة المرّى المدينة المنورة سنة ١٤١ هـ، ويعتلى المنبر يخطب فى أهل المدينة مهدّداً إذا ساند أهلها محمداً النفس الزكية وأخاه إبراهيم، ويستخدم فى خطبته ألفاظاً لاتختلف عن ألفاظ خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفى فى أهل الكوفة.

لكن أهل المدينة لم يخافوا، بل أعلنوا الاستمرار فى موقفهم، وتدفّق شعورهم حماسةً نحو آل البيت، فرجموا الوالى بالحصى، حتّى أنّه بعث للمنصور يشكو له ما حدث من أهل المدينة.

وهنا تثور ثائرة المنصور، ويبعث بخطاب يتوعّد فيه أهل المدينة، ويقرأ الخطاب من فوق المنبر مسلمة بن عقبة المرّى، فكان نصيبه مثلما حدث له أثناء خطبته العنترية السابقة.

لكن، ما العمل والمنصور يشدّد على واليه فى طلب محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم؟

---

١. تاريخ الطبرى: حوادث سنة ١٤٤ هـ.

هنا يبدأ التنكيل الحقيقى بآل البيت من قبل العباسيّين، ويأتى مسلمة بن عقبة المرّى بعبدالله المحض، والد محمد وإبراهيم من سجنه، وكان المنصور قد حبسه بعد قيام ابنيه ومعارضتهما مبايعة العباسيّين، وهدّد مسلمة عبدالله بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم يأته بابنيه.

ويزداد الاضطهاد والتنكيل، فيقبض مسلمة على إبراهيم القمر، والحسن المثلّث أخوى عبدالله المحض، وعمّى محمد وإبراهيم ومن يناصرهما فى المدينة المنورة[١].

كلّ ذلک يحدث والأخوان مختفيان.

وحين عرفا ما حلّ بأهلهما، بعث محمد ـ كما يقول اليعقوبى فى تاريخه[٢] والمسعودى فى مروج الذهب ومعادن الجوهر[٣] ـ إلى أبيه فى سجنه بمن يشاوره، لكنّ أباه شجّعه على الكفاح والنضال من أجل حقّ آل البيت، هذا رغم ما كان يلاقيه الأب وأُسرته من اضطهاد وتعذيب.

وهنا بدأ محمد وإبراهيم يعدّان العدّة للخروج من دعوتهما السرّية إلى الدعوة العلنية، ويستفحل أمرهما، ممّا أزعج المنصور; لأنّهما هدّدا أركان الدولة العباسية بأسرها.

ويحجّ المنصور فى سنة ١٤٤ هـ، ويأتى إلى المدينة المنوّرة، فجاءوا له بالمسجونين من آل البيت; لينكل ببعضهم، ويرسل البعض الآخر إلى سجون أخرى، على أقتاب جمال بغير وطاء، جمال بغير سروج وغطاء ـ كما يقول الطبرى[٤] ـ ويحبس أغلبهم فى سراديب تحت الأرض، لا يفرّقون فيها بين ضياء النهار وسواد الليل.

ويزيد المنصور فى تعذيب كبار آل البيت، حتّى يموت عبدالله المحض وأخواه: إبراهيم القمر والحسن المثلث، خنقاً داخل السراديب المظلمة.

---

١. راجع مقاتل الطالبيين: ١٤٠ وما بعده.
٢. تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢١.
٣. مروج الذهب ٣: ٣٠٦، ٣١٠.
٤. تاريخ الطبرى ٦: ١٧٤ حوادث سنة ١٤٤ هـ، وانظر تاريخ الإسلام ٩: ١٨ حوادث سنة ١٤٤ هـ.

وكان لابدّ لمحمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم من الظهور، بعدما جرى لأهلهما أهل البيت النبوى الكريم.

وفعلاً ظهرا علناً فى جمادى الآخرة سنة ١٤٥ هـ ـ ٧٦٢م. ظهر محمد النفس الزكية بعد أن بايعه الناس بالإمامة فى مكة والمدينة، أى الحجاز، وتلقّب بأمير المؤمنين. وقد شجّعه أيضاً على الظهور فتوى الإمام مالک بنقض بيعة المنصور، حين قال لأهل المدينة: «إنّما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين».

كما شجّع محمداً النفس الزكية وإبراهيم على الظهور تلک الخطابات التى جاءت من الأمصار الإسلامية بتأييد الناس له، وهى خطابات ـ كما يقول المؤرّخون ـ غالبيتها دسيسة من تدبير الخليفة المنصور وأعوانه; لكى يظهر محمد وأخوه ويسهل على العباسيّين اصطيادهما.

يظهر محمد وإبراهيم، ويكون الصراع سافراً بين من لهم الحقّ، ومن اغتصبوا هذا الحقّ.

ويرسل محمد أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته وأخذ البيعة له، وقبلها توجّه الاثنان وأشياعهما إلى سجن المدينة، وأخرجا من لا يزال حيّاً فيه من آل البيت، كما قبضا على والى المنصور وحبساه.

وقيل: إنّ المنصور حاول أن يقبض على إبراهيم وهو فى طريقه إلى البصرة متخفّياً، لكنّه ـ أى المنصور ـ لم يوفَّق.

وبالفعل وصل إبراهيم إلى البصرة «سرّاً فى عشرة أنفس» كما يقول الذهبى[١]... ووجد الأشياع كثيرين، واستولى على دار الإمارة بعد أن هزم والى المنصور هناک، وقد شدّ من أزره ورحّب به فقهاء البصرة وغيرهم من ذوى الجاه والرأى هناک. وانضوت الزيدية والمعتزلة تحت لوائه بمعاونة الإمام أبى حنيفة، وراسله سرّاً. كما سبق أن ذكرنا فتوى الإمام مالک للنفس الزكية.

١. سير أعلام النبلاء ٦: ٢١٩.

وقد استطاع إبراهيم إدخال أهل واسط والأهواز وفارس فى دعوته، وحصل منهم على اعتراف بمبايعة أخيه محمد النفس الزكية بالإمامة، بل إنّ الأخوين ـ قبل ذلک ـ أرسلا إلى الأمصار الإسلامية، ومنها مصر التى رحّبت بذلک.

ويوالى محمد وإبراهيم انتصاراتهما. وبدت الصورة أنّ الخلافة العباسية أوشكت على زوالها.

ولكنّ الأخبار تصل إلى إبراهيم بمقتل أخيه النفس الزكية فى المدينة المنورة، وقبل عيد الفطر بثلاثة أيام فى عام ١۴۵ الهجرى.

فقد أرسل المنصور إلى المدينة بجيش كبير، وحين وجد محمد النفس الزكية أنّه لا قِبَل له بجيش المنصور أشار عليه البعض أن يرحل إلى مصر; لأنّه سيجد فيها أرضاً خصبة وقلوباً مفتوحة مرحّبة ومشايعة، لكنّ البعض الآخر رجوه أن يبقى فى المدينة ويصمد، رغم أنّ المدينة من الناحية الاستراتيجية العسكرية غير صالحة. وقد انقاد النفس الزكية للرأى الذى غلب ببقائه فى المدينة لحرب قوات المنصور، وكان لابدّ ممّا ليس منه بدّ، إذ كانت المدينة هى المصيدة بالنسبة لمحمد النفس الزكية الذى هُزم وقُتل واحتزّ رأسه.

وفى كتاب «العبر فى خبر من غبر»: «أنّ محمداً النفس الزكية ظهر فى المدينة المنوّرة، وخرج فى مائتين وخمسين نفساً بالمدينة، فندب الخليفة المنصور لحربه ابن عمّه عيسى بن موسى، يدعوه إلى الإنابة، فلم يسمع، ثم أنذر عيسى أهل المدينة ورغّبهم ورهّبهم، ثم زحف إلى المدينة فظهر عليها، وقتل محمداً وبعث برأسه إلى المنصور»[1].

وقد أثّر فى إبراهيم مقتل أخيه. حتّى أنّه صعد إلى المنبر ونعاه، فأبكى الناس[2].

ويقال: إنّ إبراهيم جمع حوله مائة ألف محارب، وأنّه لو أحكم التخطيط لانهزمت الدولة العباسية. وكان المنصور يستشعر هذا الأمر، فجنَّد كلّ القوى ضد إبراهيم، وأرسل إليه المنصور ـ ابن عمّه ـ عيسى بن موسى الذى قتل النفس

١. العبر فى خبر من غبر: ٢: ١۴٧.
٢. الكامل فى التاريخ ۵: ۵۶۵، وانظر تاريخ الطبرى ۶: ٢۵.

الزكية، بجيش عباسى كبير، فدارت معركة هائلة فى «باخمرى»[1]، أو «باغمرى»، ما بين واسط والكوفة، وكادت الهزيمة تلحق بالجيش العباسى، لولا أنّ عيسى بن موسى ثبت فى المعركة، وأبى أن يغادر ساحتها حتّى يُقتل أو ينتصر.

وما زال الفريقان يقتتلان، حتّى بدا أنّ جيش إبراهيم ينهزم، بعد أن تخلّى عنه الكثيرون. ومع ذلك فإنّ إبراهيم ثبت فى عدد قليل من أنصاره، حتّى أُصيب بسهم فى حلقه، فأنزلوه وهو يقول: «وكان أمر الله مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره».

وبسرعة حمل عيسى بن موسى على إبراهيم ومن بقى معه، وكان عددهم سبعين رجلاً، فتفرّق عنه حتّى أنصاره. وجاء ابن قحطبة ـ من قوّاد عيسى بن موسى ـ فاحتزّ رأس إبراهيم وأرسله للمنصور فى يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة.

يقول د. حسن إبراهيم حسن فى كتابه «تاريخ الإسلام السياسى»: «كانت هزيمة إبراهيم بسبب تقسيمه جيشه إلى كراديس يقدّم منها إلى المعركة كردوساً، فإذا انهزم قاد آخر، وهكذا، بمعنى أنّ إبراهيم لم يقاتل بجيشه صفّاً واحداً... بالإضافة إلى أنّ الخطّة التى رسمها مع أخيه النفس الزكية فى المدينة المنوّرة لم تنفّذ، وهى خطّة كانت تهدف بدء القتال فى المدينة والكوفة فى وقت واحد، وقيل: إنّ تأخّر إبراهيم فى بدء القتال يرجع إلى مرضه. وقيل أيضاً: إنّ تعجّل أخيه محمد للحرب كان سبب الهزيمة، ولو خرج الأخوان فى وقت واحد لحرب قوات المنصور، لتغيّر وجه التاريخ»[2].

هزّ مقتل سيدى إبراهيم ـ شهيد باخمرى ـ أركان دولة العباسيّين هزّاً عنيفاً، وكاد يصدع أركانها، حتّى أنّ المؤرّخ الحافظ الذهبى يقول: «إنّ الخليفة العباسى

---

١. باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب، وايّاها عنى الشاعر دعبل بن على بقوله:
وقبرٌ بأرض الجوزجان محلّه***وقبرٌ بباخمرا لدى الغُربات
راجع معجم البلدان ١: ٣١٦.

٢. تاريخ الإسلام السياسى والدينى و... ٢: ١٣٧ ـ ١٣٨. ويذكر أنّ خروج محمد كان بالمدينة أول رجب سنة ١٤٥ هـ، وكان ظهور أخيه إبراهيم بالبصرة فى أول رمضان من تلك السنة، أى بعد شهرين من ظهور النفس الزكية.

المنصور مكث لا يقرّ له قرار، فجهّز العساكر، ولم يأو إلى فرش خمسين ليلة، وكلّ يوم يأتيه فتق فى ناحية»[١]. والمقصود بالفتق هنا هو الهَبّات والثورات على الحكم العباسى.

ويضيف الذهبى عن المنصور العباسى: «...ولولا السعادة لثلّ عرشه بدون ذلک، فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور، ولكنّه كان فيه ديّن ـ أى إبراهيم ـ قال: أخاف إن هاجمتها يُستباح الصغير والكبير، وكان أصحابه يختلفون عليه»[٢].

والواقع أنّه من بين أسباب هزيمة إبراهيم ـ خلافاً لما ذكرنا ـ أنّ الخليفة المنصور استطاع أن يحتفظ بالكوفة; لأنّها موقع استراتيجى، وأثناء ثورة إبراهيم ألزم الناس بلبس السواد، وجعل يقتل كلّ من اتُّهم بالتعاون والتعاطف مع العلويّين، ويحبسه. ولو أنّ سيدى إبراهيم سيطر على الكوفة بجانب البلدان التى ذكرناها لتغيّرت المقادير، خاصّةً وأنّ محمداً النفس الزكية وإبراهيم بعد أن خرجا بعثا بإخوتهما وأبناء عمومتهما إلى الأمصار الإسلامية ليأخذوا البيعة لمحمد.

ففى مصر ـ كما يقول «ابن ظهيرة» فى كتابه «الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة» ـ : «وفى أيام يزيد بن هاشم والى مصر من قبل الخليفة المنصور، ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن على بن أبى طالب، وتكلّم بها الناس، وبايع منهم لبنى الحسن فى الباطن، وماجت الناس بمصر، وكاد أمر بنى الحسن أن يتمّ، والبيعة كانت باسم على بن محمد بن عبدالله، أى ابن محمد النفس الزكية أخى إبراهيم، وبينما الناس فى ذلک، قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب فى ذى الحجّة سنة خمس وأربعين ومائة، فنصب فى المسجد أياماً»!

وهذا يعنى أنّ مصر، كولاية إسلامية، لعبت دوراً خطيراً ومرموقاً فى هذه الثورة العلوية، بل إنّ مصر، منذ أيام كربلاء وربّما قبلها، أيام الخلاف بين

١. تاريخ الإسلام ٩: ٣٩ حوادث سنة ١٤٥ هـ .
٢. تاريخ الإسلام ٩: ٤٠ حوادث سنة ١٤٥ هـ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٢٢ رقم ١٠٦ ترجمة إبراهيم بن عبدالله بن الحسن.

على (عليه السلام)ومعاوية، أعلنت تعاطفها مع آل البيت، ولذلک فليس بغريب أن نجد الكثير من آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) مدفونين بمصر.

❊ ❊ ❊

١ ـ الإمام الحسين
ابن
الإمام على بن أبى طالب (عليهما السلام)

بقلم
حنفى المحلاوى
د. سعاد ماهر
مأمون غريب

أهل البيت المدفونون فى مصر[١]

حنفى المحلاوى

من هم آل البيت... أو آل بيت النبوة؟!

سؤال نردّده كثيراً، وفى المناسبات عديدة ـ ونتناوله فى كثير من الأحوال بالبحث والدراسة ـ وقد نعثر على الإجابة المطلوبة.

إلاّ أنّ البعض منّا يريد تحديداً أكثر لما يسمعه من إجابات، خاصةً حين يأتى الحديث عن آل البيت الذين وفدوا وعاشوا فى مصر حتّى توفّاهم الله تعالى، وتركوا وراء ظهورهم آثاراً لا تزال باقية، نستظلّ بها، ونعيش فى رحابها.

وكان علينا أيضاً ـ ونحن بصدد الحديث عن «مقابر» آل البيت وصفاتهم وعملهم وأخلاقهم ـ أن نرّدد هذا التساؤل، وذلك من أجل إحداث نوع من الربط التاريخى الواجب لما سوف نتلوه من كلمات، وبين ما هو شائع من أقوال وأقاويل عن أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

والحديث عن توصيف أهل البيت، وتحديد ماهيّتهم بالضبط، قد بدأ يتردّد بقوة حين أنزل ربّ العالمين هذه الآية الكريمة: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [الأحزاب: ٣٣]. إذ حاول المفسّرون تحديد المقصود بأهل البيت الذين جاء ذكرهم بتلك الآية الكريمة، وقد انقسموا إلى فريقين... ما ساهمت الموسوعات العربية فى وضع تعريف لهؤلاء القوم الصالحين من أُسرة النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، وقد أخذت هذه الموسوعات فى تعريفهم بأكثر الروايات رواجاً فى مجال التفسير.

وممّا ذكرته تلك الموسوعات القول بأنّ المقصود بأهل البيت: أُسرة النبى (صلى الله عليه وآله)؛ تمييزاً عن المهاجرين والأنصار.

---

١. مقتبس من كتاب مقابر المشاهير من آل البيت، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

أمّا مفسّرو أهل السنّة ـ والكلام لايزال لمؤلّف الموسوعة العربية ـ فيجعلون تسمية أهل البيت تتّسع من وجوه شتّى، لتشمل فروع بنى هاشم وما لهم من موال، وعلى رأسهم أزواج النبى وأبناؤه... ويقول العلويون فى تفسير معنى «أهل البيت»... فهم عندهم: على وفاطمة ونسلهما، وهم طاهرون مطهَّرون[١].

وقد أكّدت بعض الأحاديث الشريفة: أنّ أهل البيت الذين قصدهم ربّ العالمين فى هذه الآية إنّما هم زوجات النبى (صلى الله عليه وآله) وأولاده وبناته، خاصّةً فاطمة رضى الله عنها، والإمام على وولداه الحسن والحسين... مصداقاً لما ذكره بعض المفسِّرين من أنّه حين نزلت الآية الكريمة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الأحزاب: ٣٣]. جمع النبى (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة وولديها الحسن والحسين، وتوجّه إلى الله وقال: «هؤلاء أهل بيتى فأذهبْ عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً»[٢].

أمّا القول الأغلب والأعمّ ـ والذى يتمسّک به معظم المفسّرين، وكتّاب السيرة النبوية ـ فإنّ المقصود بأهل البيت هم أُسرة النبى الكريم (صلى الله عليه وآله) وبناته وأحفاده[٣].

---

١. الموسوعة العربية: حرف الألف.

٢. حديث الكساء وجمعه (صلى الله عليه وآله) أهل بيته: فاطمة وبعلها وبنيها تحته من الأحاديث المتواترة على ألسنة الحفّاظ وأعلام الحديث وفحول الرواية والفقهاء والمؤرّخين، وغير قابل للإنكار وإن اختلفت بعض الألفاظ، وهذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٠: ٢٧٨ برقم ٥٣٩٦ ترجمة عبدالرحمان بن على المروزى، باسناده إلى أبى سعيد الخدرى، والعقيلى المكى فى الضعفاء الكبير ٣: ٣٠٤ برقم ١٣١٣ ترجمة عمران بن مسلم الفزارى الأزدى، وعلّة ضعف سند الحديث بعمران هذا الذى يذكره سبب ضعفه على لسان مجاهد: «رافضى»، ثم قال: وهذا الحديث يروى بإسناد أصلح من هذا. يريد ما رواه الترمذى فى السنن ٥: ٣٥١ ب٣٤ من أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب ح٣٢٠٥.

ويذكر أنّ الشاهد الذى يدليه المؤلّف يخالف ما ادّعاه بأنّ بعض الأحاديث الشريفة يؤكّد أنّ أهل البيت الذين قصدهم ربّ العالمين فى الآية انّما هم زوجات النبى وأولاده وبناته، خاصّةً فاطمة و...!! إذ أنّ الرواية صريحة بخروج الجميع عدا فاطمة وبعلها وبنيها الذين خصّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدعاء بالتطهير، ويقوّيه ما فى ذيل الرواية التى ذكرها من أنّ أم سلمة زوج النبى (صلى الله عليه وآله) قالت: ألست منهم؟ فقال: «إنک لعلى خير أو إلى خير».

٣. لم يزد المؤلّف فى هذا القول عمّا ذكره فى قوله السابق، بل قول الأغلب والأعم من المفسّرين وأصحاب السيرة فيتجلّى فيما رواه أبو سعيد الخدرى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنّ الآية نزلت فى خمسة (لا سبعة ولا أكثر): «فىَّ وفى على والحسن والحسين وفاطمة». راجع

وقد حدّثتنا كتب السيرة النبوية عن هذه الأُسرة الكريمة، سواء فيما يخصّ زوجات النبى (صلى الله عليه وآله) أو فيما يخصّ أولاده وبناته وأحفاده من الذين عاصروا أيامه العظيمة (صلى الله عليه وآله) أو من الذين لم يعاصروا هذه الأيام الطيبة، كما حدّثتنا هذه الكتب نفسها عن أماكن معيشة هؤلاء وأماكن تواجدهم من مولدهم حتّى وفاتهم.

وقد اتّضح لنا أنّ غالبية أُسرة النبى (صلى الله عليه وآله) قد عاشت ما بين مكّة والمدينة، ثم استقرّ بها المقام نهائياً فى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التى اختارها بعد هجرته الشريفة... وقد ظلّوا يعيشون بالمدينة المنوّرة حتّى توفّاهم الله تعالى، ودفنوا جميعاً بأرض البقيع.

وهناك من أحفاد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) من ترك المدينة المنوّرة متّجهاً إلى العراق، ومنهم من اتّجه إلى مصر، وكان توقيت ذلك قد بدا واضحاً بعد مقتل عثمان بن عفان، ثم حدث ما حدث من خلاف بين المسلمين الذين انقسموا بين مؤيّدين لعلى بن أبى طالب، ومؤيّدين لمعاوية بن أبى سفيان.

هذا الخلاف كان بداية تفرّق أحفاد رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) وتركهم المدينة: إمّا إلى العراق حيث الحرب ضدّ الفتن، وإمّا إلى مصر، طلباً للأمان، وفراراً من البطش والعدوان.

وممّا هو ثابت تاريخياً أنّ أهل البيت من أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله) قد بدأوا يتوافدون على مصر بعد معركة كربلاء.

وكان أشهر من وفد إلى مصر من أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله)، سواء الأحفاد المباشرون أو غير المباشرين: الإمام الحسين (رضى الله عنه)، وابنه الإمام زين العابدين، وحفيده الإمام زيد، والإمام الجعفرى.

وكذلك السيّدات العابدات المؤمنات بالله وبالقدر حلوه ومرّه: السيدة زينب، والسيدة رقيّة، والسيدة عائشة، والسيدة نفيسة، والسيدة سُكَينة، والسيدة فاطمة النبوية، والسيدة أُم كلثوم رضى الله عنهم أجمعين.

كتاب السيدة نفيسة للأستاذ توفيق أبو علم: ٦٩ ـ ٧٠ ط. المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ففيه بحث رائع فى هذا النطاق.

* * *

الإمام الحسين بن على بن أبى طالب (عليهما السلام)

من هو؟

إنّه الإمام الحسين بن على بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى، سيد شباب أهل الجنّة، أبو عبدالله، ريحانة النبى (صلى الله عليه وآله) وشبيهه.

ولد الإمام الحسين (رضى الله عنه) فى اليوم الثالث أو الخامس من شهر شعبان[١] عام أربعة من الهجرة، الموافق ٥٦٤م، وقد أسماه النبى الكريم (صلى الله عليه وآله) حسيناً، فهو وأخوه سيّدا شباب الجنة، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيدة نساء العالمين بعد السيدة مريم (عليها السلام)[٢].

وممّا روى عن النبى (صلى الله عليه وآله) فى هذا السياق أنّه قال: «هما ريحانتاى من الدنيا»[٣].

وعن أبى يعلى بن مرّة (رضى الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحسين منّى وأنا منه... من أحبّ الحسين أحبّه الله... حسين سبط من الأسباط»[٤].

---

١. يذكر أنّ ولادته (عليه السلام) فى الثالث من شعبان بالمدينة المنوّرة، لكن المشهور أنّ ولادته كان لخمس خلون منه. راجع مقاتل الطالبيين: ٥١، كشف الغمة للأربلى ٢: ٢١٥، الفصول المهمة: ١٧٠، نور الأبصار: ٢٥٣، أبو الشهداء الحسين بن على للعقّاد: ١٤ ـ ١٥ ط المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٢. وفى السياق أخرج الحاكم النيسابورى فى المستدرک ٣: ١٥٦ بسنده عن عائشة قالت: أنّ النبى (صلى الله عليه وآله)قال وهو فى مرضه الذى توفّى فيه: «يا فاطمة، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيّدة نساء المؤمنين؟» ثم قال الحاكم: هذا إسناد صحيح.

٣. أخرجه البخارى ٣: ١٣٧١ ب٢٢ مناقب الحسن والحسين من أبواب فضائل الصحابة ح٣٥٤٣، وفى ٥: ٢٢٣٤ ب١٨ رحمة الولد وتقبيله من أبواب كتاب الأدب (٨١) ح٥٦٤٨ عن عبدالله بن عمر، وأحمد فى المسند ٢: ٨٥، ٩٣ عن ابن عمر، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ١٢٧ برقم ٢٨٨٤ عن ابن عمر.

٤. أخرجه الإمام أحمد ٤: ١٧٢، وابن ماجة ١: ٥١ ب١١ فى فضائل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أبواب المقدّمة ح١٤٤، والترمذى فى السنن ٥: ٦٥٨ ب٣١ من أبواب المناقب ح٣٧٧٥، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٨١، والطبرانى فى الكبير ٣: ٣٢ برقم ٢٥٨٦ ورقم ٢٥٨٩ وفيها: «أحبَّ الله من أحبّه...».

وجاء فى مسند أحمد بن حنبل عن سبب تسمية الحسين بن على بهذا الاسم، قال: إنّ علياً (رضى الله عنه) قال عن ذلک: «لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)فقال: «أرونى ابنى، ماذا سمّيتموه؟» قلت: حرباً! قال: «بل هو حسن». فلمّا ولد الحسين، سمّيته حرباً! فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «أرونى ابنى، ما سمّيتموه؟» قلت: حرباً! فقال: «بل هو حسين»[١].

كما يروى فى هذا السياق أنّ رسول لله (صلى الله عليه وآله) قد عقّ يوم سبوعه بكبش، وحلق رأسه وتصدّق بزنته فضة، وأذّن فى أُذنه، ودعا له[٢].

والإمام الحسين بن على (رضى الله عنه) اسمه وذكره ملآ الدنيا فى عصره ومن بعده فى كلّ مكان فى البلاد الإسلامية والعربية، فهو لذلک غنىً عن التعريف بنسبه الشريف، ومكانه من محبّة النبى (صلى الله عليه وآله).

ولقد أصبح ذلک الإمام الشهيد بعد مأساة كربلاء سيد الشهداء، ورمز الإيمان والفداء، وموضع الحبّ والتقدير، كما كانت لهذا الإمام التقى مناقب كثيرة، كانت حديث العام والخاصّ فى حياته، وقد خلّدها التاريخ فوق صفحاته; إذ كان كثير الصلاة والصوم والصدقة والحجّ وأفعال الخير جميعاً.

أمّا بخصوص حادث مقتله فى كربلاء فقد تحدّث عنها التاريخ طويلاً، وذكرها العشرات من المؤرّخين[٣]... وتتلخّص وقائعها فيما سوف نرويه مختصراً،

كما ورواه ابن الأثير فى أُسد الغابة ٢: ١٩ ترجمة الحسين بن على (عليهما السلام) برقم ١١٧٣، والحاكم فى المستدرک ٣: ١٧٧، والأدب المفرد للبخارى: باب معانقة الصبى، وفضائل الخمسة للفيروزآبادى ٣: ٣١٦.

١. مسند أحمد ١: ٩٨، ١١٨ بإسناده عن هانئ بن هانئ عن على (عليه السلام). ورواه البيهقى فى السنن ٦: ١٦٦ و٧: ٦٣، والحاكم فى المستدرک ٣: ١٦٥، ١٨٠ عن هانئ بن هانئ، ورواه الطبرسى فى إعلام الورى: ٢٢٥ ف٣ ذكر بعض خصائصه ومناقبه (عليه السلام) عن مسند الرضا (عليه السلام).

٢. البداية والنهاية ٨: ١٥٢، مولد العلماء ووفياتهم ١: ١٦٨، إعلام الورى: ٢٢٥، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ٢٥.

٣. انظر: اليعقوبى ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٧، والمسعودى ٣: ٦٤ ـ ٧٤، والدولابى: ١١٩ ـ ١٢١، وأبو الفرج الاصفهانى: ٥١ ـ ٨١، والخطيب ١: ١٤١ ـ ١٤٤، والمقدسى ٦: ١٠ ـ ١٣، وابن عساكر ١٤: ١١١ ـ ٢٦٠ والذهبى: ٩٣ ـ ١٠٨ حوادث سنة ٦١ هـ، وابن كثير ٨: ١٤٩ ـ ٢١١، والعاصمى فى سمط النجوم ٣: ١٦١ ـ ١٩٨ وغيرهم.

وقد نقلناه من مصادر عديدة، إذ ليس من هدفنا فى هذه الأوراق سرد تلك الوقائع بالتفصيل التاريخى، إلاّ بالقدر الذى يخدم موضوعنا الأساسى، وهو الحديث عن الضريح الذى أُقيم له بالقاهرة من بعد وصول رأسه الشريف بعد مقتله فى كربلاء، وقد دُفن جسده وفق الإجماع فى مدينة كربلاء، من بعد الشهادة مباشرةً.

ولقد صوّر العديد من المؤرّخين المسلمين الأوائل هذه المأساة تصويراً بليغاً، كما عبّروا من خلال كلماتهم عمّا كان يمرّ به العالم الإسلامى آنذاک من مشاكل، أودت بحياة العديد من آل بيت النبوة.

وممّا ذكره العلاّمة محمد بن على طباطبا المعروف باسم «الطقطقى» عن هذه المأساة قوله: «هذه قضية لا أحبّ بسط القول فيها; استعظاماً لها واستفظاعاً، فإنّها قضية لم يجر فى الإسلام أعظم منها... ولعمرى إنّ قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الطامّة الكبرى، ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى والتمثيل ما تقشعرّ له الجلود، واكتفيت أيضاً عن بسط القول فيها بشهرتها، فإنّها شرّ الطامّات. فلعن الله كلّ من باشرها وأمر بها ورضى بشىء منها، ولا تقبّل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وجعله من الخاسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً». فى طبقاته، الجزء الأول.

وتعود قصة كربلاء ومأساتها التى انتهت بمقتل الإمام الحسين إلى عام ٦٠ هـ ، وذلک بعد تولّى يزيد بن معاوية الحكم بعد وفاة والده معاوية فى العام نفسه، وقد أراد يزيد أن يأخذ البيعة بتوليته خلافة المسلمين ـ بدلاً من والده ـ من الإمام الحسين (رضى الله عنه)، فأرسل بذلک إلى أميره على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان.

وفى لقاء الوليد مع الإمام الحسين لأخذ تلک البيعة رفض الإمام ذلک، وأصرّ على أن تكون البيعة عامةً، وليست قاصرةً عليه وحده!ومن ثم ترک الإمام الحسين المدينة وأقام فى مكة قرابة شهرين بعيداً عن هذه الأجواء، وقد أخذ معه أهله وإخوته وبنى أخيه.

فى هذا الوقت، علم أهل الكوفة بوفاة معاوية وبتولّى يزيد ابنه الخلافة مكانه، فرفضوا هذا الأمر، وكتبوا إلى الحسين بن على (رضى الله عنه); لكى يكون هو إمامهم بدلاً من يزيد، وأخذوا يرسلون له الرسائل بهذا المعنى، فما كان من الإمام الحسين إلاّ أن أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب برسائل إلى هؤلاء الشيعة; ليعرف منهم موقفهم هناك، فسافر مسلم بن عقيل إلى الكوفة، واجتمع بهؤلاء المتشيّعين للإمام الحسين، وأثناء وجوده هناك علم بذلك يزيد بن معاوية فأمر والى البصرة ـ وهو من أتباعه ـ أن يتعقّب رسول الإمام الحسين ويضرب عنقه وعنق من كانوا معه.

وبالفعل حدث ذلك، وقد أرسل والى البصرة رؤوس هؤلاء إلى يزيد فى دمشق، وذكر ابن كثير: أنّ عدد الذين بايعوا الحسين بالكوفة بلغ حوالى ثمانية عشر ألفاً[١]، أمّا ابن قتيبة فذكر أنّهم ثلاثون ألفاً، كما ذكر أنّ الذين كانوا مع رسول الإمام الحسين ثمانين رجلاً![٢].

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة من العام نفسه قرّر الإمام الحسين الزحف ناحية الكوفة، وقد شدّ من أزره آنذاك أهل مسلم بن عقيل للأخذ بثأره ممّن قتله، وقد قيل كلام كثير عن تلك التحذيرات التى لم يأخذ بها الإمام الحسين، حيث مضى إلى الكوفة لملاقاة جيش يزيد بن معاوية هناك.

وفى كربلاء دارت معركة حامية، شارك فيها أكثر من ألف فارس من أتباع عبيدالله بن زياد والى البصرة ومبعوث يزيد بن معاوية، ثم انضم إليه بعد ذلك أربعة آلاف مقاتل آخرون.

وخلال ساعات استشهد كلّ أتباع وأصحاب الإمام الحسين، وظلّ هو يحارب وحده حتّى مات شهيداً فى كربلاء عام ٦١ هـ الموافق ٦٨٠م، وقد عرفت باسم موقعة «الطف» الواقعة بجوار مدينة كربلاء.

وتقول الدكتورة سعاد ماهر أُستاذ الآثار: «إنّه يكاد يكون هناك إجماع بين المؤرّخين وكتّاب السير على أنّ جسد الإمام الحسين ـ بالفعل ـ مدفون هناك

١. البداية والنهاية ٨: ١٥٤.
٢. تاريخ الخلفاء ٢: ٨.

بكربلاء وقد جاء فى كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد[١] بشأن ذلک أنّه بعد أن احتزت الرأس وأُخذت إلى ابن زياد بالكوفة، خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء، كما دفنوا ابنه علياً عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله، كما دفنوا العباس بن على فى الموضع الذى قُتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن...»[٢].

أمّا عن رأس الحسين ـ والتى ارتبطت بضريحه الموجود الآن بالقاهرة ـ فقد كثرت فيه الأقوال وتضاربت الآراء[٣]، واختلفت الروايات وكتب السيرة فى تحديد مكان تواجده... ولسوف نسوق بعض هذه الأماكن التى ذكرت فى هذا السياق، ثم نتوقّف كثيراً أمام قبره وضريحه الموجود الآن بالقاهرة بحى الحسين، والمجاور للأزهر الشريف.

وممّا قيل عن ذلک: إنّ رأس الحسين (رضى الله عنه) قد دفنت فى عدة أماكن قبل مقدمها إلى القاهرة. وقد ذكر ذلک كلٌّ من الأثرى حسن عبدالوهاب، والدكتورة سعاد ماهر، وآخرين.

ومن الأماكن التى ذُكرت بخصوص رأس الحسين: أنّها دفنت مع جسده فى كربلاء، إذ أنّه أُعيد إلى جسده الطاهر بعد أربعين يوماً من موته، ثم قيل: إنّه دُفن فى المدينة المنوّرة. وقد ذكر ذلک ابن سعد فى طبقاته والبخارى فى تاريخه، حيث ذكرا: أنّ رأس الحسين حُمل إلى المدينة ودُفن بها فى البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها.

---

١. الشيخ المفيد هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان البغدادى، المعروف بابن المعلم، أحد مشاهير فقهاء الإمامية، ومن أجلّة متكلّميها، انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، كان مقدّماً فى العلم وصناعة الكلام، له ما يقارب من مائتى مصنّف، ولد سنة ٣٣٨ هـ وقيل: ٣٣٦، وتوفى سنة ٤١٣ هـ ودفن بداره سنين، ثم نقل إلى مقابر قريش. (فهرست الشيخ الطوسى: ١٨٦، ١٨٧، رجال النجاشى: ٣٩٩ رقم ١٠٦٧).

٢. مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ١٦٤.

٣. ذكر الشبلنجى الشافعى هذه الآراء ضمن فصل أسماه «فصل: اختلفوا فى رأس الحسين» من كتابه نور الأبصار: ٢٦٩.

أمّا طائفة الشيعة الإسماعيلية فقد ذكروا: أنّ رأس الإمام الحسين تمّ دفنها فى مدينة دمشق وجاء فى المقريزى[١]: «مكث الرأس مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام، ثم أُنزل فى خزائن السلاح حتّى ولى سليمان بن عبدالملک، فبعث فجىء به وقد صار عظماً أبيض، فجعله فى سفط، وطيّبه وجعل عليه ثوباً ودفنه فى مقابر المسلمين».

كما أنّ هناک أقوالاً أخرى ضعيفة تقول بوجود الرأس فى «حلب»، وأنّ الرأس مدفون فى حلب فى وسط جبل جوشن، وقد بنى عليه الملک الصالح ابن الملک العادل نور الدين، ولكنّه لم يذكر متى وكيف جىء بالرأس الشريف إلى هناک؟!

ثم قالوا: إنّ رأس الإمام الحسين قد دُفن أيضاً فى مدينة «مرو» بأرض خراسان، وكذلک فى مدينة «عسقلان» بأرض الشام... ومنها نقل إلى مصر حيث دُفن فى مقامه الموجود حالياً.

وقد أيّد رواية الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرّخين والرواة، منهم: ابن ميسر، والقلقشندى، وابن إياس، وسبط ابن الجوزى.

علمه وصفاته:

كان الإمام الحسين (رضى الله عنه) ولا يزال مصدراً خصباً من مصادر البحث والدراسة فيما يخصّ أعماله ومناقبه... بهدف الاستفادة ممّا تركه وراءه من تراث إسلامى عظيم يمكن أن تنتفع به الأمة حتّى يوم القيامة. أضف إلى ذلک ما فى ذكراه وحياته من مثاليات نحن أحوج ما نكون إليها الآن وسط هذه الماديات التى طغت على حياة البشر، وأصبحت تنذر بعواقب وخيمة.

ولقد استوقفنى كثيراً ما كتبه «العقّاد» عن إمام الشهداء وسيد شباب أهل الجنة: الحسين (رضى الله عنه)، حيث وصفه بالوفاء والشجاعة كصفتين أساسيتين فى حياة هذا الإمام، وممّا جاء فى السياق قوله: «لقد اشتهر الحسين

١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢: ٣٢٨.

مع الجود بصفتين من أكرم الصفات الإنسانية وأليقهما بشرفه وبيته، وهما: الوفاء والشجاعة، فأمّا عن وفائه فإنّه أبى الخروج على معاوية بعد وفاة أخيه الحسن; لأنّه عاهد معاوية على المسالمة، وقال لأنصاره الذين حرّضوه على خلع معاوية: إنّ بينه وبين الرجل عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضى المدة. وكان معاوية يعلم وفاءه وجوده معاً... أمّا عن الشجاعة فإنّها صفة لا تُستغرب منه; لأنّها الشيء من معدنه كما قيل، وهى فضيلة ورثها عن الآباء، وأورثها الأبناء من بعده. وقد شهد الحروب فى أفريقيا الشمالية، وطبرستان، والقسطنطينية[١]... كما حضر مع أبيه وقائعه جميعاً، من الجمل إلى صفّين[٢]. وليس فى بنى الإنسان من هو

أشجع قلباً ممّن أقدم على ما أقدم عليه الحسين فى يوم كربلاء... وقد عاش الإمام الحسين سبعاً وخمسين سنة بالحساب الهجرى»[٣].

وبخلاف عملاق الأدب العربى، وما ذكره عن أخصّ صفات الإمام الحسين، انشغل الكثيرون غيره بالغوص فى سيرة حياة هذا الإمام الجليل; لاستخراج ما بها من صفات أخرى عديدة، فإلى جانب صفتى الوفاء والشجاعة عُرف الإمام الحسين (رضى الله عنه) بصفة التواضع، وهو من بيت النبوة العظيم محمد (صلى الله عليه وآله).

وممّا رواه ابن عساكر فى التاريخ الكبير فى هذا السياق قوله: «إنّه مرّ يوماً بمساكين يأكلون فى الصّفة، فقالوا: الغداء، فنزل وقال: إنّ الله لا يحبّ المتكبّرين، فتغدّى معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبونى، فقالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله، وقال للرباب خادمته: أخرجى ما كنت تدّخرين»[٤].

١. ولعلّ النصوص التاريخية لا تأيّد اشتراك الإمام الحسين (عليه السلام) فى فتح القسطنطينية عام ٥١ هـ، اذ لم يذكر أحد ما عدا ابن كثير فى البداية ٨: ٥٨ و٢٢٩ ذلك، فضلاً عن أنّ المعروف عنه (عليه السلام) عدم اتّصاله بمعاوية، ولاتردّده إلى الشام من سفر أو غيره.
٢. انظر البداية والنهاية ٨: ١٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١: ١٨٤.
٣. أبو الشهداء الحسين بن على: ١٤٢ وما بعده.
٤. تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨١ برقم ١٥٦٦ مسنداً عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وهناك بخلاف ذلك عشرات الروايات التى حفل بها التاريخ عن صفات هذا الإمام الجليل، خاصّةً فيما يتعلّق بصفة التواضع التى تحلّى بها طويلاً حتّى يوم وفاته.

والأمر بالنسبة لحياة الإمام الحسين (رضى الله عنه) لم يتوقّف عن حدّ الصفات الطيّبة وفقط، بل امتدّ ليشمل علمه الغزير. وفى يقينى أنّ الصفات الطيّبة داخل الإنسان لا يمكن أن تكتمل بغير علم، فكلّما زاد علمه زاد تواضعه وزادت صفاته الحسنة، وهكذا كان الإمام الحسين رضى الله عنه وأرضاه.

وممّا يروى عن علم الإمام الجليل ـ كما ذكر بعد ذلك العديد من المراجع ـ أنّ الناس كانوا يقدمون على الحسين وينتفعون بما يسمعونه منه، ويضبطون ما يروونه عنه، فمن أقواله:

«لاتتكلّف ما لاتطيق، ولاتنفق إلاّ بقدر ما تستفيد».

«حوائج الناس إليكم من نِعَم الله، فلا تملّوا النعم فتعود نقماً».

وقال: «صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن ردّه».

وكان (رضى الله عنه) مخلصاً لله فى عبادته، كثير التعبّد... وقد تواترت الأقوال فى كثير من المراجع أنّ الحسين (رضى الله عنه) كانت له صلوات، يؤدّيها فى اليوم والليلة، غير الصلوات الخمس المفروضة.

وصف الضريح

نستخدم لفظ «الضريح» بدلاً من لفظ «المقبرة»، خاصّةً ونحن نتحدّث عن المكان الذى دفن فيه رأس الإمام الحسين (رضى الله عنه) بالقاهرة.

ذلك لأنّ هذا الإمام الجليل لم يدفن رأسه فى التراب أو داخل المقبرة، وإنّما قد وضعت فى تابوت من بعد رحلتها عبر المدن الإسلامية السابق الإشارة إليها، هذا التابوت الموجود حالياً داخل المقبرة هو نفسه الذى وضعت فيه الرأس الشريفة داخل حفرة صُنعت خصيصاً لهذا التابوت، وقد أقيم بناء تمّ تمييزه بقبّة، حيث المكان الموجود حالياً خلف مسجد الإمام الحسين (رضى الله عنه).

ولقصة إنشاء هذه المقبرة أو هذا الضريح تفاصيل كثيرة اهتمّ بها العديد من المؤرّخين ومن الدارسين ومن رجال الآثار، وذلک على مرّ العصور، منذ استقرار هذا الرأس الشريف داخل هذا الضريح فى عام ١١٥٣م.

قال ابن جبير فى هذا الوصف: «فمن ذلک المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة، حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، وهو فى تابوت من فضّة ومدفون تحت الأرض، وقد بنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه، ولا يحيط به الإدراک، مجلّل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض، ومنه ما هو دون ذلک، وقد وضع أكثره فى أتوار فضّة خالصة، ومنها مذهَّبة، وعلِّقت عليه قناديل فضّة، وحُفَّ أعلاه بأمثال التفافيح ذهباً فى مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً. وفيه أنواع الرخام المجزَّع، الغريب الصنعة، البديع الترصيع، ممّا لايتخيّله المتخيّلون.

والمدخل إلى هذه الروضة على مثال المسجد فى التألّق والغرابة، وحيطانه كلّها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها، وهما أيضاً على تلک الصفة بعينها، والأستار البديعة من الديباج معلَّقة على الجميع»[١].

وفى عصر الدولة العثمانية أمر السلطان خان بتوسيع ذلک المسجد، كما عنى الوالى العثمانى آنذاک السيد محمد باشا الشريف فى عام ١٠٠٤ هـ /١٥٩٥م بترميم المشهد الحسينى، وإصلاح زخارفه.

أمّا الأمير حسن كتخدا فقد وسّع المشهد وزاد مساحته، ووضع له تابوتاً من أبنوس مطعَّم بالصدف والعاج، كما جعل عليه ستراً من حرير مزركش، نُقل إلى الضريح فى احتفال كبير، ذكره الجبرتى فى تاريخه[٢].

أمّا فى عام ١١٧٥ هـ /١٧٦١م فقد أعاد الأمير عبدالرحمان كتخدا بناء المسجد الحسينى[٣]، وفى عصر الوالى عباس الأول تمّ شراء الأملاک اللازمة

١. رحلة ابن جبير: ١٩.
٢. تاريخ عجائب الآثار ١: ١٧٠ حوادث سنة ١١٤٠ هـ .
٣. انظر المصدر السابق: ٤٩٢ حوادث سنة ١١٩٠ هـ .

لتوسيع المسجد، فهدمها وشرع فى البناء الذى لم يكتمل فى حياته، حيث توفّاه الله.

وفى عام ١٢٧٩ هـ /١٨٩٢م أمر الخديوى إسماعيل بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته، فوضعت المشاريع اللازمة لذلك، كما تمّ فتح شارع السكّة الجديدة، وروعى فى التجديد ترك القبّة على حالها، كما نقل إلى المسجد منبراً جميلاً من جامع «أزبک بن ططخ» بالأزبكية، كما اشترى الخديوى إسماعيل الأعمدة الرخامية بالمسجد من استانبول على حسابه الخاصّ، وتمّ الانتهاء من بناء المسجد فى عام ١٢٩٠ هـ /١٨٧٣م.

وفى عام ١٣١٦ هـ /١٨٩٨م أمر الخديوى عباس الثانى بإعادة نقوش القبّة إلى ما كانت عليه، وتمّ فتح نوافذ جديدة داخل الضريح. كما تمّ فى عهد هذا الخديوى إنشاء قاعة للآثار النبوية داخل ضريح الإمام الحسين، وذلک بعد أن بقيت تلک الآثار لستّ سنوات محفوظة فى دولاب جميل صُنع لهذا الغرض خصّيصاً، وكان هذا الدولاب يوجد بالطرف للجدار الشرقى للمسجد. كما جعل لهذه القاعة باب موصل إلى شرقى المسجد.

وفى عهد الملک فؤاد وابنه فاروق[١] حدثت إضافات على المسجد الحسينى، منها: تجديد أستار الضريح. أمّا بعد ثورة يوليو فقد زيدت مساحة المسجد حتّى بلغت ٣٣٤٠ متر مربع بعدما كانت مساحته ١٥٠٠ متر فقط.

وممّا هو ملاحظ فيما يخصّ ضريح الإمام الحسين ـ وفق إجماع المؤرّخين ورجال الآثار ـ أنّه لم يتبقّ من المشهد الفاطمى للإمام الحسين سوى أحد أبوابه المعروف باسم الباب الأخضر، والذى يقع بالقرب من الركن الجنوبى

١. فاروق بن أحمد فؤاد بن إسماعيل (الخديوى)، آخر من حكم مصر من أُسرة محمد علي، وآخر من لقِّب بالملک فيها. ولد بالقاهرة سنة ١٣٣٨ هـ وتعلّم بها، ثم بفرنسا وانكلترا، خلف أباه فؤاد ملكاً على مصر سنة ١٩٣٦م، وأرغمته ثورة مصر ١٩٥٢م على خلع نفسه، وذهب إلى روما حتّى وفاته سنة ١٣٨٤ هـ /١٩٦٥م. (الأعلام ٥: ١٢٨).

للضريح. وتؤكّد الدكتورة سعاد ماهر: أنّ هذا الباب يعدّ من أقدم أجزاء ضريح الإمام الحسين، والذى شيِّد تقريباً فى وقت وصول الرأس الشريف إلى مصر[١].

ويوجد الآن داخل الضريح حجرة التابوت التى بها رأس الإمام الحسين بالطبقة الثالثة من أرضية القبّة، وقد تبيّن من وصف الرحّالة ابن جبير أنّ هذا التابوت كان موجوداً تحت الأرض منذ إنشاء ذلک الضريح[٢].

❊ ❊ ❊

١. مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: ١٣٩.
٢. انظر رحلة ابن جبير: ١٩.

المرقد الحسينى

الدكتورة سعاد ماهر

فى العصر الأيوبى أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور! منارةً على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦م). وهى منارة مليئة بالزخارف الجصّية والنقوش البديعة، وهى تعلو الباب الأخضر، وقد تهدّم معظمها، ولم يبق منها إلاّ القاعدة المربّعة، وعليها لوحتان تأسيسيتان، ونصّ الأولى: «الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه، وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عفا الله عنه». ونصّ الثانية: «بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقرّباً إلى الله، ورفعاً لمنار الإسلام، الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور، تقبّل الله منه، وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر، الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عمّا أوصى به والده المذكور، وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة».

وقد احترق هذا المشهد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب[١] سنة ٦٤٠ هـ، وكان سبب الحريق كما يرويه المقريزى وأبو المحاسن: «أنّ أحد خزّان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة، فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتّى طفئ».

١. هو أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبى بكر، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد سنة ٦٠٣ هـ، بالقاهرة، ونشأ بها، ولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ، وضبط الدولة بحزم، عمر مصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب، مات سنة ٦٤٧ هـ بناحية المنصورة بمرض السلّ، فنقل إلى القاهرة ودُفن فيها. (الأعلام ٢: ٣٨، مرآة الزمان ٨: ٧٧٥).

وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبدالرحيم البيسانى ووسعه، وألحق به ساقية وميضأة، ووقف عليه أراضى خارج الحسينية قريب الخندق[١].

وفى العصر المملوكى سنة اثنتين وستين وستمائة، رفع إلى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قضية موضوعها: أنّ مسجداً على باب مشهد الحسين (رضى الله عنه) وإلى جانب مكان من حقوق القصر، بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم، فأمر السلطان بردّ الدراهم وأبقى الجميع للمسجد، فاتّسع نطاقه وزاد رونقاً وبهاءً بما صرفه عليه من تلك الأموال.

وفى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر بتوسيع المسجد، وذلك ببناء إيوان وبيوت للفقهاء العلوية، وكان ذلك عام أربعة وثمانين وستمائة.

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد، وذلك لمّا رآه من الإقبال العظيم من المصلّين والزائرين، كذلك عنى الوالى العثمانى السيد محمد باشا الشريف الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ، بترميم المشهد وإصلاح زخارفه، أمّا الأمير حسن كتخدا الجلفى فإنّه وسّع المشهد، وزاد فى مساحته، وصنع له تابوتاً من أبنوس مطعَّم بالصدف والعاج، وجعل عليه ستراً من الحرير المزركش، نقله إليه فى احتفال كبير.

ويصف الجبرتى ذلك الاحتفال فيقول: «لمّا تمّموا صناعته، وضعوه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال، وعلى جوانبه الأربعة أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب، ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر...، حتّى وصلوا المشهد الشريف ووضعوا ذلك الستر على المقام»[٢].

وأمّا الأمير عبدالرحمان كتخدا فقد قام بإصلاحات كثيرة، ففى سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد، وعمل به صهريجاً وحنفية بفسحة، وأضاف إليه إيوانين، كما رتّب لسدنته والقائمين عليه مرتّبات كثيرة ظلّ معمولاً بها حتّى سنة ١٢٠٦ هـ،

١. الحسينية: اسم حيّ من الأحياء الشعبية التى تقع خارج القاهرة.
٢. تاريخ عجائب الآثار ١: ١٧٠ حوادث سنة ١١٤٠ هـ.

حيث أصبحت أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبى الأنوار الوفائى، فألحق بالمسجد ضرراً كبيراً.

ويقول الجبرتى فى ترجمة المذكور: «إنّ أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد، ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرّر من سكّانها، فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة، فاشترى داراً قبلى المسجد وأدخل فيها جانباً فيه بمقدار باكية، ورفعها درجةً; ليميّز الحديث من العتيق، وجعل به محراباً، وأنشأ فيما بقى من الدار الميضأة والمراحيض، وفتح لها باباً من داخل المسجد، وأبطل الدورة القديمة لانحراف مزاجه منها، وتأذيّه من رائحتها»[١].

وتحوّل عبور الناس إلى الميضأة الحديثة من المسجد، ولم تمض أيام قلائل حتّى أضرّت الروائح الكريهة بمن فى المسجد من المصلّين والزائرين، وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش لقربها منه، فغلظ الناس وشنوا القالة، ولم يحضر من أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلى والتجّار أحد. ثم قاموا قومةً واحدةً وأغلقوا الباب، وأبطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة، ومنعوا الناس من الدخول، وساعدهم المنصفون من أجناسهم، فاضطرّ أبو الأنوار ـ كما يقول الجبرتى ـ إلى إعادة الميضأة القديمة كما كانت، وجعل الحديثة مربطاً للحمير! يستغلّ أجرته بعد أن أزال أثرها.

ولمّا قدم السلطان عبدالعزيز ١٢٧٩ هـ وزار المقام الحسينى الشريف، أمر الخديوى إسماعيل بعمارته وتشييده على أتمّ شكل وأحسن نظام، وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات; إذ تمّت سنة ١٢٩٠ هـ. وقد أسهب على مبارك فى خططه فى وصف الإنشاءات التى قام بها الخديوى إسماعيل، ولم يذكر أنّها تنفيذ لأمر السلطان عبدالعزيز، فقد قال: «وفرش بالفرش النفيسة، وتنويره بالشموع والزيوت الطيّبة والأنفاس الغازية فى قناديل البلور، ورتّبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذّنين والمبلّغين والبوّابين والفرّاشين والكنّاسين والوقّادين والسقّايين ونحو ذلك، ووقفوا عليه أوقافاً جمّة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه».

١. المصدر السابق ٢: ١٣٩ حوادث سنة ١٢٠٦ هـ.

وفى بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف، فيقول: «لمّا رأى أهمّية وازدحام الناس عليه وضيقه; لأنّ أرباب مظاهر الدين يسعون من كلّ فجّ على العربات والخيل والبغال والحمير، حتّى تزدحم أبوابه وطرقه، فيضرّ ذلک بالمارّة، خصوصاً فى المواسم، ففتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م) شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلول البرقية».

وكان على مبارک هو الذى قام بعملية الرسم، إذ يقول: «وندبنى لعمل ورسم للجامع يكون به وافياً بمقصده الحسن، فبذلت الهمّة فى ذلک، وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه، بحيث لو وضع عليه لكان مبرّاً من العيوب، مع الاتّساع العظيم داخلاً وخارجاً، إذ جعلته منفصلاً من كلّ جهة عن المساكن بشوارع وميادين رحيبة، وجعلت شكله قائم الزوايا، وجعلت حدّه الأيمن بحذاء جدار القبّة الأيسر بالنسبة للمصلّى فيها، بحيث يكون الجداران واحداً، وحدّه الأيسر نهاية الحدّ الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن، ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع، وحدّه الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبّة الذى به محرابها، بحيث يكون الجداران واحداً، والحدّ الرابع الذى يلى خان الخليلى هو الذى له الآن، وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن، أعنى فى محلّ الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى، وتكون عن يمين ذلک المطهرة والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى، فيكون الجامع آمناً من انعكاس الروائح إليه. وفى الرسم صار الضريح الشريف خارجاً من الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب، داخلاً فى الصحن من جهته اليسرى، وجعلت للضريح باباً إلى الجامع، وباباً إلى الصحن، وباباً إلى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء، وجعلت سعة الشارع فى غربيّه وشرقيّه نحو ثلاثين متراً، وفى بحريّه نحو أربعين».

أمّا الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا، إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ، فقد تسارع فى بناء المسجد جميعه ما عدا القبّة والضريح الشريف، وتمّ البناء سنة ١٢٩٠ هـ ، أمّا المنارة فقد تمّت سنة ١٢٩٥ هـ .

غير أنّ راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارک، ولذلک فإنّه انتقده نقداً لاذعاً ـ وهو محقّ فى ذلک ـ يقول: «إنّ راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا، فإنّ ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر، وكذا الضلعان الآخران غير متساويين، بحيث أوجب ذلک وضع الأساطين منحرفة، بحيث لو وافقتها صفوف المصلّين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة، ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوف لحقّه من النور والهواء; لسوء رسم الأبواب والشبابيک، وعدم أخذها حقّها من الارتفاع والاتّساع مع قلّتها وقلّة الملاقف».

وقد تكلّفت هذه العمارة ـ على حدّ قول على مبارک ـ تسعاً وسبعين ألف جنيه صُرفت من خزينة الأوقاف، هذا عدا ماتبرّع به الأُمراء وعليّة القوم، فقد أحضرت له العمد الرخام من القسطنطينية، وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلى، ومثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبّة، وبالجامع منبر خشبى بديع مطلىّ بطلاء مذهَّب، وهو فى الأصل منبر جامع «أزبک» الذى كان عند العتبة الخضراء، فلمّا تخرّب المسجد نقل إلى مشهد الحسين، وفى مؤخّرة المسجد دكّة تبليغ كبيرة، أمّا صحن الجامع فيحتوى على أربعة وأربعين عموداً عليها بوائک حاملة للسقف، وهو من الخشب المطلىّ بزخارف نباتية وهندسية متعدّدة الألوان، ومذهَّبة غاية فى الدقّة والإبداع، وفى وسط السقف ثلاثة مناور مرتفعة مسقوفة كذلک، وبجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شبّاكاً كبيراً من النحاس المطلىّ بالذهب، ويعلوها شبابيک أخرى صغيرة دوائرها من الرخام.

وللمسجد مئذنتان: إحداهما قصيرة وقديمة، وهى التى بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦م) فوق القبّة ـ كما سبق أن أشرنا ـ وقد طوّقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين من الحديد محافظةً على بقائها. أمّا المئذنة الثانية فتقع فى مؤخّر المسجد، وهى مرتفعة ورشيقة على الطراز العثمانى الذى يشبه المسلّة أو القلم الرصاص، وعليها لوحان بخطّ

السلطان عبدالمجيد خان، كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ، بأحدهما سورة الأنعام الآية (٩٠): (**أُولئکَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**).

والآخر: «أحبّ أهل بيتى إلىَّ: الحسن والحسين»[1].

كذلک فرشت أرضية مصلّى الباب الأخضر بالسجّاد والبسط التركية، وبشرقى المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية، التى أنشأها عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هـ بعد أن بقيت هذه الآثار ستّ سنوات محفوظة فى الدولاب الجميل الذى صنع سنة ١٣٠٥ هـ فى الطرف الجنوبى للجدار الشرقى للمسجد، وهى قاعة متّسعة الأرجاء، مفروشة بالسجّاد الدقيق الصنع، المستورد من إيران وتركيا، تضاء بالمصابيح والثريات البلورية النادرة، وقد كُسيت جدرانها بالرخام (المجزع) وبها محراب صغير، وسقفها من الخشب المنقوش، ونوافذها من الجصّ المخرَّم والمعشّق بالزجاج الملون.

أمّا دولاب الآثار الشريفة فقد وضع فى الجهة القبلية من القاعة، وهو عبارة عن فجوة كبيرة فى الجدار، قوى ظهرها بقضبان من الحديد، وقد كُسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ[2] الأخضر، وفى سطحها لوح من الزجاج لتوضع فوقه باقى الأمانات، وقد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعّم بالعاج والصدف والأبنوس، وكتب بأعلاه بأحرف من العاج: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**) [النساء: ٥٨].

وللقاعة الشريفة بابان: أحدهما إلى المسجد، والآخر يؤدّى إلى القبّة. وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسملة وسورة (**أَلَمْ نَشْرَحْ**) وبعد ذلک النصّ الآتى: «ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى (صلى الله عليه وآله)وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين. تشتمل

١. أخرجه الذهبى فى ميزان الاعتدال ٤: ٤٦١ برقم ٩٨٥٥ عن أنس، والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢: ١١٦ برقم ٣٤٢٦٥ وعزاه إلى الترمذى عن أنس.
٢. الجُوخ: نسيج من الصوف، فارسية، والقطعة منه جوخة.

هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف، ومكحلة ومرود، وقطعة من القضيب، وشعرتين من اللحية الشريفة. وبها أيضاً مصحفان كريمان بالخطّ الكوفى، أحدهما بخطّ سيدنا عثمان بن عفان (رضى الله عنه)، والآخر بخط سيدنا الإمام على كرّم الله وجهه. ذكر ما تركه رسول الله (صلى الله عليه وآله)يوم وفاته ثوباً حَبِرَة وإزار عمانى، وثوبان صحاريان، وقميص صحارى، وقميص سحولى، وسراويل، وجبّة يمنية، وخميصة، وكساء أبيض، وقلانس، وفدک، وثلث أرض وادى القرى، وسهم وخمس أرض خيبر، وحصته من أرض بنى النضير».

أمّا فى عهد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م، فقد عُنيت عنايةً خاصةً بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته، وفرشه وإضاءته، حتّى يتّسع لزائريه والمصلّين به.

فقد كان المسجد القديم يضيق بهم، وخاصةً فى المواسم والأعياد، فزيدت مساحته حتّى بلغت ٣٣٤٠ متر مربّع، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر مربّع، أى بإضافة ١٨٤٠ متر مربّع إليه، وقد أخذت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود، وكذا النوافذ والأبواب التى استجدت من الطبيعة حتّى جاءت التوسعة كامتداد طبيعى للمسجد القديم.

وقد روعى كذلک أن تكون المبانى مشابهة للقديم، ومن نفس الخامات بقدر الإمكان، فقد بُنيت الجدران التى يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلّف (من المبانى القديمة) من الخارج والآخر من الداخل، كما كُسيت الحوائط من الداخل بمونة الحجر الصناعى حتّى تكون مضاهية للحوائط القديمة.

وقد أُضيف للمسجد مبنىً مكوَّن من دورين، خاصّاً بإدارة المسجد، يقع فى الجهة الشرقية منه بجوار غرفة المخلّفات، كما أُنشئت مكتبة خاصّة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ متر مربّع فى الجهة الشرقية أيضاً، على امتداد القبّة والمصلّى الخاص بالنساء.

ولمّا كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم ـ وهى الواجهة القبلية ـ ليست على استقامة واحدة، فقد أُضيف إليها مثلث فى الطرف الجنوبى الشرقى مساحته ٣٥ متراً مربعاً، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة، وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩م، وتمّت سنة ١٩٦٣م، وبلغت جملة تكاليفها ٨٣ ألف جنيه، هذا بالإضافة إلى السجّاد اليدوى الذى صُنع خصيصاً بمدينة المحلّة الكبرى، والذى بلغت تكاليفه ما يقرب من ٤٠ ألف جنيه.

هذا وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ٤٠ ألف جنيه لإقامة واجهة جديدة تتقدّم الواجهة القديمة، تليق وصاحب المقام، خاصّةً بعد أن أُزيلت كل المبانى التى كانت تحجبه عن الميدان الذى خطّط خصّيصاً من أجله، وسيكون طول هذه الواجهة ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار، وروعى فى الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة، حتّى تظهر شرفات الواجهة القديمة.

وقد صُمِّمت هذه الواجهة بحيث جاءت آيةً فى الدقّة والإبداع، وتتكوّن الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدبّبة، يرتكز كلٌّ منها على عمودين من الرخام، ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصّية البديعة، ويستعمل ثلاثة من هذه العقود كأبواب، أمّا الأربعة الباقية فهى نوافذ مملوءة بالرنز المخرّم، وكذا النصف العلوى من الأبواب، وتتدلّى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم، ويعلو كلٌّ منها دائرة من الزخارف الجصّية فى توازن وتماثل محكم.

وستقام مئذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى، مماثلة للمئذنة الموجودة فى الطرف الجنوبى الغربى ومن نفس الطراز. كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزيزى والجوز التركى والزان، ويتكوّن من حشوات مجمَّعة ومطعَّمة بالصدف والعاج والأبنوس، وقد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه. ورصدت الوزارة كذلك مبلغ ٥٠ ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع فى الجهة البحرية من المسجد. وقد أهدت «طائفة البهرة» مقصورةً من الفضّة كتب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم» ورُصِّعت بفصوص من الماس، وذلك سنة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

* * *

القبّة:

يقول الأستاذ «كرزويل» الذى قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية: إنّ القبّة كلّها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف، وهذا يؤيّد ما ذهب إليه «الجبرتى» و«على باشا مبارك»، فقد ذكر: أنّ عبدالرحمان كتخدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ كما هو ثابت على العتب الرخامى ونصّه:

مسجد للحسين أصل المعالى***لا يضاهيه فى البقاع علا

فيه فضل الرحمن للعبد نادى***زر وأرّخ لک الهنا والرضا

والقبّة ليست مربعة تماماً، ولكنّها تميل إلى الاستطالة قليلاً، ولذلک فقد كانت هناک صعوبة فى إقامتها، أمكن التغلّب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع القصير، ونافذة ذات ستّ فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع الطويل. وقد غطّيت فتحات النوافذ بجصّ مخرّم ومعشّق بزجاج ملون، وتتكوّن زخارف النوافذ الجصّية من كتابات نسخية كلّها آيات قرآنية وأحاديث نبوية. أمّا القبّة فإنّها ترتكز على عقود نصف دائرية ومقرنصات فى الأركان شبه دائرية، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية فى الدقّة، تشبه إلى حدٍّ كبير تلک النقوش التى عملها «على بک الكبير» فى قبّة الإمام الشافعى، فهى بذلک عثمانية الطراز، وفوق المحراب نقشت قصيدة بماء الذهب كتبها الخطّاط البلخى سنة ١١٨٧ هـ ، ومطلع القصيدة:

ألا إنَّ تقوى الله خير البضائع***ومَن لازم التقوى فليس بضائع

كما نجد نفس التاريخ منقوشاً على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبّة، ومعنى ذلک: أنّ هذه الزخارف عملت بعد اثنتى عشرة سنة من العمارة التى قام بها عبدالرحمان كتخدا.

على أنّ أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يُعرف بالباب الأخضر، ويقع بالقرب من الركن الجنوبى للضريح، وبالركن الجنوبى الغربى بالنسبة لجدار القبّة، وهو عبارة عن حائط طوله ٤/٩٢ متر وارتفاعه ٥/٨٥ متر، تخترقه بوّابة مستطيلة الشكل عرضها ١/٨٩ وارتفاعها ٢/٣٣ متر. ويعلو البوابة عقد عاتق به حنية، بداخلها دائرة مفرغة بزخارف دقيقة، وتعلوها بقايا شرافات جميلة، وتشبه هذه البوابة وزخارفها باب جامع الأقمر[١].

ولذا فإنّ «كرزويل» يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى، ومعنى ذلك: أنّ هذا الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجىء الرأس الشريف إلى مصر تقريباً، وقد عرف هذا الباب باسم «المحسنين» كما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية، أمّا الآن فإنّه يعرف بالباب الأخضر.

وفوق هذا الباب توجد مئذنة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبى، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرَّخة ٦٣٤ هـ، وسبقت الإشارة إليها، والمئذنة مبنية بالآجر، وتتكوّن من مربّع طول ضلعه ٢/٥٠ متر، وارتفاعه ١٢/٧٦ متراً ينتهى بقاعدة مثمَّنة الشكل، تقوم عليها الدورة الثانية للمئذنة، وهى مثمَّنة الشكل، وارتفاعها ٢/٥٠ متر، وفى كلّ وجه من أوجه المثمَّن توجد فتحة طويلة، ويعلو هذه الدورة رقبة مثمَّنة تعلوها قبّة مضلّعة يبلغ ارتفاعها مع الرقبة ٢/٣٠ متر، وعلى ذلك يكون ارتفاع المئذنة كلّه ١٧/٥ متر.

أمّا مربّع القبّة من الداخل فقد كُسيت واجهته المطلّة على المسجد بالرخام الدقيق المطعَّم بفسيفساء من الصدف، وكذا غطّى محيطها من الداخل بالرخام والصدف فى رسوم هندسية غاية فى الدقّة والإبداع، وترجع هذه الآثار الرخامية والصدفية إلى القرن الثامن الهجرى.

أمّا الأجزاء العليا من مربّع القبّة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهَّبة تشبه تلك التى نقشت على القبّة نفسها، وكلّها ترجع إلى القرن الثانى عشر الهجرى، ثم

١. مسجد من المساجد الفاطمية، جدّدته طائفة البهرة.

جدِّدت هذه النقوش سنة ستّ عشرة بعد الثلاثمائة والألف، وقد سجِّل على الباكية الشريفة ما يأتى:

ركن هذا المقام جنّة عدن فما***من أتاه يفوز بالمأمول
ركن هذا المقام ركن سديد***نال فيه الداعون حسن القبول
ركن هذا المقام كعبة مصر***زاد مجداً بالسيد ابن البتول
ركن هذا المقام حاز فخاراً***بالإمام الحسين سبط الرسول

وتحتوى القبّة على أربعة أبواب، بابين فى الجهة الغربية يؤدّيان إلى المسجد، وباب بجوار المحراب سد الآن بأعلاه، كُتب بالخطّ الثلث البارز الجميل المذهّب على الرخام: «الإجابة تحت قبّته، والشفاء فى تربته، والائمة فى ذرّيته وعترته». وباب يؤدّى إلى غرفة الآثار كُتب بأعلاه: (**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ**).

كذلک كتب الشيخ عبدالله الشبراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتاً من الشعر على الباب الخارجى نصّها:

يا كرام الأنام يا آل طه***على من يهيم فيكم غلام
ركن هذا بابكم كعبة الهدى وحماكم***منهل فيه للأنام ازدحام
باب فضل لما سما أرّخوه***من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه***وصلاة منّى لكم وسلام

وفى العمارة التى قام بها السيد على أبو الأنوار، والتى سبقت الإشارة إليها، أجرى فتح باب الجهة البحرية للقبّة، وله مصراعان من النحاس المخرَّم بنقوش جميلة، بتواشيح الباب أربع دوائر كتب فيها على التوالى: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، الإمام على، الإمام الحسين، الإمام الحسن.

ويعلو الباب عتبان كُتب على أحدهما:

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا***باباً لسبط رسول الله ذى الرشد
وحسن أشراف نور الله أرّخه***باب حماة عظيم الجاه والمدد

وقد غُطِّيت كلّ الأبواب والنوافذ بستار من الحرير الأخضرالجميل، وفى وسط القبّة توجد المقصورة، على بابها أربع حلقات من الفضّة النقية الخالصة:

لن يخيب اليوم من رجائک من***حرّک من دون بابک الحلقه

وحول المقصورة توجد مشكاوات من الزجاج المموّه بالميناء المنقوشة بزخارف جميلة، ومكتوب عليها اسم الملک الظاهر أبى سعيد، كما تحتوى على كتابات قرآنية (اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ)، ويبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثاً وعشرين. كانت قيمتها فى ذلک الوقت أكثر من ألفى دينار.

وبالقبّة قبلة قديمة محلاّة بقطع من الفسيفساء الرخامية، ويكتنفها عمودان من حجر السماق، وبجانبها قاعدتان من الرخام كانتا معدّتين فيما مضى لوضع الشموع، ومكتوب فوق القبلة قصيدة مطلعها:

ألا إنّ تقوى الله خير البضائع***ومن لازم التقوى فليس بضائع

وسبق أن ذكرنا: أنّ جميع جدران القبّة مكسوّة بالرخام الملوّن الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين، وفوق ذلک ألواح من الخشب المطلى بنقوش زيتية متعدّدة الألوان، ومذهَّبة، وبأعلى النقوش كُتب عليها قصيدة الإمام ابن جابر الأندلسى المشهورة، والتى مطلعها:

فى كلّ فاتحة للقول معتبره***حقّ الثناء على المبعوث بالبقره

وهى مكتوبة بالخطّ الثلث المذهَّب، وتحيط بالقبّة وتعلوها قصيدة أخرى، يقال: أنّها تُنسب إلى الحسين (رضى الله عنه)، ويقول الشيخ البلاوى: إنّها لسان حاله، ومطلعها:

خيرة الله من الخلق أبى***بعد جدّى وأنا ابن الخيرتين

عبدالله غلاماً ناشئاً***وقريش يعبدون الوثنين

والدى شمس وأُمى قمر***وأنا الكوكب بين النيّرين

وفوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبّة كُتب عليه سورة «الفتح» من القرآن الكريم.

أمّا حجرة التابوت فهى تقع فى الطبقة الثالثة من أرض القبّة، وقد وضعت الرأس فيها على كرسى من الأبنوس، وهى ملفوفة فى برنس أخضر، وحولها

نحو نصف أردب من الطيب الذى لا يفقد رائحته بتوالى السنين، وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كلّ فجوة باب متين.

والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب، وتحتوى على مكان فسيح، بحدّه الشرقى باب يوصل إلى الحجرة المباركة التى تحتوى على القبر الشريف، وبها تابوت من خشب الساج الهندى، ويحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط; لأنّ التركيبة التى تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى، ولمّا تصدّع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها وإعادتها إلى حالتها الأولى، كما أُخرج التابوت الخشبى ورُمِّم وأُعيد إلى حالته الأولى، وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وقد عنى حسن عبدالوهاب بدراسة وقراءة ما نقش عليه من النصوص القرآنية والإحاديث النبوية دراسةً مستفيضةً.

ويبلغ طول التابوت ١/٨٥ متر وعرضه ١/٣٢ متر وارتفاعه ١/٣٥ متر، وهو مكوَّن من جنب ورأسين، ومقسَّم إلى مستطيلات رأسية وأُفقية، يحيط بها أشرطة تحتوى على كتابات، بعضها بالخطّ الكوفى، والبعض الآخر بالخطّ النسخى الذى انتشر فى مصر فى العصر الأيوبى. أمّا زخارف هذه الحشوات فهى عبارة عن نقوش نباتية غاية فى الروعة والإتقان، ويحيط بالحشوات السداسية شريط من الخطّ الكوفى به كلمات منها «الملك لله»، «وما توفيقى إلاّ بالله»، «ثقتى بالله»، «نصر من الله وفتح قريب»، «العزّة لله»، «وما بكم من نعمة فمن الله»...الخ.

ويقول حسن عبدالوهاب: «إنّ هذا التابوت يشبه إلى حدٍّ كبير تابوت الإمام الشافعى، ممّا يدلّ على أنّه معاصر له، ولذلك فإنّه يرجَّح أنّهما صُنعا فى عصر واحد، وبيد صانع واحد» وبما أنّ تابوت الإمام الشافعى مؤرَّخ سنة ٥٧٤ هـ، أى أنّه صنع صلاح الدين الأيوبى، لذلك يرجّح حسن عبدالوهاب أنّ تابوت الإمام الحسين صُنع بأمر صلاح الدين; ذلك لأنّه عنى عنايةً خاصةً بمشهد سيدنا الحسين، وأنشأ مدرسةً بجواره.

❊ ❊ ❊

الإمام الحسين (عليه السلام)[١]

مأمون غريب

فی ذكرى مولانا الإمام الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيّد شباب أهل الجنّة، نتذكّر قصّته الخالدة عندما خرج وفی ذهنه أن يقوّض حكم بنی أُمية، ويعيد للخلافة صفاءها ورواها، لكنّه استشهد فی كربلاء، ولاقی من أعدائه ما لم يمكن تصوّره من الخسّة والنذالة، وعدم مراعاة لحرمة البيت النبوی.

ولاشكّ أنّ الإمام الحسين له مكانة كبيرة فی قلوب الناس وعقولهم، فهو حفيد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبوه على بن أبی طالب صاحب المواقف المشهودة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والذی قال عنه الرسول (صلى الله عليه وآله): «أنت منّی بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبی بعدی» رواه البخاری ومسلم[٢].

وهناک أحاديث كثيرة تشيد بالحسين[٣]، ومدى حبّ الرسول (صلى الله عليه وآله) له، فقد عاش الحسين خمس سنوات فی ظلّ النبوّة... كثيراً ما كان يحمله

١. مقتبس من كتاب «الإمام الحسين حياته واستشهاده» ط. القاهرة.
٢. صحيح البخاری ٣: ١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣ كتاب فضائل أصحاب النبی باب (٩) فضائل على، و٤: ١٦٢ رقم ٤١٥٤ كتاب المغازی، غزوة تبوک، صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ رقم ٢٤٠٤ وما بعده، كتاب فضائل الصحابة باب (٤) فضائل على بن أبی طالب.
٣. فقد تضافرت النصوص الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن الحسين (عليه السلام) وهی تبرز المكانة الرفيعة التی يمثّلها فی دنيا الرسالة والأُمة. راجع كتب الصحاح والسنن، فی فضائل الصحابة، الباب الذی يتعلّق بمناقب وفضائل الحسين بن على (عليه السلام) وأخيه الأكبر الحسن (عليه السلام). ومن الكتب الشيعية المهمّة التی روت هذه النصوص، انظر على سبيل المثال: إعلام الورى بأعلام الهدى: الركن الثالث، الفصل المختصّ بذكر الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكتاب عيون أخبار الرضا للصدوق ابن بابويه القمی، والإرشاد للمفيد، وبحار الأنوار: المجلدان (٤٤) و(٤٥) المختصّان بذكر تاريخ هذين الإمامين... وغير ذلک ممّا يطول ذكره.

الرسول (صلی الله علیه وآله) علی ظهره، وکثیراً ما کان وأخوه الأکبر الحسن یقفزان علی ظهر الرسول الکریم (صلی الله علیه وآله)أثناء سجوده، فیطیل السجود حتّی ینزلا من علی ظهره.

وقد ولد الحسین فی شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة علی أرجح الأقوال، وسعد به الرسول (صلی الله علیه وآله).

ویقول الرواة: إنّ السیدة أم الفضل بنت الحارث رأت فی منامها أنّ فی بیتها طرفاً من رسول الله (صلی الله علیه وآله)، فذهبت إلی رسول الله (صلی الله علیه وآله) لیفسّر لها هذه الرؤیا، فقال لها: «... هو ذاک»...فولدت فاطمة حسیناً فأرضعته أم الفضل حتّی فُطم[۱].

وقد أمر الرسول (صلی الله علیه وآله) بحلق رأس الحسین، وتصدّق بزنته فضة، وکثیراً ما کان الرسول (صلی الله علیه وآله) یضع یده الشریفة فی فمه لیمتصّها... وکثیراً ما کان یغذّیه، وکان یخشی علیه هو وأخیه الحسن من الحسد، فکان یعوّذهما قائلاً:

«أُعیذکما بکلمات الله التامّة من کلّ شیطان وهامة، ومن کلّ عین لامّة»[۲].

وقد تربّی الحسین بن علی فی ظلّ بیت النبوة، وتعلّم کیف یکون علیه دینه، وکیف یعامل الآخرین علی ضوء تعالیم الإسلام، فشرب العلم من جدّه ومن أُمه فاطمة الزهراء، ومن والده.

وقد نصحه والده الإمام علی (رضی الله عنه) بقوله فی خطبة طویلة یحثّه فیها علی ما ینبغی أن یکون علیه کشخص یراقب الله فی سرّه وعلانیته، ویراقب الناس فی خلقه، ویبصّره بالتجارب التی استفاد منها فی حیاته. ومن هذه النصائح الغالیة التی استوعبها الإمام الحسین بلاشکّ: قول الإمام علی:

---

۱. رواه ابن عساکر فی تاریخ دمشق: ترجمة الإمام الحسین بن علی بن أبی طالب، وذکر روایة أم الفضل الطبرانی فی المعجم الکبیر ۲۵: ۲۲ برقم (۳۸) مسنداً عن قابوس بن المخارق، والطبرسی فی اعلام الوری: ۲۲۵ الفصل الثالث نقلاً عن الأوزاعی.

۲. أخرجه أبو داود فی السنن ۴: ۲۳۵ برقم ۴۷۳۷ کتاب السنّة، والحاکم فی المستدرک ۳: ۱۶۷، والإمام أحمد فی المسند ۱: ۲۷۰ عن ابن عباس.

«يا بنى، أُوصيک بتقوى الله عزّ وجلّ فى الغيب والشهادة، وكلمة الحقّ فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الصديق والعدوّ، والعمل فى النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى فى الشدّة والرخاء...

يا بنى، ما شرّ بعده الجنّة بشرّ، ولا خير بعده النار بخير، وكلّ نعيم دون الجنة محقور، وكلّ بلاء دون الناس عافية...

واعلم يا بنى، إنّ من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره، ومن تعرّى من لباس التقوى لم يستتر بشىء من اللباس أبداً، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته، ومن سلّ سيف البغى قُتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتک حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم الغمرات غرق، ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله ذلّ، ومن تكبّر على الناس ذلّ، ومن سفّه عليهم شُتم، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم، ومن خالط الأنذال حُقِّر، ومن جالس العلماء وُقِّر، ومن فرح استُخفَّ به، ومن أكثر من شىء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطأه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

إلى آخر هذه النصيحة الغالية التى ركّز فيها الإمام على على الفضائل الإنسانية، ونهى فيها عن الرذائل التى تفقد الإنسان وزنه فى دنيا الناس، والتى اختتمها بقوله:

«واعلم يا بنى... من لانت كلمته وجبت محبّته، ومن لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة... لا تتمّ مروءة الرجل حتّى لايبالى أىّ ثوبيه لبس، ولا أىّ طعاميه أكل. وفّقک الله لرشده، وجعلک من أهل طاعته بقدرته إنّه جواد كريم».

كلّ هذه القيم والشمائل التى تربّى عليها الإمام الحسين، جعلت منه إنساناً متكاملاً فى أخلاقه، صاحب شخصية قوية آسرة، محبوباً من الناس.

كان الإمام الحسين تقيّاً... بليغاً... ونقيّاً... صاحب مروءة... ومحبّاً للخير... عزوفاً عن الشرّ، فقيهاً فى أمور دينه، جواداً كجدّه العظيم، بجانب وسامته الفائقة، فقد كان شبيهاً بجده (صلى الله عليه وآله).

وما أكثر ما قاله الرواة عن شخصية الحسين المحبوبة من الناس! وما أكثر ما ساقوه عن تواضعه وهيبته وقوة منطقه! وما أكثر الروايات التى ساقها الرواة عن مدى احترام الصحابة وأبناء الصحابة لشخصية الحسين.

الرواة يروون مثلاً عن فصاحته وبلاغته فيسوقون مثالاً عن حديثه لأبى ذرّ (رضى الله عنه)الذى هاجم الترف الذى يعيش فيه معاوية وبنو أُمية، فنفاه معاوية عندما كان والياً على الشام، ونفاه الخليفة عثمان بن عفان من المدينة، فقال الحسين للصحابى الجليل المغلوب على أمره: «يا عماه! إنّ الله قادر أن يغيّر ما قد ترى، والله كلّ يوم فى شأن... وقد منعک القوم دنياهم ومنعتهم دينک، وما أغناک عمّا منعوک، وأحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لايقدّم رزقاً، والجزع لايؤخّر أجلاً»[١].

هذه الكلمات اللغوية الرائعة التى تنبئ عن عقلية متفتّحة واعية، قالها الإمام الحسين وكان عمره ثلاثين عاماً!

ويروى الرواة عن جوده وكرمه الكثير، ومن ذلک أنّ أُسامة بن زيد أقعده المرض، وذهب الإمام الحسين لزيارته فوجده شديد الحزن، لا لخوفه من الموت، ولكن لأنّ عليه ديناً يخشى أن يموت دون أن يقدر على سداده، وكان الدين ثقيلاً على أُسامة، فسدّده الإمام الحسين حتّى يلقى أُسامة وجه ربّه وهو قرير العين والفؤاد[٢].

وقد ساق الرواة حادثةً طريفةً تبيّن علمه وجوده وحبّه للمعرفة، والتبسّط مع الناس، ومعاملة كلٍّ على قدر عقله.

١. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٨: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الغدير للعلاّمة الأمينى ٨: ٣٥١، أبو الشهداء للعقاد: ١٣٦.
٢. سيرة الائمة الاثنى عشر ٢: ٣٠ ـ ٣١.

جاءه أعرابى فى حاجة، فما سأله عنها; وكتب الأعرابى حاجته على الأرض، هنا داعبه الإمام الحسين، وقال له: سمعت أبى يقول: «المعروف بقدر المعرفة» فأسألک عن ثلاث مسائل إن أجبت على واحدة فلک ثلث ما عندى، وإن أجبت على اثنين فلک ثلثا ما عندى، وإن أجبت الثلاث فلک كلّ ما عندى! وقد حملت الىَّ (صرة) من العراق. فقال الأعرابى: سل! ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فقال الإمام الحسين: أىّ الأعمال أفضل؟

فأجابه الأعرابى: الإيمان بالله.

فقال الإمام الحسين: ما نجاة العبد من الهلكة؟

فأجابه الأعرابى: الثقة بالله.

فقال الإمام الحسين: ما يزيّن المرء؟

فأجابه الأعرابى: علم معه حلم.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلک؟

فأجابه الأعرابى: مال معه كرم.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلک؟

فأجابه الأعرابى: فقر معه صبر.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلک؟

فأجابه الأعرابى: صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحک الإمام الحسين وأعطاه الصرّة![1]

وإذا كان الحقّ ما شهد به الأعداء، فقد كان معاوية يعرف للحسين قدره، حتّى قال: إنّه لا يجد فيه ما يعيبه، حتّى أنّ رجلاً سأل معاوية أين يجد الحسين؟ فقال معاوية: إذا دخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرأيت حلقةً فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلک حلقة أبى عبدالله الحسين[2].

١. عقد اللآل فى مناقب الآل: ٨٧، سيرة الائمة الاثنى عشر ٢: ٢٨.
٢. تاريخ دمشق ١۴: ١٧٩ ترجمة الحسين بن على (عليهما السلام) مسنداً عن أبى سعيد الكلبى.

ويروى الرواة عن سخائه وكرمه وجوده، وحسن معاملته للناس، كما يتحدّثون عن كثرة صيامه وصلاته، وأنّه حج خمساً وعشرين مرةً ماشياً على قدميه، وكان دعاؤه فى الحج وهو يمسک الركن الأسود:

«إلهى، أنعمتنى فلم تجدنى شاكراً، وابتليتنى فلم تجدنى صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترک الشكر، ولا أدمت الشدّة بترک الصبر... إلهى، ما يكون من الكريم إلاّ الكرم...».

وقد كان الإمام الحسين شديد التضرّع إلى الله، كثير الدعاء; لأنّ الدعاء يقرّب بين الإنسان وربّه، لا يجعل بين الله وعباده حجاباً، إنّ الإنسان يشعر وهو يرفع يديه إلى السماء ويناجى خالقه أنّ الله برحمته وجلاله ورأفته معه، فتستكين النفس، وتطمئنّ الروح، ويتوافق الإنسان فيما بينه وبين نفسه، فيعود إلى النفس صفاؤها، وطمأنينتها، لا يهمّها ما تواجه من صعوبات الحياة.

وكان من أدعيته التى رواها عنه الرواة دعاؤه عندما يكون فى عرفة، كان كثير الدعاء يدعو بقلب خاشع، وممّا كان يدعو به:

«اللّهم اجعل غنائى فى نفسى، واليقين فى قلبى، والإخلاص فى عملى، والنور فى بصرى، والبصيرة فى دينى، ومتّعنى بجوارحى، واجعل سمعى وبصرى الوارثين منّى، وانصرنى على من ظلمنى، وأرنى فيه ثأرى ومأربى، وأقر بذلک عينى.

اللّهم اكشف كربتى، واستر عورتى، واغفر لى خطيئتى، واخسأ شيطانى، وفكّ رهانى، واجعل لى الدرجة العليا فى الآخرة والأولى.

اللّهم لک الحمد كما خلقتنى فجعلتنى سميعاً بصيراً، ولک الحمد كما خلقتنى سوياً، رحمةً بى، وقد كنت عن خلقى غنياً».

وكان من دعائه أيضاً:

«اللّهم أوسع علىَّ من رزقک الحلال، وعافنى فى بدنى ودينى، وآمن خوفى، وأعتق رقبتى من النار...».

وما أكثر الأدعية التى وردت عنه، وتدلّ على نفس بالغة الصفاء، بالغة الشفّافية، تريد ما عند الله لا ما عند الناس.

ومن أجلّ هذه الصفات والشمائل التى كان يتمتّع بها الإمام الحسين: أنّه كان قريباً إلى قلوب الناس، وكان يذكّرهم بنبيّهم العظيم، كلّما استمع إلى عظة من عظاته، أو خطبة من خطبه، أو مجلس علم يجلس فيه فى مسجد جدّه العظيم يلقى درسه، فإذا الناس تستمع إليه وكأنّ على رؤوسهم الطير، فهم منتبهون إلى كلّ كلمة يقولها، أليس هو سليل بيت النبوة الطاهرة، وغصن الدوحة المباركة؟!

مرّ يوماً على جماعة فى مسجد جدّه (صلى الله عليه وآله) وكان فيهم عبدالله بن عمرو بن العاص، وعندما اشرأبّت الأعناق نحو الإمام الحسين، قال عبدالله بن عمرو بن العاص لهم: ألا أُخبركم بأحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟

قالوا: بلى.

قال: هذا الماشى... وأشار إلى الإمام الحسين![1].

شخصية لها كلّ هذا الجلال والعلم، الذى ورث بعضه عن جدّه العظيم نبى الإسلام محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)[2]، وورث بعضه عن أُمه فاطمة الزهراء، فقد رويت على لسانه بعض الأحاديث التى سمعها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتى سمعها من أمه ومن أبيه.

ومن هذا مثلاً: أنّه روى عن أبيه وصفه للنبى (صلى الله عليه وآله) فى جلساته، فقال:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مشّاح، يتفاءل عمّا لايشتهى ولايؤيس منه، ولا يخيب فيه، فقد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكبار وما لايعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذّم أحداً ولايعيبه، ولايتطلّب عورته، ولايتكلّم إلاّ فيما رجا ثوابه.

---

١. تاريخ دمشق ١٤: ١٧٩ مسنداً عن العيزار بن حُرَيث.

٢. ويكفيه قول النبى (صلى الله عليه وآله) له: «حسين منّى وأنا من حسين...» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد: ١١٦، والترمذى فى السنن ٥: ٦٥٨ ـ ٦٥٩ ح٣٧٧٥ كتاب المناقب.

وإذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلّم عنده أنصتوا إليه حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحک ممّا يضحكون منه، ويتعجّب ممّا يتعجّبون، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتّى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلاّ من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتّى يجوز فيقطع بنهى أو قيام...».

وهناک أحاديث كثيرة مسندة إليه، قد رواها عن أبيه أو عن أُمه ممّا سمعاه من خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله)[1].

رجل فى مثل الحسين، وفى جمال خلقته، وجمال خُلُقه، وجمال تكوينه، وشخصيته التى تأثّرت بالبيئة النبوية، كان جديراً بأن يكون محبوباً عند الناس لأنّهم يعرفون قدره، ومحبوباً عند صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّهم يعرفون كم كان النبى (صلى الله عليه وآله) حفيّاً به، ومحبّاً له.

وكان الإمام عالماً جليلاً... متفقّهاً فى أمور دينه، وأصقلته تجارب الأيام.

سمع رجلاً يقول فى حضرته: إنّ المعروف إذا أُسدى إلى غير أهله ضاع! فقال الإمام الحسين: ليس كذلک، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر، تصيب البرّ والفاجر!

ومن أقواله المأثورة:

* «إياک وما يعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسىء ولا يعتذر، والمنافق كلّ يوم يسىء ويعتذر».

* «إعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عزّ وجلّ عليكم فلا تملّوا النِعَم فتعود النقم».

---

١. من ذلک ما أخرجه مسلم فى كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة الحديث ٩١٩ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها، فيحدث لها استرجاعاً، إلاّ أعطاه الله ثواب ذلک».
وما أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد، باب: فى من تكلّم بكلمة يضحک منها الناس الحديث ٢٢٤٠ عن النبى (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».
وأخرج أبو يعلى الموصلى فى مسنده، المجلد الثانى عشر من الصفحة ١٤٢ إلى ١٥٦ خمسة عشر حديثاً عنه (عليه السلام) عن النبى (صلى الله عليه وآله)، وأسماه مسند الحسين بن على.

* «لاتتكلّف ما لا تطيق، ولاتتعرّض لما لاتدرک، ولاتعد بما لاتقدر عليه، ولاتنفق إلاّ بقدر ما تستفيد، ولاتطلب من الجزاء إلاّ بقدر ما صنعت، ولاتفرح بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلاّ ما رأيت نفسک أهلاً له».

* وعندما سأله رجل كيف أصبح، قال: «أصبحت ولى ربّ فوقى، والنار أمامى، والموت يطلبنى، والحساب محدق بى، وأنا مرتهن بعملى، لا أجد ما أحبّ، ولاأدفع ما أكره، والأمور بيد غيرى، فإن شاء عذّبنى، وإن شاء عفا عنّى، فأىّ فقير أفقر منّى؟!»[1].

بهذا الأسلوب الجميل، وبهذه المعانى الراقية الفضفاضة، وبهذه التجلّيات التى تفوح بالإيمان والحكمة وفهم الحياة بما مرّ عليه من تجارب، وما تغلغل فى أعماق نفسه من أنوار النبوة، كان الإمام الحسين صورةً تجسّد كلّ ما فى الإسلام من قيم الحقّ والخير والجمال، والعدل والإيثار.

وكان يعيش بالمادئ وللمبادئ، فلم يؤثر عنه المداهنة أو النفاق أو السعى وراء مغانم رخيصة، ولكنّه عاش وفى قلبه منهج القرآن، وسنّة جدّه (صلى الله عليه وآله)، فعاش حياته كلّها ينشد الحقّ ويسعى إليه، ويكره الباطل ويحاربه.

وهذا ما يفسّر موقفه بعد ذلک عندما قرّر أن يتصدّى لظلم بنى أُمية، والوقوف فى وجه يزيد، واستشهد فى سبيل المبدأ. ولو أراد أن يعيش فى ترف من العيش، وفى رغد من المال، لاستطاع، ولأعطاه الحكم الأموى ما يريد على ألاّ يقف فى طريقهم، ويفنّد أكاذيب حكمهم الذى ابتعد عن الحكم الذى انتهجه الراشدون من الخلفاء.

لو أراد ذلک ما كلّفه ذلک إلاّ الصمت عن الخوض فى سياسة الدولة الأموية المتمثّلة فى يزيد بن معاوية، ولكنّه رفض أن يرى الظلم ويسكت... ورفض أن يرى الباطل يرتفع له لواء ويصمت... ورفض أن يرى الحكم بالكتاب والسنّة قد

١. راجع هذه الحكَم وغيرها كتاب تُحف العقول عن آل الرسول لأبى محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبَة الحرّانى: ١٧٤ ـ ١٧٧.
ولعلّ من أجمل هذه الدرر قوله (عليه السلام): «إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلک عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلک عباد العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلک عبادة الأحرار، وهى أفضل العبادة».

خفت ثم يلوذ بالصمت...ورفض أن يشاهد المظالم على أشدّها، وأموال المسلمين تغدق بلا حساب على الأعوان وطلاّب السلطة، والمتحلّقين لها يبغون السلطان ويضع يده فى أذنيه.

لقد قرّر أن يقوم بثورة... أن يغيّر من الصورة القاتمة التى عشّشت على العالم الإسلامى فى فترة حكم يزيد بن معاوية.

هل كان يعرف أنّه يستطيع أن يتغلّب على الدولة الأموية فى أوج قوّتها وعنفوان سلطانها؟ وهل حسب أنّ بقدرته أن يقضى على دولة لها جيوشها القوية، ويدها المتمكّنة من أعناق الناس، ولها سطوة الحكم، وجبروت السلطة؟

هل كان اندفاع من الإمام الحسين أن يذهب ليحارب قوى عاتية تملك السلاح والرجال، ويخرّ تحت أقدامها طلاّب النفوذ والجاه والمال؟ وهل كان يتصوّر أن ينتصر وسيوف الناس معهم حتّى ولو كانت قلوبهم معه؟أم أنّ الأقدار قد كتبت عليه أن يكون دمه الشريف نقطة تحوّل فى التاريخ الإسلامى كلّه؟

فإنّ دم الإمام الحسين لم يضع عبثاً، فقد انهارت الدولة الأموية بعد أقلّ من قرن واحد، ولتظلّ بعد ذلک العبرة بأنّ الحقّ دائماً يعلو فى النهاية مهما كانت أشواک الطريق.

إنّ النظر إلى موقف الإمام الحسين من خلال النظرة إلى الحوادث التى تمرّ بدنيا الناس ربّما لا يكون نظراً سليماً، فإنّ لموقف الإمام الحسين بُعداً إيمانياً غيبياً، فقد كان عليه أن يطلق صيحته بأن يكون الحكم شورى بين المسلمين كما أقرّه الإسلام، وأنّ الديكتاتورية وحكم الفرد ممّا يأباه الإسلام، وأنّ تقويم الأوضاع لابدّ له من الضحايا،لابدّ من الدماء والدموع، حتّى لا يترک الباطل يرفع رايته فى أرض الله، وحتّى لا تترک سلوكيات الناس حسب الأهواء، بل حسب ما جاء فى كتاب الله وسنّة الرسول (صلى الله عليه وآله).

لقد كان الإمام الحسين يوقن بقوله تعالى:

(وَمَا كَانَ لِنَفْس أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابَاً مُؤَجَّلاً) [آل عمران: ١۴۵].

وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده[١]، هذا الحديث الشريف:

عن أُم سلمة قالت: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يمسح رأس الحسين ويبكى، فقلت: ما بكاؤک؟ قال: «إنّ جبريل أخبرنى أنّ ابنى هذا يُقتل بأرض يقال لها كربلاء».

قالت: ثم ناولنى كفّاً من تراب أحمر، وقال: «إنّ هذا من تربة الأرض التى يُقتل بها، فمتى صار دماً فاعلمى أنّه قد قُتل».

قالت أُم سلمة: فوضعت التراب فى قارورة عندى، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم.

وفى رواية أخرى عن أُم سلمة قالت: كان جبريل عند النبى (صلى الله عليه وآله) والحسين معى، فبكى فتركته، فذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له جبريل: أتحبّه يا محمد؟ قال: «نعم».

قال: إنّ أمتک ستقتله، وإن شئت أريتک من تربة الأرض التى يُقتل بها، فبسط جناحه إلى الأرض، فأراه أرضاً يقال لها: كربلاء![٢]

ورويت أحاديث كثيرة بصيغ مختلفة تجمع فى مضمونها على أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) قد تنبّأ بقتل حفيده الحسين فى كربلاء[٣]، والحديث بلاشکّ قد عرفه أهل البيت، حتّى أنّ ابن عباس قال: ما كنّا نشکّ ـ وأهل البيت متوافرون ـ أنّ الحسين بن على يُقتل بالطف[٤].

---

١. مسند أحمد ٣: ٢٤٢، ٢٦٥، وانظر ۶: ٢٩٤. ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى بأسانيد.

٢. أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٨٨ ـ ١٨٩ وقال: رواه الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها ثقات.

٣. وقد روى فى مسند الرضا (عليه السلام) بأسانيد متعددة عن أُم سلمة حديث النبى (صلى الله عليه وآله) لها فى شأن مقتل ولده الحسين (عليه السلام)، والتربة الحمراء. نقلها العلامة الطبرسى فى إعلام الورى: ٢٢٥ ـ ٢٢۶.
ويذكر ابن عساكر حديثاً عن أنس بن الحارث قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّ ابنى هذا ـ يعنى الحسين ـ يُقتل بأرض يقال لها كربلا، فمن شهد ذلک منكم فلينصره» قال الأشعث بن سُحيم عن أبيه: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقُتل مع الحسين.

٤. وهو ما دعا ابن عباس إلى القول: أوحى الله تعالى إلى محمد (صلى الله عليه وآله): أنّى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بابن ابنتک سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. أخرجه ابن عساكر ١٤: ٢٢٥.

والإمام الحسين كان يعرف بلاشكّ أمر حديث جدّه (صلى الله عليه وآله)، ومن هنا فقد خرج غير هيّاب ولا وجل.

أترى قد قُدِّر على الإمام الحسين ما قُدِّر على والده الإمام على كرّم الله وجهه؟ قد تنبّأ الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام على بأنّه سيُقتل[١].

ويروى الرواة: أنّ أُم المؤمنين أم سلمة هى أول من علمت مقتل الحسين، واختلفت الروايات فى ذلك، فمن قائل: إنّها شاهدت النبى (صلى الله عليه وآله) فى رؤيا لها، وكان على لحيته التراب، وعندما سألته عمّا حدث قال لها: «كنت أدفن ابنى الحسين» فعرفت أنّ الحسين قد قُتل.

وهناك رواية أخرى تقول: إنّ النبى فى حياته كان قد أعطاها قارورةً بها تراب، وقال لها: «إذا استحال هذا التراب دماً فاعلمى أنّ الحسين قد قُتل».

ومهما يكن من شىء، فقد قُتل الحسين مظلوماً، ولم يراعوا فيه حرمةً، ولكن استشهاده كان صيحةً مدوّيةً فى مختلف أرجاء العالم العربى.

هناك من طالب بدم الإمام الشهيد... وهناك من ثار على بنى أُمية إلى أن انتهت دولتهم نهايةً مأساويةً رهيبة.

وهناك من تشفّع لآل البيت إلى أن ظهرت الدولة الفاطمية فى المغرب العربى وفى مصر، وظهرت الانقسامات حول من يكون له حقّ الحكم... إلى أن خلّفت الدولة الأموية الدولة العباسية، وأخذ التاريخ مسارات جديدة.

---

١. ما أخرجه الحاكم فى مستدركه ٣: ١٤٢ بسنده عن حيان الأسدى قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الأمة ستغدر بك بعدى، وأنت تعيش على ملّتى، وتُقتل على سنّتى، من أحبّك أحبّنى، ومن أبغضك أبغضنى، وإنّ هذه ستخضب من هذا» يعنى لحيته من رأسه. ثم قال الحاكم: صحيح وروى بمثله فى الاستيعاب ٢: ٦٨١ باب الكنى، حرف الفاء ترجمة أبى فضالة الأنصارى. وأخرجه أحمد أيضاً فى مسنده ١: ١٠٢ (مسند على بن أبى طالب)، والمحبّ الطبرى فى الرياض النضرة ٢: ٢٢٣ ب٤ مناقب على بن أبى طالب/كراماته، ثم قال: أخرجه ابن الضحاك. وكذا أخرجه أبو داود الطيالسى ١: ٢٣ ح١٥٧.

ويذكر الهيثمى فى مجمعه ٩: ١٣٧ كتاب المناقب/مناقب على باب فى وفاته: عن عائشة قالت: رأيت النبى (صلى الله عليه وآله) التزم علياً وقبّله ويقول: «بأبى الوحيد الشهيد» وقال: رواه أبو يعلى. كما رواه ابن حجر فى الصواعق: ٧٤ ب٩ مآثر على وفضله ف ٢.

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه: أين ذهبت رأس الحسين؟ وكيف جاءت إلى القاهرة؟! على أساس أنّه لا خلاف بين المؤرّخين والرواة أنّ الجسد الشريف قد دُفن فى مكانه فى كربلاء، فى مشهده المعروف هناك!

ولكن الخلاف حول مكان الرأس.

يقول بعض الرواة: إنّ الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة ووالیها، ووصل فى القصر يوم الثلاثاء، العاشر من جُمادى الاخرى.

وقالوا: إنّ هذا الرأس الشريف لمّا أُخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجفّ، وله ريح كريح المسک، وعندما جىء به إلى مصر دُفن فى قصر الزمرّد، وهو المكان المعروف الآن بالمشهد الحسينى[١].

❊ ❊ ❊

١. تقدّم الحديث حول هذا الموضوع سابقاً.

٢ ـ السيدة زينب (أم الشهداء) (عليها السلام)

بقلم
على أحمد شلبى
صافيناز كاظم
حنفى المحلاوى

السيدة زينب (عليها السلام)[١]

على أحمد شلبى

بعد أن قتلوا الحسين فى كربلاء واحتزّوا رأسه الشريف، اقتحم السفلة من جند ابن زياد ـ وما أكثرهم ـ فسطاط نساء أهل البيت وصاحباتهنّ، وأعملن فيه سلباً ونهباً وحرقاً، غير مبالين بأمر عمر بن سعد الذى أمرهم به من قبل، وغير مكترثين بحرمة الموت الذى يحيط بالنساء والأطفال من كلّ جانب، فأظهروا من القسوة والغلظة فى معاملتهنّ ما لم يُعرف من قبل فى مثل هذه المواقف المؤلمة.

وبعد أن قضوا أَرَبهم، واتمّوا سلبهم ونهبهم، وأحرقوا الخيام بما بقى فيها من متاع لم يستطيعوا حمله معهم، ساقوا أسراهم وسباياهم من الأطفال والنساء، وكان فيهم ولدان للإمام الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم جميعاً، استصغر الأعداء شأنهما وسنّهما، فتركوهما دون أن يقتلوهما، كما كان فيهم كذلك زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، وكان مريضاً فى حجر عمّته العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، وقد أراد الأعداء قتله، لولا أن انقذته عمّته بعد أن عرضت نفسها للقتل دونه[٢].

وكان من نعمة الله تعالى على الأمة المحمدية أن بقى زين العابدين على بن الحسين حيّاً، إذ حفظ الله تعالى به ذرّية الإمام الحسين، وهم من ذرّية جدّه النبى الأمين محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

كما سيق فى هذا الركب من نساء البيت النبوى الكريم: العقيلة الطاهرة السيدة زينب، وأُختها أُم كلثوم، وابنتا الإمام الحسين فاطمة وسكينة، وبقية من نساء بنى هاشم رضى الله تعالى عنهنّ جميعاً.

---

١. مقتبس من كتابه «السيدة زينب» ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
٢. نور الأبصار: ٣٧٨ نقلاً عن تاريخ القرمانى.

حملت السيدة العقيلة زينب ومن معها على أقتاب[1] الجمال بغير غطاء، فمرّت على مصارع الشهداء، ووقعت أبصار النساء والأطفال على أبشع منظر، فكان لذلک أثره العميق فی النفوس; إذ كانت الأرض مغطّاة بجثث الأبرار، محزوزة الرؤوس، وقد ارتوت رمال الصحراء من دمائهم، وتسفی عليها الرياح، وتطير فی الفضاء القريب منهم الطيور الجارحة، كأنّها تريد أن تنقض على لقمة سائغة ووليمة حافلة، فضلاً عن الوحوش الكاسرة التی كانت تنتظر هبوط الليل لتخرج من جحورها لتشترک بنصيب فی هذه الوليمة الأموية!

كان لهذا أثره البالغ على العقيلة السيدة زينب رضی الله تعالى عنها، فنفد صبرها، ولم تتمالک نفسها أمام ما ترى من هول وبشاعة، فنادت بصوت حزين وقلب يتفتّت حسرةً وألماً.

يا محمداه! صلّی عليک مليک السماء، هذا حسين بالعراء، مقطَّع الأعضاء، وبناتک سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى على المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء.

يا محمداه! هذا حسين بالعراء تسفی عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا.

واحزناه، واكرباه عليک يا أبا عبدالله، اليوم مات جدّی رسول الله.

يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرّية المصطفى يساقون سوق السبايا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء.

بأبی من أضحى معسكره يوم الاثنين نهباً، بأبی من فسطاطه مقطَّع العرى، بأبی من لا غريب فيرجى، ولا جريح فيداوى، بأبی من نفسی له الفداء، بأبی المهموم حتّى قضى، بأبی من جدّه محمد المصطفى، بأبی خديجة الكبرى، بأبی على المرتضى، بأبی فاطمة الزهراء، بأبی من ردَّت عليه الشمس حتّى صلّى.

ولقد صوّرت العقيلة السيدة زينب رضی الله تعالى عنها بكلامها الفصيح وبلاغتها الفائقة الموقف الذی مرّ عليه الركب أبلغ تصوير، ولذلک أبكت ألفاظها التی صدرت من قلب جريح مسكور كلّ عدوّ وصديق، وكان لكلامها هذا أعظم

---

۱. الأقتاب: واحدة قتب، وهو الرحل الصغير يُحمل على قدر سنام الجمل.

الأثر فى الإحساس بفداحة ما أقدم عليه القوم من فعلة شنعاء، والشعور بعظم الخسارة التى لاتعوّض.

ولمّا أقبل الركب على الكوفة، تتقدّمه السبايا والرؤوس المقطَّعة، فى نحو أربعين جملاً، كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما على بعير بغير غطاء، وفى حالة يرثى لها من الضعف والمرض، ومن الحزن على ما أصاب أهل البيت النبوى الكريم وعلى رأسهم والده الحبيب، فكان يقول فى أسىً وألم بالغين:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم❊❊❊يا أمة لم تراع أحمداً فينا
لو أنّنا ورسول الله يجمعنا❊❊❊يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرون بنا على الاقتاب عاريةً❊❊❊كأنّنا لم نشيد فيكم دينا
بنى أُمية ما هذا الوقوف على❊❊❊هذى المصائب لم تصغوا لداعينا
تصفقون علينا كفّكم فرحاً❊❊❊وأنتم فى فجاج الأرض تسبونا
أليس جدى رسول الله الكريم❊❊❊هادى البرية من سبل المضلّينا
يا وقعة الطف قد أورثتنى حزناً❊❊❊والله يهتك أستار المسيئينا

وما أن وقعت أنظار الكوفة على هذا الركب، حتّى أقبلوا يناولون الأطفال وهم على محاملهم بعض التمر والخبز والطعام، فصاحت فيهم السيدة زينب وقالت: يا أهل الكوفة! إنّ الصدقة علينا حرام.

وصارت تأخذ من أيدى الأطفال وأفواههم ما أخذوه من القوم وتلقى به إلى الأرض، والناس حولهم يبكون على مصيبتهم التى حاقت بهم. فطلّت عليهم السيدة أم كلثوم برأسها من محملها وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة يقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم! فالحكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

وبينما هى تخاطبهم، إذ بضجّة قد ارتفعت، وإذا هم قد أتوا برأس الإمام الحسين، والرمح تلعب بها يميناً ويساراً، فالتفتت موجعة، وأومأت إليه بحرقة، وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمّ كمالاً❊❊❊غاله خسفه فأبدى غروبا

ما توهمت یا شقیق فؤادی***کان هذا مقدّراً مکتوبا

ثم أشارت رضی الله تعالی عنها إلی الناس، فسکتت أصواتهم، وطارت نفوسهم; خشیة من جلال الموقف ورهبته، وأخذت تخاطبهم قائلة:

الحمد لله، والصلاة والسلام علی أبی محمد وآله الطیّبین الأخیار.

أمّا بعد یا أهل الکوفة، یا أهل الختل[۱] والغدر، أتبکون، فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت

الرنّة، إنّما مثلکم کمثل التی نقضت غزلها من بعد قوة أنکاثاً تتّخذون أیمانکم دخلاً[۲] بینکم.

ألا وهل فیکم إلاّ الصلف[۳] والنطف[۴]، والکذب والشنف[۵]، وملک الإماء وغمز الأعداء، أو کرعی علی دمنة[۶]، أو کغضّة ملحودة، ألا بئس ما قدّمت لکم أنفسکم أن سخط الله علیکم، وفی العذاب أنتم خالدون.

أتبکون وتنتحبون؟ إی والله فابکوا کثیراً واضحکوا قلیلاً، فقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً، وأنّی ترحضون قتل سلیل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، مدرة[۷] حجتّکم ومنار محجّتکم، وملاذ خیرتکم، ومفزع نازلتکم، وسید شباب أهل الجنة، ألا ساء ماتزرون.

فتعساً ونکساً، وبُعداً لکم وسحقاً، فلقد خاب السعی، وتبّت الأیدی، وخسرت الصفقة، وضربت علیکم الذلّة والمسکنة.

ویلکم یا أهل الکوفة! أتدرون أیّ کبد لرسول الله فریتم، وأیّ کریمة له أبرزتم، وأیّ دم له سفکتم، وأیّ حرمة له انتهکتم؟ لقد جئتم شیئاً إدّاً، تکاد السماوات یتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً. ولقد أتیتم بها خرقاء

---

۱. الختل: الخدیعة.
۲. دخلاً: أی خیانةً ومکراً.
۳. الصلف: التکبّر والإصرار علیه.
۴. النطف: التلطّخ بالعیب.
۵. الشنف: البغض والإنکار.
۶. الدمنة: ما تدمنه الأنعام من الأبوال والأبعار.
۷. المدرة: الناطق عن القوم والمدافع عنهم وحامیهم.

شوهاء كطلاع[١] الأرض وملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماء، ولعذاب لا يحفزه[٢]البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربّک لبالمرصاد.

أدهش خطابها البليغ الذى تدفّق من لسانها كجلمود صخر حطّه السيل من عل، هؤلاء القوم وأثّر فيهم، وأيقظ أفئدتهم، وأظهر لهم شنيع جرمهم، فأخذوا وقد أدركوا فجيعة فاجعتهم وعظيم جنايتهم فى حقّ الإسلام والمسلمين، فلايدرون ما يصنعون، حتّى أنّ شيخاً كبيراً كان يستمع، فأبكاه كلامها حتّى اخضلّت لحيته بالدموع، وأخذ يقول:

ـ بأبى أنتم وأمى، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير النسل، لايخزى ولايبزو[٣].

ثم تكلّمت فاطمة الصغرى فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

اللّهم إنّى أعوذ بک أن أفترى عليک الكذب، أو أن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّه على بن أبى طالب، المقتول كما قُتل ولده بالأمس، فى بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لمروءتهم، ما رفعت عنه ضيماً فى حياته وبعد وفاته، حتّى قُبض إليک محمود النقيبة، طيّب العريكة[٤]، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيک لومة لائم، زاهداً فى الدنيا، مجاهداً فى سبيلک، فهديته إلى صراطک المستقيم.

أمّا بعد، يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه[٥]، أكرمنا بكرامته، وفضّلنا بمحمد نبيّه (صلى الله عليه وآله) على كثير ممّن خلق تفضيلاً، فكذّبتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنّا أولاد ترک

١. طلاع الأرض والشىء: ملؤه.
٢. يحفزه: يحثّه ويعجّل به.
٣. أى لا يُغلب ولا يُقهر.
٤. العريكة: الخُلُق.
٥. أى: خزّان علمه.

أو كابل، فلا تدعوكم أنفسكم إلى الجدل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فكأنّ العذاب قد حلّ بكم وأتت نقمات، ألا لعنة الله على الظالمين.

تبّاً لكم يا أهل الكوفة! أىّ تراث لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قبلكم، ودخول له لديكم، بما عنتّم بأخيه على بن أبى طالب، افتخرتم بقتل قوم زكّاهم الله فى كتابه، وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس، وذلک فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

ثم تكلّمت أم كلثوم بنت الإمام على كرّم الله وجهه وشقيقة العقيلة[1] الطاهرة السيدة زينب رضى الله تعالى عنهما، وقد غلب عليها البكاء، فقالت: يا أهل الكوفة سوءة، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه! ويلكم، أتدرون أىّ دواه دهتكم، وأىّ وزر على ظهوركم حملتم، وأىّ كريمة أصبتموها، وأىّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبى (صلى الله عليه وآله)، ألا إنّ حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخى والله صبراً للؤمكم***ستجزون ناراً حرّها يتوقّد
سفكتم دماءً حرّم الله سفكها***وحرّمها القرآن ثم محمد
ألا فأبشروا بالنار أنّكم غداً***لفى سقر حقاً يقيناً تخلدوا
وإنّى لأبكى فى حياتى على أخى***على خير من بعد النبى سيولد
بدمع غزير مستهلٍّ مكفّف***على الخدّ منّى دائباً ليس يجمد

فضجّ الناس بالبكاء والعويل.

ثم قام زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، وأومأ للناس أن اسكتوا، وقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس، من عرفنى فكفى، ومن لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات بغير ذحل[2] ولا تراث، أنا ابن من انتهک حريمه، وانتهب ماله، وسُبى عياله، وقُتل صبراً، وكفى بذلک فخراً،

۱. العقيلة من النساء: المرأة الكريمة على قومها، العزيزة فى بيتها.
۲. الذحل: الثأر.

فأنشدكم الله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبى، وأعطيتموه العهد والميثاق فخذلتموه، فتبّاً لما قدّمتم، وسوأةً لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ يقول: قتلتم عترتى، وانتهكتم حرمتى، فلستم من أمتى!

فارتفعت الأصوات من كلّ ناحية، وقال بعض الناس لبعضهم: هلكتم وما تعلمون، فقال رضى الله تعالى عنه:

رحم الله امرءاً قبل نصيحتى ووصيتى فى الله وفى رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا فى رسول الله أسوةً حسنة.

فقالوا جميعاً: سامعون مطيعون، حافظون لذمامک، غير زاهدين فيک ولا راغبين عنک، فمرنا بأمرک يرحمک الله، فإنّا حرب لحربک وسلم لسلمک، لنأخذن يزيد ونبرأ ممّن ظلمک وظلمنا، فقال رضى الله تعالى عنه:

هيهات هيهات! أيّها الغَدَرة المَكَرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلىَّ كما أتيتم إلى أبى بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينس ثكل رسول الله (صلى الله عليه وآله)وثكل أبى وبنى أبى، ووجده[1] بين لهاتى[2]،ومرارته بين حناجرى، وغصصه فى فراش صدرى؟ ومسألتى أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

غمز وإن قتل الحسين فشيخه***قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذى***أصاب حسيناً كان ذلک أعظما
قتيل بنهر الشط روحى فداؤه***جزاء الذى أرداه نار جهنّما

ثم قال: رضينا منكم رأساً برأس، فلا يوم لنا ولا علينا.

* * *

ولمّا أُدخل أهل البيت النبوى الكريم ومن معهم إلى حيث اللعين عبيدالله بن زياد والى الكوفة من قبل يزيد بن معاوية، والذى كان حرباً على أهل البيت، وكرهه الشديد للإمام الحسين (رضى الله عنه)، لمّا أُدخلوا إلى هذا المكان

---

۱. الوجد: الحزن.

۲. اللهاة: قطعة اللحم المدلاة فى أقصى الفم. ويريد بهذا المبالغة، أى أنّه بلغ به الحزن فى صدره وقلبه حتّى وصل إلى أطراف فمه وحلقه.

تذكّرت السيدة العقيلة زينب رضى الله عنها تلك القاعة التى يجلس فيها قاتل أخيها وأهلها وأنصارهم، بعد أن كان يجلس فيها ـ من قبل ـ أبوها أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه.

دخلتها السيدة العقيلة زينب هذه المرّة وقلبها متصدّع من الحزن والأسى من أثر ما مرّ بها من أحداث جسام شهدتها بعينى رأسها، ولمستها بيديها عن كثب، ولكنّها لاذت بكلّ كبريائها وعزّة نفسها وكرامة محتدها، واعتزّت بعلوّ حسبها ونسبها الشريفين، والتفّت بجلال البنوّة، وجلست بعد أن كانت قد لبست أبلى ثيابها وأرذلها متنكّرة فيها، منتحية ناحيةً من القاعة، تحفّ بها إماؤها.

ثم أمر اللعين ابن زياد، فجيء له برؤوس الضحايا والشهداء، ومن بينها الرأس الشريف لمولانا أبى عبدالله الحسين رضى الله تعالى عنه، فجعل اللعين ابن زياد ينكت بقضيب كان فى يده بين ثنيتى الرأس الشريف، غير عابئ بشعور الحاضرين، ولا مراع لإحساس أهل البيت النبوى، وهم يرون ما يصنع هذا المجرم الآثم.

ولذلك انبرى له زيد بن الأرقم[١] وصاح فيه قائلاً: أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذى لا إله غيره، لقد رأيت شفتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هاتين الثنيتين يقبّلهما، ثم بكى.

فقال له اللعين ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، لضربت عنقك.

فخرج ابن الأرقم وهو يقول:

أنتم يا معشر العرب! العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ[٢].

---

١. أبو عمرو زيد بن ارقم بن زيد بن قيس الخزرجى الأنصارى، من مشاهير الصحابة. كان نزيلاً فى الكوفة فشهد هذه الواقعة المؤلمة. وكان زيد ممّن شهدوا غزوة مؤتة وغيرها، وصفين إلى جانب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام). توفى بالكوفة عام ٦٦ هـ وقيل: ٦٨ هـ .(طبقات ابن سعد ٦: ١٨، تهذيب الكمال ١٠: ٩ ـ ١٢).

٢. الأخبار الطوال: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، الإرشاد للمفيد ٢: ١١٤ ـ ١١٥، تاريخ أبى الفداء ١: ٢٦٦. وفى البداية والنهاية ٨: ١٩٧ أنّ الذى أجاب ابن زياد انّما هو أبو برزة الأسلمى.

نظر اللعين ابن زياد إلى الحاضرين أمامه، وتفحّص كلاًّ منهم بنظرة،ثم تساءل عن هذه المنحازة وحدها ومعها نساؤها وهى شامخة الرأس عالية، فلم تجبه العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، فأعاد تساؤله ثلاثاً دون أن تردّ عليه.

فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبنت الإمام على كرّم الله وجهه[١].

فقال متشفّياً فيها: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم، وأكذب أُحدوثتكم!

فقالت: الحمد لله الذى أكرمنا بنبيّه، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاجر، ويكذَّب الفاسق، وهو غيرنا.

فلم يصبر اللعين ابن زياد على قولها، بل ردّ عليها قائلاً: كيف رأيت صنع الله فى أهل بيتك وأخيك؟!

وهنا تتجلّى كلّ معانى الإيمان والصبر والشجاعة، فتردّ عليه بقولها: ما رأيت إلاّ خيراً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتُخاصَم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أُمك يا بن مرجانة. فأثار هذا الردّ الحازم الحاسم حفيظة اللعين ابن زياد، واستشاط غيظاً وغضباً، فقال له عمرو بن حُريث: أصلح الله الأمير، إنّما هى امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها، إنّها لاتُؤاخذ بقول، ولاتُلام على خطل.

ولكنّ اللعين ابن زياد ظلّ غاضباً محنقاً، فردّ على السيدة الطاهرة بقوله: لقد شفى الله قلبى.

فقالت: قتلت كهلى، وقطعت فرعى، واجتثثت أصلى.

فردّ عليها اللعين ابن زياد قائلاً: هذه سجّاعة، ولعمرى لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً!

فقالت: يا بن زياد، ما للمرأة والسجاعة، وإنّ لى عن السجاعة لشغلاً، وإنّى لأعجب ممّن يشتفى بقتل أئمته، ويعلم أنّهم منتقمون منه فى آخرته[١].

١. فى المصادر التاريخية هكذا: «هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله» وسنأتى على ذكر هذه المصادر.

وفى هذا الموقف الشجاع الجدير بالتسجيل، يقول الشيخ الجليل ابن نما الحلّى:

يا أيّها المتشفّى فى قتل أئمته***قلبى من الوجد على مثل الحجر
لا بلغتک الليالى ما تؤمّله***منها وبل سداک المالح المقر
قوم هم الدين والدنيا فمن***قلاهم فمأواهم إذن سقر
لهم نبى الهدى جدٌّ، وجدُّهم***يوم المعاد بنصر الله ينتصر[٢]

أثار هذا النقاش الصريح بين العقيلة الطاهرة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها وبين اللعين ابن زياد، غيرة زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما وعلى عمّته العقيلة، فانبرى صائحاً بابن زياد: إلى كم تهتک عمتى بين من يعرفها ومن لا يعرفها؟

فالتفت إليه ابن زياد وقال: من أنت؟

فردّ عليه فى حزم وثبات: أنا على بن الحسين.

قال ابن زياد، أليس الله قتل على بن الحسين؟

قال على: كان لى أخ يسمّى علياً قتله الناس بأسيافهم.

فردّ اللعين عليه: بل قتله الله.

وهنا تتجلّى مرّة أخرى قوة إيمان أهل البيت وشجاعتهم، عندما ردّ زين العابدين بقوله: (**اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا...**)[٣].

---

١. الإرشاد ٢: ١١٥ ـ ١١٦، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، اعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢، البداية والنهاية ٨: ١٩٣.

وفى هذه الواقعة كتب الاستاذ بولس سلامة معتبراً:

ورأى زينباً عليها من الأسـ***ـمال والبوس ما يسرّ الأعادى
فأراد امتهانها بشمات***بعض إيلامه سنان الصعاد
فأجابت بحكمة وإباء***هاج فيه شرارة الإيقاد
يفضح الجوهر القديم هجيناً***محدَث الجاه زائف الأجداد
ذاک أنّ العريق يبقى عريقاً***لا يضيرالهزال أصل الجواد
لا يكون الطود العتىّ خصيباً***إنّما الخصب فى وديع الوهاد

(عيد الغدير: ٣٢٤ ـ ٣٢٥)

٢. ديوان ابن نما الحلّى: ٣٧.

٣. الزمر: ٤٢.

فيسأله ابن زياد عليه اللعنة فى دهشة وغضب: أوَبک جرأة على جوابى، وفيک بقيّة للردّ؟

وصاح بغلمانه أن ينظروا هل أدرک[١]، إنّى لأحسبه رجلاً.

فكشف عنه مرى بن معاذ الأحمرى، وقال: نعم، قد أدرک.

قال: اقتله.

فقال على: من توكل بهذه النسوة؟

فتعلّقت العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها بزين العابدين على وقالت: يا بن زياد! حسبک من دمائنا ما ارتويت وسفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟ والله لا أُفارقه، فإن قتلته فاقتلنى معه.

وعندئذ قال على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما: اسكتى يا عمّة حتّى أُكلّمه. والتفت إلى اللعين ابن زياد وقال: أبالقتل تهدّدنى؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة؟

فنظر ابن زياد إليه وإلى العقيلة الطاهرة عمّته ساعة، ثم قال: عجباً للرحم، والله إنّى لأظنّها ودّت لو أنّى قتلته أنّى قتلتها معه، دعوه مع نسائه فإنّى أراه لما به مشغولاً[٢].

ثم نادى اللعين ابن زياد بالصلاة الجامعة، ونصر أمير المؤمنين! وأيّد حزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن على وشيعته!![٣]

١. أى: بلغ سنّ الحلم. وكأنّه يريد أن يتثبّت من إحدى أحكام الله وهو يريد أن يقتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)!!

٢. طبقات ابن سعد ٥: ٢١٢، اعلام الورى ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، الكامل فى التاريخ ٤: ٨٢.

٣. يقول ابن الأثير فى كتابه «الكامل فى التاريخ»: هذا النصر فى نظرى ونظر كل عاقل صحيح العقل شرٌ من الخذلان، إذ ما فخر الآلاف الكثيرة تجتمع على اثنين وسبعين رجلاً قد نزلوا على غير ماء، إنّما يعتبر النصر شرفاً وفخراً إذا كانت العدّة متكافئة والعدد قريباً.
فحقّ ابن زياد ومن كان على شاكلته أن يندبوا على أنفسهم بالخيبة والخسران، وأن يطأطئوا رؤوسهم ذلاً وعاراً حينما وقف هؤلاء النسوة الأشراف وعلى رأسهم السيدة زينب بنت فاطمة بنت رسول الله وهى بهذه الحالة. لعن الله الفسق والفسّاق، لقد سوّأوا صحائف التاريخ، وسجّلوا على أنفسهم الجرائم الكبرى التى لاتغتفر ولاتنسى مدى الدهر، فإنّا لله وأنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم.

وقبل أن يستأنف كلامه، وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدى، وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع الإمام على بن أبى طالب كرّم الله وجهه، وذهبت الأخرى بصفّين معه أيضاً، وكان لا يفارق المسجد يصلّى فيه الليل ثم ينصرف. فلمّا سمع مقالة اللعين ابن زياد، قال: يا بن مرجانة! إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذى ولاّك وأبوه، يا بن مرجانة! أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين؟!

فقال ابن زياد: علىَّ به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: «يا مبرور!» فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه من أيدى الجلاوزة، وأتوا به أهله ومنزله.

فقال ابن زياد: إلىَّ أعمى الأزد، أعمى الله قلبه، فأتونى به.

فلمّا بلغ الأزد ذلک، اجتمعوا وقبائل اليمن معهم، فبلغ ذلک ابن زياد، فجمع قبائل مصر وضمّهم إلى ابن الأشعث وأمر بالقتال، فاقتتلوا حتّى وصل أصحاب ابن زياد عليه اللعنة إلى دار عبدالله بن عفيف الأزدى، فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: أتاک القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليک، ناولينى سيفى، فناولته، فجعل يذبّ عن نفسه ويقول:

كم دارع من جمعكم وحاسر

فقالت ابنته: يا ليتنى كنت رجلاً أخاصم بين يديک هؤلاء الفَجَرة، قاتلى العترة البرَرَة. والقوم محدقون به، كلّما جاءوه من جهة أشعرته ابنته، وهو يذبّ عن نفسه ويقول:

أقسم لو فرج لى عن بصرى❊❊❊ضاق عليكم موردى ومصدرى

فتكاثروا عليه فأخذوه، فقالت ابنته: واذلاّه! يُحاط بأبى وليس له ناصر.

وأدخلوه على اللعين ابن زياد، فقال: الحمد لله الذى أخزاک.

فقال: يا عدوّ الله، فماذا أخزانى؟ والله لو فرج لى عن بصرى، ضاق عليكم موردى ومصدرى.

فقال: يا عدوّ الله، ما تقول فى عثمان؟

فقال: يا عبد بنى علاج، يا بن مرجانة، ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، فقد لقى ربّه وهو وليّ خلقه يقضى بينهم بالعدل، ولكن سلنى عن أبيک وعن يزيد وأبيه.

فقال: والله لا أسألنّک عن شيء حتّى تذوق الموت عطشاً.

فقال: الشهادة، وسألته أن يجعلها على يدى ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلمّا كفّ بصرى يئست من الشهادة، والآن، فالحمد لله الذى رزقنيها بعد اليأس منها.

فأمر ابن زياد، فضُرب عنقه وصُلب فى السبخة[١].

ثم عاد بجندب بن عبدالله الأزدى وكان شيخاً، فقال: يا عدوّ الله! ألست بصاحب أبى تراب[٢]؟

فقال: بلى، لا أعتذر منه.

قال: ما أرانى إلاّ متقرّباً الى الله بدمک.

قال: إذن، لايقربک الله منه، بل يباعدک.

قال: شيخ قد ذهب عقله. وخلّى سبيله.

* * *

ثم أمر ابن زياد عليه اللعنة برأس الحسين فطافوا به فى الكوفة، وكان هذا الرأس الشريف أول رأس حمل فى الإسلام على خشبة[٣].

ويقول ابن الأثير فى ذلک: «وإنى لأعد من سيّئات بنى أمية ـ ومنهم معاوية ـ أن يرخّصوا لولاتهم فى المعاقبة بالقتل، وكان سبيلهم أن يكون العقاب على يد الخليفة لا الوالى، فإنّ الترخيص بذلک جرّأ أمثال زياد و سمرة بن جندب و عبيدالله على الإكثار من القتل، لموجب و لغير موجب».

رحلة إلى الشام

١. انظر الإرشاد ٢: ١١٧، الكامل فى التاريخ ٤: ٨٣.
٢. يقصد على بن أبى طالب كرّم الله وجهه.
٣. انظر الكامل فى التاريخ ٤: ٨٣.

أمر اللعين عبيدالله بن زياد، فأرسل رأس مولانا الإمام الحسين (رضى الله عنه) ورؤوس أصحابه، مع زحر بن قيس[١] ومعه جماعة إلى الشام حيث يزيد بن معاوية فى مقرّ حكمه، كما أرسل النساء والصبيان من أهل البيت النبوى الكريم محمولين على أقتاب الجمال، وفيهم زين العابدين على بن الحسين، مغلول اليدين والرقبة.

فلمّا قربوا من دمشق دنت السيدة أم كلثوم رضى الله عنها من شمر بن ذى الجوشن وكان ضمن جماعة ابن زياد، وقالت له: لى حاجة!

قال: ما هى؟

قالت: إذا دخلت البلد «دمشق»، فاحملنا فى درب قليل النظارة، وتقدّم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها، فقد خُزينا من كثرة النظر إلينا ونحن فى هذه الحال.

ولكنّ اللعين شمر، أمر بعكس ما سألته السيدة أم كلثوم، بغياً وعدواً وعتوّاً على أهل البيت النبوى الكريم، وسلك بهم على تلك الصورة الدروب الواسعة، حتّى وصلوا باب دمشق حيث يكون السبى!

ويقول ابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ: ولمّا بلغوا دمشق دخل زحر بن قيس على يزيد بن معاوية، فسأله قائلاً: ما وراءک؟

فردّ عليه قائلاً: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره! ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر من أهل بيته، وستّين من شيعته[٢]، فسرنا اليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيدالله أو القتال، فاختاروا القتال، فعدونا عليهم من شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتّى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون[٣] الى غير وزر! فوالله ما كان إلاّ جزر جَزُور، أو نومة

١. وقيل: مع شمر، ومعه ابن مرّة العايذى، من عايذة قريش. انظر فى ذلک تاريخ ابن الأثير ۴: ٨٣.
وقيل: غير ذلک، مثل محفز بن ثعلبة، زفر بن قيس، أبو بردة وطارق وجماعة. راجع تاريخ أبى مخنف ١: ۴٩٧، الأخبار الطوال: ٢۶٠، البداية والنهاية ٨: ١٩١، المنتظم ۵: ٣۴١.

٢. صحّة العدد كلّه: اثنان وسبعون رجلاً من أهل البيت وشيعتهم.

٣. هذا هو الفخر المزيَّف والكذب الصريح، فإنّ كلّ المؤرّخين يذكرون لمن كان مع الحسين وآله ثباتاً لا يضارعه ثبات، وإباءً وشمماً ندر أن يريا لمكسور قلّ ناصروه ومؤيّدوه، وكثر خاذلوه وواتروه (منه).

قائل، حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيک أجسادهم مجرَّدة، وثيابهم مرمَّلة، وخدودهم معفَّرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوّاره العقبان والرخم بِقيٍّ سبسب[١].

فدمعت عينا يزيد! وقال: كنت أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية! أما والله لو أنّى صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين![٢].

ويروى أنّه لما ورد وفد أهل الكوفة بالرأس الشريف إلى الشام ودخلوا مسجد دمشق، أتاهم مروان بن الحكم فقال: حجبتم عن محمد (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً. ثم انصرف عنهم[٣].

فلمّا دخلوا على يزيد، قال يحيى بن الحكم[٤]:

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة❊❊❊من ابن زياد العبد ذى الحَسب الوَغل

سُميّة أمسى نسلها عدد الحصى❊❊❊وليس الآل المصطفى اليومَ من نَسل[٥]

وقيل: إنّه لمّا سمعت هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز ـ وكانت تحت يزيد ـ ما دار من حديث زحر بن قيس وجماعته، ورأت بعينيها الرأس الشريف بين يديه، تقنّعت بثوبها وخرجت، وقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين بن على ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال: نعم، فأعولى عليه، وحدى على بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصريحة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله!

---

١. القىّ: قفر الأرض، الخلاء. وفى نسخة: ومعى سبيهم. والسبسب: المفازة، الأرض البعيدة المستوية، لاَ ماء فيها ولا أنيس (لسان العرب: مادة سبسب).

٢. الكامل فى التاريخ ۴: ٨٣ ـ ٨۴. ويروى ابن الأثير فيه: ٨٧ أنّه قيل: لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده، ووصله وسرّه ما فعله، ثم لم يلبث إلاّ قليلاً حتّى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول:... لعن الله ابنِ مرجانة فإنّه اضطرّه... فبغّضنى بقتله إلى المسلمين، وزرع فى قلوبهم العداوة، فأبغضنى البرّ والفاجر بما استعظموه من قتلى الحسين، مالى ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه!!

٣. وإن كان من المستبعد على مروان أن يقول هذا، لأنّه رأس كلّ المصائب، إلاّ أنّها ربّما تكون صحوة ضمير بعد فوات الأوان (منه). ويذكر ابن الأثير: انّ الذى قال ذلک هو أخوه يحيى بن الحكم، وليس مروان.

۴. فى الكامل: ٨٩، «يحيى بن أكثم». أمّا فى الإرشاد ٢: ١١٩، وإعلام الورى ١: ۴٧۴، وكفاية الطالب: ۴٣٢ فكما هو مثبت فى المتن.

۵. وفى رواية: وبنت رسول الله ليست بذى نسل.

ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه، ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره! ثم قال: إنّ هذا وإيّانا، كما قال الحُصين بن الحُمام:

أبى قومنا أن ينصفونا نصفت***قواضبُ[1] فى أيماننا تقطر الدما

يفلّقن هاماً[2] من رجال أعزَّة[3]***علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

فقال له أبو برزة الأسلمى: ويحک، أتنكت بقضيبک فى ثغر الحسين ابن فاطمة؟! أشهد لقد رأيتُ النبى (صلى الله عليه وآله) يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: «أنتما سيّدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما، ولعنه الله، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيرا». أما إنّک يا يزيد تجىء يوم القيامة وابن زياد شفيعک، ويجىء هذا ومحمد شفيعه، ثم قام أبو برزة فولّى.

فقال يزيد: والله يا حسين، لو كنت أنا صاحبک ما قتلتک! ثم قال: أتدرون من أين أُتى هذا؟ لقد قال: أبى على خيرٌ من أبيه، وفاطمة أُمى خيرٌ من أُمّه، وجدّى رسول الله خير من جدّه، وأنا خيرٌ منه وأحقّ بهذا الأمر منه، فأمّا قوله: «أُمى خير من أُمّه» فلعمرى فاطمة بنت رسول الله خير من أُمى، وأمّا قوله: «جدّى رسول الله خير من جدّه» فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً، ولكنّه أُتى من قبل فقهه، ولم يقرأ: (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْکَ ممَّن تَشَاءُ**)!![4].

ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس الشريف بين يديه، فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الشهيد الإمام الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول بدوره ليستره عنهما، فلمّا رأتا الرأس صاحتا، فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة بنت الحسين: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال: يا ابنة أخى، أنا لهذا كنت أكره!

---

١. أى السيوف.
٢. الهام: الرؤوس.
٣. فى رواية: «أحبّة» بدل «أعزّة».
٤. انظر تاريخ الطبرى ۴: ۶۵۷ ـ ۶۵۸، المنتظم ۵: ۳۴۳، الكامل فى التاريخ ۴: ۸۵. والآية: ۲۶ من آل عمران.

فقالت: ما تُرک لنا خُرص[١].

فقال: ما أتى إليكنَّ أعظم ممّا أُخذ منكنّ[٢].

وقد تجرّأ من أهل الشام من كان حاضراً فى هذا الحبس، فقام وقال: هب لى هذه الجارية[٣] يا أمير المؤمنين تكون خادمة عندى!

فارتعدت فرائص فاطمة[٤]، وأخذت بثياب عمّتها العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، وقالت: يا عمّتاه، أَوَ تمّت وأُستخدم!!

فقالت العقيلة السيدة زينب للشامى: كذبت ولؤمت، ما جعل الله ذلک لک ولا لأميرک.

فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إنّ ذلک لى، ولو شئت أن أفعل لفعلت.

فقالت: كلاّ والله، ما جعل الله ذلک لک إلاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا.

فاستطار يزيد غضباً وقال: إياى تستقبلين بهذا الكلام!! إنّما خرج من الدين أبوک وأخوک.

فقالت السيدة العقيلة: بدين أبى وأخى اهتديت أنت وأبوک وجدّک إن كنت مسلماً.

قال: كذبت يا عدوّة الله!

قالت: يا يزيد، أنت أمير! تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک.

فاستحى يزيد وسكت، فأعاد الشامى سؤاله قائلاً: هب لى هذه الجارية.

فقال له يزيد: اسكت، وهب الله لک حتفاً قاضياً[٥].

---

١. أى: اعتبار فى الرأى.
٢. الكامل فى التاريخ ۴: ٨٥ ـ ٨۶.
٣. يعنى بها فاطمة بنت الحسين.
۴. فاطمة بنت الحسين بن علي الهاشمية; أم عبدالله. وأمّها: أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيمية. لقِّبت بفاطمة الصغرى تمييزا لها عن فاطمة الكبرى بنت على بن أبى طالب (عليه السلام). تزوّجها الحسن المثنّى بن الإمام الحسن (عليه السلام)، وولدت له عبدالله المحض وإبراهيم والحسن المثلّث وزينب، وهى صاحبة الخطبة الشهيرة التى ألقتها على مسامع أهل الكوفة بعد مقتل أبيها (عليه السلام) توفّيت على الأشهر: سنة ١١٧ هـ ، وقيل: ١١٠ هـ عن أكثر من سبعين عاماً (مرآة الجنان ١: ١٨۴، اعلام النساء: ٣۶٠ وما بعده).
۵. تاريخ أبى مخنف ١: ۵٠٠، الإرشاد٢: ١٢١، تاريخ ابن الأثير ۴: ٨۶، البداية والنهاية ٨: ١٩۴.

ولم يرتدع يزيد بن معاوية عن غيّه فى مجلسه هذا، بل ظلّ ينكت بقضيبه الذى فى يده ثنايا الإمام أبى عبدالله الحسين، ويقول:

ليت أشياخى ببدر شهدوا***جزع الخزرج من وقع الأسل[١]

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً***ثم قالوا يا يزيد لاتشل

قد قتلنا القوم من سادتهم***وعدلنا ببدر فاعتدل

وما أن سمعت العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها ذلک القول حتّى انتصبت قائمة تردّ على يزيد قائلة فى خطبة تعدّ من أبلغ الخطب وأفصحها، عليها أنوار الحقّ، خطبة علوية فاطمية، فتقول رضى الله تعالى عنها:

خطبة علوية زينبية

«الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: (**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**) [الروم: ١٠]، أَظننت يا يزيد حين أُخذ علينا بأقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا هواناً على الله، وبک عليه كرامة وأنّ ذلک لعظيم خطرک عنده، فشمخت بأنفک، ونظرت فى عطفک، تضرب أصدريک[٢] فرحاً، وتنفض مذوريک[٣] مرحاً، جزلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لک مستوثقة والأمور متّسقة، وحين صفا لک ملكنا وسلطاننا؟! فمهلاً! أنسيت قول الله تعالى: (**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**)؟

أمن العدل يابن الطلقاء[٤]، تخديرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله)سبايا قد هُتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدوا بهنّ الأباعر من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ

١. الأسل: السيف.
٢. أصدريک: منكبيک.
٣. المذوران: جانبا الأليتين، ولا واحد لها. وهى كناية عن البغى المفرط، والفرح الشديد بذلک.
٤. الطلقاء: هم أبو سفيان ومعاوية وبقية الأمويين الذين أطلقهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الفتح، وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وبهذا صاروا موالى له هم وذرّيتهم الى يوم القيامة.

القريب والبعيد، والدنيّ والشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولی، ولا من حماتهنّ حمی؟

وكيف يرتجی مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟!

وكيف يستبطأ فی بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثّم ولا مستعظم:

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً***ثم قالوا يا يزيد لاتشل

منحنياً على ثنايا أبی عبدالله، سيّد أهل الجنة، تنكتها بمخصرتک؟!

وكيف لاتقول ذلک وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتک دماء ذرّية محمد (صلى الله عليه وآله)، ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب، وتهتف بأشياخک زعمت أنّک تناديهم؟

فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّک شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت.

اللّهم خذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، وأحلل غضبک بمن سفک دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله يا يزيد، ما فريت إلاّ جلدک، ولا حززت إلاّ لحمک، ولتردنّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما تحمّلت من دماء ذرّيته، وانتهكت من حرمته فی عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم (**وَلاَتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) [آل عمران: ١٦٩].

وحسبک بالله حاكماً، وبمحمد (صلى الله عليه وآله) خصيماً، وبجبريل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لک وأمكنک من رقاب المسلمين ـ بئس للظالمين بدلاً ـ أيّنا شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرت على الدواهی مخاطبتک، إنّی لأستصغر قدرک، وأستعظم تقريعک، وأستنكر توبيخک، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، وما يجزى

ذلک أو يغنى، وقد قُتل أخى الحسين، ألا إنّ حزب الشيطان يقرب إلى حزب السفهاء، ليعطوهم أموال الله عوناً على انتهاک محارم الله.

ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدى تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلک الجثث الطواهر الذواكى تنتابها العواسل[١] وتعفرها أُمّهات الفراعل[٢].

ولئن اتّخذتنا مغنماً، لتجدنّ وشيكاً مغرماً، حين لاتجد إلاّ ما قدّمت يداک، وما ربّک بظلاّم للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوَّل.

فكد كيدک، واسع سعيک، وناصب جهدک، فوالله لاتمحو ذكرنا، ولاتميت وحينا، ولاتدرک أمدنا، ولاترحض عنک عارها، وهل رأيت إلاّ فنداً[٣]، وأيامک إلاّ عدداً، وجمعک إلاّ بدداً، يوم ينادى المنادى: ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله ربّ العالمين الذى ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، نسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

لم يستطع يزيد بن معاوية، مع ما هو عليه من سلطان ومُلک وهيبة يخشاها أكثر الناس أن يقاطع العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، أو أن يمنعها من الاستمرار فى الكلام ـ رغم أنّه من لاذع القول وشديد التقريع ـ مع علم السيدة زينب أنّها فى ذلّة الأسر، وأنّها كانت دامية القلب، باكية الطرف، ممّا مرّ بها من أحداث جسام.

إنّه لموقف عظيم لايحتاج إلى برهان للتدليل على شجاعتها رضى الله تعالى عنها، وعلى قوّة حجّتها، إذ مثلّت فى موقفها هذا الحقّ تمثيلاً صحيحاً، وأضاءت إلى طلاّب المعرفة والحقيقة سبيلاً واضحاً.

---

١. العواسل: الذئاب.
٢. الفراعل: الضباع.
٣. أى: كذباً.

إلاّ أنّ يزيد بن معاوية أراد أن يخرج من هذا المأزق الذى وقع فيه، والحرج الشديد الذى أصابه من افتضاح حقيقة أمره، فلم يستطع أن ينطق بغير هذه الكلمة:

يا صيحة تُحمد من صوائح***ما أهون النوح على النواح

ثم أمر، فأخرج النساء وأُدخلن دور يزيد، فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلاّ أتتهنّ، وأقمن مأتماً على الضحايا الشهداء.

وقد سألن يزيد عمّا أُخذ منهنّ، فأضعفه لهنّ حتّى قالت السيدة سكينة ابنة الإمام الحسين رضى الله تعالى عنهما: ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية![1].

أمّا زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، فكان قد أُدخل على يزيد وهو مغلول الأيدى، فقال ليزيد: «لو رآنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغلولين لفكّ عنّا».

قال: صدقت، وأمر بفكّ غلّه.

فقال على: ولو رآنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بُعَداء لأحبّ أن يقرّبنا.

فأمر يزيد فقرب منه، وقال: إيه على بن الحسين، أبوك الذى قطع رحمى، وجهل حقّى، ونازعنى سلطانى، فصنع الله به ما رأيت.

فقال على: (**مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَة فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسكُمْ إِلاَّ فِى كِتَاب مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَتَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَيُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور**) [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فقال يزيد: (**وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**) [الشورى: ٣٠].

فقال على: «هذا فى حقّ من ظلم، لا من ظُلم»[2].

---

١. الكامل فى التاريخ ۴: ٨۶. ربّما يبدو من هذه الرواية عطف يزيد ورقّته على أهل البيت (عليهم السلام) لدرجة أن قالت سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ـ لو صحّ الخبر ـ هذا الكلام. غير أن ابن قتيبة يروى الرواية هكذا: «ان يزيد غضب ـ من جواب الإمام على بن الحسين (عليهما السلام) ـ وجعل يعبث بلحيته، وقال، (**وَمَا أَصَابَكُم من مُصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**)يا أهل الشام: ما ترون في هؤلاء؟... فقال النعمان بن بشير: يا أمير... اصنع بهم ما كان يصنَع بهم رسول (صلى الله عليه وآله) لو رآهم بهذه الحال...». الإمام والسياسة ٢: ١٢ ـ ١٣.

٢. الكامل فى التاريخ ۴: ٨۶ ـ ٨٧، الإمامة والسياسة ٢: ١٢ ـ ١٣.

ثم سكت عنه، وأمر بإنزاله وأهل بيته ـ بعد أن خرجن من عند نساء يزيد ـ فى دار خاصّة، وكان يدعوه للطعام معه سواء فى الغداء أو العشاء. فدعاه مرّةً ومعه ابن الحسن [عمرو] وهو صبى، فقال له يزيد بن معاوية وهو يشير إلى ابنه خالد: أتقاتل هذا؟

فقال عمرو: أعطنى سكّيناً وأعطه سكّيناً حتّى أقاتله!

فقبّله يزيد وضمّه إليه وقال: شنشنة أعرفها من أخزم، وهل تلد الحيّة إلاّ حيّة؟![1] و[2]

ويروى أبو الديلم: أنّه لمّا جىء بعلى بن الحسين إلى دمشق فيمن جاء معهم، فأُقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم، وقطع قرنى الفتنة.

فقال على: «أقرأت القرآن؟».

قال: نعم.

قال: «أقرأت آل حم؟».

قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ آل حم.

قال: «أما قرأت (**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى**) [الشورى: ٢٣]؟»

قال: وإنّكم لأنتم هم؟

قال: «نعم»[3].

* * *

ولقد اطمأنّ يزيد بن معاوية على ملكه بعد ما حدث للإمام الحسين (رضى الله عنه)، واستتبّ له الأمر، فرضى عن اللعين عبيدالله بن زياد، وزاده ووصله،

١. الكامل فى التاريخ ۴: ٨٧، الأخبار الطوال للدينورى: ٢٦١ وفيه: «أعطنى سيفاً، واعطه سيفاً حتّى أقاتله، فتنظر أيّنا أصبر». والشنشنة: الطبيعة والسجيّة. وأخزم: اسم ولد كان عاقّاً لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا جدّهم أيضاً وزادوا عليه أن ضربوه وأدموه، فقال: إنّما هو شنشنة أعرفها من أخزم، فصار مثلاً.

٢. ولو أنصفه اللعين يزيد لقال: إنّ ذلک الشبل من ذاک الأسد.

٣. كتاب الفتوح لابن أعثم ۵: ٢۴٢ ـ ٢۴٣، مقتل الحسين للخوارزمى ٢: ۶١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: ۴۴٩ نقلاً عن تفسير ابن كثير والآلوسى.

وسرّه منه ما فعل. إلاّ أنّ هذا لم يدم طويلاً، إذ كبر على الناس ما جرى للشهيد العظيم الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره، فكرهوا يزيد وحكمه، وأبغضوه ولعنه وسبّوه.

ولمّا بلغه ما وصل إليه حال الناس ندم على قتل الإمام الحسين وصحبه رضى الله تعالى عنهم جميعاً، فصار يقول:

ـ وما علىّ لو احتملت الأذى، وأنزلت الحسين معى فى دارى، وحكمته فيما يريد وإن كان فى ذلک وهن فى سلطانى; حفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورعايةً لحقّه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة فإنّه اضطرّه، وقد سأله أن يضع يده فى يده أو يلحق بثغر حتّى يتوفّاه الله، فلم يجبه إلى ذلک فقتله، فبغّضنى بقتله إلى المسلمين، وزرع فى قلوبهم العداوة، فأبغضنى البرّ والفاجر بما استعظموه من قتل الحسين، مالى ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه.

بيان الحقيقة واجب

كأنّى بالقارئ الكريم وهو يطالع فصول هذه المأساة الأليمة التى روّعت الأمة الإسلامية، وصدعت قلوب أبنائها فى القرن الأول الهجرى، كأنّى بالقارئ الكريم وقد ارتسم على وجهه من علامات الاستفهام ما ينمّ عن حزن عميق، وحيرة شديدة ودهشة بالغة، تثير فى خاطره سيلاً من الأسئلة عن هذا الذى حدث لبيت النبوّة، كيف حدث أنّ أهل البيت قد أشاد الله تعالى بذكرهم، وأثنى فى القرآن الكريم عليهم، فكيف تعرّضوا للقتل والإبادة بتلک الصورة البشعة التى تقشعرّ الأبدان من هولها؟ وأين ما تكفّل الله به لأوليائه من رعايتهم وحمايتهم ونصرتهم؟ ومن أولى من الحسين وأهل بيته رضى الله تعالى عنهم جميعاً بتلک الرعاية، وتلک الحماية، وتلک النصرة؟!

ألا هوّن عليک أيها القارئ الكريم، فإنّ الله تعالى لم يرد بالإمام الحسين وأهله الطيّبين الطاهرين إلاّ خيراً، إنّه تعالى أراد أن يجعلهم فى مستوىً مع أنبياء بنى إسرائيل ورسلهم، وهؤلاء قد طغى الظلمة والجبّارين من اليهود عليهم،

فأمعنوا فيهم قتلاً وتمزيقاً، وتحريقاً وإبادةً. فقتلوا زكريا ويحيى وشيعاء وأرمياء وعدداً كبيراً من كرام الأنبياء.

وقد روى[١]: أنّ زكريا (عليه السلام) لاذ من قاتليه بشجرة، فانفتحت له ودخل فى جوفها، ولكنّ الطغاة البغاة أعملوا فيها بمناشيرهم حتّى نشروه وهو فى داخلها، وشطروا جسمه شطرين، فلم ينقص ذلک من درجة الشهادة إلى جانب مرتبة النبوّة، فكان نبيّاً وكان شهيداً، وحاق بالظَلَمة ما بين الله تعالى فى قوله: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِکَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [البقرة: ٦١].

وقد وصف النبى (صلى الله عليه وآله) بعض ما تعرّض له المؤمنون من قبل، وذلک حين جاء خباب بن الأرتّ يشكو إليه ما كان يعانيه هو ورفاقه من تنكيل كفّار قريش بهم، فقال (صلى الله عليه وآله): «اصبروا، فقد كان يؤتى بالرجل ممّن قبلكم، فيُنشر بمنشار من حديد من قمّة رأسه إلى أخمص قدمه، ما يصرفه ذلک عن دين الله»[٢].

وفى القرآن الكريم إشارة إلى طوائف من المؤمنين بغى عليهم الكفّار، فحفروا لهم أخاديد فى الأرض ملأوها ناراً، ثم أخذوا يعرضون عليهم الارتداد عن الإسلام فيأبون، فيقذفون بهم فى تلک الأخاديد، ويجلسون للتفرّج عليهم وهم يحترقون، ومن هؤلاء: ابن ماشطة فرعون، فإنّه لمّا أراد فرعون أن يقذف به فى النار، وخشيت عليه أُمّه، أنطق الله تعالى لسانه وهو طفل رضيع، وقال لها: تقدّمى يا أمى ولا تتقاعسى، فإنّک على الحقّ، فتقدّمت واحترقت، ولم تستغرق عملية احتراقها إلاّ لحظات قصيرة، من بعدها تفتّحت لها ولرضيعها أبواب الجنّة، ينعمان بقصورها وأنهارها، وأشجارها وثمارها، وكلّ ما فيها.

---

١. رواه ابن الأثير فى تاريخه ١: ٣٠٦.
٢. أخرجه البخارى ٣: ١٣٢٢ من كتاب المناقب ب٢٢ علامات النبوة فى الاسلام. حديث ٣٤١٦، و: ١٣٩٨ من كتاب فضائل الصحابة ب٥٨ ما لقى النبى (صلى الله عليه وآله) وأصحابه من المشركين بمكة حديث ٣٦٣٩.

فإذا كان الإمام الحسين (رضى الله عنه) ومن معه من بنى هاشم قد لاقوا ما لاقوا من بغى الباغين، وظلم الظالمين، فإنّ ذلک لم يكن لهوان لهم على الله تعالى، إنّ الله تعالى رفعهم إلى أعلى علّيّين، وجعل أعداءهم فى أسفل سافلين.

وفى اعتقادى أنّ الله تعالى لم يرد للإمام الحسين (رضى الله عنه) أن يكون والياً لأمور الدنيا; لأنّه لو تولاّها لكان واحداً من الخلفاء الراشدين، ولحكمة لا يعلمها إلاّ الله، اقتضت المشيئة الإلهية ألاّ يتجاوز عهد الخلفاء الراشدين أكثر من ثلاثين عاماً[1] بعد الرسول (صلى الله عليه وآله). فلو أصبح الإمام الحسين خليفةً لجاء فى عهد غير عهده، وأوان غير أوانه، وكما قال الفرزدق الشاعر الكبير:

القدر ينزل من السماء*** والله يفعل ما يشاء

على أنّ ما صنعه الإمام الحسين كان له نور فى الأرض وذخر فى السماء، فما زال يذكر (رضى الله عنه) بكلّ إجلال وإكرام، بينما خصومه لايذكرون إلاّ بالرجم والشتم واللعن. وقد أصاب من قال:

لذكرک فينا يا حسين خلود*** بقيت به حيّاً ومات يزيد

نعم مات حتّى ضلّ فى الأرض قبره*** وليس له بين القبور وجود

ومن رجمت ذكراه من بعد موته*** هو الميّت لكنّ الحسين شهيد

وقد يسأل القارئ عن الأمة الإسلامية بعد مقتل الحسين، لماذا لم تغضب غضبتها ولم تثر ثورتها؟

وأقول: إنّ الأمة قد حزنت أشدّ الحزن لمّا أصاب الإمام الحسين ورفاقه، ولكنّها إذ ذاک كانت ذاخرة بالعقلاء من الرجال ما بين صحابة وتابعين، وهؤلاء رأوا أنّ الثورة آنذاک لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، فيسرعون بالتدخّل، ويعملون بكلّ ما أُوتوا من قوة على وقف تقدّم الدعوة وانطلاقها لهداية المشرق والمغرب، ففضّلوا أن تسكن الفتنة، ليتاح لدعوة الحقّ أن تشقّ طريقها فى كلّ

١. وهى مدة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة، وكذلک الإمام الحسن. فقد بقى أبو بكر الصدّيق فى الحكم سنتين وثلاثة شهور وعشرة أيام، وبقى عمر عشر سنوات وستّة شهور وأربعة أيام، وبقى عثمان إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، وبقى على أربع سنوات وتسعة شهور. أمّا الحسن بن على فبقى ستة شهور فقط، وهى المدة المكمّلة للثلاثين عاماً.

اتّجاه، فذلک أجدى بكثير من ثورة عارمة لا يعلم إلاّ الله تعالى مداها.

وممّا يجدر ذكره أنّ قتلة الحسين (رضى الله عنه) وأهل بيته ظنّوا أنّهم يستطيعون القضاء على الذرّية المحمدية، ولكنّ الله تعالى أحبط كيدهم.

فقد عاش زين العابدين على بن الحسين وكثر نسله، وانتشرت فى الأرض ذرّيته رضى الله تعالى عنهم جميعاً، ولايزالون حتّى الآن يعيشون فى أقطار شتّى من الدنيا، فهم أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكنّ الله تعالى أتمّ نوره على الرغم منهم.

وأمّا سيّدات بنى هاشم اللاتى شهدن المأساة، فإنّ الأحداث المروّعة لم تستطع أن تطغى على إيمانهنّ و صبرهنّ، فقد بقين فى الحياة وبعد الممات يملأن حياة المسلمين نوراً وهدىً، وخيراً وبركة، وفى طليعتهنّ سيّدتنا الطاهرة العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها وأرضاها.

وقد اختارت السيدة العقيلة زينب رضى الله تعالى عنها مصر داراً لإقامتها، لما سمعته عن أهلها من محبّتهم لأهل البيت النبوى الكريم، وعظيم عطفهم ومودّتهم وولائهم لذوى القربى، ولما تعرفه من أنّ مصر كنانة الله فى أرضه، من أرادها بسوء من جبّار قصمه الله، ولما سمعته بما حدّثت به أُمّ سلمة، من أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)أوصى قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأهل مصر، فقال:

«إنّكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ لهم ذمّةً ورحماً»[1].

وفى رواية: أنّه (صلى الله عليه وآله) قال: «إنّكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنّ لهم ذمّة ورحماً»، أو قال: «ذمّة وصهراً»[2].

١. أخرجه مسلم ۴: ١٩٧٠ من كتاب فضائل الصحابة ب۵۶ وصية النبى (صلى الله عليه وآله) بأهل مصر ح٢٥٤٣، والبيهقى فى السنن الكبرى ٩: ٢٠۶ عن أبى ذرّ.

٢. أخرجه مسلم ۴: ١٩٧٠ من كتاب فضائل الصحابة ب۵۶ وصية النبى (صلى الله عليه وآله) بأهل مصر ح٢٥٤٣/٢٢٧، وأحمد فى المسند ۵: ١٧۴ كلاهما عن أبى ذرّ. وقوله: «ورحماً» لكون

وقد صحب السيّدة الكريمة فى مجيئها إلى مصر بعض أهل البيت الكرام. وكان فيمن صحبها من أهل البيت النبوى الكريم ـ كما يروى البعض ـ : السيدة فاطمة ابنة مولانا الحسين، ومسجدها معروف بالقاهرة باسم مسجد السيدة فاطمة النبوية، وكذلک السيدة سكينة ابنة مولانا الإمام الحسين، ومسجدها معروف بالقاهرة كذلک باسمها، وبهذا قال محمد بن عبدالله بن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن الحسن بن الحسن رضى الله عنهم جميعاً.

وبالإسناد المرفوع الى على بن محمد بن عبدالله، قال:

لمّا دخلت مصر فى سنة ١۴۵ هجرية، سمعت عسامة المعافرى يقول: حدّثنى عبدالملک بن سعيد الأنصارى، قال: حدّثنى وهب بن سعيد الأوسى، عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصارى، قال: رأيت زينب بنت على بعد قدومها بأيام، فوالله ما رأيت مثلها وجهاً، كأنّه شقّة قمر.

وبالسند المرفوع إلى رقيّة بنت عامر الفهرى، قالت:

كنت فى من استقبل زينب بنت على لمّا قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدّم إليها مسلمة بن مخلد الأنصارى وعبدالله بن الحارث وأبو عميرة المزنى، فعزّاها مسلمة فبكى، فبكت وبكى الحاضرون، وقالت: (**هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**).

وكان مسلمة بن مخلد والى مصر، قد توجّه ومعه جماعة من أصحابه، ورهط كبير من أعيان مصر وعلمائها ووجهائها وتجّارها; ليكونوا فى شرف استقبال السيدة زينب رضى الله تعالى عنها عندما تطأ قدماها الشريفتان أرض الكنانة، فاستقبلوها جميعاً استقبالاً حافلاً يليق بمقامها الكريم، عند قرية على طريق مصر والشام، شرقى مدينة «بلبيس» بمحافظة الشرقية. وقد عرفت هذه القرية فيما بعد باسم «القرية العباسية» نسبةً للعباسة ابنة أحمد بن طولون.

«هاجر» أُم إسماعيل منهم، وقوله: «وصهراً» لكون «مارية» أُم إبراهيم، زوج النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) منهم.

وقد وافق دخول السيدة الطاهرة مصر بزوغ هلال شعبان سنة إحدى وستين هجرية، الموافق ٢٦ أبريل سنة ٦٨١ ميلادية، وكان قد مضى على استشهاد شقيقها الإمام أبى عبدالله الحسين (رضى الله عنه) ستة أشهر وأيام.

ولقد قال أحد الشعراء فى اختيارها مصر داراً لإقامتها:

لمّا رجعت من الشام ليثرب❊❊❊من بعد فاجعة الإمام الحسينِ
طلبوا إليک الظعن للبلد الذى❊❊❊تستوطنينه خارج الحرمينِ
فاخترت مصر فرحبت بکِ وانثنت❊❊❊تهتزُّ من شرف على الكونينِ

وقد أنزلها الوليّ هى ومنَ معها فى داره بالحمراء القصوى ترويحاً لها، إذ كانت تشكو ضعفاً من أثر ما مرّ بها، فنزلت بتلک الدار معزّزة مكرّمة، وبقيت فيها موضع إجلالهم وتقديرهم، حيث كانوا يفدون إلى منزلها الكريم متلمّسين بركتها ودعواتها، مستمعين إلى ما ترويه من الأحاديث النبوية الشريفة، والأدب الدينى الرفيع.

وبقيت العقيلة السيّدة زينب بتلک الدار أقلّ من عام بقليل، فلم تر خلال مدة إقامتها إلاّ عابدة متبتّلة متهجّدة، صوّامة قوّامة تالية لآى الذكر الحكيم.

وقد انتقلت رضوان الله عليها عشية يوم الأحد لأربع عشرة مضين من رجب سنة اثنتين وستين من الهجرة، الموافق ٢٧ مارس سنة ٦٨٢ ميلادية، فمهّدت لها الأرض الطاهرة مرقداً ليّناً فى مخدعها من دار مسلمة، حيث أقامت، وحيث اختارت أن تلقى فيها ربّها الكريم; ليكون مضجعها الأخير[١].

١. اختلف المؤرّخون فى قبرها (عليها السلام) على ثلاثة أقوال:
الأول: أنّها دفنت فى مدينة جدّها رسول الله (صلى الله عليه وآله). ومال إلى ذلک المرحوم السيد محسن الأمين فى كتابه أعيان الشيعة، مستدلاً بأنه قد ثبت دخولها إلى المدينة، ولم يثبت خروجها.
الثانى: أنّها (عليها السلام) قد دُفنت فى قرية بضواحى الشام. ذهب إليه ثلّة من العلماء والمؤرّخين، منهم: المقريزى، وصاحب كتاب لواقح الأنوار، وابن بطوطة، وياقوت الحموى، وابن جبير فى رحلته.
والثالث: أنّها دُفنت فى مصر. ونقل هذا عن جماعة، منهم: العبيدلى، وابن عساكر، وابن طولون...
والحقيقة هى أنّ المشهد الذى بمصر هو مشهد أم كلثوم بنت على (عليه السلام)، والمشهد الذى بالشام هو مشهد السيدة زينب الكبرى (عليها السلام)، وقد تسلّمته الشيعة يداً عن يد، وجيلاً عن جيل. وللسيد الحجّة عبدالحسين شرف الدين مقالة مسهبة فى هذا السياق، كتبها بمناسبة

وصار مقامها حيث ووريت الثرى مزاراً مباركاً يفد إليه المسلمون من كلّ حدب وصوب، يتبرّكون به ويسألون ربّهم فيه صالح الدعوات.

وفى هذا المقام الطاهر المعروف بالحرم الزينبى أو المسجد الزينبى أو مسجد السيدة زينب، حيث أُطلق على الحىّ كلّه، يقول الشاعر:

هذا ضريح شقيقة القمرين❊❊❊بنت الإمام شريفة الأبوينِ
وسليلة الزهراء بضعة أحمد❊❊❊نور الوجود وسيّد الثقلينِ
نسبٌ كريمٌ للفصيحة زينب❊❊❊ شمس الضحى وكريمة الدارينِ

هذا قبس من تاريخ حياة العقيلة الطاهرة، سليلة المجد وزهرة أهل البيت السيّدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما، ومنه نقف على ما غمض من حياة جرى النبل فى ركاب صاحبتها، وتسابقت الفضائل بين يديها، وتكاملت الصفات فى ثناياها، وانطبعت محامد الخصال على لألاء صفحتها، وتفجّرت جلائل الأعمال من ينبوع همّتها.

سيّدة كانت و لاتزال فخر النساء، حملت علم الجهاد، وشاركت الرجال فى الضرّاء، وألزمت أعداءها الحجّة ببليغ منطقها، وفصيح خطابها، فباتوا يخشون على سطواتهم وجبروتهم بأسها، ويعملون ألف حساب لحماستها، ولكن لم يغنهم حسابهم، ولم يفدهم تدبيرهم نفعاً.

❊ ❊ ❊

وصول الضريح الأثرى الذى تبرّع به المرحوم محمد حبيب الباكستانى، ونُصب على قبر السيدة زينب فى قرية «الستّ» من ضواحى الشام، تحت عنوان «مشهد العقيلة». انظر عقيلة بنى هاشم لعلى بن الحسين الهاشمى الخطيب: ٦٩.

أُم الشهداء
زينب بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام[١]

صافيناز كاظم

إن كنتُ قد قُتلت بكاءً عند أُمّک فاطمة، فكيف يكون حالى عندک يا زينب بنت على؟

إلاّ أنّ الدموع لم تكن قطّ لترضيک، فكرهتها لمّا أتيتک، وبلعتها ناراً.

وأمسكت شهقاتى، مكظومة، لأقف وراءک، أتعلّم كيف يكون الفعل حين لا يكون الوقت لائقاً للبكاء، وكيف يغرق الصدق فى انهمار الدمعة الكذوب من عين الذى قَتل، والذى سلب، والذى انحاز للصمت، فجرت الدماء من تحت أنفه ولم يحرّک ساكناً، ثم أتى والرؤوس على الحراب، والخيام محروقة، والحرائر الكريمات سبايا، ثم أتى: يبكى!

* * *

حين سال النفاق دمعاً واختلط البكاء، سقطت معانى الشفقة، وأدركتها من فورک أنّ هذا البكاء مريب، فرفضت يا زينب المواساة، ورأيت العداء فى النحيب، كما رأيته فى النبال الساقطة على «عترة» جدّک المفدّى، والسيوف الذابحة أهل بيته، وصوته الشريف ما زال يطوف بالضمائر: «أُذكّركم الله فى أهل بيتى، أذكّركم الله فى أهل بيتى، أذكّركم الله فى أهل بيتى»[٢].

يجلجل صوتک يا ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، صوتک الذى عرفته الليالى متبتّلاً خاشعاً ذاكراً، يجلجل صوتک حاسماً صارماً:

---

١. مقتبس من كتاب «رساليات فى البيت النبوى»، ط. دار الزهراء للإعلام العربى ـ القاهرة ١٩٨٧م.
٢. رواه مسلم ٤: ١٨٧٣ من كتاب فضائل الصحابة ب٤ فضائل على بن أبى طالب ح٣٦، والبيهقى فى السنن ٢: ١٤٨ و٧: ٣١ و١٠: ١١٤ عن زيد بن أرقم.

«صه يا أهل الكوفة! يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم يا أهل الكوفة؟! يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم... ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون. أتبكون و تنتحبون؟ أى والله... فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، لقد ذهبتم بعارها و شنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة! مدرة ـ المدافع عن ـ حجّتكم، ومنار محجّتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزغ نازلتكم، وسيّد شباب أهل الجنة، ألا ساء ما تزرون!

فتعساً ونكساً، وبُعداً لكم وسُحقاً، فلقد خاب السعى وتبّت الأيدى، وخسرت الصفقة، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة!

ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أىّ كبد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فريتم، وأىّ كريمة له أبرزتم، وأىّ دم له سفكتم، وأىّ حرمة له انتهكتم؟

لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً... فلايستخفّنّكم المهل، فإنّه لايحفزه البدار، ولايخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لبالمرصاد!»[١].

ووراءک يا زينب كربلاء، كرب وبلاء، لتوّک تركتها: مصّاصة دم شريف، وآكلة أجساد عطرة: «... ثلاثة وسبعون شهيداً ثبتوا أمام أربعة آلاف حتّى قُتلوا عن آخرهم»!

عون ابن زوجها عبدالله بن جعفر وأخوه محمد، وإخوتها من أبيها، أولاد على: العباس، وجعفر، وعبدالله، وابنا أخيها الحسن: أبو بكر والقاسم، وبنو عمّها عقيل: جعفر، وعبدالرحمن، وعبدالله، وغيرهم، وعلى رأسهم جميعاً سبط الرسول: الحسين، استشهد الجميع بين ذراعيها وهى تقول: «اللّهم تقبّل منّا هذا القليل من القربان»!

١. من خطبتها الغرّاء لأهل الكوفة حينما سيقت السبايا إلى عبيدالله بن زياد بن أبيه والى يزيد على الكوفة. نقلتها أغلب كتب التاريخ والسيرة.

هطل الجور والعسف، وغرور الدنيا على أرض كربلاء مطراً نجساً، ترتوى منه بذور حقد جاهلية، كان الإسلام قد دفنها طىّ سماحته حين كانت: «اذهبوا فأنتم الطلقاء!» حمامة يطلقها الرسول (صلى الله عليه وآله) لترفرف بالرحمة فوق الثأر، وفوق عدل القصاص!

وكان حتماً أن يروى مطر الجور بذرة الحقد القديم، فتينع كربلاء!

وكربلاء بذرة كانت فى صلب الاستهزاء الفظّ بالنبى الكريم، وتكذيبه، وإيذائه بكرش البعير!

كربلاء كانت سطراً فى حلف قريش الذى فرض حصار الجوع والعطش على العصبة المؤمنة فى شعب أبى طالب.

وكربلاء كانت رنيناً فى صرخة أبى جهل: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتّى إذا تجاثينا على الركب وكنّا كفرسى رهان، قالوا: منّا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى تدرک هذه؟! والله لانؤمن به أبداً ولانصدّقه»!

وكربلاء كانت فى نفر القبائل الذى اجتمع ليقتل محمد بن عبدالله، الذى ظنّوه نائماً، فإذا النائم على بن أبى طالب، المفتدى بروحه حياة نبيّه ورسوله ومربّيه، ابن عمّه وأخيه: محمد الأمين (صلى الله عليه وآله).

وكربلاء كانت رمحاً فى قتلة الغدر بحمزة يوم أُحد!

وكربلاء كانت دقّات على دفوف النساء المشركات، يرقصن على جثث شهداء المسلمين! يقطعن الآذان والأنوف يعلّقنها أقراطاً وقلائد، ويبقرن البطون يمضغن الأكباد، وقائدهم أبو سفيان يقول للنبى وأصحابه: «اعل هبل، الحرب سجال، يوم بيوم بدر!». ويكاد يكرّرها حفيده يزيد بعده بنصف قرن، حين تسقط بين يديه رؤوس الشهداء من أحفاد النبى وأحفاد أصحابه، فيتغنّى بأبيات من شعر الشماتة:

ليت أشياخى ببدر شهدوا❊❊❊جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا، واستهلّوا فرحاً❊❊❊ثم قالوا: يا يزيد لاتشل!

لكنّ الله أعلى وأجلّ! فيشاء سبحانه وتعالى أن يظلّ قول نبيه المبعوث للعالمين أمام عناد المشركين من قريش: «والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترک هذا الأمر، ما تركته أو أهلک دونه».

يظلّ هذا القول رايةً نبويةً، يحملها على ويستشهد تحتها، ويحملها أبناؤه: الحسن ثم الحسين، وكوكبة من نجوم أهل البيت الذى أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً، ومعهم صحابة أبرار من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدّلوا تبديلاً، ووراءهم على طول الزمن الإسلامى، ومن مشارق الأرض ومغاربها تأتى قوافل من أبناء الإسلام، لاتنتهى ولاتنفد، بل تنمو وتربو كلّما اشتدّ الحصار وسقط الشهداء.

فلايمكن للشهيد أن يحدّد نسله، وقد جعله الله أكثر الرجال خصوبةً، وما زال الإسلام الولود يكثر أبناؤه على طريق دين الله، والراية النبوية مرفوعة أبداً تتبادلها الأيدى: «والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترک هذا الأمر، ما تركته أو أهلک دونه!».

* * *

وردة طفلة تولد فى بيت النبوة فى شعبان فى السنة الخامسة للهجرة، ويسمّيها الرسول المفدّى: زينب.

ومع الفرحة تكون النبوءة: هذه الطفلة النبوية تنتظرها من أيام الجهاد أشقّها وأثقلها على القلب وطأةً «... فهم يذكرون أنّ سلمان الفارسى أقبل على علىّ بن أبى طالب يهنّئه بوليدته، فألفاه واجماً حزيناً، يتحدّث عمّا سوف تلقى ابنته فى كربلاء...!»[1].

وتحت ظلال هذه النبوءة تنمو زينب فى كنف الرسول مع أُمّها فاطمة سنوات خمساً، أو تقارب الستّ، وتدرج طفلة رصينة ناضجة، لاتفارق أمّاً مجاهدة متبتّلة، تسابقها فى إسباغ الوضوء، وتلاحقها فى إقامة الصلاة، ترشف وتتعلّم،

١. عن كتاب «السيدة زينب بطلة كربلاء» للدكتورة بنت الشاطئ: ٣٠ ط. دار الهلال، القاهرة (المؤلّفة).

وتحاكى كلّ حركة وسكنة تفعلها الأُمّ البتول التى هى أشبه خلق الله بالرسول (صلى الله عليه وآله).

وفاطمة تحتضن زينب بين ابتسامة ورقرقة دمعة، تدعو لها: «جعل الله فيک الخير يا زينب، وفى أبنائک البَرَرَة الأتقياء، وكأنّى يا ابنتى أنظر إليک وأنت تدافعين عن الحقّ المهضوم، بمنطق فصيح ولسان عربىٍّ مبين».

ثم تأتى اللحظة التى تلحق فيها الأم القدوة بأبيها العظيم فى رحاب الله، حزينة، غاضبة، وقد أوجعها أن ترى الحقّ يخرج من مكمنه، وبشفافية التُقى والتبتّل تراه، وقد استدرجته الأهواء; ليكون كرةً تتقاذفها العاصفة الفاتنة، التى سوف يستشهد فيها زوجها وأبناؤها وأهل بيتها، صرعى مجندلين[1]، لايؤنسهم إلاّ الحقّ فى وحشة الطريق.

وغريب: لاتشعر زينب بثقل هذا اليتم الرهيب المبكّر، حين يفقد الإنسان أُمّاً ليست ككلّ الأُمّهات، فكأنّها استثقلت على أُمّها مواصلة الحياة بعيداً عن النبى المفدّى، فآثرت لها سعادة اللقاء به على مرارة الفراق عنها، فداء لها، وبرهان حبّ سخى.

وتوصيها فاطمة فى ثقة واحترام أن تكون «أُمّاً لأخويها: الحسن والحسين»!

وتنفّذ زينب الوصية بدقّة والتزام، فتكون أُمّاً حقيقيةً، وهى لم تتجاوز السادسة، لاتفارق أخويها، حتّى بعد زواجها وزواجهما، لتبقى دائماً أُمّاً لهما، ثم لتصير من بعد ذلک أُمّاً للشهداء فى كلّ زمان ومكان!

وأغمض عينى وأطرد من ذهنى كلّ أوصافها التى خاض فيها المؤرّخون والرواة والكتّاب ـ سامحهم الله ـ فلا أرى تفصيل هيئة أو وجه، لكنّنى أراها:

خديجة تعود... خديجة السكن الرؤوم!

ويدخل بيت على ثمانى نساء زوجات له بعد فاطمة الزهراء، معظمهنّ أرامل شهداء، وإخوة فى الجهاد، أو يتيمات كريمات، سوف يجدن فى بيت إمام العلم حمايةً ورعايةً وتربية، وإعداداً طيّباً ليكنّ رساليات حاملات للعلم والفقه.

---

١. مجندل: ممدّد.

ويحتفظ بيت على لزينب بموقعها: أُمّاً لأخويها، وتلميذةً لباب مدينة العلم النبوى، فتجلس بين يدى أبيها على يعلّمها تفسير بعض الآيات، ويأخذه الحديث إلى ما ينتظرها من دور خطير، فتومئ زينب برأسها، «أعرف ذلک يا أبى... أخبرتنى أُمى!».

وتسمع عن أنس بن مالک يقول: «كنت عند النبى (صلى الله عليه وآله)، فرأى علياً مقبلاً، فقال: يا أنس، قلت: لبيک، قال: هذا المقبل حجّتى على أمتى يوم القيامة» لم أجد له أصلاً فتأخذها المسؤولية منذ البداية، لكى لايفوتها من أبيها ما لم تستطع أن تأخذه مباشرةً من جدّها رسول الله، وخاتم أنبيائه، وقد عرفت قول الرسول المفدّى: «على منّى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبى بعدى»[١].

فتعلّمت بعلم أبيها الذى وصفه ابن عباس: «والله لقد أُعطى على تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركم فى العشر العاشر»!

وحفظت بلاغته، وحكمته، ومأثوراته فى القضاء:

أُتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر برجمها، فردّه على وقال: هذا سلطانک عليها، فما سلطانک على ما فى بطنها؟ ولعلّک انتهرتها أو أخفتها، قال: قد كان ذلک، قال: أَوَ ما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيد أو حُبس أو تهدّد فلا إقرار له. فخلّى عمر سبيلها[٢].

ويزوّجها أبوها الإمام على من ابن عمها عبدالله بن جعفر، الذى قال عنه فقراء المدينة: ما عرفنا ما السؤال إلاّ بعد وفاة عبدالله بن جعفر! وكان والده هو جعفر بن أبى طالب، الذى اشتهر باسم «جعفر الطيّار» إذ بشّر الرسول صلوات الله عليه أرملته بعد استشهاده بأنّ الله قد أعطاه جناحين فى الجنّة; ثواباً لقتاله،

١. أخرجه الكثير من الحفّاظ، وأصحاب الصحاح، وذكره أصحاب التواريخ عند الكلام عن غزوة تبوک عن عدّة من الصحابة.
٢. نقلاً عن كتاب «زينب» للأستاذ على أحمد شلبى: ٧٠ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٧٧م (المؤلّفة).

حاملاً الراية فى غزوة مؤتة فى جهاد أمر به الرسول المفدّى ضدّ الروم، وظلّ جعفر يقاتل حاملاً الراية حتّى قُطعت يداه واستشهد، وبه ما يزيد عن التسعين طعنة!

وأنجبت السيدة زينب من عبدالله بن جعفر: محمداً المسمّى بجعفر الأكبر وإخوته عون الأكبر، وعلى الأكبر، وأُمّ كلثوم، وأم عبدالله، وقد توفّوا جميعاً دون عقب، إلاّ على الأكبر وأم كلثوم، فكان منهما ذرّية عقيلة بنى هاشم[١].

إلاّ أنّنا، مع أخبار هذا الزوج والأبناء، لانراها إلاّ فى إطار الابنة للإمام على، والأم الملازمة لأخويها: الحسن والحسين، سيدى شباب أهل الجنّة، وقرّة عين نبيّنا المفدّى، حافظة لوصيّة أُمها الزهراء، منذ كانت فى السادسة من عمرها.

وعندما نراها فى هذا الإطار، نجدها: العالمة، المتفقّهة، الدارسة، القارئة، الحافظة لكتاب الله العزيز، المتأمّلة فى آيات الله، الزاهدة المتحرّجة من حلال الدنيا، المتصدّرة لمجالس العلم النسائية، تروى الحديث عن أُمّها وأبيها وأخوَيها، وعن أُم سلمة وأُم هانئ، والمروى عنها من ابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وعلى زين العابدين، وفاطمة بنت الحسين، والساهرة ليلاً تتهجّد: مسبِّحة، داعيةً، ناطقةً بالخير والمأثورات، تقول أبياتها الشهيرة:

سهرت أعين ونامت عيون❊❊❊لأُمور تكون أو لاتكونُ
إنّ ربّاً كفاك ما كان بالأمس❊❊❊سيكفيک فى غد ما يكونُ
فادرأ الهمّ ما استطعت عن النفـ❊❊❊س فحملانک الهموم جنونُ!

وتقول: «خف الله لقدرته عليک، واستحِ منه لقربه منک!».

وتنقل عن أبيها: «نعم الحارس الأجل!» حين ينصحه ناصح بأخذ حارس يحميه من الخوارج.

وتردّد عنه:« ثلمة الدين موت العلماء!».

و«شرّ الولاة من خافه البرىء».

و«خابت صفقة من باع الدنيا بالدين!».

---

١. انظر الذرّية الطاهرة للدولابى: ١٦۴.

و«يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم!».

وتتحاور مع أبيها الإمام فتسأله: أتحبّنا يا أبتاه؟

فيردّ قائلاً: وكيف لاأحبّكم وأنتم ثمرة فؤادى؟!

فتقول وكأنّها قد أمسكت عليه خطأً: يا أبتاه، إنّ الحبّ لله تعالى، والشفقة لنا!

محفوفة مبجّلة بأبيها وأخويها إذا أرادت الخروج، وغالباً لزيارة قبر جدّها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، خرجت ليلاً متدثّرة بالحجاب الساتر الكامل، من الرأس حتّى القدم، والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها، والإمام على أمامها، فإذا اقتربت من القبر الشريف، سبقها أبوها فأخمد ضوء القناديل; خشية أن ينظر أحد إلى عقيلة بنى هاشم: زينب[١].

هذه الصورة الممعّنة فى الحرص الشديد على التستّر والتحجّب فى عزوة الأب والأخوين، أحبّ الناس إلى رسولنا المفدّى، تواجهها بقسوة صورتها بعد مذبحة كربلاء، وهى مقصوصة الأب والإخوة، وكلّ رجال ومحارم بيتها، منزوعة الستر، محترقة الخباء، منهوبة المتاع، منتهكة الحرمة، يسوقها رجال عبدالله بن زياد، مكشوفة الوجه، حاسرة الرأس، تسير فى موكب السبايا الكريمات من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كربلاء إلى الكوفة، إلى دمشق، إلى المدينة، يتطلّع إليها وإليهنّ كلّ من غلبه حبّ الاستطلاع على حبّ اتّقاء الله بغضّ البصر رحمةً ومودّة فى قربى النبى المفدّى، ومنهنّ نائحات: «وامحمداه! هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه! هذه بناتک سبايا، وذرّيتک مقتلة، تسفى عليها الصبا!».

وَى لنيران الغضب من جرأة السفهاء، الذين ـ مع هذا النحيب ـ لم يكتفوا بالنظر، بل بادروا بالوصف والتغزّل فى محاسن وجه بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله)!

❊ ❊ ❊

١. أعلام النساء: ٢٧٣ برواية يحيى المازنى، وانظر زينب الكبرى للنقدى: ٢٢.

تمرّ أحداث التاريخ المعروف، وزينب فى خضمها يوماً بيوم، بل لحظةً لحظة، والقضية أمامها: إسلام أو لا إسلام، حقّ أو باطل.

تأتى فتنة التآمر لقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفّان فيأمر على بن أبى طالب ولديه:

ـ «اذهبا بسيفيكما حتّى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكروه...»[١].

لكنّ الأهواء ما تلبث أن تجعل الذين أثاروا النفوس على عثمان هم المطالبون بثأر عثمان، ويقفون مناوئين لخلافة إمام المتّقين، وباب مدينة العلم، معلّم الفقهاء: على بن أبى طالب. ويعلنها بنو أُمية حرباً سافرة على بنى هاشم، إحياءً لثارات الجاهلية، وطمعاً فى ملك الدنيا، ويخرج الصحابى الجليل عمّار بن ياسر، وعمره تسعون سنة، يقول مهتاجاً: «أيّها الناس، سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يثأرون لعثمان، ووالله ما قصدهم الأخذ بثأره، ولكنّهم ذاقوا الدنيا واستمرؤوها، وعلموا أنّ الحقّ يحول بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من شهواتهم ودنياهم، وما كان لهؤلاء سابقة فى الإسلام يستحقّون بها طاعة الإسلام، أو الولاية عليهم... ألا إنّهم ليخادعون الناس بزعمهم أنّهم يثأرون لدم عثمان، وما يريدون إلاّ أن يكونوا جبابرةً وملوكاً. والذى نفسى بيده، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهأنذا أقاتل بها اليوم!»[٢].

وتتحقّق نبوءة النبى (صلى الله عليه وآله) أنّ علياً سيقاتل قريشاً فى سبيل الله: «... يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان».

قالوا: من هو يا رسول الله؟

قال: «هو خاصف النعل» وكان قد أعطى علياً نعله يخصفها.

١. انظر تاريخ ابن الأثير ٣: ١٧٢ و١٧٤ ذكر مقتل عثمان، وعلى بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين لمحمد رضا: ٣٠ وما بعده.
٢. تاريخ ابن الأثير ٣: ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

أخرجه الترمذى عن ربعى بن حراش، وأخرج مثله أحمد[١].

ويقف على مبدئياً حاسماً، لايخشى فى الله لومة لائم، ويعلنها: «والله لاأُداهن فى دينى، ولاأعطى الرياء فى أمرى».

ـ «أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله، لن يرانى الله متّخذ المضلّين عضداً...».

ـ «ما لى ولقريش، أما والله لقد قتلتهم كافرين ولأقتلنّهم مفتونين، والله لأبقرنّ الباطل حتّى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها!».

وتقضى زينب سنوات خلافة أبيها أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الكوفة من ٣٥ هـ إلى ٤٠ هـ، وهو فى بحر متلاطم من الصراعات والمؤامرات والفتن، والكوفة معه، كما ستكون مع بنيه، مسرفة فى الوعود، متخاذلة فى الأفعال، ناكثة عهودها!

حتّى تأتى ضربة عبدالرحمن بن ملجم فى ١٩ رمضان عام ٤٠ هـ لتقضى على الإمام الشهيد بعد يومين، فينتقل إلى الرفيق الأعلى، لاحقاً بحبيبه وأخيه ونبيّه ورسوله (صلى الله عليه وآله) فى ٢١ رمضان عام ٤٠ الهجرى، ووصيّته: «يا بنى عبدالمطلب، لاتخوضوا دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لاتقتلنّ بى إلاّ قاتلى. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربةً ولاتمثّلوا به، فإنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول: «إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور».

ووقف الحسن يقول فى رثائه: «... والله ما ترک ذهباً ولا فضّة...»[٢].

❊ ❊ ❊

١. سنن الترمذى ٥: ٦٣٤ كتاب المناقب ب٢٠ مناقب على بن أبى طالب ح٣٧١٥. مسند أحمد ٣: ٣٣ و٦: ١٠٦.

٢. تناقلت كتب التاريخ والسيرة والمناقب خبر مقتله ٧ والحوادث التى وقعت ابّان أيام جرحه من سنة ٤٠ هـ.

على أثر استشهاد الإمام على بايع أهل العراق الحسن، لكنّ خلافته لم تدم أكثر من ستّة أشهر، آثر الإمام الحسن بعدها، حقناً لدماء المسلمين، أن يتركها لمعاوية; حتّى تكفّ الفتنة، وتهدأ الأطماع، لكن هل تشبع لبنى أُمية بطن؟!

يستشهد الحسن مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، بعد أن يرسل إليها معاوية يقول: إنّى مزوّجک يزيد ابنى، على أن تسمّى زوجک الحسن بن على! لكنّه لايزوّجها يزيد خوفاً على حياته من مسممة الأزواج، ويعطيها بدلاً عن ذلک مائة ألف درهم!!

وكان هدفه من وراء قتل الإمام الحسن تمهيد الطريق لأخذ البيعة ليزيد فى حياته، كاسراً لنظام الشورى الإسلامى إلى وراثة قيصرية; لتكون ملكاً عضوضاً لبنى أُمية دون المسلمين أجمعين، ومن فيهم من أفذاذ بيت النبوّة، وليبدأ أول انحراف أساسى فى تاريخ الحكم الإسلامى; ليفرخ فيما بعد المزيد والمحزن من الانحرافات.

* * *

ويتصدّى الحسين: لا مبايعة ليزيد!

وتتسارع الأحداث نحو النبوءة التى أخبر بها رسولنا المفدّى، وأبكته البكاء المرّ، قبل حدوثها بما يزيد على نصف قرن.

عن أنس بن مالک: أنّ ملكاً... استأذن ربّه أن يأتى النبى (صلى الله عليه وآله)، فأذن له، فقال لأم سلمة: أملكى علينا الباب لايدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل، فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبى وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملک للنبى: أتحبّه؟ قال: نعم، قال: أما إنّ أُمتک ستقتله، وإن شئت أريتک المكان الذى يُقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أُم سلمة فصرّتها فى خمارها. قال: قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء.

أخرجه الإمام أحمد[١]، وفى رواية البيهقى عن أبى الطفيل[٢]، وقال فى مجمع الزوائد: رواه الطبرانى، وإسناده حسن[٣].

وفى رواية أخرى: «أنّ جبريل(عليه السلام)أخبر الرسول المفدّى بأنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات»[٤].

يموت معاوية دون أن ينجح فى حمل الحسين على المبايعة أو سمّه هو الآخر، ويأتى يزيد ويأمر الوليد بن عتبة[٥] واليه على المدينة بأخذ البيعة من الحسين، فيقول الحسين بحسم: «يا أمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، وقاتل النفس المحرَّمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلى لايبايع مثله!».

ويوصى مروان بن الحكم الوليد بقتل الحسين، فيفزع الوليد: ويحک! أنت أشرت علىّ بذهاب دينى بدنياى، والله ما أحبّ أن أملک الدنيا بأسرها وأنّى قتلت حسيناً، سبحان الله! أأقتل حسيناً لما أنّه قال: لاأبايع؟! والله ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين، إلاّ وهو خفيف الميزان، لاينظر الله إليه يوم القيامة، ولايزكّيه وله عذاب أليم[٦].

وتتوالى التفصيلات، ويخرج الحسين من المدينة مع أهله إلى مكّة، وهناک تأتيه كتب الكوفة تستحثّه على القدوم لمبايعته، والتصدّى معه لعدوان يزيد: «...

١. مسند أحمد ٣: ٢٤٢.
٢. السنن الكبرى ٧: ٣١٥.
٣. مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، وانظر المعجم الكبير للطبرانى ٣: ١٠٦ ح٢٨١٣. وفى الباب عن الطبرانى بطرق عدّة عنه (صلى الله عليه وآله)، لكن بألفاظ قريبة. راجع ح٢٨١٤ ـ ٢٨٢٢.
٤. انظر المعجم الكبير ٣: ١٠٥ ح٢٨١١.
٥. الوليد بن عتبة بن أبى سفيان الأموى، ولى لعمه معاوية المدينة، كما ولى الموسم عدّة مرات، عرف بالاعتدال فى مواقفه تجاه خصوم بنى أمية، وخاصة أهل البيت (عليهم السلام)، ولمّا مات معاوية بن يزيد أراده أهل الشام على الخلافة، فطُعن فمات سنة ٦٤ هـ . وقيل: أصابه الطاعون وهو فى الصلاة، فمات!!. انظر تاريخ الإسلام للذهبى: حوادث ٦١ ـ ٨٠ هـ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٧، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٣٤.
٦. ذكرت تفاصيل هذه الحادثة فى كتب التاريخ والسيرة، انظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة: ١٤٤، الأخبار الطوال: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٨ ـ ٥٥٠ ،إعلام الورى ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، البداية والنهاية ٨: ١٤٦ ـ ١٤٧.

إنّ الناس ينتظرونک لا رأی لهم غيرک... العجل العجل... فأقدم إذا شئت فإنّما تقدم علی جند مجنّد لک!»[۱].

فيرسل إليهم ابن عمه الوضیء مسلم بن عقيل، فإذا بهم يتخاذلون حين تأتيهم فتنة عبيدالله بن زياد! ويقتل عبيدالله بن زياد مسلم بن عقيل رسول الحسين، ومعه من آواه: هانی بن عروة المرادی، وهو يقسم: قتلنی الله إن لم أقتلک قتلةً لم يقتلها أحد فی الإسلام![۲]

ثم يسير بالظلم يجمع الولاء ليزيد: يقتل عشوائياً فی جاهلية وضراوة، لتخاذل الناس خوفاً وهلعاً، ويعمّ العراق جوّ قاتل رهيب من الفزع والذعر!

بينما الحسين فی مكة يستعدّ للتحرّک إلی خلفائه الذين أهابوا به أن يعجل بالمجیء إلی العراق!

ويتوسّل إليه أحبّاؤه بمكّة، ألاّ يذهب إلی أهل الغدر، الذين خذلوا أباه وأخاه من قبل، ويقول قائل: «... فوالله لئن طلبت ما فی أيدی بنی أُمية ليقتلنّک، ولئن قتلوک لايهابون أحداً أبداً!».

والحسين يستخير الله، وقدر الله سابق، فقد شاء الله أن يهلک يزيد وجنده بقتلهم الحسين، وينجو الحسين وأهله بالاستشهاد علی طريق دين الله! ويقول الحسين:

ـ «ألا ترون الحقّ لايُعمل به، والباطل لايُتناهی عنه، ليرغب المؤمن فی لقاء الله عزّ وجلّ، وإنّی لاأری الحياة مع الظالمين إلاّ جرماً».

ويتحرّک الشهيد ابن الشهيد نحو الكوفة، وجنبات مكّة لم تنس بعد جدّه النبی وصوته الشريف: «والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس فی يمينی، والقمر فی يسارى، علی أن أترک هذا الأمر، ما تركته أو أهلک دونه!»[۳].

۱. راجع تاريخ أبی مخنف ۱: ۴۰۴، الأخبار الطوال: ۲۲۹، مروج الذهب ۳: ۶۴، إعلام الورى ۱: ۴۳۶، تاريخ أبی الفداء ۱: ۲۶۳.
۲. راجع الأخبار الطوال: ۲۴۱ ـ ۲۴۲، الإرشاد ۲: ۶۱ و۶۵، الكامل فی التاريخ ۳: ۲۷۵، تذكرة الخواص: ۲۴۳.
۳. تاريخ الطبری ۲: ۳۲۶.

ويأتيه من يخبره بمقتل مسلم ورسوله الآخر، وتخاذل الكوفة: «أمّا أشراف الناس فقد أُعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، فهم قلب واحد عليک، وأمّا سائر الناس بعدهم، فإنّ قلوبهم تهوى إليک، وسيوفهم غداً مشهورة عليک!»[١].

وما يلبث أن يبعث ابن زياد بألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمى; ليحاصره فى الطريق، ويقطع عليه خطّ الرجعة حتّى يأخذه معتقلاً إلى ابن زياد، أو يخضع بالبيعة الجبرية ليزيد!

ويواجههم الحسين خطيباً بالمعروف يستحثّ ضمائرهم: «أيّها الناس، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعمل فى العباد بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الشيطان أن يدخله مدخله! ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفىء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله... وقد أتتنى كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنّكم لاتسلّمونى ولاتخذلونى، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن على ابن فاطمة بنت رسول الله... نفسى من نفسكم، وأهلى من أهلكم... فإن لم تفعلوا ونقضتم عهدى، وخلعتم بيعتى، فلعمرى... لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم!».

فقال الحرّ: «... فإنّى أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ».

فقال الحسين: أبالموت تخوّفنى؟...

سأمضى وما بالموت عار على الفتى***إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى رجالاً صالحين بنفسه***وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم أُلم***كفى بک أن تعيش وترغما![٢]

١. قائله مجمع بن عبيد العامرى. راجع تاريخ أبى مخنف ١: ۴۴٣، أنساب الأشراف ٣: ١٧٢ وفيه: مجمع بن عبدالله العائذى، البداية والنهاية ٨: ١٧٣ وفيه: مجمع بن عبدالله العامرى.

٢. تاريخ أبى مخنف ١: ۴۴٢ ـ ۴۴٣، الإرشاد ٢: ٨٠ ـ ٨١، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨١، البداية والنهاية ٨: ١٧٢ ـ ١٧٣، سمط النجوم العوالى ٣: ١٧۴.

يتصاعد المكر، وتشحذ قوى البشر، وتأتى أوامر ابن زياد، تحمل تعليمات يزيد: «لا رحمة! امنعوهم عن الماء!».

ومعسكر الحسين ينسج مجد الاستشهاد، ثلاثة وسبعون إنساناً فى مواجهة أربعة آلاف وحش غاشم من جند ابن زياد من الكوفيِّين!

والأقمار من بيت النبوة من كلّ عمر، من لم يتجاوز العاشرة، ومن ملك فتوة الثامنة عشرة والعشرين، ومن بلغ مبلغ الرجال والكهول، يتلألؤون بالإقدام والشجاعة، لايقهرهم إلاّ العطش: «يا أباه، العطش!».

والحسين يجيب: «اصبر بنىَّ، فإنّک لاتمسى حتّى يسقيک رسول الله!».

وزينب بين الخيام والمعركة تتلقى الأقمار: شهيداً شهيداً، وأنّاتها رغماً عنها تتوالى: «يا حبيباه! يا ابن أخاه! يا ولدى! واثكلاه! اليوم مات جدى رسول الله! اليوم ماتت أمى فاطمة! اليوم مات أبى على! واليوم مات الحسن! واحسيناه».

وتثخن الجراح حسيناً، ويتقدّم التعس الذى باء بقتله، وبعده يحزّ رأسه؛ لترفعها الرماح إلى يزيد!

وترفرف كلمات الحسين حمائم، تسكن أعشاشها فى قلب زينب وبين جوانحها، تطوف بها، ترويها فى كلّ الأمصار، ولكلّ الآذان، حاضرة بأكملها كما أطلقها يوم الطفّ، يوم كربلاء وهو يتفرّس فى وجوه الكوفيِّين، الذين دعوه ثم جاءوه قاتلين وراء عمر بن سعد:

ـ «ألست ابن بنت نبيكم؟».

ـ «... يا فلان... يا فلان... يا فلان... ألم تكتبوا إلىَّ... أن تقدم على جند لک مجنّد؟!».

ـ «أتطلبوننى بقتل منكم قتلته؟ أو بمال استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟».

ـ «أعلى قتلى تجتمعون؟ أما والله لاتقتلون بعدى عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتلة منّى، وأيم الله إنّى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم، ثم ينتقم لى منكم من حيث لاتشعرون. أما والله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم، وسفک دماءكم، ثم لايرضى بذلک منكم حتّى يضاعف لكم العذاب الأليم».

وينتهى الدور الحسينى بالاستشهاد البطولى والفداء، ويبدأ الدور الزينبى: الراوية، الشاهدة، الفاضحة للجور والبغى والطغيان.

فإذا الذى ظنّ نفسه منتصراً يبوء بانتصاره الفادح! وإذا الذى ظنّوا أنّهم قد سحقوه وأحاطوا به وقتلوه: متوّج بالمجد لم ينهزم، وزينب تحمل راية الحسين المنتصرة، بعد أن ألقمت الجبّارين وهى أسيرتهم أحجاراً بلعوها فى خزى، بين أهليهم وحرّاسهم وبروجهم المحصنة، وإذا الحسين حى فى زينب، أشدّ قوةً وتمكيناً ممّا كان عليه، وأنّى لأعدائه بعد أن يقتلوه، وقد خرج من أسر الموت يتوالد عبر اللحظات والأيام، كبيراً، كثيراً، خالداً.

ويضجّ عمرو بن سعيد الأشدق، والى يزيد على المدينة، يشكو زينب:

ـ إنّ وجودها بين أهالى المدينة مهيّج للخواطر!

وتصدر أوامر يزيد المرتعب: لتختفى زينب من المدينة.

وتأتى العزيزة، ابنة الأعزّاء لتسعد بها كنانة الله، وتخرج مصر إلى «بلبيس» لتأخذها إلى قلبها، مضغة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حانية على الجراح!

وفى شهر مولدها: شعبان عام ٦١ للهجرة، وقد بلغت السادسة والخمسين، تريح العقيلة الهاشمية رأسها الشريف إلى صدر مصر، وتركن إلى التبتّل والتضرّع والاستغفار أحد عشر شهراً، حتّى يأتى رجب لعام ٦٢ هجرية، فتلحق بركب النور النبوى فى الرفيق الأعلى أُمّاً للشهداء، وشهيدة معركة: «الدنيا» أو «محمد»!

السيدة زينب
بنت الإمام على بن أبى طالب عليها وعلى أبيها السلام[١]

حنفى المحلاوى

من هى:

كنت وإلى فترة غير قصيرة من الزمن أعتقد ـ ومعى بعض الناس ـ أنّ الضريح الموجود حالياً بحى السيدة زينب بوسط القاهرة القديمة، هو مقام أو مشهد أو ضريح أو قبر السيدة زينب، كبرى بنات النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، لكنّنى حين عقدت العزم على الكتابة عن أشهر المقابر والأضرحة فى مصر، اكتشفت من بعد الرجوع إلى المصادر التاريخية الرئيسية فى هذا السياق: أنّ هذا الضريح إنّما يخصّ ابنة الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، السيدة زينب، وأُخت الإمام الحسن والإمام الحسين، وابنة السيدة فاطمة الزهراء، وأنّ جدّها العظيم النبى الكريم محمداً (صلى الله عليه وآله) هو الذى اختار لها اسم السيدة زينب، مثل أخويها: الحسن والحسين.

ومن أجل بيان هذا الفارق، وإجلاء لهذا اللبس الذى فرض نفسه علينا بعض الوقت، رأينا من الضرورة ـ ونحن نكتب عن السيدة زينب صاحبة هذا الضريح ـ أن نشير إلى السيدة زينب، كبرى بنات رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله).

ومن أهمّ ما ذكرته كتب التاريخ والسيرة عن هذه السيدة العظيمة: أنّها ولدت بمكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، أى: قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) بعشر سنوات، وكان عمر والدها (صلى الله عليه وآله) آنذاك ثلاثين عاماً.

---

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت» ط. القاهرة، ٢٠٠٠م.

والسيدة زينب هى الابنة الكبرى للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) من زوجته السيدة خديجة بنت خويلد، وقد زوّجها النبى (صلى الله عليه وآله) لابن خالتها هالة بنت خويلد: العاص بن الربيع، قبل ظهور الإسلام[1]. ولمّا بُعث النبى (صلى الله عليه وآله) طلبت السيدة زينب من زوجها العاص بن الربيع أن يسلم، فرفض، ولذلک طلّقت منه، وظلّ على دين آبائه حتّى العام السابع من الهجرة، حين أسلم وآمن بالإسلام، عندئذ ردّت إليه زوجته السيدة زينب، وكان قد رزق منها بطفلتين[2]، إلاّ أنّه وبعد عام واحد من عودتها إلى زوجها من بعد إسلامه فرّق بينهما الموت، ودُفنت بالبقيع.

وهناک بعض الروايات التاريخية التى أشارت إلى أنّ السيدة زينب ابنة رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) قد ماتت فى حادث عرض، وقد نقلت بعض هذه الروايات الدكتورة سعاد ماهر، وممّا أشارت إليه فى هذا السياق قولها فى مطلع حديثها عن السيدة ابنة الإمام على (رضى الله عنه): ولدت السيدة زينب ابنة الإمام على فى السنة السادسة للهجرة فى بيت النبوة بالمدينة المنوّرة، فباركها جدّها النبى (صلى الله عليه وآله) واختار لها اسم زينب إحياءً لذكرى ابنته التى تُوفيت فى السنة الثانية للهجرة متأثّرة بجراحها، فقد لقيت أحد المشركين بعد غزوة بدر وهى فى طريقها إلى المدينة، فنخسها فى بطنها وكانت حاملاً، فأسقط حملها وماتت.

وظلّ الرسول (صلى الله عليه وآله) حزيناً حتّى ولدت أُختها الزهراء «فاطمة الزهراء» زوجة الإمام على بن أبى طالب ابنتها الأولى فسمّاها زينب، وقد نشأت هذه الطفلة ـ السيدة زينب ـ تحوطها رعاية جدّها العظيم حتّى لقى ربّه.

ولمّا شارفت السيدة زينب ابنة الإمام على على الزواج، اختار لها أبوها ابن عمها عبدالله بن جعفر، وأنجبت من زوجها عبدالله بن جعفر ثلاثة بنين، هم: جعفر، وعون، وعلى... وكذلک أنجبت بنتين، هما: أم كلثوم، وأم عبدالله.

---

۱. الطبقات الكبرى ۸: ۳۰، نساء حول الرسول لمحمود طعمة: ۱۵۴.
۲. ذكر ابن سعد أنّها ولدت علياً وأُمامة، فتوفّى على وهو صغير وبقيت أُمامة، فتزوجها على بن أبى طالب (عليه السلام) بعد وفاة الزهراء (عليها السلام). الطبقات الكبرى ۸: ۳۰.

كما ذكرت هذه المصادر أنّ زوجها ربّما تزوّج من غيرها فى حياتها، حيث تفرّغت هى لرعاية إخوتها من بعد مقتل أبيها[١].

وقد عاصرت السيدة زينب عدّة أحداث سياسية عصفت بأهل بيتها، بدءاً بوالدها الإمام على، ومروراً بأخويها الحسن والحسين، كما شهدت كذلك معركة كربلاء التى قُتل بها أخوها الحسين، وقد سيقت بعد هذه المعركة مع الأسرى والسبايا حيث مقرّ البصرة عبيدالله بن زياد التابع ليزيد بن معاوية، ثم سيقت السيدة زينب بعد ذلك مع هؤلاء الأسرى إلى دمشق، وفى مقدّمة الركب رأس الإمام الحسين (رضى الله عنه)، ثم أمرها يزيد بن معاوية باختيار مكان إقامتها، ففضّلت العودة إلى المدينة المنوّرة، وكان وجودها هناك دافعاً لاشتعال الثورة ضدّ بنى أُمية، ممّا جعل والى المدينة المنوّرة يجبرها على الرحيل خوفاً من زيادة هذه الثورة، فاختارت مصر، للإقامة بها حتّى يوم رحيلها.

علمها وصفاتها

لم تكن هذه السيدة الشريفة... ببعيدة عن بيت العلم والمعرفة والأخلاق، إلى جانب تحلّيها بصفات الشجاعة والإقدام، وحسن الاختيار، ذلك لأنّها قد تربّت فى بيت كان كلّه علماً، ووالدها الإمام الكبير على بن أبى طالب كم هو معروف بالعلم والتقوى، كذلك أخواها الكبيران: الإمام الحسن والإمام الحسين رضى الله عنهما.

ومن أخصّ صفات هذه السيدة الطاهرة: الوفاء، حيث حفظت عهد والدتها السيدة فاطمة ابنة النبى الكريم محمد (صلى الله عليه وآله).

وممّا يروى فى هذا السياق أنّ والدتها رضوان الله عليها ورغم صغر سنّ ابنتها السيدة زينب، إلاّ أنّها قد أوصتها خيراً بكلٍّ من أخويها: الحسن والحسين، وأن تكون بعدها أُمّاً لهما، فقامت بتنفيذ هذه الوصية خير قيام طوال حياتها، حتى أصبح هناك نوع من التلازم بين قصّة حياة هذين الإمامين الجليلين، وبين قصّة حياة هذه السيّدة الفاضلة، من حيث التفاصيل والأحداث، خاصّةً الأحداث التى

١. أعلام النساء لابن عساكر: ١٩٠، الطبقات الكبرى ٨: ٣٦٥ وسمّوها: ليلى بنت مسعود.

حضرها أخوها الإمام الحسين (رضى الله عنه)، والتى انتهت بمقتله ورحيلها وأُسرتها إلى المدينة المنوّرة، ثم اختيارها مصر كمنفىً آمن لها ولأُسرتها، بعدما واجهت القسوة فى المعاملات وهى تعيش فى المدينة من بعد حادث كربلاء.

وقد علّمتها المصائب: الشجاعة وحسن التصرّف، ولها العديد من المواقف التى أظهرت فيها شجاعتها بقوة. وممّا يروى فى هذا السياق... أنّه لمّا استشهد أخوها الإمام الحسين على مرأىً ومشهد منها، لم تجزع، ولم تولول كبقية النساء فى مثل هذه المواقف، بل تذرّعت بالصبر والشجاعة والرضا بقضاء الله وقدره، وقالت: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهم تقبّل منّا هذا القليل من القربان».

وممّا يروى كذلك عن شجاعتها وقوّة نفوذها على أهل الباطل... أنّه لمّا وصلت هى وسيدات أهل البيت مع رأس الإمام الحسين إلى الكوفة، ومثلت أمام عبيدالله بن زياد، لاحظت أنّه كان ينظر إليهنّ نظرة التشفّى والتهكّم، فلم يسعها إلاّ أن أنذرته بسوء ما سيلقاه هو ورجاله يوم القيامة، جزاء خيانتهم وغدرهم بأخيها الإمام الحسين وصحبه، كما أسمعته من العبارات الحادّة والكلام الشديد ما لم يعتدّ أن يسمعه من أعظم الرجال شجاعةً وأقواهم بأساً، فخاف أن يسترسل فى إساءاتها، وحوّل مجرى الحديث إلى شاب كان بجانبها وسأله: من أنت؟

فقال الشاب: أنا على بن الحسين.

فقال ابن زياد: أَوَ لم يقتل الله على بن الحسين؟

قال الشاب: كان لى أخ أكبر منّى يسمّى علياً، قتله الناس.

فقال ابن زياد: إنّ الله قتله!

فقال الشاب: إنّ الله يتوفّى الأنفس حين موتها.

فاغتاظ ابن زياد: وأمر بضرب عنقه، فتقدّمت إليه عمّته السيدة زينب فاحتضنته، وقالت: والله لا أفارقه، إن قتلته فاقتلنى، فبهت ابن زياد وعمل على أن يتخلّص من هذه الورطة... ثم تراجع عن تنفيذ حكمه السابق بقتل ابن الامام الحسين.

وكان لها إلى جانب ذلک العديد من المواقف الشجاعة الأخرى حتّى مع الخليفة!! يزيد بن معاوية نفسه، عندما قدمت إليه فى دمشق مع رأس أخيها الإمام الحسين، ليس هذا فقط، بل وكان لشجاعتها بعد عودتها إلى المدينة دور كبير فى إثارة مشاعر المسلمين ضدّ يزيد بن معاوية، بما كان ينذر بثورة عارمة ضدّه وضدّ رجاله، ويرى بعض المؤرّخين أنّ هذه الثورة ظلّت مشتعلة سواء فى الحجاز أو فى العراق، والتى وضعت بذرتها الأولى هى السيدة زينب فى عام واحد وستّين من الهجرة، وقد أخذ نطاق هذه الثورة يتّسع حتّى أفلت الزمام من يد بنى أُمية فى عام ١٣٢ هـ، فتولّى الخلافة من بعدهم بنو العباس بن عبدالمطلب عمّ النبى (صلى الله عليه وآله).

أمّا عن علمها وورعها، فيقول عنه الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين: إنّها كانت تشبه أُمّها لطفاً ورقّةً، وتشبه أباها علماً وتقوىً. فقد كان لها مجلس علم حافل تقصده جماعة النساء اللواتى يردن التفقّه فى الدين; لذلک كانت ـ بحقّ ـ عقيلة بنى هاشم، كما كانت تلقَّب[1].

وحتّى عندما اختارت مصر للإقامة بها، بعد أن خيّروها فى منفىً اختيارى بدلاً من المدينة ـ خوفاً من اندلاع المزيد من الثورة ضدّ بنى أُمية ـ أخذت تجمع حولها العلماء من أهل مصر من الذين أرادوا الاستزادة من علمها وورعها وتقواها حتّى بات لها مريدون كثيرون.

وصف الضريح

أجمعت المصادر التاريخية على أنّ ضريح السيدة زينب كان فى بدايته زاوية صغيرة يقع فى الضاحية البحرية من مدينة «الفسطاط»، حيث الحدائق الغنّاء المطلّة على الخليج المصرى، الذى كان يمرّ من هذه المنطقة آنذاک.

وقد دُفنت السيدة زينب ابنة الإمام على بن أبى طالب فى الدار التى أقامت بها لمدّة عام من بعد قدومها مصر، وهى بيت الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى، كما أُقيم الضريح حيث دفنت هذه السيدة الطاهرة، وهو لايزال موجوداً حتّى

١. البيان والتبيين ٢: ١٥٧.

الآن، وكان الوالى الأموى يقيم آنذاك فى منطقة بالفسطاط تُعرف باسم «الحمراء القصوى»، وهى منطقة كانت غنية بالبساتين والحدائق، وأمّا المنطقة التى يوجد بها الضريح الآن فكانت تُعرف باسم «قنطرة السباع» نسبة إلى السباع التى كانت موجودة على القنطرة التى أقامها على الخليج «الظاهر بيبرس»[١]، هذا الخليج كان يخرج منه الماء إلى فم الخليج وينتهى عند السويس، وكانت هذه السباع هى شارة «الظاهر بيبرس» الذى شيّد القنطرة.

وفى عام ١٣١٥ هـ /١٨٩٨م تمّ ردم جزء من هذا الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة، ومع الردم تمّ توسيع الميدان.

وتقول بعض مصادر التاريخ: إنّ هذا الخليج كان يستمدّ ماءه من نهر النيل عند مصر القديمة، ثم يتّجه شمالاً حتّى حى غمرة، ولمّا ردم فى عام ١٨٩٨م سار فيه الترام بدءاً من عام ١٩٠١م.

وعند بدء عمليات توسيع ذلك الميدان، اكتشف رجال الآثار واجهة زاوية وضريح السيدة زينب الذى كان قد أقامه من قبل الوالى العثمانى على باشا الوزير فى عام ٩٥١ هـ /١٥٤٧م، ثم أعاد تجديده الأمير عبدالرحمن كتخدا عام ١١٧٤ هـ /١٧٦١م، ثم ظهرت به بعد ذلك عيوب، فشرع فى هدمه وبنائه عثمان بك المعروف بالطنبورجى المرادى عام ١٢١٢ هـ /١٧٩٨م، وتوقّف البناء بمجيء الحملة الفرنسية حتّى أكمله محمد خسرو باشا عام ١٢١٧ هـ /١٨٠٢م.

ثم جدِّد بعد ذلك على يد السيد أحمد المحروقى، ثم شرع عباس باشا فى تجديده وتوسيعه ووضع أساسه فى عام ١٢٧٠ هـ /١٨٥٤م، ولكنّه توفّى قبل إتمامه، فأجرى هذا التجديد سعيد باشا ناظر الأوقاف فى ذلك الوقت، وأدخل فيه الردهة البحرية التى بها ضريح الشيخ محمد العتريس أخى سيدى إبراهيم الدسوقى، والشيخ عبدالرحمن الحسينى العلوى العيدروسى التريمى المتوفّى فى

١. بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات والعمران، وكانت له أنباء وسيرة بها، ولد عام ٦٢٥ هـ بأرض القبچان، وتوفّى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ ومرقده معروف فيها، حيث أُقيمت حوله المكتبة الظاهرية. انظر النجوم الزاهرة ٧: ٩٤.

عام ١١٩٢ هـ /١٧٥٨م، كما بنى حول الجامع سوراً من الحديد، وبعد ذلک أمر الخديوى توفيق بهدم المسجد دون الضريح، وبناه من جديد، وأدخل فيه الرحاب التى حوله، وانتهى البناء فى عام ١٣٠٥ هـ /١٨٨٨م[١].

وقد أراد الخديوى اسماعيل إنشاء عدّة شوارع يكون مركزها جامع السيدة زينب وضريحها، وذلک للمحافظة على الصحّة العامة. وكان أحدها من ميدان السيدة إلى بركة الفيل إلى شارع محمد على. كما ذكر المورّخ على باشا مبارک فى كتابه «الخطط التوفيقية» عن ذلک المسجد والضريح، فقال: وفى سنة ستّ وثمانين ومائتين وألف، عندما كنت ناظراً على ديوان الأوقاف، وكان يلصق بمسجد السيدة زينب من الجهة الشرقية مقبرة، وبعدها أراض فضاء ومزارع، فاشتريت ما كان مملوكاً من ذلک وأضفته إلى أرض المقبرة، ثم أُعطى بالحكر لمن يرغب فى ذلک، فأخذ منه الكثير من الناس وبنوا فيه، وبعد قليل من الزمن صار خطّاً عظيماً، به جملة شوارع وحارات وبيوت لكثير من الأُمراء وغيرهم.

ولهذا السبب ردم معظم البركة (بركة ابن طولون)، وكانت هذه البركة تقع فيما بين قلعة الكبش ومقابر زين العابدين[٢].

وبعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢م اهتمّت الثورة بهذا المسجد، فأخذت فى توسعته والاهتمام بالضريح. وفى عام ١٩٦٤م أصبحت مساحة المسجد ٧٨٠٠ متر مربع، بعد أن كانت مساحته قبل ذلک ٤٥٠٠ متر مربع فقط.

وبعد هذه التوسعة الجديدة نقلت الينا الدكتورة سعاد ماهر صورة لمسجد السيدة زينب وضريحها، فقالت: يتكوّن المسجد من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسّطها صحن مربّع بقبّة، ويقابل هذه القبّة ضريح السيدة زينب... كما يتقدّم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان، يوجد بهما مدخلان رئيسان يفصل بينهما مستطيل تعلوه «شخشيخة»... وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس...

١. انظر مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى اسماعيل، للدكتور محمد حسان الدين اسماعيل.
٢. الخطط التوفيقية ٣: ١٧٨.

وفى عام ١٩٦٩م أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماماً للمسجد الأصلى وبنفس مساحته، بحيث أصبحت الإضافة الاولى تفصل بين المسجد الأصلى والتوسعة الأخيرة; لذلک فقد عمل فى منتصف التجديد الأول محراب يتوسّط المسجد الجديد، مع الإبقاء على المحراب القديم. ويقابل ضريح السيدة زينب فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطّاة أيضاً...[١].

١. كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. وقد أُضيفت إلى المسجد مساحة جديدة فى العصر الحاضر إذا تمّ هدم ما حوله من محالّ تجارية ومساكن وضمّها إلى المسجد.

مرقد السيدة زينب (عليها السلام)[١]

د. سعاد ماهر

يقع جامع السيدة زينب فى الميدان الذى يعرف باسمها، وكان يعرف قبل ذلك باسم «قنطرة السباع» نسبةً إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة التى كانت مقامة على الخليج الذى كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهى عند السويس، وكانت السباع (رنک) شارةً إلى «الظاهر بيبرس»، الذى أقام القنطرة.

وفى عام ١٣١٥ هـ /١٨٩٨م تمّ ردم الجزء الأوسط من الخليج، وبردمه اختفت القناطر، ومع الردم تمّ توسيع الميدان، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا قد جدّده سنة ٩٥١ هـ /١٥٤٧م، ثم أعاد تجديده الأمير عبدالرحمن كتخدا سنة ١١٧٠ هـ /١٧٦٨م.

ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن التاسع عشر، أصبح يطلق على الميدان، بل والحىّ كلّه، اسم: عقيلة بنى هاشم.

وقد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠م المسجد الموجود حالياً، ويتكوّن من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسّطها صحن مربّع مغطّىً بقبّة، ويقابل القبلة قبّة ضريح السيدة زينب، ويتقدّم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان، يوجد مدخلان

رئيسان يفصل بينهما مستطيل تعلوه (شخشيخة).

وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس.

وقامت وزارة الأوقاف بعد ذلک بإضافة مساحة تبلغ ١٧×٣٢ إلى المسجد الأصلى.

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون».

وفى سنة ١٩٦٩ أضافت وزارة الأوقاف مساحةً ثانيةً مماثلةً تماماً للمسجد الأصلى وبنفس مساحته، بحيث أصبحت بالإضافة الأُولى تفصل بين المسجد الجديد والتوسعة الأخيرة... مع الإبقاء على المحراب القديم. ويقابل ضريح السيدة زينب فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطّاة أيضاً، وفى الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسّط التجديد الأول، والثانى فى التجديد الأخير.

٣ ـ السيدة نفيسة (عليها السلام)

بقلم
توفيق أبو علم
حنفى المحلاوى

السيدة نفيسة (عليها السلام)[١]

توفيق أبو علم

نفيسة الدارين...

نفيسة العلم...

نفيسة الطاهرة...

نفيسة العابدة...

نفيسة المصريّين...

وسيدة أهل الفتوى والتصريف، والسيدة الشريفة العلوية، وصاحبة الكرامات الطاهرة الوفيرة، والمناقب الفاخرة، وأُم العواجز، والسيدة المرضية، ومشبعة المحروم.

وهى السيدة النقيّة، العفيفة الزاهدة، الساجدة الراكعة، المحدّثة المتبحّرة المتضلّعة، الكثيرة النفحات، الغزيرة البركات، والبضعة المنيفة الناضرة، والزهرة الزاهرة، سليلة النبوة، وفرع الرسالة، وجناح الرحمة، كريمة العنصر والمنبت من آل بيت من اصطفاه الله، ورسوله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)، أولئک الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطيهراً.

هذه ألقاب السيدة نفيسة رضى الله عنها:

١. مقتبس من كتاب «السيدة نفيسة» ط. المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية. وللمؤلّف سلسلة مطبوعة عن آل البيت، ط. دار المعارف ـ القاهرة. وقد ترجم الجزء الخاص بالسيدة فاطمة الزهراء إلى الفارسية، وطبع فى ايران عدّة مرات.
أقول: وقد طبعه مؤخراً المركز العلمى التابع للمجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية طبعةً محقَّقة وموثَّقة، ومزدانة بتعليقات رأيتها ضرورية ومكمّلة للمقام، كما قام المركز بترجمة الكتاب بأكمله إلى اللغة الفارسية، حينما وجده جديراً بالاطّلاع للناطقين بهذه اللغة العريقة.

١ ـ فهى نفيسة الدارين: لعوارفها وصنائعها وشفاعتها يوم القيامة لقاصديها، وبجناح الرحمة لتواضعها وخضوعها لبارئها، وشفقتها ورحمتها وبرّها وصلتها لذويها وقاصديها، ويستظلّ زائرها بجناح رحمتها.

٢ ـ وهى نفيسة العلم: لما استنبطته من ذخائر العلم، واستجلته من غوامضه، وما نثرته على طالبى الاستفادة منها، فكان يرجع اليها فى المشكلات، ويستصبح بضوئها فى المعضلات، وتشدّ اليها الرحال من أطراف البلاد فى طلب ما حذقته وأحكمته من علوم بيت النبوة.

ويكفى أن نذكر هنا أنّها تعلّمت القراءة والكتابة قبل أن تبلغ السابعة من عمرها، وهى بلاشكّ علامة كبيرة مميّزة تنبئ عمّا ينتظرها فى مستقبلها، وقد ساعدها ذلک على أن تحفظ القرآن الكريم وتجيده فى سنّ مبكرة.

٣ ـ وهى نفيسة الطاهرة: لطهارتها وتعبّدها، وهى السيدة العظيمة العابدة، النقيّة الطاهرة.

٤ ـ وهى نفيسة العابدة: لعبادتها وتقواها، فإنّها كانت من السائحات العابدات، الصالحات القانتات، تصوم نهارها وتقوم ليلها، وقد حجّت ثلاثين حجّة، أكثرها وهى ماشية، وكانت تتعلّق بأستار الكعبة وتقول: إلهى وسيدى، ومولاى، متّعنى وفرِّحنى برضاک عنّى، فلا تسبّب لى سبباً يحجبک عنّى[١].

٥ ـ وهى نفيسة المصريّين: لحبّ أهل مصر لها، ويكفى أن أقول فى أول هذا البحث: إنّها لمّا عزمت على الرحيل من مصر إلى بلاد الحجاز، شقّ ذلک على أهل مصر وسألوها الإقامة لحبّهم لها[٢].

كما أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بالقاهرة، كما أجمعوا على أنّها لمّا توفّيت وصل زوجها فى ذلک اليوم وأراد حملها إلى المدينة لدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد، واستجاروا به إلى زوجها ليردّوه عمّا أراد، وقد دفنت فعلاً بالقاهرة كما سيأتى تفصيله، ولذلک كان المصريّون يسمّونها بنفيسة المصرية.

---

١. انظر خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.
٢. راجع تفصيله فى المصدر السابق: ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

مولدها وسبب تسميتها بـ «نفيسة»

ولدت السيدة الطاهرة بمكة المكرمة فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية، وقد فرحت أُمها بمولدها، واستبشر بها أبوها، وعمّت الفرحة أكناف بيتها، وقد زاد فى سرور أبيها وبهجته أن تكشّف فى سيماها شبهاً عظيماً بأُخته، عمّتها السيدة نفيسة بنت زيد رضى الله عنها، وهى التى تزوّج بها الوليد بن عبدالملک، فاختار لها أبوها اسم عمّتها لنفاستها، وما تبيّنه لبنته من وسام و قسام اختصّت بهما أُخته، وتفاؤلاً بأن يكتب الله لها حظّ عمّتها، وما واتاها من سعادة ونعماء، ومالها من آثار وحظوة.

إذ كانت محبّبة، ولها اليد البيضاء فى خلافة زوجها; إذ أنّها دفعته إلى ما قام به فى عهده، فقد فتحت فى عهده فتوح عظيمة، وكان يتكفّل بالأيتام، ويرتّب لهم معاشهم، ومن يرعاهم، ومن يقوم بخدمتهم، وللعميان من يقودهم، وعمّر المسجد النبوى ووسّعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وأسبغ عليهم، وحرّم الاستجداء وفرض لذوى الحاجات ما يكفيهم، وقد ضبط أمور الخلافة أتمّ ضبط[١].

ومن المصادفات أنّ عمة السيدة نفيسة رضى الله عنها، رحلت إلى مصر وتوفّيت بها، ومقامها بالقرب من السيّدة نفيسة; إذ أنّها دفنت بالدار التى وهبت لها من والى مصر أخى زوجها عبدالله بن عبدالملک، وكانت من الصالحات، وقد توفّيت قبل وفاة بنت أخيها.

ووالدها: هو أبو محمد الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين، فهى من دوحة النبوة التى طابت فرعاً، وزكت أصلاً، ومن شعبة الرسالة التى سمت رفعةً ونبلاً، قد اكتنفها العزّ والشرف، ولازمها السؤدد والكرامة:

يا حبذا روضة فى الخلد نابتة❊❊❊ما مثلها أبداً فى الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة❊❊❊ثم اللقاح على سيد البشر

١. انظر تاريخ الطبرى ٨: ٩٧، بلغة الظرفاء: ٢٣، تاريخ اليعقوبى ٣: ٢٧، مروج الذهب ٢: ١١٩ ـ ١٢٧.

والهاشميان سبطاء لها ثمر***والشيعة الورق الملتفّ بالثمر
هذا مقال رسول الله جاء به***أهل الرواية فى العالى من الخبر
إنّى بحبّهم، أرجو النجاة غداً***والفوز فى زمرة من أفضل الزمر[١]

وكان والدها إماماً عظيماً، عالماً جليلاً من كبار أهل البيت، معدوداً من التابعين، مجاب الدعوة، فاضلاً شريفاً.

وفى سنة خمسين ومائة عزل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور عامله جعفر بن سليمان عن إمرة المدينة، وولاّها الحسن بن زيد، وقد بقى والياً على المدينة إلى أن عزله المنصور لوشاية فيه سنة ستّ وخمسين ومائة[٢].

فإنّ الحسن كان قد اصطفى ابن أبى ذئب محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة، وآواه وأكرمه، لكنّه لم يأمن فلتات لسانه، فإنّ ابن أبى ذئب ذهب إلى المنصور وأخبره بأنّ الحسن يطمح للخلافة، ويعمل على عودتها للعلويّين، فثارت ثائرة المنصور، وأمر بعزل الحسن وحبسه.

وقد تسرّع ابن أبى ذئب فى وشايته، إذ أنّه غلب على ظنّه طمع آل البيت فى الخلافة وما يعرفه أنّه حقّ لهم، وهم أولى بها من غيرهم، مع أنّ الحسن كان معروفاً بمظاهرته لبنى العباس، ومناصرته لدولتهم، وكان أول من لبس السواد، شعار
العباسيّين من العلويّين[٣].

وقد لبث الحسن فى حبسه إلى أن ولى المهدى الخلافة، وكان يعرف منه علمه واعتداله، وزهادته وعبادته، فأمر بإخراجه من حبسه، وقرّبه منه واصطفاه[٤].

١. الأبيات فى كتاب بشارة المصطفى: ٧۶ وهى منسوبة إلى يعقوب البصرانى، وفى الغدير ٣: ٨: أبو يعقوب النصرانى.
٢. انظر تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ وما بعده، والمنتظم فى تاريخ الملوک والأُمم ٨: ٢٩۴.
٣. راجع عمدة الطالب: ٧٠.
۴. إن أردت تفصيل ذلک، راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم ٨: ٢٩۴، أعيان الشيعة ۵: ٧۵.

وكان الحسن ذا حزم فى ولايته، وعزم فى إمرته، وشدّة فى أخذ الناس بالحدود وحرمات الله، لاتأخذه رأفة فى دين الله، ولاتقفه رحمة عن إقامة حدوده.

ولمّا عاد إلى المدينة لم يعاتب ابن أبى ذئب[١].

ولمّا توفى أبوه زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو غلام، وترک عليه ديناً أربعة آلاف دينار، فحلف السيد حسن أن لايظلّ رأسه سقف إلاّ سقف مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)أو بيت رجل يكلّمه فى حاجة حتّى يقضى دين أبيه، فوفى بنذره، ووفى دين أبيه[٢].

ومن كرمه أنّه أتى بشاب شارب متأدّب وهو عامل على المدينة، فقال: يا بن رسول الله، لاأعود، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم»[٣] وأنا ابن أبى أُمامة بن سهل بن حنيف، وقد كان أبى مع أبيک كما علمت.

فقال: صدقت، هل أنت عائد؟

قال: لا والله!

فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً وقال له: تزوّج بها وعد إلىّ، فتاب الشاب، فكان الحسن يحسن إليه[٤].

وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة، يقال: مرّت به امرأة وهو فى الأبطح ومعها ولدها! فاختطفه عقاب، فسألت الحسن أن يدعو الله لها بردّه، فرفع يديه إلى السماء ودعا ربّه، فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير، من غير أن يضرّه بشىء، فأخذته أُمه[٥].

ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

الله فرد وابن زيد فرد

---

١. خطط المقريزى ۴: ٣٢۶.
٢. ذكر القصة المقريزى فى الخطط ۴: ٣٢۶، والخطيب البغدادى فى تاريخه ٧: ٣٠٩.
٣. أخرجه أحمد فى المسند ۶: ١٨١، والهيثمى فى المجمع ۶: ٢٨٢.
۴. انظر خطط المقريزى ۴: ٣٢۵.
۵. المصدر السابق.

فقال: بفيک الأثلب، ألا قلت:

الله فرد وابن زيد عبد

ونزل عن سرير الإمارة، وألصق بالأرض، يسبّح الله العلى الكبير[١].

وكان (رضى الله عنه) جليلاً جميلاً، سريّاً، سخيّاً.

وفيه يقول الشاعر:

إذا أمسى ابن زيد لى صديقاً***فحسبى من مودّته نصيبى[٢]

وقال آخر:

إلى حسن بن زيد بات نضوى***يجوب السهل وهناً والأكاما

إلى رجل أبوه أبو المعالى***وأول مؤمن صلّى وصاما

أأُشتم أن أحبّک يا بن زيد***وأن أهدى التحية والسلاما

وقد سلفت علىَّ له أياد***تعيش الروح منها والعظاما

وكان هو المقدَّم من قريش***ورأس العزّ منها والسناما

وخيرهم لجار أو لصهر***بتسكين الكلالة والذماما

وكان أشدّهم عقلاً وحلماً***وأبرحهم إذا ازدحم الزحاما[٣]

وكان الحسن كثير الثراء، وله مال بالغابة، وقصره الحمراء كان من أعظم قصور المدينة، وقد أتاه مصعب بن ثابت الزبيرى وابنه عبدالله وهو يريد الركوب إلى ماله بالغابة، فأنشده مصعب:

يا ابن بنت النبى وابن على***أنت أنت المجير من ذا الزمان

من زمان ألحّ ليس بناج***منه من لم يجيره الخافقان

من ديون تنوؤنا فادحات***من يد الشيخ من بنى ثوبان

فى صكاک مكتبات علينا***بمئين إذا عدّد ثمان

بأبى أنت إن أخذن وأمى***ضاق عيش النسوان والصبيان

١. حكاه الشبلنجى فى كتابه نور الأبصار: ١٣٧.
٢. أنشده فى غاية الاختصار ١: ٢٧٦ عن بعضهم استعطاه فأكرمه.
٣. روى الأبيات الحاكم فى المستدرک ۴: ٨۶.

فأرسل الحسن إلى ابن ثوبان فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائة، وعلى ابنه مائة، فقضى عنهما، وأعطاهما مائتى دينارا![1].

وقد خلّف الحسن من الذكور تسعة، ومن البنات اثنتين: السيدة أم كلثوم وقد تزوّج بها أبو العباس السفّاح الخليفة العباسى، والسيدة نفيسة ولم يبلغ واحد من أولاده من الشهرة وذيوع الذكر ما بلغته ابنته السيدة نفيسة، فهى درّته اليتيمة، وغرّته الوضّاءة.

وأولاده الذكور[2] هم: القاسم، ومحمد، وعلى، وإبراهيم، وزيد، وعبدالله، ويحيى، وإسماعيل، وإسحاق. أمّا أُمّهم فأمّ سلمة، واسمها ابنة الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب.

وتزوّج أم كلثوم عبدالله بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهم، وقد توفّى سنة١٦٨ هـ، وهو فى طريقه إلى الحجّ فى صحبة أمير المؤمنين المهدى، ودفن فى الحجاز، وقيل بالحاجر[3]. ويذكر الشعرانى: أنّه مدفون بتربته المشهورة قريباً من جامع القرّاء بين مجراة القلعة (العيون) وجامع عمرو بن العاص[4]. ويغلب على الظنّ أنّه دفن بالحاجر فى الطريق إلى مكة.

وروى أنّ الإمام زيد الأبلج، والد السيد حسن الأنور، كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبى (صلى الله عليه وآله) ويقول: «يا سيدى يا رسول الله، هذا ولدى الحسن وأنا عنه راض»، ثم يرجع وينصرف، فلمّا كان فى بعض

١. راجع القصة بكاملها فى تاريخ بغداد ٧: ٣١٠ ـ ٣١١.
٢. ذكر صاحب عمدة الطالب فى أنساب أبى طالب: ٧١ أنّه أعقب سبعة ذكور: القاسم وهو أكبرهم، وكان مظاهراً لبنى العباس على بنى عمّه، وعلى يكنّى أبا الحسن، مات فى حبس المنصور، وكان يتظاهر بالنصب، وزيد ويكنّى أبا زيد، وإبراهيم ويكنّى أبا إسحاق، وعبدالله ويكنّى أبا زيد، وإسحاق ويكنّى أبا الحسن، وكان أعور ويلقّب بالكوكى، قيل: كان عيناً للرشيد، فيسعى بآل أبى طالب إليه، حتّى غضب عليه الرشيد يوماً وحبسه، فمات فى حبسه، واسماعيل ويكنّى أبا محمد، وهو اصغر أولاده.
٣. قاله الخطيب وأغلب النسّابة. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و٣١٣، وعمدة الطالب: ٧٠. وحاجر: موضع على خمسة أميال من المدينة من جهة مكة.
٤. لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ٢: ٢٧١.

الليالى نام فرأى المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وهو يقول له: «يا زيد، إنّى راض عن ولدک برضاک عنه، والحقّ سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عليه».

وجاء الحسن بالسيدة نفيسة إلى المدينة، وكان دائماً يأخذ بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول: «يا رسول الله، إنّى راض عن بنتى نفيسة» ويرجع، فما زال يفعل حتّى رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى المنام وهو يقول: «يا حسن، إنّى راض عن ابنتک نفيسة برضاک عنها، والحقّ سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها»[١].

وزيد الأبلج هو ابن الحسن السبط ابن سيّدنا الإمام.

من هذا الغصن، غصن القرن الأول للهجرة، جاءت إحدى أغصان رياحين القرن الثانى.

أمّا أُمها فأم ولد، وأمّا إخوتها فأُمّهم أُمّ سلمة زينب بنت الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم، وليس ذلک بضائرها، ولا ما ينقص من قدرها، فقديماً تسرّى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر، فولدت له إسماعيل (عليه السلام)، فكان من نسله صفوة خلق الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله). وقد تسرّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مارية القبطية فولدت له إبراهيم، وقد كان أبوها الحسن من أُمّ ولد.

وكذا زيد بن على رضى الله عنهما من أُمّ ولد، وقد دخل على هشام بن عبدالملک، فقال له: بلغنى أنّک تحدّث نفسک بالخلافة؟ ولاتصلح لها لأنّک ابن أمه!

١. وجد أخيراً ما يدلّ على دفن السيد زيد الأبلج بالقاهرة، قريباً من جامع القرّاء، بين مجراة القلعة وجامع عمرو فى التربة المشهورة قريباً من جامع القرّاء، فقد وجد حجر عتيق شرقى مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجراة القلعة بقليل، مرقوم عليه نسب زيد.

أمّا الإمام محمد الأنور عمّ السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع طولون، ممّا يلى دار الخليفة فى الزاوية التى ينزل اليها بدرج، وهو على يمين الطالب للسيدة سكينة، ومكتوب على بابه فى لوح رخام هذا البيت.

مسجد حلّ فيه نجل لزيد***ذلک الأنور الأجلّ محمد

وهذه تدلّ على أنّ الأضرحة والمساجد الموجودة فى القاهرة، لآل البيت أو الأولياء، ليست «مشاهد الرؤيا» كما يدّعيها بعض الكتّاب.

فقال له: أمّا قولک: إنّى أحدّث نفسى بالخلافة، فلايعلم الغيب إلاّ الله تعالى، وأمّا قولک: إنّى ابن أمة، فإسماعيل ابن أمة، أخرج الله من صلبه خير البشر محمداً (صلى الله عليه وآله)، وإسحاق ابن حرّة أخرج من صلبه القردة والخنازير!

فقال له: قم!

فقال: إذن، لاترانى إلاّ حيث تكره. فلمّا خرج من الدار قال: ما أحبّ أحد الحياة إلاّ ذلّ.

فقال سالم مولى هشام: بالله لايسمعهنّ هذا الكلام منک أحد[١].

وقد كان زيد (رضى الله عنه) من أحسن بنى هاشم عبادةً، وأجلّهم سيادةً. وكانت ملوک بنى أُمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن على، فإنّ له لساناً أقطع من ظبّة السيف، وأحدّ من شبا الأسنّة، وأبلغ من السحر والكهانة، ومن النفث فى العُقد[٢].

وقال الشعبى: والله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن على، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد[٣].

وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله، فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم، ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً. لقد كان منقطع النظير، وكان يدعى بحليف القرآن، قرأ مرّةً قول الله تعالى: (**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَيَكُونُوا أَمْثَالَكُم**) فقال: إنّ هذا لوعيد وتهديد من الله تعالى، ثم قال: اللّهم لا ملجأ ممّن تولّى عنک فاستبدلت به بديلاً...[٤].

ونشأت السيدة نفيسة رضى الله عنها نشأةً نبويةً، فإنّها بعد أن درجت بمكّة تحوطها العزّة والكرامة، استصحبها أبوها وقد أوفت الخامسة من عمرها إلى المدينة المنوّرة، وعاشت معه بداءةً، وأخذ يلقّنها ما تحتاج اليه من أمور دينها

١. راجع تفصيله فى تاريخ دمشق ٢١: ٣٣٣ ـ ٣٣٤، ومروج الذهب ٣: ٢٠٦، والصواعق المحرقة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
٢. انظر زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى القيروانى ١: ٧٢.
٣. المصدر السابق.
٤. تاريخ دمشق ٢٣: ٢٩٩، خطط المقريزى ٣: ٣٣٥، الروض النضير للسياغى ١: ٩٨.

ودنياها، وكانت تذهب إلى المسجد النبوى تسمع من شيوخه، وتتلقّى الحديث والفقه من علمائه، وعاشت فى مدرسة أبيها المحمدية، تسمع منه تاريخ دينها وتاريخ أسرتها.

ومن بين الذين التقت بهم السيدة نفيسة فى المدينة الإمام مالک الذى كان حديث الفقهاء والمسلمين جميعاً بكتابه «الموطّأ» وفقهه الذى انتشر فى كلّ الأمصار، ووجدت السيدة كريمة الدارين فى هذه الأجواء الرائعة مبتغاها، وقرأت «الموطأ»، وناقشت كلّ القضايا الدينية، وبدأت تزداد معرفةً كاملة، والناس من حولها بما فيهم الإمام معجبون بهذه السيدة الطاهرة، يسمعون آراءها فى كلّ ما يتدارسون من فقه وسيرة وحديث.

وبلغت كريمة الدارين سنّ الزواج، فرغب فيها شباب آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بنى الحسن وبنى الحسين رضى الله عنهم، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشراف قريش، لما عرفوه من خيرها وبرّها، ودينها وإيمانها، وصلاحها وتقواها، وما نشأت عليها من عبادة ربّها، وإقبالها على طلب العلم حتى ضربت فيه بسهم وافر، بالإضافة إلى ما حباها به الله عزّ وجلّ من حسن بارع وجمال رائع، وما امتازت به من سرى الأخلاق وكريم المناقب وحميد الشمائل، فكان أبوها يأبى عليهم إجابة طلبهم، ويردّهم ردّاً جميلاً، إلى أن أتاه إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق رضى الله عنهما، وكانت دار الحسن قبالة دار جعفر الصادق، فخطبها من أبيها، فلم يردّ عليه جواباً، فقام إسحاق من عند الحسن، وفى نفسه ما فيها، وذهب توّاً إلى المسجد النبوى ودخل الحجرة الشريفة، ووقف تجاه القبر فى خشوع وإجلال. فقال: «يا رسول الله، إنّى خطبت نفيسة بنت الحسن من أبيها فلم يردّ علىّ جواباً، وإنّى لم أخطبها إلاّ لخيرها ودينها وعبادتها». ثم انصرف، وقد انشرح صدره واطمأنّت نفسه.

ففى تلک الليلة رأى أبوها الحسن جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) فى النوم، وهو يقول له: «يا حسن، زوِّج نفيسة من إسحاق المؤتمن». فما أن أفاق

من نومه حتى بعث إلى إسحاق يستدعيه اليه، فسارع اليه، وما أن جلس بين يدى الحسن حتى أخبره برؤياه، وما لبث أن عقد له على ابنته فى حفل جمع جمهرةً من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجماعةً من أشراف قريش، وكان فى سنة إحدى وستين ومائة[١].

وبعد أن جهّزها أبوها وجليت لزوجها، بنى عليها فى دار أبيه جعفر الصادق بالمدينة، وهى الدار التى كان يسقى فيها الماء الذى تصدّق به جعفر (رضى الله عنه)، وكانت تلك الدار قبلاً لحارثة بن النعمان الأنصارى الخزرجى. ثم من بنى النجّار، وكان من فضلاء صحابة رسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «دخلت الجنّة فسمعت قراءةً، فقلت من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان، فقال (صلى الله عليه وآله): كذلكم البرّ»[٢]، وكان برّاً بأُمه، وكان قد ذهب بصره، فاتّخذ خيطاً فى مصلاّه إلى باب حجرته، فكان إذا جاءه مسكين أخذ من مكتله شيئاً ثم أخذ بطرف الخيط حتّى يناوله، فكان أهله يقولون له: نحن نكفيك، فيقول: إنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «مناولة المسكين تقى ميتة السوء»[٣].

وكان قبالة تلك الدار فى الغرب دار الحسن بن زيد، وهو أطمّ، كان الحسن قد ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى، فهدمه الحسن فجعله داراً مشيّدة البنيان، عالية الأركان، تحوطها الكرامة، ويرفرف عليها الشرف والجلالة.

وبزواج السيد إسحاق من السيدة نفيسة، اجتمع فى بيتها نوران، نور الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فالسيدة نفيسة جدّها الإمام الحسن، والسيد إسحاق جدّه الإمام الحسين، لأنّ إسحاق المؤتمن هو ابن الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن أبى الشهداء الإمام الحسين (عليه

١. راجع خطط المقريزى ۴: ٣٢٧.
٢. مسند أحمد ۶: ٣۶.
٣. أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ٢٢٨، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣: ١١٢ و۴: ٩، وأبو نعيم فى الحلية ١: ٣٥۶.

السلام)، وأُمه «حميدة البربرية» وهى أُم اخوته موسى الإمام ومحمد وفاطمة الكبرى رضى الله عنهم جميعاً.

وكان إسحاق من أهل الفضل والاجتهاد، والورع والصلاح. روى عنه الكثير من الناس الحديث والآثار، وكان كاسب: يعقوب بن حميد بن كاسب المدنى ـ وينسب إلى جدّه إذا ما حدّث عن إسحاق ـ يقول: حدثنى الثقة الرضا، إسحاق بن جعفر. وناهيک بابن كاسب، فقد كان محدّثاً ثقةً، مأموناً صادقاً[۱].

وفى عمدة الطالب: وأمّا إسحاق بن جعفر الصادق، ويكنّى أبا محمد، ويلقَّب بالمؤتمن، فقد ولد بالعريض، وهو واد بالمدينة، وكان من أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان محدّثاً جليلاً، وكان سفيان بن عيينة شيخ الإمام الشافعى رضى الله عنهما إذا ما روى عنه يقول: حدّثنى الثقة الرضا إسحاق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم. وهو أقلّ المعقّبين من ولد جعفر الصادق عدداً، إذ أعقب ثلاثة رجال: محمداً والحسن والحسين، وتُعرف ذرّيته بالاسحاقيّين[۲].

ويقول المقريزى فى خططه: وتزوّج بنفيسة رضى الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنهما، وكان يقال له: إسحاق المؤتمن، وكان من أهل الصلاح والخير، والفضل والدين. روى عنه الحديث، وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول: حدّثنى الثقة والرضا إسحاق بن جعفر، وكان له عقب بمصر بنو الرقى، وبحلب بنو زهرة[۳].

وولدت نفيسة من إسحاق ولدين، هما: القاسم وأُم كلثوم.

وفى تهذيب التهذيب: إسحاق بن جعفر، روى عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، وعبدالله بن جعفر المخزومى، وصالح بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وغيرهم. وروى عنه: إبراهيم بن المنذر، ويعقوب بن حميد بن كاسب، ويعقوب

۱. انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ۱۱: ۳۳۶ ـ ۳۳۷ رقم۶۴۶.
۲. عمدة الطالب: ۴۲.
۳. خطط المقريزى ۴: ۳۲۵.

بن محمد الزهرى، وغيرهم ممّن قدم مصر. وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور رضى الله عنهم[١].

وقد ذكر فى لسان الميزان: أنّه كان يقال له الحزين; لأنّه لم ير ضاحكاً[٢].

وفى مشتركات الطوبجى: إنّه الممدوح بروايته عن أبيه، وقد مكث بعد وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنها زمناً ليس بالكثير، ثم توفّى ودفن بمصر، وقيل: إنّه رحل وولداه القاسم وأُم كلثوم إلى المدينة وتوفّى بها، وهو الأصحّ.

نفيسة العلم

فى بيت كريم، وبين أُسرة طهّرها الله سبحانه وتعالى تطهيراً وأذهب عنها الرجس، فتحت السيدة كريمة الدارين عينيها، ووعت أذناها كتاب الله العظيم، ولاشكّ أنّ الجوّ الذى كان يحيطها شجّعها على ذلک، فأب صالح وأُم عابدة، يعبدان الله سبحانه وتعالى ليل نهار، فكان طبيعياً أن تقلّدهما، ولعلّها سمعت من أبيها تاريخ جدّيها الإمامين: الحسن والحسين وأُمّهما الزهراء، وأبيهما أمير المؤمنين، وما اقتبسوا جميعاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنوار، وما أخذوا عنه من شتّى الفضائل والمكرمات.

ولعلّ والدها تنبّأ لها بأنّها سيكون لها شأن عظيم بين الصالحين والصالحات، فقد بدأت فى سنّ مبكرة فى تلاوة القرآن الكريم بمفردها، ثم عملت على حفظه حتى تمّ لها ذلک فى خلال سنة واحدة فقط. أمّا العبادات المفروضة فقد أُثر عنها رضى الله عنها أنّها كانت تؤدّى الصلوات الخمس بانتظام مع والديها فى المسجد الحرام وهى فى السادسة من عمرها[٣].

ونشأت كذلک آية من آيات الله تعالى فى قوة الذاكرة والحافظة، صفاء نفس ونقاء حدس، فكان طبيعياً أن تتّجه بكلّ قواها إلى كتاب الله الكريم، فألمّت بتفسيره وتأويله، فاستجلت غوامضه، وخاضت عبابه.

---

١. تهذيب التهذيب ١: ٢٠٠ رقم ٤٢٤.
٢. لسان الميزان ١: ٣٥٩ رقم ١١٠١.
٣. انظر مجموعة آل بيت النبى فى مصر: ٧٩.

وأخذت وهى تنمو جسماً وعقلاً وروحاً، تقوم الليل وتصوم النهار، وتمعن فى العبادة والدراسة، فاتّجهت بكلّ روحها إلى دراسة حديث جدّها، فروت منه عن أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها، وأخذت بحظّ وافر من الفقه والعلم، ومن هنا جاء اللقب الذى اشتهرت به: «نفيسة العلم».

شغفت بحديث جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وروت من الحديث والآثار الكثيرة من أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها، وبخاصّة الإمام مالک بن أنس (رضى الله عنه) بالمدينة، وكان من عادته أن يتصدّر مجالس العلم وفى يمينه موطّؤه، وحوله العلماء وطلاّب العلم وفدوا عليه من سائر الأقطار الإسلامية، وهو ينشر العلم فى أرجاء المدينة، ومن أرجائها ينساب إلى آفاق العالم المتعطّش له، وكانت أحاديث الإمام مالک علنية، وكانت أصداؤها لتصل إلى السيدة نفيسة، فتأخذ ما تضيفه إلى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن والحديث، وقد سمع عنها الحديث كثير من علماء مصر والراحلين اليها.

وقد كان ابن خلّكان يروى: أنّ الإمام الشافعى (رضى الله عنه) لمّا دخل مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث[1].

وقالت زينب بنت يحيى المتوّج، وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم: «كانت عمّتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت تقرأ القرآن وتبكى، وتقول: الهى وسيدى يسِّر لى زيارة خليلک إبراهيم (عليه السلام)»[2]، لأنّها كانت تعلم أنّه أبو الانبياء، أى أنّه أبو أبيها محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله). وخاتم الأنبياء، وأنّه بشّر به كما ورد فى الأثر، وإذن فهو أبوها وجدّها، وكانت تعرف أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: «أنا دعوة إبراهيم (عليه السلام)، حيث يقول: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فيهمْ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِکَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)»[3].

١. وفيات الأعيان ٥: ٤٢٤ رقم ٧٦٧. وذكره أيضاً المقريزى فى خططه ٤: ٣٢٥.
٢. تحفة الأحباب وبغية الطلاب: ١٠٥.
٣. رواه فى كنز العمال ١١: ٣٨٤ رقم ٣١٨٣٣ عن الضحاک مرسلاً. والآية: ١٢٩ من سورة البقرة.

وحین بلغت المزار، ووقفت بین یدی جدّها خلیل الله، قالت: «ما أن بلغت المقام الکریم والضریح العظیم حتی أجهشت بالبکاء، بکاء السرور لتحقیق أمنیتی فی زیارة الخلیل، ثم جلست فی خشوع أقرأ من آیات الله ما ورد فی خلیل الله. وقرأت: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمناً وَاجْنُبْنِی وَبَنِیَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَمَنْ عَصَانِی فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّی أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِی بِوَادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِی وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَیْءٍ فِی الأَرْضِ وَلاَ فِی السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّی لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِی رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَلِوَالِدَیَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ * وَلاَتَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِی رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِن قَبْلُ مَا لَكُم مِن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِی مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِی الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِیَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هذا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)[إبراهيم: ۳۵ ـ ۵۲].

وحجّت کریمة الدارین هی وزوجها إسحاق المؤتمن، وزارت قبر خلیل الرحمن علیه الصلاة والسلام، کما قلت: حجّت فی حیاتها المبارکة ثلاثین مرّة،

أكثرها ماشية على قدميها[١]، وكان القدوة لها فى ذلک جدّها الإمام الحسن الذى كان يقول: «إنّى لأستحى من ربّى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته»[٢].

وقالت زينب بنت يحيى[٣] المتوّج: خدمت عمتى السيدة نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت بليل ولاأفطرت بنهار، إلاّ العيدين وأيام التشريق. فقلت لها: أما ترفقين بنفسک؟ فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لايقطعهنّ إلاّ الفائزون؟[٤]

وكانت تقول: كانت عمتى تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت تقرأ القرآن وتبكى[٥].

وقد سمع منها الحديث وتفسيره والفقه كثير ممّن قابلوها، فقد سمع منها بمصر غير الإمام الشافعى جمهور كبير من العلماء; كذى النون المصرى، وعبدالله بن الحكم، وولديه محمد وعبدالرحمن، وعبدالرحمن البويطى، والربيعين المرادى والجيزى، وحرملة من أصحاب الإمام الشافعى رضى الله عنهم، وكثيرين غيرهم[٦]استفادوا ممّا أفاضه الله عليها من فيوضات ممّا سيأتى بيانه بعد قليل، وما روته من أحاديث وآثار، وفقه وعلم ومعارف نبوية، فإنّها رضى الله عنها من أهل بيت اتّقوا الله فعلّمهم الله، وأنار قلوبهم بنور عرفانه، فكانوا من حلمة العلم وحضنته، ومن ذوى الفقه والدين، والمعرفة واليقين.

وكانت السيدة الورعة زاهدة فى دنياها، تؤمن بمنهج الزهد وتمارسه، وكان رائدها فى طريق الزهد جدّها الأعظم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى

١. انظر خطط المقريزى ۴: ٣٢٥.
٢. حلية الأولياء٢: ٣٧، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٨٠، العوالم (الامام الحسن): ١٣٢.
٣. يحيى أخوها بمصر، وليس لأخيها يحيى سوى زينب التى صحبت عمّتها طوال حياتها، وقد عافت الدنيا وزهدتها، فلم تتزوّج، وكان يرى على قبر يحيى نور. قال أبو الذاكر: دخلت إلى قبر يحيى، فلم أحسن الأدب، فسمعت من قبره من يقول: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). وليس بمصر من أخواتها سواه، ومشَهده معَروفَ بإجابة الدعاء، وقد دفنتَ زينب بنت يحيَى المتوّج رضى الله عنهما بجوار قبر عمرو بن العاص، وكان أهل مصر يأتون لزيارة قبرها من كلّ فجّ، وكان الظاهر الخليفة الفاطمى يأتى إلى زيارتها ماشياً، وكان أهل مصر يجيئون إلى قبرها يستسقون، وكان النيل قد توقّف، فاستسقى أهل مصر بها، وجأروا إلى ربّهم، فجرى النيل بإذن الله تعالى.
٤. خطط المقريزى ۴: ٣٢٥.
٥. المصدر السابق.
٦. كالامام أحمد وسفيان الثورى ورابعة العدوية. انظر تحفة الأحباب للسخاوى: ١٠٧.

أحاطت بسيرته، وكان مرشدها هو ما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) وما فعل، وقد مالت بطبعها من صغرها إلى حياة بعيدة عن زخرف الحياة وزينتها بالرغم من أنّ أباها كان أميراً للمدينة، وكان بلاشكّ يعيش عيشةً رغدة، ولكنّها ما كانت تستشرف إلى لذائذ الدنيا وشهواتها.

وفى بيت أبيها نشأت ـ برغم ما يحيط بها من مظاهر الترف ـ نشأة الزهادة والتقشّف، فمثلاً كنت قليلة الأكل، ويروى: أنّها كانت تأكل كلّ ثلاثة أيام مرّة[١].

وتقول زينب بنت يحيى: «كنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطرى، ولاأعلم من يأتى به، فعجبت من ذلک، فقالت: يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى استطاعته»[٢].

وكانت تمضى أكثر وقتها فى معبدها أو حرم جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، على أنّه يقال: إنّها رضى الله عنها لم تكن سلبية فى زهدها، تقاطع الحياة مقاطعةً تامةً كما يفعل بعض الزهّاد، إنّما كان هجرها للدنيا واقعاً على كلّ ما يعوقها عن الله وطاعته ومرضاته، ويعوقها عن العمل لآخرتها والتزوّد لها.

كانت الآخرة وكان الموت نصب عينها، والدليل على ذلک حفرها قبرها بيدها، وقضاؤها شطراً من وقتها كلّ يوم تستلهم منه العظات، وتستوحى الصالحات.

وهى بعد ذلک زوجة مخلصة، ولم يشغلها أىّ أمر عن مسؤوليتها كزوجة، حتى فاخر بها المؤتمن الدنيا، ويذكر للناس من حوله أنّه قد وجد فيها نعمة الله عليه، فلم تقصّر فى حقٍّ له أبداً، ولم يشغلها أىّ أمر عن حقوقه وواجباته.

وهى أُم ترعى الله فى زوجها وولدها، تغدق بالحنان ولديها: أبا القاسم وأُم كلثوم، ترعاهما وتؤدّبهما حتى يصيرا نموذجاً صالحاً بشرف الانتساب إلى بيت النبوة.

وهى ربّة بيت تشرف عليه، وهى محبّة للعلم حبّاً جعلها بحقّ نفيسة العلم.

---

١. راجع خطط المقريزى ۴: ٣٢٥.
٢. راجع المصدر السابق.

وتجتمع بذوى الحاجات من الناس، وتستمع اليهم، ولهذا شاهد مسكنها فى المدينة وفود الزوّار من كلّ بلد اسلامى، خصوصاً من القادمين فى مواسم الحج والراغبين فى العلم، وقد كان أكثر هؤلاء الوفود، وأشدّهم حرصاً على لقائها كانوا من مصر.

وضاقت دارها بالزائرين، كما حدث تماماً فى مصر عندما طلبت الرحيل إلى الحجاز عند أهلها; بسبب ازدحام منزلها بالقاصدين اليها، كما سيأتى تفصيل ذلک فيما بعد.

فزهد السيدة نفيسة إيجابى نافع، كما كان زهد الرسول إيجابياً، مثالياً فى إيجابيته.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه: ترک الحرام وهو زهد العوامّ، وترک الفضول من الحلال وهو زهد الخواصّ، وترک ما يشغل العبد عن الله، وهو زهد العارفين[١].

وهو زهد السيدة كريمة أهل الدارين، شعارها: الله أولاً، والمجتمع ثانياً. لله صلاتها ونسكها، ولله محياها، ولله مماتها.

أخلاقها

كانت رضى الله عنها وأرضاها، كريمة الخليقة، شريفة الطبع، غرّاء المكرمات، زهراء المأثرات. فقد صاغها الله من معدن كريم، وأنبتها نباتاً حسناً، فجمعت خلال الفتوّة والمروءة، فكانت معطاءة فيّاحة، فيّاضة، نفّاحة، جمّة المبرات، كثيرة الصلات، وهى مع هذا زاهدة متقشّفة.

أمّا ما برأها عليه من عزّة نفس وحمى أنف، تربأ بنفسها عن مواطن الذلّ والابتذال، وتتصاون عن الامتهان والهوان، وهى مع هذا، لايذهب بنفسها زهو وكبرياء، ولايخالطها تيه وعجب، بل كانت متواضعة النفس، متطامنة الجانب.

سلاسة طبع وسجاحة خلق، وبالإجمال: فأخلاقها مقتبسة من أخلاق جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وإنّه لعلى خُلق عظيم.

---

١. كتاب الزهد: ۴.

وكانت المثل الأعلى فى الوفاء لزوجها على وجه الخصوص، وعرفان حقوقه، والقيام بواجباته، وقد ساهمته الاخلاص والودّ، وعرف فيها هذا الخلق النبيل، فكان مثال الطاعة لها فيما تسلكه وتنحيه، فما خالف لها أمراً، ولا وقف لها فى سبيل رغبة، بل كان يهيّئ لها ما تبتغيه، ويسهّل لها ما تريده، ولم يبخل عليها بشىء من ماله.

وكانت عطوفة على أُسرتها، فهاهى تلك بنت أخيها زينب، وقد لمست فى عمّتها العطف، فتمادت فى خدمتها، ونسيت نفسها فى سبيل عمّتها، فلازمتها وأصبحت كظلّها، وعافت الزواج لتنفرد بخدمتها، وتسهر على راحتها، وتقضى لها حاجتها، وما رحلت عمتها نفيسة بنت زيد إلى مصر، إلاّ شوقاً لبنت أخيها، وكان برّها لخادمتها «جوهرة»، ومعاملتها لها أحسن معاملة، فأشرب فى قلبها حبّها، والإخلاص إليها إلى ما عرف عنها من إيثار ذويها وبرّهم، ممّا جعلها تملك قلوبهم.

وكان كثيرة الخير والبرّ، تواسى البائسين، وتسعف الملهوفين، وتفرّج كرب المكروبين، وكان لها مال كثير إلى مال زوجها، تحسن من كلّ أولئك إلى المرضى والمحتاجين والناس عامةً، فما كانت تردّ سائلاً، ولاتمنع مستجدياً، وكانت تتعرّف من به حاجة، فتقضى حاجته، سخيّةً لكلّ من يتّصل بها، نديّةً لكلّ من يلوذ بها، ويحوم حول رحابها.

وهب لها أحد الأمراء مائة ألف درهم، وقال: خذى هذا المال شكراً لله تعالى لتوبتى، فأخذته وصرّته صرراً بين يديها، وفرقت الصرر عن آخرها، وكان عندها بعض النساء فقالت لها: يا سيدتى، لو تركت لنا شيئاً من هذا الدراهم لنشترى به شيئاً فنفطر عليه؟!

فقالت لها: خذى غزلاً غزلته بيدى فبيعيه بما تشترى به طعاماً نفطر عليه، فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت بما أفطرت به هى وأيّاها، ولم تأخذ من

المال شيئاً[١]. فهى الجوادة بنت الجواد، وهى من قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وكانت رضى الله عنها عيوفة عزوفة، فما عرف عنها أنّها مدّت يدها لمخلوق، وما كانت تأخذ شيئاً ممّا كان يأتى اليها من منح الأُمراء والعظماء، بل أنّها كانت تبعث به إلى ذوى الحاجات، سخاء نفس وعزّة فطرة، وما كانت تنفق على نفسها وأفراد بيتها إلاّ ما كان من مالها أو مال زوجها أو ما يأتيها ممّا تغزله بيدها، وكانت لا تأكل طعاماً لغير زوجها.

وهذا أمير مصر السرى بن الحكم، فقد ألحّ عليها إلحاحاً شديداً فى أن تنزل فى دار له نزل عنها لها، فبعد لأى وجهد قبلت أن تنزل فى تلك الدار التى وهبها إليها، وقد سرّه قبولها، وحمد الله تعالى على ذلك[٢]، فهى من آل بيت لايرضى ذووه أن يكون لأحد غير الله تعالى له عليهم نعمة ولا منّة; شمماً وإباء نفس.

وهذا هو الأمير الذى بعث اليها بمائة ألف درهم، فلم تشأ أن تبيتها أو تدخرها، بل وزّعتها دون أن تبقى لها منها درهماً.

وكانت السيدة نفيسة رضى الله عنها كثيرة البرّ والمواساة، عطوفة رحيمة، تحنو على القوم وتتّحد بهم، فتؤويهم إلى ظلّ رحمتها، وتمهّد لهم مهاد رأفتها.

ولم يكن عطفها على ذوى قرباها بأقلّ أثراً من ذلك، فكثيراً ما نالهم برّها وشملهم خيرها. فهذه بنت أخيها السيدة زينب قد لاقت من عمّتها من الحنان والرأفة والإحسان، ما جعلها تخلص الودّ اليها، وتتفانى فى خدمتها، وتقوم لها بما تحتاجه من أمورها، فإنّ عمتها ملكت قلبها ببرّها وعطفها، حتّى وفت لها أربعين سنة، تنشط لخدمتها، وتسهر على حاجتها، دون سأم أو ملل[٣].

وكذلك أخلصت لها خادمتها «جوهرة» لما لمسته من عطف وحنان، فعاشت فى كنفها مسرورة، تفديها بنفسها، وتسارع تلبية ندائها، وقضاء حاجتها.

١. تحفة الأحباب: ١٠٦.
٢. خطط المقريزى ۴: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.
٣. المصدر السابق: ٣٢٥.

وهؤلاء جيرانها وقد عرفوا برّها وعطفها، فكانوا يودّونها ويثقون بها، حتى أولئک الذين كانوا يخالفونها فى دينها. فهذه جارتها اليهودية لم تأمن على وحيدتها غير الشريفة السيدة نفيسة، بالرغم من وجود جمهرة من اليهود أبناء شيعتها يجاورونها، غير أنّها لم تر فيهم أحداً موضع ثقتها فتودع عنده فلذة كبدها إلى أن تعود من حمامها، فلم تجد غير تلک الأمينة العطوفة، فتركتها عندها، فنالت من بركتها ممّا سيأتى فى حينه.

فالبرّ والعطف آيتان محبّبتان بهما، تملک القلوب، وتؤسر الأفئدة، إلى ما رأيناه من إقبال الناس عليها فوق ما لمسوه من بركاتها، وما عرفوه من نفحاتها.

من بلد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) إلى القاهرة

ولدت السيدة نفيسة بمكة، ثم انتقلت إلى المدينة بصحبة أبيها، ولبثت بالمدينة إلى أن روِّعت بحبس المنصور لأبيها من سنة ١٥٦ هـ إلى سنة ١٥٩ هـ حين أخرجه المهدى من حبسه وردّ عليه ماله[١]، واستمرّت فى المدينة المنوّرة، وعاشت فى ظلّ أبيها قريرة مسرورة إلى أن تزوجها إسحاق المؤتمن وبنى عليها فى بيت أبيه بالمدينة، فعاشت ردحاً من الزمن، فكانت تشوق لزيارة قبر أبيها إبراهيم (صلى الله عليه وآله)، ثم زارت بغوطة دمشق، مقام السيدة زينب بنت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم[٢]، إذ أنّها مدفونة بمغارة، وعند قبرها رخامة مكتوب عليها:

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه❊❊❊بالرغم منّى بين التراب والحجر
أُفديک فاطمة بنت ابن فاطمة❊❊❊بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

وزارت قبر «فضّة» جارية جدّتها فاطمة الزهراء رضى الله عنها، وغير أولئک.

وفى دمشق استقبلها جمهور كبير من العلماء هرعوا للتسليم عليها، والتماس دعائها وبركتها، وفى مقدّمتهم الشيخ الكبير العارف بالله أبو سلمان الدارانى، وكان

١. انظر تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم ٨: ٢٩٤، شذرات الذهب ٢: ٢١.
٢. انظر تحفة الأحباب: ١٠٥.

رجلاً صالحاً زاهداً، وله كلام رفيع فى التصوّف والوعظ، ومحدّث الشام أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقى[١]، وكان إماماً حافظاً، والإمام أبو بكر الدمشقى مروان بن محمد الطاطرى[٢]، وكان صالحاً خاشعاً عابداً، وغير أولئک من علماء الشام ومحدّثيه وصلحائه، يرجون منها دعاءها، ويلتمسون بركتها، ويسمعون منها ما تحدّث به من حديث جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)[٣].

وفى يوم السبت الموافق ٢٦ رمضان ١٩٣ هـ وصلت السيدة كريمة الدارين إلى مصر، قبل أن يقدم اليها الإمام الشافعى (رضى الله عنه) بخمس سنين، وكان ذلک فى ولاية الحسن بن البحباح[٤] والى مصر من قبل الرشيد[٥].

وفى العريش استقبل أهل مصر السيدة نفيسة رضى الله عنها أحسن استقبال[٦]، فقد أحبّها الشعب المصرى قبل قدومها إليه، سمع عن أنبائها بالمدينة بلد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وتلقّتها النساء والرجال بالهوادج والخيول مرحّبين، يهلّلون ويكبّرون، ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر، فأنزلها عنده كبير التجّار بمصر جمال الدين عبدالله الجصاص، وكان من أهل الصلاح، ومن أصحاب المعروف والبرّ والصدقة، والمحبة فى الصالحين والعلماء والسادة الأشراف، فنزلت عنده فى داره معزّزة مكرّمة مبجّلة، فأقامت بها عدّة شهور، والناس يفدون إليها زرافات ووحداناً، من سائر مدن القطر، ومن جميع الآفاق،

١. الوليد بن مسلم الأموى بالولاء، الدمشقى، عالم الشام فى عصره، من حفّاظ الحديث، ولد عام ١١٩ هـ ، وتوفّى عام ١٩٥ هـ بذى المروة عند قفوله من الحج. انظر تذكرة الحفاظ ١: ٢٧٨.
٢. أبو بكر مروان بن محمد بن حسان الطاطرى الأسدى، ولد عام ١٤٧ هـ عام الكواكب، وتوفى عام ٢١٠ هـ بدمشق، أثنى عليه الإمام أحمد ويحيى لكنّه قال: كان مرجئاً. انظر تاريخ دمشق ٢٤ ـ٢١٣.
٣. راجع كتاب الدرّة النفيسة: ٥٧ ـ ٥٨.
٤. أحد ولاة بنى العباس على مصر، ولاّه الرشيد عليها سنة ١٩٣ هـ وفى أيامه توفّى الرشيد، وولى الخلافة ابنه الأمين، وبعد أن ثار جند مصر قاتلهم الحسن بن البحباح ونكل بهم وأخضعهم للأمين، ثم عزله الأمين، وكانت مدّة ولايته كلّها سنة وشهرين! توفّى بعد عام ١٩٤ هـ . انظر النجوم الزاهرة ٢: ٦٤١.
٥. الدرّة النفيسة: ٦٤.
٦. فى قصة استقبالها رضى الله عنها من قبل المصريّين، راجع كتاب الدرّة النفيسة فى ترجمة السيدة نفيسة: ١٧ ـ ٢١.

يتلمسون بركتها، ويرجون دعاءها، ويرون فى إشراقتها إشراقة بيت النبوّة وعترة المصطفى (صلى الله عليه وآله).

وكانت سيدة من المصريّين تسمّى بأم هانئ، لها دار رحيبة بجهة المراغة، فرجت من السيدة نفيسة النزول فى دارها، وكانت امرأة ورعة تقية صالحة، فقبلت السيدة نفيسة وانتقلت إلى تلك الدار، فلم ينقطع عنها الزوّار، وانهال عليها الناس من كلّ حدب وصوب، من طلاّب الحاجات، وراغبى الدعوات، وملتمسى النفحات والبركات، ويعودون جميعاً وقد استجاب الله دعاءها، وقضى لهم حاجتهم، وكشف كروبهم.

وقد كان يجاور بيت أم هانئ رجل من اليهود، يقال له: أبو السرايا أيّوب بن صابر، وله بنت مقعدة. وفى يوم من الأيام توجّهت بها أُمها إلى السيدة نفيسة واستأذنت فى بقائها فى حماها إلى أن تعود من حمامها، فتركتها فى ردهة الدار ومضت إلى الحمّام، حتى إذا جاء وقت صلاة الظهر نهضت السيدة نفيسة لوضوئها والبنت القعيدة ترقبها، وتستشرف إلى ما تصنعه السيدة، وكان ماء الوضوء يجرى فى مجرىً بالردهة إلى بئر تحت عتبة الدار، فألهم الله عزّ وجلّ البنت إلى أن تزحف من مكان قعدتها وتصل إلى ذلك المجرى زاحفةً، وأخذت فى تقليد السيدة فيما تفعله من غسل وجهها ويديها ورجليها، وما أن غسلت رجليها من ذلك الماء الذى يسيل فى المجرى من فضل وضوء السيدة نفيسة، حتى كأنّما نشطت من عقالها، وزال عنها كساحها، وشفاها الله سبحانه وتعالى ممّا بها، فنهضت قائمةً مسرعةً فى الخروج إلى الدرب، خارج الدار تلعب مع لدّاتها، والسيدة فى شغل عنها بعبادتها وصلاتها.

فلمّا حضرت أم البنت إذ بها تجدها وقد زال عنها ما أقعدها وهى قائمة على قدميها، كأنّه لم يكن بها شىء، فاحتضنتها وهى نشوانة، مأخوذة ممّا رأت شفاء بنتها وعافيتها، فسألتها عن أمرها، فأخبرتها بجلية الأمر، وما كان من غسلها رجليها من فضل ماء الوضوء، فبكت الأم بكاءً شديداً، وقالت: لاريب فى أنّ دين تلك السيدة الشريفة هو الدين الصحيح، ودخلت على السيدة فى خشوع

وخضوع، وإجلال واحترام، ووقفت بين يديها تحيّيها، ثم نطقت بالشهادتين، وأخلصت لله ربّ العالمين، وشكرت للسيدة صنيعها وجميلها، وحمدت الله عزّ وجلّ على أن أخرجها من الظلمات إلى النور، وأنقذها من الضلال إلى الهدى.

ولمّا حضر والد البنت ـ وكان من كبار قومه، وسراة عشيرته ـ ورأى وحيدته وقد تعافت، فصح جسمها، واستقام عودها، وذهبت شكاتها، فأخذته الأريحية واستطاره الفرح، فأخذ يصفّق ويرقص، ولم يلبث أن نبّأته أُمها بخبرها، وما حاطها من بركة السيدة الشريفة جارتهم، فما أن أنهت زوجته من إخباره حتى رفع بصره ومدّ يديه إلى السماء، وقال: سبحانک ربّنا تهدى من تشاء وتضلّ من تشاء، اللّهم إنّى أُشهدک أنّ هذا الدين هو الدين الحقّ، وأنّ الدين عند الله الإسلام، وأنّه لا دين غير الإسلام. ثم توجّه من فوره إلى دار السيدة نفيسة، واستأذنها فى الدخول، فأذنت له، فكلّمها وهى من وراء حجاب، وبعد أن حيّاها وشكر لها صنيعها، قال: سيدتى ارحمينى وتشفّعى لى، واشفعى فى من هو فى ضلال الكفر قد تاه، ومن الدين أبعده الكفر وأقصاه. فرفعت السيدة نفيسة بطرفها إلى السماء، ودعت الله عزّ وجلّ له بالهداية، فما أن انتهت من دعائها حتى نطق أبو السرايا بالشهادتين، وسرى الخبر فى تلک الجهة فأسلم أهلها، وكانوا أكثر من سبعين بيتاً من اليهود[١].

ثم استأذن أبو السرايا من السيدة نفيسة أن تنتقل إلى دار له بدرب الكروبين المعروف الآن بالحسينية، وهذه الدار باقية للآن، وكذلک الحجرة التى كانت تتعبّد فيها باقية، وهى محلّ إجلال وإكبار، ولايدخلها إلاّ من عهد إليه بنظافتها.

على أنّه ما كاد تذاع تلک الكرامة حتى هرع إليها القوم من جميع الجهات، يلتمسون بركاتها ودعواتها، فتكاثرت الجموع على بابها، وضاقت بهم الدار بما رحبت، ففكّرت ملياً فى مغادرة مصر حيث تعود ثانياً إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)، لتقضى بقية عمرها فى هدوئها وعبادتها ومناجاة بارئها، وتلتزم حرم جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فاشتدّ ذلک على أهل مصر، وشقّ

١. خطط المقريزى ۴: ٣٢۶، تحفة الأحباب: ١٠٥ ـ ١٠۶.

عليهم أن تفارقهم، وقد لمسوا نفحاتها، وعرفوا هداها وتقواها، وما أفاضه الله تعالى عليها من فيوضات، وما يحيطه بها من تجلّيات ومشاهدات، فالتمسوا منها العدول عن عزمها، ورجوها البقاء بين ظهرانيهم، فأبت عليهم طلبهم، وصارحتهم بأنّها تريد انفرادها لعبادة ربّها، ولايشغلها منهم شاغل.

ولمّا رأوا منها إصراراً على مغادرة الديار، ولّوا وجوههم نحو والى مصر السرى بن الحكم بن يوسف[١].

وكان آل السرى يكبّرون السيدة نفيسة ويعظّمونها ويكثرون من زيارتها وتعهّدها، ويعرضون عليها خدمتهم إيّاها، وما أن ذهبت جمهرة من محبّيها إلى السرى يخبرونه بعزمها، ويسألونه أن يتوسّل إليها فى العدول عن عزمها، حتّى انتقل السرى إليها يستعطفها ويرجو بقاءها بمصر.

فقالت له: إنّى كنت قد اعتزمت المقام عندكم، غير أنّى امرأة ضعيفة، وقد تكاثر الناس حولى، وأكثروا من زيارتى، فشغلونى عن أورادى، وجمع زادى لمعادى، غير أنّ منزلى هذا يضيق بهذا الجمع الكثيف والعدد الكثير، وقد زاد حنينى إلى روضة جدّى المصطفى (صلى الله عليه وآله).

فقال لها السرى: يا ابنة رسول الله، إنّى كفيل بإزالة ما تشكين منه، وسأمهّد لک السبيل، وأهيّئ لک ما فيه راحتک ورضاک، أمّا ضيق المنزل فإنّ لى داراً واسعة بدرب السباع، وإنّى أشهد الله تعالى أنّى قد وهبتها لک، وأسألک أن تقبليها منّى، ولا تخجلينى بردّها علىّ.

فقالت بعد سكوت طويل: إنّى قد قبلتها منک، ثم قالت: يا سرى، كيف أصنع بهذه الجموع الكثيرة، والوفود الغفيرة؟

---

١. السرى بن الحكم بن يوسف، مولى بني ضبة، وأصله من بلخ، وقد ولى إمرة مصر بإجماع الجند وأهل مصر على الصلاة والخراج معاً، وذلک فى مستهل شهر رمضان سنة مائتين بعد عزل المطلب بن عبدالله الخزاعى عنها، وقد سكن العسكر على عادة أمراء مصر، وكان السرى أميراً جليلاً، معظّماً فى الدول وفى الأعمال، وتنقّل فى البلاد، وقد توفّى سنة خمس ومائتين، فولى ابنه محمد إمرة مصر بعد وفاة أبيه، فكان على غرار أبيه إلى أن توفّى سنة ست ومائتين، فوليها أخوه عبدالله بن السرى، وقد بقى فى ولايته إلى أن عزله المأمون فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين.

فقال: تتفّقين معهم على أن يكون للزوّار فى كل جمعة يومان، وباقى الأسبوع تتفرغين لعبادتک وخدمة مولاک، فاجعلى يومى السبت والأربعاء للناس.

فقبلت منه ذلک، وانتقلت إلى داره، وخصّصت للزيارة يومى السبت والأربعاء من كلّ أسبوع[1].

۱. خطط المقريزى ۴: ۳۲۷ ـ ۳۲۸، والدرّة النفيسة: ۱۱۷.

السيدة نفيسة
حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله)[١]

حنفى المحلاوى

من هى

اتّفق المورّخون وكتّاب السيرة على أنّ السيدة الطاهرة كريمة الدارين، ورئيسة أهل التصوّف: نفيسة... هى ابنة السيد حسن الأنور ابن السيد زيد الأبلج ابن السيد أبى محمد الحسن السبط ابن الإمام على، وابن السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله).

وقد أورد لنا علىّ باشد مبارك فى خططه كلاماً آخر عن نسب هذه العابدة الطاهرة، فقال على لسان المؤرّخ تقى الدين المقريزى: إنّها نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، وأُمّها أُم ولد... تزوّجها إسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين، فولدت له ولدين هما: القاسم، وأُم كلثوم.

ولدت السيدة نفيسة بمكّة المكرمة، فى شهر ربيع الأول من عام ١٤٥ هـ، وكانت خيراً على والدها السيد حسن الأنور; إذ اختاره أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيّين أميراً ووالياً على المدينة المنوّرة عام ١٥٠ هـ، فصحبها والدها إلى المدينة المنوّرة، وكان عمرها آنذاك خمس سنوات، فحفظت القرآن الكريم، وأجادت تفسيره، وتفقّهت فى دين الله، فأحبّها أهل المدينة حبّاً مقروناً بالإجلال والتعظيم; لما اشتهرت به من الزهد والتقوى والصلاح، كما كانت كثيراً ما تلازم قبر جدّها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله).

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من أهل البيت» ط. دار العلم والتراث.

عُرفت السيدة نفيسة رضى الله عنها بالعديد من الألقاب، فهى «نفيسة الدارين» لعوارفها، وصنائعها، وشفاعتها يوم القيامة.

وهى «نفيسة العلم» لما استنبطته من العلم، واستجلته من غوامضه، وما نثرته على طالب الاستفادة منه.

وهى «نفيسة الطاهرة» لطهارتها وتعبّدها.

وهى «نفيسة العابدة» لعبادتها وتقواها.

وهى «نفيسة المصريّين» لحبّ أهل مصر لها[١].

ولمّا بلغت السيدة نفيسة سنّ الزواج، رغب بها شباب آل البيت من بنى الحسن والحسين رضى الله عنهما، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشراف قريش; وذلك لما عرفوه من خيرها وبرّها، ودينها وصلاحها وتقواها... وكان أبوها يأبى عليهم جميعاً، ويردّهم ردّاً جميلاً، إلى أن أتاها إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق (رضى الله عنه)، فخطبها من أبيها.

وبزواج إسحاق من السيدة نفيسة اجتمع فى بيتها ـ على حدّ قول المؤرّخين ـ نوران: نور الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

وممّا ذكره المقريزى بهذا الشأن قوله: «... وتزوّج بنفيسة رضى الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق (رضى الله عنه)، وكان يقال له: إسحاق المؤتمن، وكان من أهل الصلاح والخير، والفضل والدين...»[٢].

وقد أنجبت السيدة نفيسة من زوجها ولدين، هما: القاسم، وأُم كلثوم.

وجاءت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة زوجها إسحاق المؤتمن، وقد عاش من بعد رحيل زوجته لسنوات طويلة، ودُفن بعدها فى مصر أيضاً.

وصلت السيدة نفيسة إلى مصر يوم السبت ٢٦ رمضان سنة ١٩٣ هـ وكان ذلك قبل مقدم الإمام الشافعى إلى مصر بخمس سنوات، وعاشت السيدة نفيسة على أرضها خلال ولاية الحسن بن البحباح والى مصر من قبل الرشيد.

---

١. السيدة نفيسة لتوفيق أبو علم، سلسلة أهل البيت، ط. دار المعارف.
٢. خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.

وفى العريش استقبلها الناس استقبالاً حافلاً حين علموا بقدومها من بلد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وظلّت على هذه الحفاوة حتى وصلت مدينة مصر، وأقامت فى بيت كبير التجّار آنذاک: جمال الدين عبدالله الجصّاص، وكان كذلک من أهل التقوى والصلاح، وظلّت السيدة نفيسة تقيم بهذه الدار المشهورة التى كانت تقع فى مدينة الفسطاط فترةً من الزمن، وكان يتوافد عليها فيها الناس ترحيباً وتبرّكاً.

ثم انتقلت بعد ذلک هذه السيدة الطاهرة لتقيم فى بيت أم هانئ، وكانت إحدى السيدات العابدات فى مصر آنذاک، وأخيراً انتقلت للإقامة فى الدار التى وهبها لها والى مصر السرى بن الحكم فى خلافة المأمون العباسى... وكان ذلک فى عام ٢٠١ هـ فى ولايته الثانية.

ولمّا كثرت كرامات السيدة نفيسة، وتكاثر عليها الناس تبرّكاً... أرادت الرحيل مرة أخرى إلى بلاد الحجاز ـ على ما رواه السخاوى فى كتابه المزارات ـ فشقّ هذا الأمر على أهل مصر، وسألوها الإقامة، فأبت ذلک، فركب إليها والى مصر السرى بن الحكم وسألها الإقامة، فقالت: أنا امرأة ضعيفة، وقد شغلونى عن جمع زادى لميعادى، ومكانى ضاق بهذا الجمع الكثيف...فقال لها: أمّا ضيق المكان فإنّ لى داراً واسعةً بدرب السباع، فأشهد الله أنّى قد وهبتها لک، وأسألک أن تقبليها منّى، وأمّا الجموع الوافدة فقرّرى معهم أن يكون ذلک يومين فى الجمعة، وباقى أيامک فى خدمة مولاک. فوافقت، وجعلت لهم يوم السبت ويوم الأربعاء، إلى أن توفّيت ودفنت بهذه الدار.

وأضاف السخاوى: إنّ السيدة نفيسة أقامت فى مصر قرابة سبع سنوات...وفى شهر رجب عام ٢٠٨ هـ ... مرضت السيدة نفيسة، ولمّا أحسّت بدنوّ أجلها بعثت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً، وحفرت قبرها بيدها فى بيتها، وكانت تنزل وتصلّى به كثيراً[١].

١. تحفة الأحباب: ١٠٦.

وأراد زوجها بعد موتها أن يحملها إلى المدينة المنوّرة لكى يدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى الوالى، واستجاروا به عن زوجها ليردّه عمّا أراد، فأبى، فجمعوا له مالاً وفيراً حتى وسق بعيره، وسألوه أن يدفنها عندهم، فأبى... فباتوا فى ألم عظيم، فلمّا أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوه مستجيباً لرغبتهم، فلمّا سألوه عن ذلک قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول لى: «ردّ عليهم أموالهم، وادفنها عندهم».

وعن ذلک يقول العلاّمة الأجهورى: إنّ السيدة نفيسة رضى الله عنها حفرت قبرها بيدها الشريفة، أى أمرت ببنائه حال صحّتها; لشدّة شوقها للقاء خالقها، وعدم رغبتها فى الدنيا الفانية وزينتها، وكانت ـ عليها سحائب الغفران ـ تنزل فيه للتعبّد والتذكّر بالدار الآخرة[1].

وهناک رواية سجّلها بعض المؤرّخين على لسان ابنة أخيها... وقد وصفت فيها أحوال هذه السيدة الطاهرة بعد أن أصابها المرض وأحسّت بدنوّ أجلها... وممّا نقله هؤلاء المؤرّخون على لسانها: «تألّمت عمّتى فى أول يوم من رجب، وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً، وكان غائباً بالمدينة، تطلب إليه المجىء إليها وموافاتها; لإحساسها بدنوّ أجلها، وفراقها الدنيا، وإقبالها على الآخرة».

وما زالت متوعّكة إلى أن كان يوم أول جمعة من شهر رمضان، فزاد عليها الألم وهى صائمة، فدخل عليها الأطبّاء، فأشاروا عليها بالإفطار لحفظ قوتها، والتغلّب على مرضها، فرفضت ذلک... وقالت: واعجباه! إنّ لى خمسين سنة وأنا أسأل الله عزّ وجلّ أن يتوفّانى وأنا صائمة، فأفطر؟! أعوذ بالله... فانصرف الأطبّاء وهم معجبون بقوة يقينها، وثبات عزيمتها، وسألوها الدعاء، فقالت لهم خيراً ودعت لهم.

١. مشارق الأنوار من نسل النبى المختار: ٨٧.

ثم قالت زينب ابنة أخيها: ثم إنّها بقيت كذلک وقد افترسها الداء العشر الأواسط من شهر رمضان، فاشتدّ بها المرض، واحتضرت، فاستفتحت بقراءة سورة الأنعام... فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ١٢٧] فغشى عليها.

ثم قالت زينب: فضممتها إلى صدرى، فإذا بها تشهد شهادة الحقّ، وقبضت، واختارها الله لجواره، ونقلها إلى دار كرامته، وكان ذلک فى سنة ثمان ومائتين، وذلک بعد موت الإمام الشافعى بأربع سنوات[١].

صفاتها وعلمها

تميّزت السيدة نفيسة رضى الله عنها كما تميّز غيرها من آل البيت بالتفانى فى عبادة الله، والخوف من عذابه... فكانت ـ وهى لاتزال تقيم فى المدينة، وتعيش فى كنف والدها ـ دائمة العبادة... وتلاوة القرآن الكريم... وممّا يروى عنها، وهى لا تزال فى سنّ الخامسة من عمرها: أنّها حفظت القرآن الكريم، وأجادت تفسيره، ثم تفقّهت فى الدين، ولازمت قبر جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فأحبّها أهل المدينة حبّاً مقروناً بالإجلال والتعظيم; لما اشتهرت به رضى الله عنها من الزهد والتقوى، وصيام النهار وقيام الليل فى عبادة الله.

وكانت وهى بالمدينة تتردّد كثيراً على مكّة لأداء الحجّ، وقد أُثر عنها حين طوافها حول الكعبة: أنّها كانت تتّجه إلى الله وتقول: «إلهى وسيدى ومولاى: متّعنى برضاک عنّى، فلا سبب لى يحجبک عنّى».

وكانت السيدة نفيسة كثيرة الترحال... فسافرت إلى بلاد الشام عندما بلغ عمرها ثمانية وأربعين عاماً، وهناک زارت قبر خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)، ثم جاءت إلى مصر واستقرّت بها.

وكان يزورها أثناء اقامتها بمصر الكثير من العلماء والصالحين، وكان على رأسهم آنذاک الإمام الشافعى رضى الله عنهم، وقد سمع منها الحديث، وصلّى بها

١. السيدة نفيسة، لتوفيق أبو علم.

التراويح فى شهر رمضان، وكان إذا ما مرض، ولم يستطع زيارتها، أرسل لها رسولاً يبلّغها تحياته، ويسألها الدعاء له بالشفاء.

ونظراً لكثرة عبادتها وقربها من الله... فقد أصبح المكان الذى تقيم فيه، والذى دُفنت به أيضاً... تجاب فيه الدعوات إلى الله... وقد عرف المصريّون ذلك، فأصبح قبرها ومسجدها... محطّ أنظار ملايين الناس الذين يقصدونه من أجل الدعاء المبارک به، عسى الله أن يستجيب لهم، ويفرِّج عنهم كروبهم.

وعشرات الكتب التى أخرجها العديد من الصالحين فيها قصص وحكايات عن كرامات مقام السيدة نفيسة رضى لله عنها.

وممّا يروى عن صفاتها وكثرة إقبالها على الله... ما قصّته عنها زينب ابنة أخيها التى لازمتها أربعين عاماً... حين قالت: خدمت عمّتى نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت بالليل، ولا أفطرت بنهار... فقلت لها: أما ترفقين بنفسک؟! فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لايقطعها إلاّ الفائزون؟!

ثم أضافت زينب: كانت عمّتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت تقرأه وهى تبكى، وتقول: إلهى وسيدى، يسِّر لى زيارة قبر خليلک إبراهيم. فاستجاب الرحمن لدعاتها، وزارت هذا المقام هى وزوجها إسحاق المؤتمن.

وممّا يروى كذلک عن صفات وعلم السيدة الطاهرة: أنّها كانت شغوفة بحديث جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله)، لذلک نجدها قد روت عنه الكثير من الأحاديث، سواء عن طريق أبيها وآل بيتها، أو من العلماء المسلمين الذين عاصرتهم، وبخاصّة الإمام مالک بن أنس بالمدينة.

لقد كانت أصداء أحاديث الإمام مالک ـ لما كان لها من صفة العلنية ـ تصل إلى السيدة نفيسة رضى الله عنها، فتأخذ منها ثم تضيف إلى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن والحديث; لذلک فقد سمع منها الحديث عدد كبير من علماء مصر غير الإمام الشافعى، مثل: ذى النون المصرى[١]، وعبدالله بن الحكم[١]

١. أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الأخميمى ذو النون المصرى، أحد الزهّاد العبّاد المشهورين، نوبى الأصل، مولى، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلّم بمصر فى ترتيب الأحوال

وولديه: محمد وعبدالرحمن، وعبدالرحمن البويطى[٢]، والربيعين: المرادى[٣] والجيزى[٤]، وحرملة[٥]، وكانوا من أصحاب الإمام الشافعى.

وكانت السيدة نفيسة ـ وفقاً للإجماع ـ بالإضافة إلى علمها الغزير، زاهدة فى دنياها، تؤمن بمنهج الزهد وتمارسه، وكان رائدها فى طريق الزهد جدّها العظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى أحاطت بسيرته.

وكذلک كانت تميل بطبعها منذ صغرها إلى حياة بعيدة عن زخرف الحياة ومباهجها، على الرغم من أنّ أباها كان أميراً للمدينة، وكان لاشکّ يعيش حياة رغدة.

فى هذا البيت نشأت السيدة نفيسة نشأة زهد وتقشّف، فمثلاً كانت تميل للأكل القليل... فقد روى: أنّها كانت تأكل كلّ ثلاثة أيام مرة.

كما كانت ـ فى الوقت نفسه ـ زوجة مخلصة، لم يشغلها أىّ أمر عن مسؤوليتها كزوجة، وقد أخذ زوجها المؤتمن يفاخر بها، ويذكر للناس من حوله

ومقامات أهل الولاية، وقد أنكر عليه قوم، واتّهمه المتوكّل العباسى بالزندقة، وضيّق عليه بعد أن استحضره إليه، ثم أطلقه فعاد إلى مصر، توفّى بالجيزة سنة ٢٤٥ هـ. راجع طبقات الصوفية: ١٨، والأعلام ٢: ١٠٢.

١. أبو محمد عبدالله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، فقيه مصرى، ومفتى الديار المصرية، من جلّة أصحاب مالک، وقد أفضت إليه رئاسة المالكية بعد أشهب، ولد عام ١٥٥ هـ بالاسكندرية، سمع الليث بن سعد ومالک وغيرهما، حدّث عنه بنوه الأئمة الأربعة: محمد وسعد وعبدالرحمن وعبدالحكم، وكان صديقاً للشافعى، توفّى عام ٢١٤ هـ بالقاهرة ودفن إلى جنب الشافعى. انظر سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٢٠ رقم ٥٧.

٢. المشهور فى المصادر التاريخية أنّ ممّن أوفى لها فى حياتها وبعد موتها هو أبا يعقوب يوسف بن يحيى البويطى، من أكبر أصحاب الشافعى من المصريّين، وهو الذى حُمل إلى بغداد أيام الواثق العباسى على بغل ومقيّداً بالحديد إبّان محنة خلق القرآن، وقد سجن حتّى مات بسجنه سنة ٣٣١ هـ. انظر طبقات الشافعية للسبكى ٢: ١٦٢، والأعلام ٨: ٢٥٧.

٣. أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المرادى بالولاء، المصرى، صاحب الشافعى وراوى كتبه، عمل مؤذناً بجامع ابن طولون، وكان أول من أملى الحديث فيه ولد عام ١٧٤ هـ بمصر، وتوفّى فيها سنة ٢٧٠ هـ. راجع طبقات الشافعية ٢: ١٣٢.

٤. الربيع بن سليمان بن داود الجيزى المصرى، فقيه مصر الشافعى، روى عنه أبرز أئمة الحديث كأبى داود والنسائى وغيرهما، توفّى بمصر سنة ٢٥٦ هـ. راجع طبقات الشافعية ٢: ١٣٢.

٥. أبو عبدالله حرملة بن يحيى بن عبدالله بن حرملة التجيبى، مولاهم، المصرى، فقيه من أصحاب الشافعى، روى عنه بعض أئمة الحديث كمسلم وابن ماجة وغيرهما، توفّى سنة ٢٤٣ هـ. انظر طبقات الشافعية ٢: ١٢٧.

أنّه وجد فيها نعمة الله عليه... فلم تقصّر فى حقٍّ له أبداً، ولم يشغلها أىّ أمر عن حقوقه وواجباتها.

وهناک إلى جانب ذلک صفات أخرى كثيرة عُرفت بها السيدة نفيسة رضى الله عنها، فقد كانت كريمة الأخلاق، شريفة الطبع، وكانت عطوفة على أُسرتها وأهلها... كما كانت كثيرة الخير والبرّ، تواسى البائسين، وتسعف الملهوفين، وكان مالها الكثير تفرّج به عن المحتاجين من الناس.

وصف المزار

من أشهر الكتب التاريخية التى تحدّثت باستفاضة عن قبر السيدة نفيسة رضى الله عنها هو ما كتبه السخاوى فى كتابه عن المزارات... حيث حدّد لنا بالضبط مكان هذا القبر، والذى أُقيم فى الدار التى عاشت بها بدرب السباع، والتى منحها إيّاها الوالى السرى بن الحكم.

وممّا ذكره السخاوى فى هذا الشأن قوله: ومشهد السيدة نفيسة معروف بالقرافة بالمراغة...والقبر طويل قبلى الشارع المعروف بالزرايب، وشرقى الشارع الموصل للسيدة جوهرة، على يسار من يقصد المشهد النفيسى من الجهة البحرية، تجاه سقاية الماء المنتهية بحوش الشيمى... وهى مدفونة هنا تحقيقاً بمحلّ سكنها الموهوب
لها من عبدالله بن عبدالملک بن مروان.

وممّا ذكره ابن الزيّات أيضاً فى كتابه: «الكواكب السيّارة فى ترتيب الزيارة» عن هذا الضريح قوله: وأردت بذلک أن أصحّح المشاهد كما رواه العلماء رضى الله عنهم، ولم أر أحداً من أرباب التاريخ صحّح مشهداً بغير القرافة من مشاهد أولاد على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، إلاّ المشهد النفيسى; لأنّها أقامت به أيام حياتها، وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها.

كما أكّد ذلک أيضاً صاحب كتاب «الدرّة النفيسة فى ترجمة السيدة نفيسة».

مرقد السيدة نفيسة[١]

د. سعاد ماهر

أمّا عن ضريح السيدة نفيسة فقد جاء فى خطط المقريزى[٢]: أنّ أول من بنى على قبرها عبدالله بن السرى بن الحكم والى مصر من قبل الدولة الأموية، ثم أُعيد بناء الضريح فى عهد الدولة الفاطمية، حيث أُقيمت عليه قبّة، وقد دوّن تاريخ هذه العمارة على لوحة من الرخام وضعت على باب الضريح، جاء فيها ما نصّه: نصر من الله وفتح قريب، لعبدالله ووليّه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين. أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجلّ، أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، أمتع بطول بقائه المؤمنين، وأدام قدرته وأعلى كلمته وشدّ عضده بولده الأجلّ سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين، زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

وفى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله حدث تصدّع لقبّة المشهد النفيسى، فجدّدت، كما كُسى المحراب بالرخام، وكان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

وجاء فى كتاب «المزارات»[٣] للسخاوى، أنّ السلطان الناصر محمد بن قلاوونأمر سنة ٧٥٢ هـ أن يتولّى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون، وأنّ أول من تولّى النظر عليه هو الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر المستكفى بالله.

---

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون».
٢. خطط المقريزى ۴: ٣٢۶.
٣. تحفة الأحباب: ١٠۶. (منه)

والخلفاء العباسيون هؤلاء هم سلالة الخلفاء العباسيين الذين هاجروا إلى مصر سنة ٦٥٦ هـ ، بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية فى العراق.

ويقول الجبرتى[١]: إنّ الأمير عبدالرحمن كتخدا عمّر المشهد النفيسى ومسجده، وبنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة، وجعل لزيارة النساء طريقاً بخلاف طريق الرجال، وذلك سنة١١٧٣ هـ ، كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام هذان البيتان:

عرش الحقائق مهبط الأسرار***قبر النفيسة بنت ذى الأنوار

حسن بن زيد بن الحسن نجل الإما***م على ابن عم المصطفى المختار

وفى عام ٧٧٠ هـ أقام والى مصر على باشا الحكيم بوابةً على ساحة الفضاء أمام المسجد، وما زالت باقية حتى الآن. ثم تعرّض المسجد لحريق فى عام ١٣١٠ هـ أتلف النصف الشرقى للمسجد، فأمر الخديوى عباس حلمى الثانى بإعادة بناء الضريح والمسجد، وافتتحه بنفسه بعد التجديد، فصلّى فيه صلاة الجمعة. وأمّا المقصورة النحاسية ـ دقيقة الصنع والموجودة الآن ـ فترجع إلى عصر عباس باشا أيضاً.

وقد ذكر على مبارک فى خططه[٢] الضريح والمسجد الملحق وصفاً مستفيضاً، كما ذكر أنّه قد حُبس على المشهد أربعمائة وخمسون فداناً، وعدداً من الرباع (جمع ربع) والحوانيت للصرف عليه. هذا بالإضافة إلى ما يتجمّع فى صندوق نذوره، والتى كانت تبلغ فى السنة فى ذلک العهد ما قيمته خمسة وعشرين ألف قرش، كما كانت نظارة الأوقاف تصرف له ثمن الزيت والحصر والبسط وملء الميضأة[٣].

١. عجائب الآثار: ٨٩.
٢. الخطط التوفيقية ٥: ١١٣.
٣. تمّ توسعة المسجد مؤخّراً، وإضافة مساحات جديدة له.

٤ ـ السيدة سكينة
بنت الإمام الحسين عليها وعليه السلام

بقلم
د. حمزة النشرتى
عبدالحفيظ فرغلى
عبدالحميد مصطفى
صافيناز كاظم
حنفى المحلاوى

السيدة سكينة بنت الحسين[١]

د. حمزة النشرتى
وعبدالحفيظ فرغلى
وعبدالحميد مصطفى

أبوها الحسين بن على سبط النبى (صلى الله عليه وآله) وحبيبه الذى قال فيه: «حسين منّى وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً»[٢].

وأمّا أمّها فهى الرباب بنت امرئ القيس الكلبى.

ويذكر الرواة فى قصّة زواج الحسين بالرباب قصةً طريفةً.. قالوا: قدم امرؤ القيس بن عدى بن أوس ـ سيد بنى كلب بن وائل ـ على رأس وفد من قومه إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى أثناء خلافته، وأعلن إسلامه هو وقومه، وعقد له عمر لواء على من أسلم من قومه. قال عوف بن خارجة المرّى: والله ما رأيت رجلاً أُمّر على جماعة من المسلمين قبل أن يصلّى ركعةً قطّ إلاّ امرئ القيس.

وما كاد امرؤ القيس ينصرف حتّى لحق به علىّ بن أبى طالب فاستوقفه، وقال له: أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصهره، وهذا ابناى من ابنته فاطمة الزهراء، وأشار إلى الحسن والحسين، وقد رغبنا فى مصاهرتك.

١. مقتبس من كتاب «سيرة آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)» المجلّد ٢٣، ط. القاهرة.
٢. أخرجه الترمذى ٥: ٦٥٨ كتاب المناقب ب٣١ مناقب الحسن والحسين (عليهما السلام) حديث ٣٧٧٥، وابن ماجة ١: ٥١ ب١١ فضل الحسن والحسين (عليهما السلام) حديث ١٤٤، وأحمد ٤: ١٧٢، وانظر المصنّف لابن أبى شيبة ١٢: ١٠٣، والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٧، واتحاف السادة المتّقين ٥: ٣٠٧.

فلم يتردّد امرؤ القيس أن قال: مرحباً بكم آل بيت النبى.. ونظر إلى الحسن وقال له: قد أنكحتک يا حسن ابنتى سلمى بنت امرئ القيس، والتفت إلى الحسين وقال: وأنكحتک يا حسين ابنتى الرباب بنت امرئ القيس![1و2]

وأنجبت الرباب للحسين ابنته سكينة رضى الله عنها بعد أن أنجبت له قبلها عبدالله[3].

ونشأت سكينة فى حضن والديها، وكان أبوها يحبّها حبّاً شديداً، حتّى لقد أُثر عنه أنّه قال فيها وفى أُمّها شعراً:

لعمرک إنّنى لأحبُّ داراً*** تحلُ بها سكينةُ والربابُ
أُحبّهما وأبذل كلّ مالى*** وليس بلائمى فيها عتابُ
ولستُ لهم وإن عتبوا مطيعاً*** حياتى أو يغيّبنى التراب[4]

---

١. ذكر القصة أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى ١٤: ١٥٧، وفى مقاتل الطالبيّين: ٢٧١ عند ترجمة عبدالله بن الحسين.

٢. إنّ من يمحّص فى هذه القصة يجدها لاتمت إلى الواقع شيئاً، وذلک لعدّة أمور، من أهمّها:
أولاً: أنّ شخصية أمير المؤمنين على (عليه السلام) وولديه معروفة عند جميع المسلمين، بتحلّيها بالأخلاق الكريمة، والتزامها بأدّق تفاصيل الشريعة والعادات الرفيعة، فهى تأنف أن تنحدر إلى هذا المستوى من الوضاعة، والجرى وراء الشهوات كما تصوّرها هذه القصة!
وثانياً: أنّ ارتكاب مثل هذا السلوک لا يتّفق مع الآداب الشرعية والأعراف الجارية فى مجال التزويج; حتّى ولو كان من سوقة الناس، فكيف بمن هو مؤهّلاً للزعامة والخلافة، وأحد الراشدين من عظماء أئمة المسلمين؟!
وثالثاً: يلاحظ إهمال بعض الأمور الشرعية فى مسألة الزوج، كاختيار البنت ورضاها، وتعيين المهر...الخ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ـ وهو سيد المتقين ـ بعيد منه أن يرتكب ما يخالف الشرع بأدقّ تفاصيله.
ورابعاً: لو صحّت القصة، فإنّ الرباب قد تمّ تزويجها من الحسين (عليه السلام) أيام خلافة عمر بن الخطاب، وعلى تقدير آخر أيامه، فإنّه قُتل سنة ٢٥ هـ، وولادة سكينة كان سنة ٤٧ هـ. وهذا يعنى أنّ الرباب كانت حائلاً عند الحسين (عليه السلام) لأكثر من ٢٢ عاماً على الأقلّ، أى لم تنجب طول هذه الفترة الطويلة! وهو شىء بعيد!! ولو كان كذلک لتلقّفته بنو أمية بالطعن والتشهير كما هو ديدنهم حينما يفتقرون إلى الحجة، وهو ما لم يحصل أبداً.
وخامساً: أنّ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية ٨: ٢١٧ ذكر الرباب، وأنّ اسم أبيها «أُنيف» ولم ينسبه إلى أحد، كما أنّه لم يذكر هذه القصة بتاتاً.
وفى ضوء ما تقدم، نقول: لا حجّة واضحة تؤيّد هذه الرواية، أو تأخذ بنا إلى الإيمان بها، وما هى إلاّ محض اسطورة، تناقلها بعض الرواة بشكل أعمى، ومن غير تمحيص.

٣. وهو الرضيع الذى استشهد بكربلاء، أثر رمية سهم غاشم رماها نحوه معسكر الأمويين وهو بين يدى أبيه يتلوى عطشاً، وقد جاء به إلى القوم طالباً له ماءً.

٤. زهر الآداب ١: ١٠٠. (منه)

ويبدو أنّ الحسين قد عوتب فى شدّة إقباله على زوجته وابنته، فردّ بذلک على من يعتب عليه.

كانت ولادة سكينة حوالى سنة ٤٧ هـ، وقد توفّى عمّها الحسن سنة ٥٠ هـ، ولها من العمر ثلاث سنوات، وشهدت مع أبيها معركة كربلاء ولها من العمر أربع عشرة سنة[١].

سكينة فى بحر الأحداث

وشهدت سكينة الأحداث الدامية التى أودت بمصرع أبيها (رضى الله عنه) فى المأساة المعروفة بمأساة كربلاء، كانت فى صحبته مع عمّتها زينب، وبقية أولاد الحسين وإخوته وأولاد عمومته وبعض أنصاره وشيعته.

ورأت مصارع إخوتها: عبدالله وعلى الأكبر مع أبيها، فانطبع هذا المشهد فى وجدانها، ولم تنسه، فحاولت أن تتصبّر عليه بالشعر والأدب.

... لقد عُرفت سكينة بالجمال والأدب منذ صغرها، ولذلک كانت مطمح أُولى الفضل من شباب قريش، كلٌّ يريد أن يخطبها، وقد تقدّم الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم يوماً إلى عمه الحسين ليخطب إليه، وكان يطمع فى سكينة، ولكنّه لم يصرّح لعمه بمن يريد.

فقال له عمّه (رضى الله عنه): اخترت لک ابنتى فاطمة، فهى أشبه النساء بأُمى فاطمة الزهراء، أمّا سكينة فيغلب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل[٢].

ويدلّ هذا على أنّ نشأتها كانت متّصلة بالدين اتّصالاً وثيقاً.

واستشهد الحسين فى موقعة كربلاء ولم تتزوّج سكينة بعد. وانطوت أيام من الحزن، فتقدّم مصعب بن الزبير فخطبها. وقد كان ينافسه فى سبيل الظفر بها أخوه عروة بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالملک بن مروان.

---

١. سكينة بنت الحسين، لبنت الشاطئ: ٢٢.

٢. إسعاف الراغبين للصبّان، المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٠٢. وانظر السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبى عبدالله الحسين (عليه السلام)، للمقرّم: ٤٣.

لقد كان هذا الزواج بعد مصرع أبيها، وعودتها من رحلتها التى صاحبت فيها عمتها السيدة زينب إلى مصر.

لقد عادت واستقرّ بها المقام مع أخيها السجّاد زين العابدين (رضى الله عنه)، وقد كانت عزفة عن هذا الزواج، بعد هذا الجرح الغائر فى أعماقها بمصرع أبيها، ووفاة أُمها بعده بقليل.

ولكنّ قومها أحاطوا بها، وألحّوا عليها فى الزواج; إبقاءً على سلالة الحسين (رضى الله عنه)، فقبلت بعد إباء شديد.

وبعض الرواة يقول: إنّها تزوّجت قبل مصعب بن الزبير، وأنّ الذى تزوّجها هو ابن عمها عبدالله بن الحسن.. ولكنّه قُتل عنها مع أبيها، وكان لم يدخل بها، ولكنّها رواية لا تنبعث الدلائل على رجحانها[١].

ولكن أغلب الروايات تشير إلى أنّ حياة السيدة سكينة الزوجية بدأت بمصعب بن الزبير[٢].

جاء فى عيون الأخبار: اجتمع أربعة رجال بفناء الكعبة، وهم: عبدالله بن عمر، ومصعب بن الزبير، وعبدالملک بن مروان، وعروة بن الزبير.

فقال لهم مصعب: تمنّوا.

فقالوا له: ابدأ أنت.

فقال: أتمنّى ولاية العراق، والتزوّج من سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة. وتمنّى عروة الفقه وأن يُحمل عنه الحديث. وتمنّى عبدالملک الخلافة. وتمنّى عبدالله بن عمر الجنة!

---

١. بل علماء النسب والتاريخ يشهدون بأنّ زوجها الأول هو عبدالله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، الذى استشهد وأخوه القاسم يوم الطفّ، ومن هؤلاء نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر:
* النسّابة أبو الحسن العمرى، من أعلام القرن السادس فى كتابه «المجدى».
* أبو على الطبرسى، من أعلام القرن السادس فى كتابه «اعلام الورى».
* الشيخ محمد الصبّان فى إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار.
* أبو الفرج الإصبهانى فى كتابه الأغانى (١٤: ١٦٣).
* المدائنى فى كتابه «المترادفات: ٦٤».
وغيرهم كثيرون.

٢. يكاد ينفرد بها ابن قتيبة وصاحب وفيات الأعيان ١: ٢٩٨.

ومن الغريب أنّ كلّ واحد من هؤلاء تحقّقت له أُمنيته[١].

لقد قدم مصعب مهراً لسكينة قدره ألف ألف درهم، وأعطى أخاها علياً حين حملها إليه أربعين ألف دينار.

وكانت سنّها حين زُفَّت إلى مصعب عشرين عاماً[٢].. وكان مصعب أمير العراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير.

وظلّت سكينة فى بيت زوجها، تغالب أحزانها القديمة التى كانت تعاودها. إنّ مصرع أبيها وإخوتها وأبناء عمومتها يؤرقها، ويملأ حياتها حزناً، ولكنّ الزوجية لها حقوق وواجبات، وهى ذات دين وصلاح، ربّاها أبوها وأهل بيتها على وجوب معرفة حقوق الزوجية، فأصبحت تبدو وكأنّها قد نسيت أحزانها، وما نسيت، ولكنّها تتكلّف النسيان، وكم كلّفها ذلک الكثير من الجهد والمشقّة!

حتّى إذا استقامت الحياة لها قليلاً، رُوِّعت بمصرع زوجها والتى أنست هى إلى ظلّه، واستراحت فى كنفه فترةً من الدهر.

لقد تجدّدت أحزان سكينة بوفاة زوجها فى صراعه مع عبدالملک بن مروان، وغاظها أن وفد عليها الكوفيّون يعزّونها.

وقد كانت تستشعر حزناً قاسياً، فقالت لهم: «الله يعلم أنّى أبغضكم، قتلتم جدّى علياً، وقتلتم أبى الحسين، وقتلتم زوجى مصعباً، فبأىّ وجه تلقوننى؟ تيتّمت صغيرة، وترمّلت كبيرة على أيديكم».

وقد أعقبت من مصعب فتاة جميلة أسمتها الرباب على اسم أُمّها، زوّجها عمها عروة بن الزبير من ابنه عثمان بن عروة، وماتت وهى صغيرة. وكانت هذه الفتاة الجميلة تفوق الدرّ جمالاً وحسناً، وكانت أُمّها تحليها بالجواهر، لا لتزيد من حسنها، بل لتفضح هى الجواهر بحسنها!

---

١. عيون الأخبار ٢: ٢٥٨ ط. دار الكتب.

٢. ويذكر أنّ قصة زواج مصعب من سكينة الذى رواها ابن قتيبة تعدّ من الخيالات، إذ لم يؤيّدها فحول التاريخ وأعلام السيرة، وهى وإن أثبتها مرسلة. وأمّا ما يسندها أبو منصور البغدادى عن المدائنى عن مجالد عن الشعبى فى زواجها من عبدالله بن عثمان ـ كما سيأتى ـ ففيه «مجالد» الذى شهد له ابن معين ويحيى بن سعيد بالكذب والضعف والتدليس.

ومكثت سكينة حيناً من الزمن دون زواج، تعانى الحزن والألم ومرارة الذكريات، وتستعين على ذلک بالصبر والصلاة، كما أمر القرآن الكريم.

ثم تقدّم لخطبتها إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى، خطبها من أخيها على زين العابدين، ولكنّها خطبة لم تتمّ.

وقيل: إنّ الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان خطبها، وكان حينئذ والياً على مصر، فقبلت بعد تردّد.

ولكن هذا الزواج لم يتمّ أيضاً; لأنّ عبدالملک بن مروان أرسل لابن أخيه يخيره بين البقاء فى ولاية مصر أو الزواج من سكينة بنت الحسين، فاختار الولاية على الزواج منها.. وأرسل إلى سكينة ذلک، فحمدت الله على ذلک. وبقيت سكينة فى المدينة، وبقى الأصبغ فى مصر محزوناً.

وتزوّجت سكينة من عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام، وهو رجل فاضل ماجد، وتمّ الزواج الذى باركه أبو دهبل الجمحى الشاعر، بقوله:

قضت وطراً من أهل مكّة ناقتى***سوى أملى فى الماجد ابن حزام
تمطّت به بيضاء فرع نجيبة***هجان وبعض الوالدات عزام
جميل المحيّا من قريش كأنّه***هلال بدا من سدفه وظلام
فأكرم بنسل منک بين محمد***وبين على فاسمعنّ كلامى
وبين حكيم والزبير فلن ترى***له شبهاً فى منجد وتهام[1]

وأعقبت سكينة من هذا الزوج عدّة أولاد.

وما كادت سكينة تنسى فى ظلّ هذا الزواج أحزانها القديمة التى كانت تراودها بين الحين والحين، حتّى روِّعت مرّة أخرى بوفاة زوجها.. فعادت صفحة الحزن تغزو حياتها من جديد.

وتعرّضت بعد ذلک سكينة لزيجة فاشلة من زيد بن عمرو العثمانى.. والذى عرّض هذا الزواج للفشل هو بخل زيد الشديد الذى كان مثلاً يضرب فى المدينة، وعليه كان يتندّر الناس لشدّة بخله.

---

١. سكينة بنت الحسين لبنت الشاطئ: ٨٩.

قال أشعب فيما يرويه أبو الفرج فى أغانيه: خرج زيد حاجّاً وخرجت معه سكينة، ومعها خمسة أجمال محمّلة بأصناف الطعام، فكلّما بلغ الركب منزلاً أمرت السيدة سكينة بالطعام وأُعدّت الأطباق، فجاء بعض القوم يسلّمون على زيد، فتعلّل بوجع خاصرته فرفع الطعام.

قال أشعب: ولبثنا حتّى انصرفوا ودخلنا، وقد هلكت جوعاً، فلم آكل ممّا اشتريته من السوق بمائة دينار أعطتنى إيّاها السيدة سكينة، فلمّا كان الغد أصبحت وبى من الجوع ما الله به عليم، ودعا زيد بالطعام فأمر بإسخانه، وجاءته مشيخة قريش يسلّمون عليه، فلمّا رآهم اعتلّ بخاصرته، ودعا بالترياق والماء الحارّ، ورُفع الطعام، فلمّا ذهبوا أمر بإعادته، فجيء به وقد برد، قال لى: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل؟

فقلت له: أخبرنى عن دجاجک هذا، أهو من آل فرعون! فهو يعرض على النار غدوّاً وعشياً؟[1].

كان من الطبيعى أن يفشل زواج كهذا، فهو غير متكافئ بين سليلة الكرم والجود والعطاء، التى لا تنظر إلى الدنيا بأسرها إلاّ على أنّها أحقر من جناح بعوضة، وبين ذلک الرجل الذى يأبى أن يشاركه فى طعام وشراب ضيوف هو غير متكلّف لهم.

ولقد كانت تعمل حساب ذلک قبل الزواج، فاشترطت عليه أن يطلق يدها فى ماله وإلاّ كانت منه خليّة، فقبل ذلک.

ولكن نفسه لم تسمح بالمال، وظلّ فى تضييق حتّى تحوّلت الحياة معه إلى جحيم، وكان الطلاق.. ففارقته وهى غير آسفة.

سكينة الأديبة

١. الأغانى ١٤: ١٦٥.

حین نقرأ الأغانی وغیره من کتب الأدب نعثر علی صفحات متعدّدة تتحدّث عن شخصیة سکینة الأدیبة، فهی شاعرة ناقدة، وهی قد تستقبل الشعراء لتحکم بینهم وتفاضل بین شعرهم[۱].

وقد کانت سکینة عاقلة لبیبة، تعرف مواقع الکلام والردود علیها.

۱. إنّ ما یرویه أبو الفرج عن المدائنی وعن أبی عبدالله الزبیری من أخبار الشعر واجتماع الشعراء فی بیت سکینة للمفاخرة والمفاضلة لیس المقصود منها سکینة بنت الحسین کما ینقلها أغلب کتّابنا، بل هی سکینة بنت خالد بن مصعب بن الزبیر، لأنّه یروی فی بعض مواضع من کتابه «الأغانی» (۱: ۶۷) عن رجاله أنّ سکینة بنت خالد بن مصعب بن الزبیر کانت تجتمع مع عمر بن أبی ربیعة ومعهما ابنة زوجة محمد بن مصعب بن الزبیر وجاریتان یغنیان عندهم... وفی موضع آخر (۱: ۱۵۳) یذکر أنّه تزوّج سکینة بنت خالد بن مصعب: بکیر بن عثمان بن عفّان فولدت بنتاً یقال لها: أم عثمان تزوّجها عبدالله العرجی.

کما ویذکر فی موضع (۱۶: ۱۲) بسنده: أنّ إسحاق الموصلی غنی الرشید بقوله:

قالت سکینة والدموع ذوارف*** منها علی الخدّین والجلباب

فغضب الرشید حتّی سقط القدح من یده ونهره ولعنه!! والحال أنّ هذا البیت مع أبیات رواها الزجّاج فی أمالیه:

قالت سعیدة والدموع ذوارف*** منها علی الخدّین والجلباب

لیت المغیری الذی لم أجزه*** فیما أطال تصعّدی وطلابی

إلی آخر الأبیات فی سعدی بنت عبدالرحمن بن عوف وقال: کانت سعدی بنت عبدالرحمن بن عوف جالسة فی البیت الحرام، فرأت عمر بن أبی ربیعة یطوف البیت، فأرسلت إلیه: إذا فرغت من طوافک فاتنا، فأتاها فقالت: لا أراک یا بن أبی ربیعة صادراً عن حرم الله، أما تخاف الله؟ ویحک إلی متی هذا السفه؟! فقال لها: دعی هذا عنک، أما سمعت ما قلت فیک؟ قال: لا، فأنشدها الأبیات.

وهذه الأبیات رواها الجاحظ أیضاً فی کتابه (المحاسن والأضداد: ۲۱۲) فی ابنة عبدالملک بن مروانحین حجّت البیت لکن بزیادة.

هذا ورجّح العلاّمة الشنقیطی فی شرح أمالی الزجاج: (۱۰۴ ط ۲ مصر) روایة الأغانی فی سعدی بنت عبدالرحمن علی الروایة فی سکینة بنت الحسین، وقال: «هذا هو الصحیح، وإنّما غیّره المغنّون، فجعلوا سکینة مکان سعیدة».

کما أنّ الحصری فی زهر الآداب (۱: ۱۰۱) أنکر الروایة ـ روایة الشعر ـ فی سکینة بنت الحسین وقال: «کذب من روی هذا الشعر فی سکینة». فهذا حال ضبط أبی الفرج وهذا نقله!!

علی أنّا لا نعرف هذا البیت الذی فتحته للضیافة ومفاضلة الشعر متی کان؟ أفی العهد الذی کانت فیه ذات بعل فتنفق من مال أزواجها کما یزعمون، أم أنّها کانت تنفق علی الأضیاف وتجیز للشعراء من مالها الخاصّ الذی لم یرد به تاریخ أصلاً أو أنّ الإمام السجّاد ـ بعنوان ولیّها والقائم بأمرها بعد شهادة أبیه الحسین (علیه السلام) ـ کان یفیض علیها المال لتنفقه علی الأجانب؟!!

ثم إنّ هذه الأخلاق تتنافی وربیبة أهل بیت النبوّة والعفّة الذی طهّرهم الله تطهیراً بنصّ القرآن، البیت الأجدر باتّباع تعالیم جدّهم المقدّسة; فکیف تتنکّر سکینة سنن جدّها الأکرم (صلی الله علیه وآله) وتعالیمه التی تدعو إلی الحشمة والعفّة والتأدّب بالآداب الربانیة التی علّمها ایاها أبوها سید الشهداء (علیه السلام)؟!

یروی أبو الفرج فی أغانیه: أنّ عائشة بنت طلحة حجّت ومعها ستون بغلاً علیها الهوادج والرحائل، وحجّت فی ذلک العام أیضاً سکینة بنت الحسین ـ وکانت ضرّة عائشة ـ ولم یکن معها ذلک القدر من البغال والرحال. وأخذ حادی عائشة یحدو ویقول:

عائشُ یا ذات البغالِ الستینَ***لازلت ما عشت کذا تحجّینِ

وشقّ ذلک علی سکینة، فأمرت حادیها أن یردّ قائلاً:

عائشُ هذه ضرّةٌ تشکوک***لولا أبوها ما اهتدی أبوک

فأمرت عائشة حادیها أن یکفّ، فکفّ[1].

قال الإمام السبکی معلّقاً علی هذا الخبر: فللّه درّ عائشة حیث کفّت فی موضع الإکفاف أدباً مع رسول الله (صلی الله علیه وآله)! فقد کان الأمر والمفاخرة فی الدنیا هزلاً، فقابلته سکینة بذکر رسول الله (صلی الله علیه وآله) جداً، فأفحمت خصمها، وأقامت علیها الحجّة، فللّه درّها من مناظرة عرفت مواقع الجدل، ودرّ عائشة من مذعنة للحقّ منقادة إلی الصدق![2].

وشهدت سکینة یوماً مأتماً ـ فیه بنت لعثمان بن عفّان (رضی الله عنه) ـ فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهید ـ قالت ذلک علی سبیل الفخر، وهی توجّه کلامها إلی سکینة ـ علی حین أمسکت سکینة صامتة، إلی أن أذّن المؤذّن من مسجد رسول الله (صلی الله علیه وآله) للصلاة، فلمّا بلغ قوله: «أشهد أنّ محمداً رسول الله» التفتت سکینة إلی بنت عثمان وسألتها: أهذا أبی أم أبوک؟

فأجابت بنت عثمان فی تواضع وحیاء: لا أفخر علیکم أبداً[3].

حکت صاحبة الدر المنثور قالت:

وکانت السیدة سکینة سیدة نساء عصرها، ومن أجمل النساء وأظرفهنّ وأحسنهنّ أخلاقاً، ولها نوادر وحکایات ظریفة مع الشعراء![4].

---

۱. الأغانی ۱۱: ۱۸۸.
۲. سکینة بنت الحسین للدکتورة بنت الشاطئ: ۱۲۲، نقلاً عن طبقات السبکی: ۱۶۶.
۳. الأغانی ۱۴: ۱۵۹.
۴. تقدّم الردّ علی هذه المقولة التی تتنافی وعفّة وطهارة أهل بیت النبوة الطاهر.

وكانت السيدة سكينة عفيفة أريبة، ولم يكن لقاؤها بالشعراء إلاّ بهدف تزجية وقتها، والتسرية عن نفسها ممّا لقيته من آلام ومحن، فإنّ حياتها كانت سلسلة من النكبات، فجعت بمصارع أحبّتها فى كربلاء، وروِّعت بالترمّل، ولم تصف حياتها من منغّصات، فحاولت أن تتناسى كلّ ذلک فى ظلّ الأدب والشعر.

لقد اتّهمها بعض الرواة بالتبذّل، ومجالسة الشعراء والمغنيّين!، وذلک كلّه مكذوب عليها.. فما كان لمثلها التى تناوبت الأحداث عليها، واصطلحت النكبات على غزو حياتها أن يكون لديها الفراغ للتبذّل الذى حاول هؤلاء الرواة إلصاقه بها.

وقد ناقشت الدكتورة بنت الشاطئ ما ورد فى سيرتها، وذلک فى كتابها «موسوعة أهل البيت» قالت: إنّ كثيراً من الروايات التى تظهرها فى مظهر التبذّل مختلقة مفتعلة، فقد كانت عن ذلک فى شغل بمصرع والدها وإخوتها وذويها فى كربلاء، وكانت قد شهدت هذه الموقعة الرهيبة.. هذا ولا يخفى أنّه كان لأبيها خصوم يحاولون التنقيص من قدر أهل البيت، وذريّة على والحسين خاصّة، حتّى يغضّوا من منزلتهم فى نفوس الناس. فلا يبعد أن يكون ما نسب إليها من ذلک من بعض أنصار هؤلاء الخصوم.

ويدلّ على ذلک أنّ ما ورد من شعر فى «الأغانى» ممّا يتّصل بالحوار الدائر بينها وبين الشعراء مضطرب النسب إلى أصحابه، كما يقول صاحب نور الأبصار[1].

ويدلّ على ذلک أيضاً قول الحصرى فى زهر الآداب[2]: وفى سكينة يقول عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة كاذباً عليها، ثم يورد أبياتاً. فقد وصفه الحصرى بالكذب والادّعاء، ولا نبرئ ابن ربيعة الشاعر المفتون بنفسه وشبابه من الكذب والافتراء، وقد عرف النقّاد عنه رقّة دينه، وكثرة عبثه، وغلبة مجونه.

وقد انساق مع رواية هؤلاء المدّعين الدكتور زكى مبارک ـ غفر الله له ـ فذكر أنّ عمر بن أبى ربيعة قد تغزّل فى سكينة بنت الحسين!! وهو كلام مردود بما قلناه، يضاف إليه أنّ الفترة التى شهدت شبيبة عمر بن أبى ربيعة كانت فيها

١. نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى: ٣٦١.
٢. زهر الآداب ١: ١٠١.

سكينة لم تزل طفلة، وقد انشغل الحجاز بعده بالأحداث الدامية التى لم تترك فرصة لغزل متغزّل، فلمّا ترمّلت سكينة من زوجها مصعب، وكانت معه فى العراق بعيداً عن الحجاز، ثم عادت بعد ذلک إلى المدينة، كان عمر بن أبى ربيعة قد جاوز الأربعين، وأقلع عن العبث، وأقسم ألاّ يقول شعراً فى الغزل.

وإذن، فما ورد من شعر على لسانه يتحدّث فيه عن سكينة، لا أصل له، وربّما حوّل بفعل بعض الرواة من سكينة أخرى إلى سكينة بنت الحسين. والدليل على ذلک عدم اتّفاق الرواة فى هذه الأشعار، واختلافهم اختلافاً شديداً فيما روى منها.

شجاعتها

يحدّثنا الرواة على أنّ السيدة سكينة كانت مثالاً للشجاعة والصبر.

كان ابن مطير ـ خالد بن عبدالملک بن الحارث بن الحكم المروانى ـ يذكر جدّها على بن أبى طالب كرّم الله وجهه، فكانت تتصدّى له وتردّ عليه، فلا يملک أن يردّ عليها.

وذكر صاحب الأغانى فى شجاعتها وصبرها هذه القصة العجيبة، قال: ظهرت لها سلعة[1] فى أسفل عينها، ما زالت تكبر حتّى أخذت جانب وجهها وعينها، وكان «درافيس» العالم بالطبّ فى خدمتها، فقالت له: أما ترى ما وقعت فيه؟

فقال لها: أتصبرين على ما يمسّک من الألم حتّى أعالجک؟

قالت: نعم.

فشقّ جلد وجهها، وسلخ اللحم من تحتها حتّى ظهرت عروقها، وكان منها شىء تحت الحدقة، فرفع الحدقة عنها، حتّى جعلها ناحيةً ثم سلّ عروق السلعة من تحتها، فأخرجها أجمع، وردّ العين موضعها، وسكينة لا تتحرّک ولا تئنّ حتّى فرغ ممّا أراد!

١. السلعة: كلّ زيادة تُحدث فى البدن، كالغدّة وما شابهها.

وزال ذلک عنها وبرئت منه، وبقى أثر الحزازة فى مؤخّر عينها، فكان أحسن فى وجهها من كلّ حلى وزينة، ولم يؤثّر ذلک فى نظرها ولا عينها[١].

وإنّ من شجاعتها الأدبية أنّها كانت تتحلّى بالصبر على ما انتابها من أحزان وآلام، وأن تتحكّم فى مشاعرها، وتقوى على ضبط نفسها. واستطاعت أن تحتفظ برباطة جأشها على الرغم ممّا يعتمل فى نفسها من أسىً ولوعة:

كرمها وظرفها وأدبها

وكانت كريمة سخيّة، تنفق ما لديها فى سماح، وكم قصدها أصحاب الحاجات، فما ضاقت بأحد منهم ذرعاً.

وقد عرفنا أنّها ضاقت ذرعاً ببخل زوجها زيد بن عمر العثمانى، حتّى أدّى هذا الضيق إلى الفراق.

كانت السيدة سكينة فى نقدها للشعر ذوّاقة للأدب، وفى الوقت نفسه متصوّفة عفيفة.

وكانت تجيد قول الشعر، إلاّ أنّ ما يؤثر عنها قليل، فمن ذلک قولها ترثى أباها (رضى الله عنه):

إنّ الحسين غداة الطفِّ يرشقهُ***ريبُ المنون فما أن يخطئ الحدقهْ
أأُمّة السوء هاتوا ما احتجاجكمو***غداً وجلّكم بالسيف قد صفقهْ
الويل حلّ بكم إلاّ بمن لحقه***صبرتموه لأرماح العدا درقهْ
يا عين فاحتفلى طول الحياة دماً***لا تبک ولداً ولا أهلاً ولا رفقهْ
لكن على ابن رسول الله فانسكبى***دماً وقيحاً وفى إثريهما العلقهْ[٢]

وهو شعر يتّفق مع طبيعة المرأة وأسلوبها.

أمّا فى نقدها للشعر فنذكر من أمثلته ما رواه صاحب الأغانى قال: اجتمع جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب فى ضيافة سكينة بنت الحسين رضى الله

١. الأغانى ١٤: ١٧٢.
٢. ذكر الزجاج هذه الأبيات فى أماليه: ١٠٩.

عنهما، فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم.

ثم أخرجت وصيفة لها قد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيّكم الفرزدق؟

فقال: هأنذا

قالت: أنت القائل:

هما دليانى من ثمانين قامةً***كما انحط بازٌ أقتم الريش كاسره

فلمّا استوت رجلاى بالأرض قالتا***أحيٌّ يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت: ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا***وأقبلت فى إعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بها***واحمر من ساج تبص مسامره

قال: نعم.

قالت: فما دعاک إلى إفشاء سرّها وسرّک، هلا سترت عليک وعليها؟ خذ هذه الألف والحق بأهلک.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت برسالتها، فقالت: أيّكم جرير؟

قال: هأنذا

قالت: أنت القائل:

طرقتک صائدة القلوب وليس ذا***وقت الزيارة فارجعى بسلام

تجرى السواک على أغرٍّ كأنّه***برد تحدَّر من متون غمام

لو كان عهدک كالذى حدّثتنا***لرصدت ذاک وكان غير لمام

إنّى أواصل من أردت وصاله***بحبال لا صلف ولا لوام

قال: نعم.

قالت: هلاّ أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيک ضعف، خذ هذه الألف والحق بأهلک.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيّكم كثير؟

قال: هأنذا

قالت: أنت القائل:

وأعجبنى يا عزّ منک خلائق***كرام إذا عدّ الخلائق أربع
دنوک حتى دفع الجاهل الصبا***ودفعک أسباب المنى حين يطمع
فوالله ما يدرى كريمٌ مماطلٌ***أينساک إذا باعدت أو يتصدّع

قال: نعم.

قالت: ملحت وشكلت، خذ هذه الثلاثة آلاف والحق بأهلک.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيّكم نصيب؟

قال: هأنذا

قالت: أنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب***لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كلّ مهضوم حشاها***إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم.

قالت: ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً، خذ هذه الألف والحق بأهلک.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتى تقرئک السلام وتقول لک: ما زلت مشتاقة لسماع شعرک منذ سمعت قولک:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً***بوادى القرى إنّى إذن لسعيد
لكلّ حديث بينهنّ بشاشةٌ***وكلّ قتيل عندهنَّ شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الألف والحق بأهلک[1].

وقد علّقت الدكتورة بنت الشاطئ على هذه القصة قائلة:

وليس يفوتنا ما للنصّ من دلالات، منها: أنّ أُمراء الشعر فى عصرها كانوا يجتمعون فى دارها، فتأذن لهم، وتجلس حيث تراهم ولا يرونها، وقد اتّخذت وصيفةً لها تنقل ما اختارته من شعر وتعليقها عليه. وقد أنكرت على الفرزدق إفشاءه سرّه وسرّ صاحبته، وأثنت على جرير لعفّة شعره وإن أنكرت ضعفه وأسلوبه فى مخاطبة زائريه.

١. الأغانى ١٤: ١٦٦. وذكر الشبلنجى بعضاً منه فى نور الأبصار: ٣٥٩ ـ ٣٦١.

وأعجبتها أبيات «كثير» فى وصف صاحبته; لما لمحت فيها من دقّة التعبير عن عزّة الأنثى وطبيعة حوّاء[١].

ولعلّ هذا الإعجاب هو الذى دفعها إلى مضاعفة عطائه.. ونضيف إلى ما قالته الدكتورة بنت الشاطئ: أنّ هذه القصة تدلّ إلى جانب براعتها فى النقد على أريحيتها وسخائها، فهى لم تعط على مدح، ولم تثب على قول قيل فيها، ولكنّها أعطت برّاً ومعروفاً وسخاءً[٢].

وفاتها

توفّيت السيدة سكينة بالمدينة المنوّرة سنة سبع عشرة ومائة.. ويروى أبو الفرج فى أغانيه: أنّها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبدالملك، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة،

وذلک فى أول النهار فى حرّ شديد ـ فأرسل إليهم: لا تحدثوا حدثاً حتّى أجىء فأُصلّى عليها. فوضع النعش فى موضع المصلّى على الجنائز، وجلسوا ينتظرون حتّى حان الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا شيئاً حتّى أجىء!

---

١. سكينة بنت الحسين: ١٧٧.

٢. ذكر القصة بكاملها صاحب الأغانى، وبتفاصيل مثيرة تصلح مادةً للسمر وحديث الندماء! على أنّ المبرّد فى كتابه تهذيب الكامل ٢: ١٥٠، وابن قتيبة فى كتابه عيون الأخبار (٤: ١٤٦) ذكرا اجتماع الشعراء هؤلاء إنّما كان عند عبدالملک بن مروان، وزاد تذاكرهم بيت نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت***أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فأزرى كلّهم على نصيب، فقال لهم عبدالملک: ما تقولون؟ فقال أحدهم: أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت***فيا ليت شعرى من يهيم بها بعدى

فقال عبدالملک: أنت أسوء رأياً من نصيب. فقالوا: فما كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت***فلا صلحت دعد لذى خلّة بعدى

فقالوا: أنت أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

كما ويحدّث المرزبانى فى الموشح: ١٨٩ هذه الحكاية أيضاً عن عبدالملک بن مروان، وذكر نقده للفرزدق والآخرين.

وكان ابن كثير قد ذكر هذه الحكاية، وتفاضل هؤلاء الشعراء عند عبدالملک بن مروان وليس عند سكينة فى كتابه البداية ٩: ٢٦٢.

كلّ ذلک يرشدنا إلى القول بالتشكيک فى صحّة نسب القصة إلى السيدة سكينة بنت الحسين (عليه السلام)على ما ادّعاه وحكاه أبو الفرج فى كتابه «الأغانى». وممّا يؤكّد ذلک أنّه لم يذكر ولا بيتاً منسوباً إليها فى العرفان والنسک والأدب، أو فى رثاء أبيها سيد الشهداء كما حفل به كتابه عن غيرها.

فجاءت صلاة العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه، كلّ ذلک يرسلون إليه، فلا يأذن لهم حتّى صلّيت العتمة ولم يجئ، ومكث الناس جلوساً حتّى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون.

فلمّا صلّيت الصبح أرسل إليهم خالد: صلُّوا عليها وادفنوها! فصلّى عليها شيبة بن النطاح[١].

المشهد الموجود بالقاهرة

يقول الشعرانى: إنّ السيدة سكينة بنت الحسين هى التى بمصر، وقبرها بالقاهرة، بالقرب من السيدة نفيسة رضى الله عنها، ولكنّه قد قيل: إنّ السيدة سكينة توفِّيت بالمدينة المنوّرة ودُفنت بها، وهناک قول آخر، يقول: إنّها توفِّيت بمكّة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ستّ وعشرين ومائة.

وإذن، فمن هى سُكينة التى يوجد مشهدها بالقاهرة؟

لقد أزال الإمام السخاوى فى كتابه «تحفة الأحباب» هذا الإبهام، وحلّ هذا الإشكال، فقال: إنّ السيدة سكينة التى بمصر هى السيدة سكينة بنت الإمام على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب.

وكان سبب قدومها إلى مصر أنّ الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان خطبها، وبعث بمهرها إلى المدينة، فحملها أخوها إلى مصر، فقالت له: والله لا كان لى بعلاً. فلمّا وصلت إلى أبواب مصر مات الأصبغ فى الليلة التى وصل ركبها فيها، وماتت بكراً

فى مصر، وهى أقدم وفاةً من السيدة نفيسة رضى الله عنها[٢].

ويفهم من ذلک أنّ الأصبغ حين حال عمّه عبدالملک بينه وبين الزواج من سكينة الكبرى بنت الحسين، أراد أن يصل نسبه بابنة أخيها سكينة الصغرى، وكلتاهما يطلق عليهما بنت الحسين.

وهذا هو ما نميل إليه; لأنّه الذى يوافق الصواب، والله أعلم.

---

١. الأغانى ١٤: ١٧٣.
٢. تحفة الأحباب: ٩٤.

سكينة المفترى عليها[١]

صافيناز كاظم

*** مشهد أول**

بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأزواج أبنائه وأهل بيته، سافرات الوجوه، حاسرات الشعر، ممزّقات الثياب. يهجم الناهبون على خيامهنّ، بعد المذبحة، والتمثيل بالأشلاء التى كانت أقمار البيت النبوى.

يسرق الناهبون كلّ شىء حتّى ثوب المرأة من فوق جسدها، والواحدة تصارع الناهب; لتبقى على نفسها القليل الذى يسترها. ناهب كربلائى يبكى ويده لا تكفّ عن الانتزاع والسرقة، وتسأله السيدة زينب: «لماذا تبكى؟» فيقول فى قحّة وهو مسترسل فى نحيبه وسرقته: إنّما أبكى لمصابكم أهل البيت!

ومن الخارج يأتى صوت سنان بن أنس، الذى اجتزّ رأس الحسين، يغنّى فائزاً:

أوقر ركابى فضّةً وذهبا***إنّى قتلت السيّد المحجبا

قتلتُ خير الناس أمّاً وأباً***وخيرهم إذ ينسبون نسبا!

*** مشهد ثان**

موكب السبايا الكريمات، عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يسقن إلى الكوفة، إلى بيت الإمارة، الذى كان يسكنه الإمام على وهو أمير للمؤمنين، وعنوان للحكم الإسلامى كما ينبغى. المسكن الذى شهد زينب عزيزة دارسة للحكمة على يد النموذج الإسلامى الفذّ، الذى ربّاه ونشّأه الرسول المفدّى بخلق

١. مقتبس من كتاب «رساليات فى البيت النبوى» ط. دار الزهراء، القاهرة ١٩٨٧ م.

القرآن، ومثل الإسلام: من نافسک فی دینک فنافسه، ومن نافسک فی دنیاک فألقها فی وجهه!

یجلس مکان الإمام علی بن أبی طالب ـ الذی لا یخشی فی الله لومة لائم ـ أنجس أهل الأرض طرّاً: عبیدالله بن زیاد. مفتون جلف، وغد مغرور، لا یرعی فی المسلمین إلاًّ ولا ذمّة، نسی الله فأنساه نفسه، خلقه الله إنساناً، فجعل نفسه بهیمةً لا تری إلاّ شهوتها فی ید صاحبها: یزید بن معاویة، فلا تبلغ إلاّ وجهته.

رأس الحسین بین یدی هذا العبیدالله بن زیاد، جمار نار لم یستشعر سعیرها بعد، بل یرتاح للطمها والعبث بها! وکلمات الرسول (صلی الله علیه وآله) معلّقة بقلوب السبایا: «إیّاکم والمثلة ولو بالکلب العقور!».

لکن ها هو ذا الکلب العقور یمثّل بابن الرسول (صلی الله علیه وآله)!

من وجوه السبایا یبرز ـ فی لقطات قریبة متعاقبة ـ وجه زینب بنت علی، أُخت الحسین، تخطّت الخمسین من عمرها، وصوت الحسین الأخیر ما یزال فی أذنها: «یا أختاه! لا تنسینی فی نافلة اللیل... یا أُخیة: لا یذهبنّ بحلمک الشیطان!»

ثم وجه الرباب بنت امرئ القیس زوجة الحسین، علی مشارف الثلاثین، وصوت الحسین فی أذنیها: «إنّی أقسم علیک فأبری قسمی: لا تشقّی علیَّ جیباً، ولاتخمشی علیَّ وجهاً!»

ثم وجه کالزنبقة المتفتّحة، تخضله الدموع ویرهقه الفزع، ویمنعه الإباء عن الانکسار أو الانهیار، هو وجه الصبیة الوضیئة: سکینة بنت الحسین، فی ربیعها الثالث عشر، مثلها لا یراها رجل إلاّ من محارمها أو زوجها، مثلها یظلّ وجها سرّاً، یحتال علیه الواصفون فلا یعرفونه، حتّی یلقی الله نقیّاً مصوناً!

بید أنّ البدر الآن قد سرق ستره، وها هو ذا أمام الملأ مفضوح مباح، تتجوّل فیه الأعین الأجنبیة براحتها، تدقّق فی التفاصیل، تستوعبها وتحفظها بالذاکرة لحین تأتی لحظات الاستثمار، حین یطرح الذهب فیباع کلّ شیء، وحین تفتح

الأكاذيب سوقها ويأتى موسمها، فتشترى أقداماً لتقف عليها، وتبتاع لتلفيقاتها جداراً تسند إليه!

فاليوم هو مهرجان الظلم الذى لابدّ له من غد مؤثّث بالافتراء!

فلتعبّ العيون إذاً من وجه سكينة وأخواتها، ولتجرّ من الرأس إلى القدم، تقيس الطول والعرض، والتفاف الخصر، وتتكهّن بالاحتمالات التى سوف تنضجها سنوات الشباب الغضّ، والأُنوثة المكتملة، فهى الفرصة التى لن يتيحها الزمن القاسى ثانيةً، فلتختزن من اللحظة بذور الأقاصيص التى سوف تختلق، والأشعار التى سوف تروى وتنتهك، فهناك مذبحة قادمة بعد كربلاء سوف يتمّ فيها «اغتيال الشخصية» للطاهرة النبوية، بخنجر الزور والبهتان!

ابن زياد مع الناظرين، ثم يحوّل عينيه إلى التى جلست من قبل إذنه، مشيحة عنه بوجهها، ويسأل: من هذه؟

ـ زينب بنت فاطمة!

فيقول: الحمد لله الذى فضحكم، وقتلكم، وأذهب أُحدوثتكم!

فتردّ العقيلة المؤمنة زينب: الحمد لله الذى أكرمنا بنبيّه (صلى الله عليه وآله) وآله، وطهّرنا من الرجس تطهيراً.. إنّما يفضح الله الفاسق، ويكذّب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله!

فيقول: كيف رأيت صنع الله فى أهل بيتك؟

فتردّ: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه، فتختصمون عنده!

فيقول: لقد شفى الله نفسى من طاغيّتك! والعصاة المرد من أهل بيتك!

فتردّ: لعمرى لقد قتلت كهلى، وأبرت أهلى، وقطعت فرعى، واجتثثت أصلى، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت![1]

تنتقل عينا ابن زياد فجأةً لتقع على قمر:

ـ من هذا؟

---

١. الإرشاد ٢: ١١٥ ـ ١١٦، إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، البداية والنهاية ٨: ١٩٣.

ـ على بن الحسين!

ـ أَوَ لم يُقتل؟

ـ كان لى أخ يقال له أيضاً: على، فقتله الناس.

ـ إنّ الله قد قتله!

ـ الله يتوفّى الأنفس حين موتها، وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله!

ـ اقتلوه!

وتهبّ زينب: يا بن زياد، حسبك منّا! أما رويت من دمائنا؟

ويشاء الله أن يتوقّف ابن زياد عن القتل، ويأمر بجعل الأغلال فى يد وعنق على بن الحسين زين العابدين، الذى يقول عنه الخليفة عمر بن عبدالعزيز بعد سنوات: «سراج الدنيا وجمال الإسلام: زين العابدين!».

تلتصق سكينة بعمّتها الجليلة والإباء يضنى بكاءها.

أليس هؤلاء الذين منذ قامت دولتهم، يسبّون من فوق منابر المساجد جدّها على بن أبى طالب، وهم على وعى كامل بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سبّ عليّاً فقد سبّنى!»[1].

لعلّهم من أجل ذلک بالذات يسبّون علياً!

ولو قدروا على أكثر من ذلک لفعلوا، وها هم أولاء اليوم قد قدروا على أكثر ففعلوه، وسوف يقدرون غداً على أكثر وأكثر، وسوف يفعلونه!

إن كان هؤلاء يملأون أعينهم من وجه سكينة، ويفحصون فى قحّة مكامن ملاحتها، فلتملأ هى قلبها بالوعى العميق بقدرة الباطل على خداع نفسه، حتّى يتطاول كأنّه حقّ! ولتتفحّص بعقلها التفافات النفاق حين يتّخذ إيمانه ساتراً؛ ليصدّ عن سبيل الله!

لترى سكينة إذاً فى هذا المشهد وما يليه برهان ما تعلّمته من القرآن عن الكافرين والمشركين والمنافقين، ولتتعزّ بآياته التى تتذكّر منها الآن بقوة: (وَلَقَدْ

١. أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند ۶: ٣٢٣، والحاكم فى المستدرک ٣: ١٢١، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٣٠، والشجرى فى أماليه ١: ١٣۶، وابن كثير فى البداية ٧: ٣٥٥، والمتقى الهندى فى كنز العمال ١١: ۶٠٢ رقم ٣٢٩٠٣ كلّهم عن أمّ سلمة.

نَعْلَمُ أَنَّکَ یَضیقُ صَدْرُکَ بِمَا یَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَکُن مِّنَ السَّاجِدِینَ * وَاعْبُدْ رَبَّکَ حَتَّی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ) [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

*** مشهد ثالث**

موكب السبايا الكريمات، وبينهنّ على بن الحسين الذى سخّر الله له المرض; لينجيه من المذبحة; ليحفظ به العترة الطاهرة من ذريّة الرسول (صلى الله عليه وآله)، يسير الموكب من الكوفة إلى دمشق، إلى حيث قصر يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب.

إلاّ تكن نبوّة فخلافة! هكذا صار منطقهم ليعيدوا «فرسى الرهان» إلى التوازن بين بنى عبد مناف وبنى أُمية!

قالها أبو سفيان صراحة عند موته: يا بنى أُمية تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة!

وها قد تمّ له ما أراد!

وما كان أفدح الثمن الذى غرمه المسلمون لتتحقّق إرادة أبى سفيان!

يدخل أهل بيت النبوة قصر يزيد، تثقلهم أغلال الأسر والسبى، فلا تتحمّل نساء يزيد هول المشهد الفاجع; فيعولن نادبات منتحبات!

لا تسقط أنظار رجال يزيد عن النساء النبويات اللاتى أهتك الأسر سترهنّ، لا تبالى أنظار رجال يزيد جوّ الشؤم والبلاء، وتدور تتفحّص الحرمات العقائل.

يزيد مشغول بالتنقيب بين الرؤوس المقدَّمة إليه، حتّى يجد رأس الحسين، فيعبث بقضيب فى يده بثنايا الإمام الحسين حيث كانت قبلات الرسول المفدّى لقرّة عينه.

أحد الرجال يحدق فى سكينة[1] التى تعجبه، فيتقدّم ليأخذها:

ـ يا أمير المؤمنين، هب لى هذه!

١. قد ذكرت المصادر فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) وليس سكينة كما فى تاريخ أبى مخنف ١: ٥٠٠، الإرشاد للمفيد ٢: ١٢١، المنتظم ٥: ٣٤٣ ـ ٣٤٤. وفى البداية لابن كثير ٨: ١٩٦ ـ ١٩٧ «فاطمة بنت على».

فى هلع تختبئ الصبية بحضن عمّتها التى تزعق:

ـ كذبت ولؤمت! ما ذلک لک ولا له!

تأخذ يزيد العزّة بالإثم:

ـ كذبت.. ووالله، إنّ ذلک لى، ولو شئت أن أفعله لفعلت!

وطأة اللؤم تشتدّ لكن زينب مستمرّة:

ـ كلا والله، ما جعل الله ذلک لک، إلاّ أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا!

فيهب زاعقاً:

ـ إنّما خرج من الدين أبوک وأخوک!

ـ بدين الله ودين أبى وأخى وجدّى اهتديت يا يزيد، أنت وأبوک وجدک!

فيطير صوابه:

ـ كذبت يا عدوّة الله!

ـ أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک... إنّ الله إن أمهلک فهو قوله: (**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**) [آل عمران: ١٧٨]. أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرک بناتک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) كالأسارى، قد هتكت ستورهن!.. وتحدو بهنّ الأعادى من بلد إلى بلد.. ، يتشوّقهنّ القريب والبعيد... تنكث ثنايا أبى عبدالله بمخصرتک غير متأثّم ولا مستعظم؟!...

أيزيد، والله ما فريت إلاّ فى جلدک، ولا حززت إلاّ فى لحمک، وسترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) برغمک... وستعلم أنت ومن بوّأک ومكّنک من رقاب المؤمنين، إذ كان الحكم ربّنا والخصم جدّنا، وجوارحک شاهدة عليک، أيّنا شرّ مكاناً وأضعف جنداً؟...

فلئن اتّخذتنا فى هذه الحياة مغنماً، لتجدنّنا عليک مغرماً، حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداک، تستصرخ بابن مرجانة ـ عبيدالله بن زياد ـ ويستصرخ بک،

تتعاوى وأتباعک عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد تزوّدت به: قتل ذريّة محمد (صلى الله عليه وآله)[١].

تهدأ سكينة وتقف معتدلة شامخة جوار العمّة التى أنطقها الله «برغم الموت والضرّاء والحزن»، بكلّ ألسنة البلغاء الصادقين الأباة، من بيت النبوّة; لتظلّ كلماتها مأثورات، تستجمع قلوب المستضعفين فى قوة، لمواجهة أعتى الظالمين والمستكبرين.

ويتقدّم الفظّ بعد هذا كلّه ليلحّ على أخذ سكينة:

ـ يا أمير المؤمنين، هب لى هذه الجارية!

فيردّه يزيد فى حنق:

ـ اغرب، وهب الله لک حتفاً قاضياً!

وتعود سكينة مع الركب الحزين، عائدين إلى مدينتهم، ناصرة الرسول (صلى الله عليه وآله)المدينة المنوّرة.

❊ لقطات من الماضى

❊ امرؤ القيس بن عدى بن أوس: سيد بنى كلب، يدخل على عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يعلن إسلامه ـ وكان لا يزال على نصرانيته ـ حوالى ٢٢ هـ، قبل استشهاد عمر (رضى الله عنه) عام ٢٣ هـ. على بن أبى طالب يلحق بامرئ القيس فور إسلامه ويطلب منه المصاهرة، فيقسم امرؤ القيس بناته الثلاث: المحيّاة لعلى، وسلمى للحسن، والرباب للحسين، ومعهنّ: «مرحباً بكم آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)!»[٢].

❊ تتأجّل الزيجات بسبب أحداث متتالية، تدخل فيها ظروف الخلافة بعد استشهاد عمر، وانشغال الحسن والحسين فى الجهاد ضمن جيش الفتح الإسلامى، وخروجهما فى الجيش الزاحف إلى أفريقيا بقيادة عبدالله بن سعد بن أبى سرح عام ٢٧ هـ فى عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، ويعودان من

١. راجع تاريخ أبى مخنف ١: ٥٠٠ ـ ٥٠١، الإرشاد للمفيد ٢: ١٢١، المنتظم ٥: ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ١٩٦ ـ ١٩٧.
٢. تقدّم الكلام حول هذه المسألة.

الغزوة بعدما يزيد على العام، حين يتمكّن الحسين من الزواج من الرباب بنت امرئ القيس، بعد أن تكون قد بلغت سنّ الزواج.

* تكون الرباب أحبّ زوجات الحسين إلى قلبه، وتكون الرباب أهنأ الزوجات بزوجها، وتلد له عبدالله، وبعده بسنوات تلد آمنة وتناديها: سكينة عام ٤٧ هـ[١].

* تترعرع سكينة هانئة بين أبوين متحابّين رغم خضمّ الأحداث الشرسة المائجة حول بيتها، وبين إخوة أربعة:

١ ـ شقيقها عبدالله، الذى يستشهد مع أبيه فى كربلاء.

٢ ـ على الأكبر، وأُمّه هى ليلى بنت أبى مرة: بنت أُخت معاوية بن أبى سفيان، وقد استشهد مع أبيه فى كربلاء بسيوف ابن خاله يزيد!

٣ ـ على الأصغر، وهو على زين العابدين، وأُمّه سلافة بنت يزدجرد، آخر ملوك فارس، وهو الوحيد الذى بقى من أبناء الحسين، يحمل ذريّة رسولنا المفدّى، صلوات ربّى وسلامه عليه وعلى آله، ولد عام ٣٨ هـ، عرفه الناس فى طفولته وصباه، وشبابه وكهولته، حتّى وفاته وعمره ٥٧ عاماً: عابداً، زاهداً، فقيهاً، عالماً من أشهر البكّائين ـ ورعاً ـ فى الإسلام.

٤ ـ جعفر وأُمّه من قبيلة بلىّ.

وأخت واحدة هى فاطمة، وأُمّها أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التميمى.

* تعيش سكينة السنوات العشر الأولى من عمرها فى بيت النبوة، تحت حكم معاوية، يكون فيها عمّها الحسن قد آثر الانقطاع للعلم والفقه، ويكون والدها الحسين قد شارك فى فتح أفريقيا وطبرستان، وفى غزو القسطنطينية عام ٤٩ هـ، ويكون متواصلاً مع ذلك فى حلقات العلم التى يعقدها فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتّى ليقول معاوية وهو فى دمشق لرجل من رجاله: «إذا دخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرأيت حلقةً، فيها

١. كتاب سكينة بنت الحسين للدكتورة بنت الشاطئ، ط. القاهرة.

قوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبدالله الحسين، مؤتزراً إلى أنصاف ساقيه». ويكون عمّها الحسن قد استشهد، مقتولاً بسمٍّ دسّه له معاوية ليتحلّل من عهده، ويجمع البيعة المنكرة لابنه يزيد عام ٥٠ هـ، وهى لم تتعدّ الثالثة، لكنّها تستشعر طقس غضب البيت النبوى، وإحساسه المكثّف بالظلم والغدر، والتزام الحسين بمبدأ: «لا مبايعة ليزيد» انطلاقاً من التزامه بمصلحة الإسلام: ديناً، وحكومة، وحقّاً للمسلمين فى عنقه.

* فى تلك السنوات العشر، بل الثلاث عشرة، منذ مولدها ٤٧ هـ حتّى سفرها إلى مكة مع الحسين فى موسم الحج (٦٠/١٢ هـ) قبل السير إلى كربلاء، تكون سكينة، ككلّ نماذج البيت النبوى، والمسلمين الصالحين الملتزمين، قد حفظت القرآن ووعته ودرسته، وتشرّبت مبدئيات وأخلاقيات الرساليات الداعيات من بيت النبوّة، وأمامها قدوتها المثلى: عمّتها زينب بنت فاطمة بنت خديجة، ذريّة بعضها من بعض، نشأتهنّ تربية محمد (صلى الله عليه وآله) على الزهد والتقى والجهاد، والتحرّج حتّى فى الحلال، بعيدات عن اللغو والتفاهة، والهذر وفتنة الدنيا، التى لا تفتأ تغالب كلّ مجتمع، حتّى ولو كان مجتمعاً يحكمه الرسول (صلى الله عليه وآله)، فما بال مجتمع أغرقته ثروات الفتوحات، وغزته الميول والأهواء لتسحبه تدريجياً من طقس الجدّية والالتزام، فى عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) والراشدين، إلى ردّة الترف والشعر العائد لمجون الجاهلية وخمرها، ومجالس القيّان والخلاعة، وثرثرة الأخباريّين ورواياتهم المختلقة أو الحقيقية عن نوادر البيوت وفضائحها.

* * *

أينما تلّفتت سكينة فى تلك المرحلة ـ الآمنة نسبياً فى حياتها العاصفة ـ لم تكن لترى فى أبيها وعمّتها وإخوتها وأبناء عمومتها وأهلها إلاّ سياجاً نورانياً، يعتصم من فتنة الدنيا بمدارسة القرآن والحديث، والاعتكاف والتهجّد والتعبّد، والقنوت بالأدعية الخاشعة، التى ضمتها حافظة أهل البيت، مأثورات عن جدّهم

الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو إبداعاً من دعاء قلوبهم الصافية، متوجّهاً فى تسابيح لله سبحانه وتعالى.

يكمل هذا الجوّ من البشر الإسلامى المحبّة والسكينة، التى كان الحسين يلمسها خاصّةً عند زوجته الرباب، التى نادت طفلتها آمنة باسم «سكينة» عنواناً لبيتها مع الحسين الذى لم يجد حرجاً فى تحية أهله بأبيات تقول:

لعمرى إنّنى لأحبّ داراً❊❊❊تكون بها سكينة والرباب

أحبّهما وأبذل كلّ مالى❊❊❊وليس لعاتب عندى عتاب![1]

وإذا كان الحسين قد ملكه كلّ هذا الحبّ لسكينة وأُمّها، أفلا يعنى هذا، وهو إمام المسلمين، أنّه رآهما على خير ما يودّ أن يراه فى نموذج الزوجة المسلمة، والابنة المسلمة، وهو الذى «ما رئى إلاّ عاكفاً على العبادة والجهاد... جهاداً مع النفس، ومع الباطل أينما كان» على حدّ قول الدكتورة بنت الشاطئ.

ويؤكّد هذا قول الحسين للحسن المثنّى ـ ابن أخيه الحسن ـ الذى ذهب إليه خاطباً واحدةً من بناته:

ـ اخترت لک ابنتى فاطمة، فهى أكثر ابنتى شبهاً بأُمى فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنّها لذات دين وجمال... أمّا سكينة، فغالب عليها الاستغراق مع الله، فلا تصلح لرجل[2].

❊ عودة إلى المشهد

❊ سكينة فى المدينة عام ٦١ هـ بعد المذبحة بقليل فى إطار عمّتها زينب العائدة; لتواصل حمل راية الحسين: راوية وشاهدة، وفاضحة لحكم الفحشاء والمنكر والبغى، حتّى يضجّ منها والى يزيد، ويصدر عليها الحكم بالنفى من المدينة بتُهمة «تهييج الخواطر، وإشاعة الغضب، والحض على الثورة!» فترحل زينب إلى مصر فى شعبان ٦١ هـ ، بعد ثمانية أشهر من المذبحة.

---

١. روى ابن كثير الأبيات فى البداية ٨: ٢١١ نقلاً عن الزبير بن بكّار باختلاف يسير.

٢. إسعاف الراغبين للصبّان: ٢٠٢، وانظر السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبى عبدالله الحسين (عليه السلام)لعبدالرزاق المقرم: ٤٣ وما بعده.

* تبقى سكينة مع أُمّها الرباب التى لا تبقى طويلاً بالمدينة، بعد رحيل زينب; إذ يقتلها الحزن والقهر، فتلحق بالحسين وابنها عبدالله، بعد عام من استشهادهما فى محرم ٦٢ هـ.

* تسافر سكينة إلى عمّتها بمصر لتعود بعد شهور إلى المدينة مرّة أخرى، تبكى وفاة العمة فى رجب ٦٢ هـ.

* سكينة فى الخامسة عشرة فى كنف أخيها السجاد: على زين العابدين، وعام ٦٢ هـ علامة فى المدينة المنوّرة، فقد استباحها جنود يزيد ثلاثة أيام، قتلوا ونهبوا واغتصبوا الحرمات، كما شاء لهم شيطانهم، وبعدها ساروا إلى مكّة المكرّمة، فأحرقوا الكعبة المشرّفة بعد ضربها بالمجانيق! ولا يعود الجند إلى دمشق إلاّ بعد أن تأتيهم الأخبار بموت يزيد فجأة فى ٦٣ هـ.

* يموت يزيد، ولم يلبس الملك إلاّ ما يزيد قليلاً على السنوات الثلاث، ذبح فيها ذريّة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهتك مدينته المنوّرة، وأحرق بيت الله الحرام، «ثم لم تكن عاقبة هذا كلّه على آل أبى سفيان، إلاّ خروج الملك منهم، وانتقاله إلى غيرهم. فقد مات يزيد... قتلته لذّته أشنع قتلة، فقد كان ـ فيما زعم الرواة ـ يسابق قرداً فسقط عن فرسه سقطةً كان فيها الموت!»[1].

* تعيش سكينة فى هذا الإطار الدامى فى كنف أخيها العابد، السجّاد، المتفرّغ للعلم والفقه، القائم ليلاً، باكياً داعياً متضرّعاً، وهى «المستغرقة فى الله، فما تصلح لرجل». ومع ذلك ما نلبث أن نرى الروايات والأخبار والواصفين لسكينة أُخرى غريبة عن هذا كلّه، متناقضة منطقياً وفكرياً ودينياً مع عواصف حياتها، وإطار منشئها، ومبدئية دينها. واصفون لها ما عرفوا لها شكلاً ولا ملمحاً إلاّ يوم كشف وجهها مع نساء أهل البيت فى كربلاء وسقط حجابها، فاستبيح جلال جمالها بالتحدّث عنه والتغزّل فيه والافتراء عليها.. إيذاء فى قالب تمجيد ومباهاة!

* الافتراءات

١. طه حسين «إسلاميات، الفتنة الكبرى، على وبنوه» ط. دار الآداب، بيروت: ١٠٣١.

بينما تأخذنا الصفات لنرى: خديجة السكن، وفاطمة الزهراء والبتول، وزينب العقيلة الهاشمية، نجد سكينة وقد ألحقوا بها: الغادة الهاشمية! أو الحسناء القرشية! أو صاحبة الطرّة السكينية! بزعم أنّها كانت لها أساليبها وأفانينها فى التأنّق فى الملبس وتصفيف الشعر! فتأخذ الصفات صورة «المستغرقة فى الله فما تصلح لرجل» لتحيلها إلى صورة المفتونة بالدنيا المقبلة عليها، المشاركة فى تدعيم فتنتها!! حتّى يتمهّد الطريق ليصبح ـ فيما بعد ـ معقولاً، أن نرى سكينة وقد شغلت عن قضية الحسين، لتنغمس حتّى أُذنيها فى قضايا عمر بن أبى ربيعة الماجنة، أو نراها وقد انتزعت من إطار أخيها سراج الدنيا وجمال الإسلام على زين العابدين، لتصبح طرفاً فى نوادر أشعب الطفيلى الجشع، ومقابلات المغنية «عزة الميلاء»، بل وناهية المغنّى ابن سريج عن التوبة والإيّاب إلى حظيرة الورع الإسلامى!!

من رواية يقولها أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى:

«كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة، وآلى يميناً ألاّ يغنّى، ونسك ولزم المسجد حتّى عوفى. ثم خرج وفيه بقيّة من العلّة، فأتى قبر النبى (صلى الله عليه وآله) وموضع مصلاّه. فلمّا قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مسلّمين عليه، فلا يأذن لهم بالجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حولاً، حتّى لم يعد يحسّ من علّته بشىء، وأراد الشخوص إلى مكّة، وبلغ ذلک سكينة بنت الحسين (رضى الله عنه)، فاغتمّت اغتماماً شديداً، وضاقت به ذرعها.

وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره. فقالت لأشعب: ويلک!.. إنّ ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعزّ ذلک علىَّ، فكيف الحيلة فى الاستماع منه ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جعلت فداک، وأنّى لک بذلک، والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه؟ فارفعى طمعک وامسحى بوزک تنفعک حلاوة فمک! فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتّى كادت أمعاؤه أن تخرج..

وتستمرّ الرواية فی هذا النهج من السرد الفظّ البذیء تحکی فیه کیف أرغمت بنت الحسین أشعب علی الذهاب لابن سریج المغنّی التائب لیقنعه بالغناء عندها، والمغنّی یقول: کلاّ والله، لا یکون ذلک أبداً بعد أن ترکته! حتّی یصل الأمر بأن یهدّده أشعب بالصراخ والافتراء علیه بأبشع التهم الأخلاقیة، حتّی یرضخ المغنّی، ویذهب إلی سکینة التی تضحک من فعل أشعب اللاأخلاقی، وتأمر له بدنانیر وکسوة!!!

ثم تقسم علی المغنّی قائلة: برئت من جدّی إن برحت داری ثلاثاً، وبرئت من جدّی إن أنت لم تغنِّ إن خرجت من داری شهراً، وبرئت من جدّی إن أقمت فی داری شهراً إن لم أضربک فی کلّ یوم فیه عشراً، وبرئت من جدّی إن حنثت فی یمینی أو شفعت فیک أحداً! حتّی صاح المغنّی التائب مستسلماً: واذهاب دیناه!.. وافضیحتاه! ثم اندفع یغنّی!

وتستمرّ الرواية فی حدیث الإفک هذا ـ الذی یحمل وزره العظیم صاحب الأغانی ومن استأجره ومن صدّقه ـ تحکی عن سوار الذهب، الذی أرغمت سکینة الرجل علی لبسه، وکیف أرسلت بعد ذلک إلی المغنّیة «عزّة المیلاء» لتأتی وتغنّی مع ابن سریج، الذی منع عن التوبة; لیکتمل مجلس الغناء[1] فی بیت حفیدة رسولنا المفدّی (صلی الله علیه وآله)!.

۱. تسالمت کلمات أهل السیرة والتاریخ علی أنّ السیدة سکینة بنت الحسین (علیه السلام) قد عاشت بعد مقتل أبیها (علیه السلام) ورجوع القافلة الحسینیة من عند یزید إلی المدینة، عاشت فی بیت أخیها الإمام زین العابدین (علیه السلام) الذی عُرف بالزهد والورع والتقوی والعبادة والبکاء. هل یمکن تصوّر هذا المشهد الذی ینقله أبو الفرج فی بیت هذا السید الزاهد العابد الحزین؟!!

هذا ویضاف إلیه تضافر الآثار وکلمات کثیر من أئمة المسلمین وفقهائهم علی حرمة الغناء. بل عن التتارخانیة: حرمته فی جمیع الأدیان. وقال شیخ الإسلام المرغینانی: لا تقبل شهادة المغنّی فی کتابه الهدایة (۳: ۹۰). وحکی ابن تیمیة عن ابن المنذر أنّه نقل الاتفاق علی حرمة الغناء مطلقاً، وإبطال إجارة المغنیة (مختصر الفتاوی الکبری: ۳۸۸). وحکی القاضی عیاض الإجماع علی کفر مستحلّه (الفروع ۳: ۹۰۳). وفی مفتاح الکرامة، فصل المکاسب المحرّمة عند ذکر حرمة الغناء قال: وردت خمسة وعشرون روایة صحیحة. وفی جواهر الکلام: أنّها متواترة عن الإمام السجاد وابنه الباقر والصادق (علیهم السلام) دالّة علی حرمة الغناء مطلقاً وإن لم یقترن بمحرم.

* * *

كان المقصود، بمثل هذه الروايات ـ وهناک ما هو أفحش وأبشع منها ـ وبمثل إقحام اسم سكينة زوراً إلى أبيات الغزل لعمر بن أبى ربيعة، أن ترفع الرهبة، وتسقط الحرمة، وتُستباح سيرة العقيلة النبوية، مثلما استبيحت المدينة، وأُحرقت الكعبة، من قوم لايتأثّمون ولايستعظمون من الاجتراء على حدود الله، حتّى يتمّ تجريد جمهور المسلمين من عزّة مقدّساته، وحتّى تتحطّم قياداته وتتهاوى قدواته.

فالطعنة بهذا البهتان لم تكن تعنى سكينة بنت الحسين وحدها، بل كانت فى صميمها مذبحة أُخرى ـ ككربلاء ـ معنوية وأدبية، تغتال فيها شخصية أهل البيت، لتنتزع بالافتراء قيادتها الروحية، كما انتزعت من قبل بالغدر والذبح قيادتها الحكومية، ولا أقول: السياسية; إذ أنّ هذه القيادات السياسية والروحية لأهل البيت لم تسقط عنهم أبداً، فى أىّ يوم من الأيام، على مدى الزمن الإسلامى، على الرغم من الجهد الهائل للباطل وأعوانه فى كلّ زمان ومكان!

* المشهد الختامى

كانت سكينة منذ حداثتها صاحبة مصحف وذكر وثقافة نبوية، تعكسها فى ذكاء وإبداع، ورثت عن أبيها وجدّها البلاغة، وعن عمّتها الطلاقة والمبادرة بردّ الإساءة فى شجاعة ورقى، وعن أُمّها قول الشعر الذى تمحور حول رثاء الحسين:

إنّ الحسين غداة الطفّ يرشقه***ريب المنون فما أن يخطئ الحدقهْ

فإذا كان الحال هذه، فكيف يسوغ للإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) أن يجيز لأخته سكينة ان تقيم حفلتها الغنائية فى بيته؟!! إلاّ أن يكون ذلک افتراءً عليه وعلى السيدة النبيلة (عليها السلام).

غير أنّ الناظر فى أحاديث الغناء التى سجّلها أبو الفرج على هذه الحرّة العفيفة الطاهرة مروية عن آل الزبير الذين عرفت عداوتهم لآل على (عليه السلام)، كما هو مشهور.

١. نصّ الرواية مذكور بكامله عند الدكتورة بنت الشاطئ، سكينة بنت الحسين، دار الهلال: ١٤٣ ـ ١٤٦.

بكف شرّ عباد الله كلّهم***نسل البغايا وجيش المرق الفسقهْ![1]

ظلّت سبع سنوات، بعد كربلاء، رافضة للزواج، والمعروف شعبياً أنّها كانت مخطوبة للقاسم ابن عمها الحسن[2]، الذى استشهد فى السابع من محرّم عام ٦١ هـ ، وكان من أوائل شهداء كربلاء، ولم يكن قد بلغ السابعة عشرة.

ثم زوّجها أخوها الإمام على زين العابدين من مصعب بن الزبير أخى عبدالله بن الزبير، المنافس لبنى أُمية بعد الحسين. وكان مصعب قد تولّى إمارة البصرة والعراق من قبل أخيه، وعندما تزوّجته سكينة عام ٦٧ هـ ، وهى فى العشرين من عمرها، عادت معه إلى العراق مسترجعة سبع سنوات مضت على وقفتها العزلاء فى أسر عبيدالله بن زياد.

كانت إقامة مصعب بالعراق إقامة قلقة مضطربة، خاض فيها حرباً ضدّ المختار بالكوفة، بعد أن جاوز الحدّ فى بغيه على أهلها، مستتراً تحت شعار: «الثأر للحسين!» وقتل مصعب المختار، دفاعاً عن أهل الكوفة، وبقيت أمامه المواجهة التى حفّزه إليها تربّص عبدالملک بن مروان به.

وحين جاءت لحظة خروجه للحرب ثقل على سكينة وداعه، وألمّ بها دوار فأمسک بها مصعب يشجّعها:

ـ ما ترک أبوک يا سكينة لابن حرّ عذراً.

فقالت: واحزناه عليک يا مصعب!

وكانت المرة الأُولى التى تصرّح فيها بحبّها لزوجها.

فالتفت إليها: أكان كلّ هذا لى عندک؟

فقالت: وما أُخفى أكثر!

---

١. من أبيات رثت بها أباها الشهيد (عليه السلام)، يحكيها الزجاج فى أماليه: ١٠٩ ط ٢ ـ مصر.

٢. تقدّم الكلام بأنّ حديث تزويج القاسم منها محض قول عار عن الصحة، لعدم الشاهد له، بل العكس ـ كما ذكرنا ـ أنّ علماء النسب والتاريخ يؤكّدون بأنّ زوجها الأول هو عبدالله الأكبر، أخو القاسم، ابنا الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، منهم النسّابة أبو الحسن العمرى، والعلاّمة الطبرسى، والشيخ الصبّان وأبو الفرج والمدائنى .. وغيرهم.
وكذلک لأنّ القاسم آنذاک لم يدرک الحلم كما نصّ عليه أهل التاريخ والمقاتل.

فقال وقد أزفت لحظة الرحيل: لو كنت أعلم، لكان لى ولك يا سكينة شأن آخر! ومشى يردّد:

وإن الألى بالطفّ من آل هاشم❊❊❊تأسّوا فسنّوا للكرام التآسيا![1]

وقُتل مصعب بغدر من الكوفيّين عام ٧٠ هـ. وجاء المعزّون إلى قصر الإمارة بالكوفة لتواجههم سكينة من جديد. وما أشبه الليلة ببارحة ٦١ هـ، لكنّها الآن فى الثالثة والعشرين تنهض ظلاً وامتداداً لزينب، لتواجه أهل الكوفة، ناظرة إليهم فى تعب وملل، وهى تقول فى حزن هادئ جليل:

والله يعلم أنّى أبغضكم! قتلتم جدّى علياً، وقتلتم أبى الحسين، وزوجى مصعباً، بأىّ وجه تلقوننى؟ أيتمتمونى صغيرة، وأرملتمونى كبيرة!.. وأشاحت بوجهها.

وخرجت من الكوفة، ومن العراق!

وظلّت بالمدينة، مجلس علم وفقه، وثقافة نبوية حتّى توفّاها الله تعالى عام ١١٧ هـ، وهى فى السبعين من عمرها[2].

❊ ❊ ❊

١. مذكور باختلاف عند الدكتورة بنت الشاطئ فى كتابها «سكينة بنت الحسين: ٨٦».

٢. وهذا هو المشهور والمحكى فى كتب التاريخ، مثل: تاريخ الطبرى ٨: ٢٢٨، وتاريخ ابن الأثير ٥: ٧١، ووفيات الأعيان ضمن ترجمتها، وكذلك فى مرآة اليافعى. وبه قال النووى فى تهذيبه ١: ١٦٣، وابن عماد فى شذراته ١: ١٥٤.

هذا ويحكى النووى فى تهذيب الأسماء ١: ١٦٣ أنّ وفاتها فى الشام بعدما رجعت إليه، وأنّ قبرها هنالك. وبه قال صاحب ثمار المقاصد فى ذكر المساجد: ١٠٦.

ويذهب الشعرانى إلى وفاتها بمراغة من أرض مصر، وأنّ قبرها بالقرب من قبر السيدة نفيسة. انظر لواقح الأنوار ١: ٢٣.

هذا ويذكر ياقوت الحموى فى المعجم ٦: ٢٦ أنّ أهل طبرية يزعمون أنّ بظاهرها قبر سكينة بنت الحسين (عليه السلام). كما أنّ صاحب نور الأبصار يزعم أنّها توفّيت بمكة! وحيث إنّ أغلب المؤرّخين على أنّ قبرها بالمدينة، فهو بالصحة أجدر.

السيدة سكينة
بنت الإمام الحسين عليها وعلى أبيها السلام[١]

حنفى المحلاوى

من هى

أكّد العديد من المؤرّخين ورواة التاريخ: أنّ السيدة سكينة رضى الله عليها ابنة الإمام الحسين بن على (رضى الله عنه). ومن أشهر هؤلاء المؤرّخين: ابن خلّكان والسخاوى والصبان والشعرانى وآخرين[٢].

والسيدة سكينة ـ وفق ما نقله هؤلاء ـ اسمها الحقيقى آمنة بنت الحسين رضى الله عنها، وأُمّها هى الرباب ابنة امرئ القيس بن عدى بن أوس سيد بنى كلب.

وكانت ولادتها ـ على أشهر الروايات ـ فى عام٤٨ هـ، واختار لها أبوها الإمام الحسين اسم «آمنة» على اسم جدّتها أُم النبى (صلى الله عليه وآله) ثم لقّبتها أُمّها بسكينة[٣]; وذلک لأنّ نفوس أهلها وأُسرتها كانت تسكن إليها من فرط فرحها ومرحها وحيويتها. كما قيل عن سبب ذلک أيضاً: ما لاح منها وهى طفلة من أمارات الهدوء والسكينة، وقد غلب هذا اللقب على اسمها الحقيقى: آمنة[٤].

---

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».
٢. راجع وفيات الأعيان ١: ٢٩٨، تحفة الأحباب: ٩٣، إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٣٥٩، وانظر: المترادفات للمدائنى: ٦٤، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٥٧، والأغانى ١٤: ١٦٣ وما بعده.
٣. قال الصبّان: المشهور على الألسنة فى اسمها أنّه مكبّر بفتح السين وكسر الكاف. (إسعاف الراغبين: ٢٠٢) لكن المحكى عن شرح أسماء رجال المشكاة أنّه مصغّر، أى بضمّ السين وفتح الكاف، ومثله فى القاموس.
٤. وهو المشهور عند المؤرّخين، وتؤكّده رواية أبى إسحاق المالكى عنها (عليها السلام) قولها: «إنّكم سميتمونى باسم جدّتى أمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله): آمنة بنت وهب». انظر: النجوم

نشأت السيدة سكينة وتربّت فى أحضان والدتها الرباب، بإشراف والدها الإمام الحسين (رضى الله عنه) بالمدينة[١].. فسلكت طريق الصلاح والتقوى.. وكان الإمام الحسين (رضى الله عنه)يحبّ فتاته سكينة، كما كان يحبّ أُمّها رباب حبّاً جمّاً، وروى عنه أنّه لمّا رأى الأهل يلاحظون عليه ذلك أنشدهم هذا الشعر:

لعمرک إنّنى لأحبّ داراً***تحلّ بها سكينة والرباب

أُحبّهما وأبذل فوق جهدى***وليس لعاذل عندى عتاب

ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً***حياتى أو يغيّبنى التراب[٢]

وبدأت شخصية السيدة سكينة تظهر حين كانت تعيش فى مكّة.. ولمّا بلغت الثالثة عشرة من عمرها أصبحت قبلة الأنظار لحسنها، وظرف حديثها، وأناقتها، وسحرها، حتّى صارت مثلاً يحتذى.

على أنّ مرحها وأناقتها لم تلهها عن التعبّد الذى كان يصل إلى حدّ الاستغراق. وقد شهدت السيدة سكينة معركة كربلاء فى عام ٦٠ هـ، عندما خرجت مع والدها الإمام الحسين لملاقاة جيش يزيد بن معاوية، وعندما قُتل الإمام الحسين فى هذه المعركة، سيقت السيدة سكينة مع السبايا والأسرى إلى دمشق، وذلک مع كلّ آل البيت. وبعد فترة إقامتها بدمشق سمح لها يزيد بن معاوية أن ترجع إلى المدينة المنوّرة فى صحبة عمّتها السيدة زينب.. وهناک أقامت مع أُمّها الرباب حتّى توفّيت، فأقامت السيدة سكينة مع أخيها زين العابدين حتّى تزوّجت.

وقد اختلف الرواة والمؤرّخون فى عدد أزواج هذه السيدة الطاهرة، فقيل: إنّها تزوّجت اثنين، وقيل: واحداً. على أنّ جمهور الروايات تجمع على أنّهم ثلاثة،

الزاهرة ١: ٢٧٦، والكواكب الدرّيّة للمناوى ١: ٥٨. بينما يحكى أبو الفرج القول بأنّ اسمها: أمينة وأميمة.

١. صحّ أن ولادتها بالمدينة، ووفاتها فيها أيضاً، لكن لم يتّضح دقيقاً سنة ولادتها ولا مقدار عمرها سلام الله عليها، وإن أمكننا القول بأنّها قاربت السبعين، بعد ملاحظة سنة وفاتها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ هـ، وكونها يوم الطف بالغة مبلغ النساء. انظر: تهذيب الأسماء ١: ١٦٣، نور الأبصار، ١٦٠، وترجمتها فى معارف ابن قتيبة وتذكرة الخواص ووفيات الأعيان.

٢. روى الأبيات فى زهر الآداب ١: ١٠٠ باختلاف فى بعض اللفظ.

وهم: مصعب بن الزبير، ثم عبدالله بن عثمان بن عفان، ثم يزيد بن عثمان بن عفّان، وقال ابن خلّكان: إنّها تزوّجت من الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان[١].

وإذا كانت السيدة سكينة قد عاصرت مقتل والدها الإمام الحسين فى معركة كربلاء، فكذلك عاصرت مصرع زوجها مصعب بن الزبير الذى تولّى إمارة المدينة عام٦٥ هـ من قبل أخيه عبدالله بن الزبير بن العوّام.. فبعد أن رُزق مصعب بابنته من زوجته السيدة سكينة استشهد بالعراق فى عام ٧٢ هـ ضدّ جيش عبدالله بن مروانالقادم من الشام.

وبعد رحيل زوجها لازمت السيدة سكينة طاعة الله بالصيام نهاراً وقيام الليل، والبرّ بالمساكين والفقراء، حتّى اختارها الله إلى جواره فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول عام ١١٧ هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً.

صفاتها وعلمها

أجمع المؤرّخون وكتّاب سيرة أهل البيت رضوان الله عليهم أنّ السيدة سكينة ابنة الإمام الحسين رضى الله عنهما كانت كلّما كبرت فى سنّها من بعد مولدها، كلّما كانت تزداد تأدّباً مع نفسها ومع الآخرين، ثم مع الله.. هذا الأمر جعلها قد اشتهرت بين نساء آل البيت بالذكاء وحدّة الذهن، وسرعة الخاطرة، وقوّة الحجّة. ويضربون

لذلك العديد من الأمثال.. وممّا يروونه فى هذا السياق: أنّ هذه السيدة الطاهرة سكينة ابنة الإمام الحسين رضى الله عنهما كانت تحضر فى يوم من الأيام مجتمعاً لمثيلاتها من الشابات، كنّ يتحدّثن فيه عن فضل الشهداء ودرجاتهم عند الله، أمثال أُمراء المؤمنين: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفّان، وعلى بن أبى طالب، وابنه الإمام الحسين، مستشهدات بقول الله تعالى: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ**) [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠].

١. يكاد ينفرد به ابن خلّكان. وقد تقدّم الحديث عن هذه المسألة.

وكان فى هذا المجتمع إحدى بنات سيدنا عثمان (رضى الله عنه)، فقالت مفتخرة بأبيها: إنّها بنت الشهيد الثانى، وفهمت السيدة سكينة بذكائها أنّ ابنة عثمان كانت تقصد بكلامها هذا أنّ أباها استشهد قبل استشهاد كلّ من الإمام على جدّ السيدة سكينة، والإمام الحسين والدها.

وكان ذلک قبيل دخول وقت من أوقات الصلاة، فسكتت السيدة سكينة حتّى أذّن المؤذّن، وذكر اسم جدّها محمد (صلى الله عليه وآله) عقب ذكر اسم الله تعالى، حيث قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله.. فاتّجهت السيدة سكينة إلى ابنة سيدنا عثمان وقالت: هذا جدّى، ذاک أبوک، فقالت ابنة سيدنا عثمان: من الآن لا أفتخر عليكم أبداً.

ولمّا بلغت السيدة سكينة رضى الله عنها الثالثة عشرة من عمرها، كان جسمها نامياً كأنّها بنت العشرين.. وكانت مضرب الأمثال فى العفّة والإيمان، مع رفعة مكانتها من البيت النبوى الكريم.

وقد عاشت أُخريات أيامها حيث لازمت طاعة الله بصيام النهار وقيام الليل، والبرّ بالفقراء والمساكين، حتّى رحلت إلى جوار ربّها.

وهناک من الرواة من ينسب إليها الكثير من الأعمال والأقوال، وقد شكّک فى ذلک فريق آخر من هؤلاء الرواة، ونحن ننقل هنا ما قيل بشأن هذه وذاک. فقد ذكرت بعض كتب هؤلاء الرواة أنّ السيدة سكينة رضى الله عنها كانت تصفّف شعرها، أى جمتها ـ قصّتها ـ تصفيفاً لم ير أحسن منه حتّى ضُرب بها المثل، فقيل «جمّة سكينة» و«طرّة سكينة»[1]! وذلک يقتضى قضاء بعض الوقت فى تصفيف شعرها لتجعل منه طرّةً جميلة، يستحسنها كلّ من يراها.

١. وحكاية تصفيف الشعر واشتهاره كحديث أنّهاكانت برزة من النساء، تجالس الأجلّة، يحكيها أبو الفرج فى كتابه الأغانى ١٤: ١٥٩ عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وهما معروفان بعداوتهما لأبناء على (عليه السلام)على ما نبّه إليه المرزبانى فقال: «انحراف الزبير بن بكار عن أهل البيت ظاهر، فلا يقبل ما جمعه من سرقات كثير الشاعر لتشيّعه وهجائه لآل الزبير» (الموشح: ١٥٤ ـ ١٥٥).

ولعلماء الرجال والتراجم كلمتهم فى هذين الرجلين تبيّن للقارئ ماهما عليه من مستوى فى مقام النقل والحديث.

وردّاً على ذلک ذكر الشيخ محمد عثمان فى أحد كتبه: أنّ هذه القول يناقض قول الحسين للمثنّى ـ ابن أخيه الحسن السبط ـ حينما جاء ليخطبها، فقال له عمه: إنّ سكينة مستغرقة فى الله، تصوم النهار وتقوم الليل، فهى لا تصلح لرجل..[1] وزوّجه أختها السيدة فاطمة النبوية.

كذلک قالوا عن السيدة سكينة: إنّ الشعراء يجتمعون فى دارها.. وقد اجتمع لديها ذات يوم خمسة من فحول الشعراء، منهم: جرير بن عطية والفرزدق وآخرون، وقد عرضوا عليها أشعارهم، فكانت تعلّق على شعر كلٍّ منهم بما اقتنع به صاحبه، كما قدّمت لكلٍّ منهم ألف دينار! إلاّ جميل بثينة فأعطته ثلاثة آلاف دينار!

وصف المقبرة

على الرغم من أنّ بعض الرواة والمؤرّخين قد شكّكوا فى إقامة السيدة سكينة بالحجاز، ومع ذلک هناک فريق آخر من هؤلاء الرواة والمؤرّخين من الذين أكّدوا إقامتها بمصر، حين قدمت مع عمّتها السيدة زينب بعد معركة كربلاء، وظلّت تعيش فى دار بالقرب من دار عمّتها السيدة زينب حتّى توفّيت ودُفنت بها; وبالتالى أُقيم فى هذه الدار ضريحها الموجود حالياً بالمسجد الذى يحمل اسمها.

وممّا قيل فى هذا السياق.. إنّها من بعد وصولها إلى مصر فى عام ٦١ هـ خطبها الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان أمير مصر، وبينما هى فى طريقها إلى

يقول ابن الأثير: «كان مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام منحرفاً عن على» (الكامل ٧: ١٩ ضمن حوادث سنة ٢٣٦ هـ).

ويقول ابن حجر: «لم يعتمد أحمد بن على السليمانى على روايات الزبير بن بكار; لإكثاره الرواية عن الضعفاء» (تهذيب التهذيب ٣: ٣١٣).

ويقول ابن النديم: «كان مصعب الزبيرى وأبوه عبدالله من شرار الناس، متحاملين على ولد على» (الفهرست: ١٦٠).

وذكر الشيخ المفيد أنّه لم يكن الزبير بن بكار مأموناً فى الحديث ولا موثوقاً فى النقل فيما يرويه من القذائف فى حقّ أهل البيت (عليهم السلام). (المسائل السروية: ٦١ مسألة رقم (١٠).

١. إسعاف الراغبين: ٢٠٢.

مصر بلغها بغى الأصبغ وفجوره، فأقسمت ألاّ تكون زوجةً له، فاستجاب الله لدعائها.. فلم تصل إلى مصر حتّى كان الأصبغ قد مات.

ويشكّك الشيخ محمد عثمان فى كتابه «فى البيت النبوى».. فى هذه الرواية.. بل وفى علاقتها بالأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان من أصله.. فيقول عن ذلك مستنداً على ما جاء فى كتاب «النجوم الزاهرة» من أنّ الأصبغ المذكور، لم يل إمارة مصر إلاّ نيابةً عن والدها فى مدّة وجيزة من سنة٧٥ هـ ، قضاها والده بدمشق عند أخيه عبدالملک بن مروان الخليفة الأموى الخامس، فيعلم من ذلک أنّ الأصبغ لم يمت سنة إحدى وستين، وأنّه لم يكن أميراً على مصر فى تلک السنة، وأنّه فى سنة إحدى وستين المذكورة تزوّج بالسيدة سكينة مصعب بن الزبير، وكان مقيماً بالمدينة المنوّرة، ثم أسندت إليه إمارتها سنة خمس وستين هجرية[١].

ومن الذين أيّدوا مقدمها إلى مصر، وإقامتها فيها حتّى وفاتها، الإمام الشعرانى فى طبقاته، حيث قال: إنّها مدفونة فى مصر بالقرافة، بالقرب من السيدة نفيسة رضى الله عنها. وكذلک فى طبقات المناوى والحلبى. كما أكّد ذلک أيضاً ابن زولاق فقال: إنّ أول من دخل مصر من ولد على كرّم الله وجهه سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم، وذلک أنّها حُملت إلى الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ليدخل بها، فوجدته قد مات، فخرجت إلى المدينة المنوّرة.. وكذلک النسّابة العبيدى الذى قال: إنّ السيدة سكينة صحبت عمّتها السيدة زينب فى

١. حكاية أخرى من جملة الحكايات التى ينقلها أبو الفرج الإصفهانى فى كتابه «الأغانى» الذى لم تكن غايته من تأليفه إلاّ إمتاع النفوس والقلوب والاذواق كمّا صرح هو بنفسه فى مقدّمته، فكتابه لا يعدو كونه مجموعة نافعة لأندية الغناء ومجتمعات اللهو والطرب ومغانى الشرب والسمر على حدّ قول الدكتور زكى مبارک فى كتابه النثر الفنى ١: ٢٣٥ وما بعده. فكتاب الأغانى ما هو إلاّ سجلّ للهو والسمر يدور حول الطرائف وقصص الملوک أيام الجاهلية بأسلوب لا يخلو من الخيال والمرح وجذب القلوب.

وأمّا من الجانب الآخر فلا يشتمل على حقائق تاريخية يمكن الاطمئنان إليها وإن ضمّ أسانيد فى رواياته وحكاياته، وبذلک فلا يمتلک قيمة علمية ولا تاريخية يمكن الاستناد إليها.

وممّا يجدر ذكره أنّه من يراجع معجم الأدباء لياقوت ٥: ١٦٠ وهو يروى قصةً عن أبى الفرج نفسه فى إحدى سلوكياته الماجنة، يكتشف مستوى هذا الرجل وتوجّهاته فى حياته، ودرجة الشناعة التى بلغها فى ذوقياته!!

خروجها إلى مصر حين أدرک الخليفة يزيد مقامها بالمدينة، فأمر أن يفرق بينها وبين الناس حتّى لا تكون فتنة.

وللدكتورة «بنت الشاطئ» رأى أوردته الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها عن المساجد والأولياء، فيما يخصّ مكان ضريح السيدة سكينة.. وممّا قالته عن ذلک: إنّ هذا الضريح ربّما كان من أضرحة الرؤيا، وليس على سبيل اليقين.. هذه الأضرحة التى كانت تقام وقت الشدّة والحروب.. فعندما كان أحد أولياء الله الصالحين يشاهد رؤيا فى منامه بخصوص إقامة مسجد أو ضريح لأحد أهل البيت، فكان عليه أن يقيم ذلک الضريح باسم من رآه فى منامه![1].

وبشكل عام فقد قدّم لنا العديد من رجال التاريخ ومن رجال الآثار عدّة دراسات عن هذا الضريح، وصفوا فيها مكانه وتطوّره عبر الزمان.

فقد أشار إليه على باشا مبارک فى خططه، فقال: إنّه أُقيم بحى الخليفة عن شمال الذاهب إلى القرافة الصغرى.. وكان فى بدايته زاوية صغيرة، ثم أُلحق بالضريح مسجد أقامه الأمير عبدالرحمن كتخدا عام ١١٧٤ م، ثم أجرى فيه عباس باشا عمارة، وله ثلاثة أبواب غير الميضأة، اثنان على الشارع، مكتوب على وجه أحدهما:

حرم به بنت الحسين مورّخ***بسكينة تصب المواهب كلّها

وعلى وجهه الآخر:

ذا مسجد يا آل طه مؤرّخ***شمس هدىً بنت الحسين سكينة

والثالث: الباب المقبول فى الجهة القبلية، ويفتح على درب الأكراد، مكتوب:

لک مظهر بنت الحسين مؤرّخ***لج ههنا التابوت فيه سكينة

وهذا المسجد تقام فيه الشعائر، ويشتمل على ستة أعمدة من الرخام، ومنبر من الخشب النقى، ودكّة، وفيه خلوتان، يسكنهما الخَدَمة، ومدفن قديم لصاحب

١. هذه نظرية ضعيفة جداً، فلا يعقل أن يقوم جمع من العلماء والعقلاء ببناء مسجد وضريح لمجرّد الرؤيا! ومن الصحيح أن نقول: إنّه كانت بأيديهم وثائق وأدلّة، لم تصل لأيدينا، ومن ثم فلابدّ أن نتابع الأمر، حتّى نصل إلى الحقيقة التاريخية لكلّ ضريح ومقبرة ومسجد بُنى باسم الأولياء أو آل البيت فى مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية.

البحر وأخيه صاحب النهر الحنفيَّيْن المشهورَيْن. وبجوار القبّة شبّاک مطلّ على ضريح السيدة سكينة رضى الله عنها، وهو ضريح مجلّل بالبهاء والنور، عليه تابوت من الخشب من داخل مقصورة كبيرة من النحاس الأصفر متقن الصنع، من إنشاء المرحوم عباس باشا.

ويحيط بذلک قبّة جميلة مرتفعة، بها أربعة أعمدة من الرخام، وإيوان صغير يجلس عليه القرّاء فى ليالى الحضرة، وبأسفلها إزار من خشب ارتفاعه نحو متر، وبأعلاها نقوش، وعلى وجه بابها: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، إنّه حميد مجيد» وحضرتها كلّ ليلة خميس، ولها مولد كلّ سنة قبل مولد السيدة نفيسة رضى الله عنها[١].

وكان ضريح السيدة سكينة قبل عهد الخديوى عباس الثانى منخفضاً عن سطح الأرض، فرفع الضريح إلى ما يقرب من مستوى سطح المسجد، وأُحيط بمقصورة من النحاس شبيهة بالموجودة فى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها.. كما جدّد الخديوى عباس ذلک الضريح ومسجد السيدة نفيسة، وما زالت تلک التجديدات موجودة إلى الآن، ثم قامت وزارة الأوقاف بآخر عمارة للمسجد وللضريح، على الشكل الذى نراه عليه الآن.

١. راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارک، المجلد الخامس.

مرقد السيدة سكينة
بنت الإمام الحسين (عليهما السلام)[١]

الدكتورة سعاد ماهر

أمّا عن ضريح السيدة سكينة الذى يقع بحىّ الخليفة بالقاهرة، بالشارع المسمّى باسمها، فقد اختلف المؤرّخون فى صحّة وجودها به، والذين يقولون بوجودها بمصر يعتمدون على القصة التالية: خطبها الأصبغ بن عبدالعزيز والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبدالملک بن مروان، فكتبت إليه تقول: «إنّ أراضى مصر وخمة» فبنى لها «مدينة الأصبغ»، ولكنّ هذا الأمر لم يرق فى عين الخليفة، فحسده وكتب إليه: أن تأخذ ولاية مصر أو سكينة! فكفّ عن زواجها.

وقال ابن زولاق: إنّ أول من دخل مصر من ولد على كرّم الله وجهه سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم، وذلک أنّها حُملت إلى الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ليدخل بها، فوجدته قد توفّى، فرجعت إلى المدينة، وقيل غير ذلک.

ويقول النسّابة العبيدى: إنّ السيدة سكينة صحبت عمّتها السيدة زينب فى خروجها إلى مصر حين أدرک الخليفة يزيد خطر مقامها بالمدينة، فأمر أن يفرّق بينهما وبين الناس حتّى لا تكون فتنة[٢].

وتعلّق الدكتورة بنت الشاطئ على ذلک فتقول: وإذا صحّت هذه الرواية، فلعلّ السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمّتها زينب سنة ٦٢ هـ[٣].

وعلى أيّة حال، فقد ظهر فى العصور الوسطى، وخاصّةً فى أوقات المحن والحروب التى لاتجد فيها الشعوب مَن تلوذ به غير الواحد القهّار، أن يتلمّسوا

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون».
٢. سكينة بنت الحسين لبنت الشاطئ: ٣٥ ـ ٣٦.
٣. المصدر السابق.

أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة والدعاء; ليكشف الله عنهم السوء ويرفع البلاء، ومن ثم ظهر ما يعرف باسم أضرحة الرؤيا، فإذا رأى ولى من أولياء الله الصالحين فى منامه رؤيا مؤدّاها أن يقيم مسجداً أو ضريحاً لأحد من أهل البيت أو الولى المسمّى فى «الرؤيا» فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه[١].

والمسجد الموجود حالياً يرجع إلى عهد عبدالرحمن كتخذا سنة ١١٧٣ هـ، ثم جدّدته بعد ذلك وزارة الأوقاف فى القرن الثالث عشر الهجرى، وعلى باب المقصورة النحاسية نجد لوحةً تذكاريةً مؤرّخة سنة ١٢٦٦ هـ.

١. كما سبق أن أشرنا: أنّ هذه نظرية غير صحيحة، ولا يمكن قبولها، فلابدّ أن ندرس الأمور أكثر وأكثر; حتّى نجد الوثائق والأدلّة الصحيحة المعقولة الموجودة عند الناس الذين قاموا ببناء هذه الأضرحة والمساجد والمشاهد، ولا يجوز أن نكتفى بنظرية «الرؤيا»!! فقط.

٥ ـ السيدة فاطمة
بنت الإمام الحسين عليها وعلى أبيها السلام

بقلم
مجدى فتحى السيد
حنفى المحلاوى

فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)[١]

مجدى فتحى السيد

حفيدة من حفيدات الرسول (صلى الله عليه وآله)، روت عن جدّتها مرسلاً وأبيها حسين بن على، وعمتها زينب بنت على، وأخيها على بن الحسين، وعبدالله بن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت عميس، وبلال المؤذّن مرسلاً[٢].

وروى عنها بنوها: عبدالله، وإبراهيم، والحسن، وأُم جعفر بنو الحسن بن الحسن، ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وأُم هشام بنت زياد، وأم الحسن بنت جعفر بن الحسن.

وتعدّ من التابعيات الراويات للحديث النبوى[٣]، وكانت مع أبيها أثناء مقتله فى كربلاء، ثم أُتى بها إلى دمشق مع أخوتها، ثم خرجت إلى المدينة.

وفاطمة بنت الحسين أُمّها: أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيمى، تزوّجها ابن عمّها حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، فولدت له عبدالله، وإبراهيم، وحسناً، وزينب.

ثم مات عنها، فخلف عليها عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، زوّجها إيّاه ابنها عبدالله بن حسن بأمرها، فولدت القاسم ومحمداً، الملقّب بالديباج، وقد لُقِّب بذلک لجماله، ورقية بنى عبدالله بن عمرو، وكان يقال لعبدالله بن عمرو: المطرف; لجماله، فمات عنها.

---

١. مقتبس من سيرة آل بيت النبى الأطهار، ط. المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠١ م.
٢. انظر الذريّة الطاهرة للدولابى: ١٢٦ وما بعده و١٣٥ و١٤٤ وما بعده، وأعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٤ ترجمة رقم (٢٠٢).
٣. أعلام النساء لعلى محمد على دخيل: ٣٦٣.

واستعمل عبدالرحمن بن الضحّاک بن قيس الفهرى على المدينة، فخطب فاطمة بنت الحسين فقالت: والله ما أُريد النكاح ولقد قعدت على بنىَّ هؤلاء.

وجعلت تحاجره، وتكره أن تباديه لخوفها إيّاه، وألحّ عليها، فقال: والله لئن لم تفعلى لأجلدنّ أكبر ولدک فى الخمر! يعنى عبدالله بن الحسن.

فبينا هى كذلک، وكان على ديوان المدينة ابن هرمز، قال: فكتب إليه يزيد بن عبدالملک أن يرتفع إليه للمحاسبة، فدخل على فاطمة يودّعها، فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحّاک، وما يعترض به منّى.

وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تذكر قرابتها ورحمها، وما ينال ابن الضحّاک منها، وما يتوعّدها به.

فقدم ابن هرمز فأخبر يزيد، وقرأ كتابها، فنزل من أعلى فراشه فجعل يضرب بخيزرانة فى يده، وهو يقول: لقد اجترأ ابن الضحّاک، من رجل يسمعنى صوته فى العذاب، وأنا على فراشى؟ ثم دعا بقرطاس فكتب إلى عبدالواحد بن عبدالله النصرى، وهو يومئذ بالطائف: قد ولّيتک المدينة، فأغرم ابن الضحّاک أربعين ألف دينار، وعذّبه حتّى أسمع صوته، وأنا على فراشى[1].

وبلغ ابن الضحّاک الخبر فهرب إلى الشام، فلجأ إلى مسلمة بن عبدالملک، فاستوهبه من يزيد فلم يفعل، وقال: قد صنع ما صنع وأدعه؟!!

فردّه إلى النصرى إلى المدينة، فأغرمه أربعين ألف دينار، وعذّبه، وطاف به فى جُبة من صوف.

وهذا جزاء من استعلى وتكبّر، وافترى وتبختر على الصالحات التقيّات، نساء آل البيت رضى الله عنهنّ أجمعين.

---

١. نقل الحكاية ابن سعد فى طبقاته ٨: ٤٧٤ وعمر رضا كحالة فى أعلام النساء ٤: ٤٧. وهذا يعدّ من الخيال المفرط!! أو يقرب من قصص ألف ليلة وليلة. إذ كيف يقدم ابن الضحّاک وبهذه الضراوة على خطبة بنت الحسين، العدوّ اللدود لبنى أُمية، وهو عامل لهم على المدينة، وأحد الأفراد الذين لا يتوانون فى فعل أىّ شىء من أجل كسب رضا الخليفة؟! والأغرب من هذا غيرة يزيد المعروف عنه بهتک الحرمات.. على فاطمة إحدى بنات الرسالة اللاتى ذقن الأمرّين إبان الأسر والقهر والتطواف فى البلدان بعد كربلاء!!

وقد كان لها كثير من الحكم والمواعظ، فمن كلامها: «ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً، ولا أدركوا من لذّاتهم شيئاً، إلاّ وقد ناله أهل المروءات، فاستتروا بجميل ستر الله».

ووقع ذكرها فى صحيح البخارى، فى كتاب الجنائز، قال البخارى (رحمه الله): لمّا مات الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم، ضربت امرأته القبّة ـ الخيمة ـ على قبره سنة، ثم رُفعت، فسمعوا صائحاً يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا[1].

قال ابن المنير: إنّما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميّت بالقرب منه; تعليلاً للنفس، وتخييلاً باستصحاب المألوف من الأنس، ومكابرة للحسّ، كما يتعلّل بالوقوف على الأطلال البالية، ومخاطبة المنازل الخالية، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنّهما من الملائكة، أو من مؤمنى الجنّ.

وإنّما ذكره البخارى لموافقته للأدلّة الشرعية.

ولعلّ من أشدّ المواقف تأثيراً فى حياة فاطمة بنت الحسين: موقف مقتل والدها فى أرض كربلاء شهيداً.

فاطمة بنت الحسين ومقتل الحسين

يروى عوانة بن الحكم فيقول: لمّا قُتل الحسين، وجيء بالأثقال والأُسارى حتّى وردوا بهم إلى الكوفة إلى عبيدالله بن زياد، فبينا القوم فى الحبس، إذ وقع حجر فى السجن، معه كتاب مربوط، وفى الكتاب: خرج البريد بأمركم فى يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع فى يوم كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله.

١. أخرجه البخارى فى صحيحه ١: ۴۴۶ كتاب الجنائز ب۶۰ ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، وابن عساكر فى أعلام النساء: ٢٧٨ برقم ٢٠٢ ترجمة فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) عن المغيرة بن شعبة.

قال: فلمّا كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقى فى السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفى الكتاب: أُوصوا واعهدوا، فإنّما ينتظر البريد يوم كذا وكذا.

فجاء البريد ولم يُسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرِّح الأسارى إلىَّ، قال: فدعا عبيدالله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

قال: فخرجوا حتّى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة[1] فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!!

فقال يزيد: ما ولدت أم محفز ألأم وأحمق، ولكنّه قاطع وظالم.

قال: فلمّا نظر يزيد إلى رأس الحسين، قال:

يفلقنَ هاماً من رجال أعزّة***علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[2]

ثم قال: أتدرون من أين أُوتى هذا؟ قال: أبى علىٌّ خيرٌ من أبيه، وأُمى فاطمة خيرٌ من أُمّه، وجدّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) خير من جدّه، وأنا خير منه، وأحقّ بهذا الأمر منه. فأمّا قوله: أبوه خير من أبى، فقد حاجّ أبى أباه، وعلم الناس أيّهما حكم له، وأمّا قوله: أُمّى خير من أُمّه، فلعمرى فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) خير من أُمّى، وأمّا قوله: جدّى خير من جدّه، فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله)فينا عدلاً وندّاً، ولكنّه إنّما أتى من قبل فقهه، ولم يقرأ: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ

١. اختلف أهل التاريخ فى من قاد ركب العترة الطاهرة إلى الشام ومنها إلى يزيد، والأسماء التى عثرنا عليها كالآتى: مخفر بن ثعلبة وشمر، مخفر بن ثعلبة وشمر، مجفر بن ثعلبة العائذى وشمر، زحر بن قيس مع محقن بن ثعلبة وشمر، زفر بن قيس وأبو بردة بن عوف الأزدى وطارق بن ضبان وغير ذلک. انظر: تاريخ أبى مخنف ١: ٤٩٧، الأخبارالطوال: ٢٦٠، المنتظم ٥: ٣٤١، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٣.

٢. البيت من الطويل للحصين بن الحمام المرى. راجع البداية والنهاية ٨: ١٩٣.

مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ)[1] [آل عمران: ٢٦].

ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية، وأهله، وولولن، ثم إنّهنّ أُدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سكينة ـ : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟!

فقال يزيد: يا ابنة أخى، أنا لهذا كنت أكره. وفى رواية أخرى قال: بل حرائر كرام، ادخلى على بنات عمك تجدين قد فعلن ما فعلت.

قالت: والله ما ترك لنا خرص[2].

قال: يا ابنة أخى! ما آت إلىّ أعظم ممّا أُخذ منك، ثم أُخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلاّ أتتهنّ، وأقمن المأتم، وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة ماذا أخذ لك؟ وليس منهنّ امرأة تدّعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلاّ قد أضعفه لها[3].

فكانت سكينة تقول: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية!

ثم أدخل الأسارى إليه، وفيهم على بن الحسين، فقال له يزيد: إيه يا على؟!

فقرأ على من كتاب الله تعالى: (مَا أَصَابَ من مُّصيبَة فى الأَرْض وَلاَ فى أَنفُسكُمْ إِلاَّ فى كتَاب مِّن قَبْل أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلَكَ عَلَى اللَّه يَسيرٌ * لكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور) [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فقرأ يزيد عليه قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصيبَة فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثير) [الشورى: ٣٠].

ثم جهّزه، وأعطاه مالاً، وسرّحه إلى المدينة[4].

---

١. ذكر الخبر الطبرى فى التاريخ ٤: ٦٥٧ ـ ٦٥٨، وابن الأثير فى الكامل ٣: ٢٩٩، وابن الجوزى فى المنتظم ٥: ٣٤٣.

٢. الخرص: حلقة القرط، أى: ما تُرك لنا صغيرة ولا كبيرة إلاّ انتهبوها منّا.

٣. انّ أدنى ملاحظة أو متابعة لأخلاق يزيد هذا، كما يحكيه تاريخه وسيرته، نجد خلاف هذا الذى يرويه ابن كثير فى البداية ٨: ١٩٧ ـ ١٩٨ وهو يعزيه إلى القيل.

٤. تاريخ الطبرى ٥: ٤٦٤، وانظر: الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٩، وإعلام الورى ١: ٤٧٤.

وفى رواية أخرى قال على بن الحسين: أما والله لو رآنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغلولين لأحبّ أن يحلّنا من الغلّ.

قال يزيد: صدقت، فحلّوهم من الغلّ.

قال: ولو وقفنا بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بُعد لأحبّ أن يقرّبنا.

قال: صدقت، فقرّبوهم، فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان ليريا رأس أبيهما، وجعل يزيد يتطاول فى مجلسه ليستر عنهما رأس أبيهما، ثم أمر بهم فجهِّزوا، وأصلح إليهم، وأُخرجوا إلى المدينة[١].

وفاطمة بنت الحسين دخلت مع قواعد قومها على هشام بن عبدالملك ـ قدمته المدينة ـ فقال للأبرش الكلبى: كان عندى البارحة قواعد قومى، فما كان فيهنّ أخفر ولا أحيا من فاطمة بنت الحسين، وأُمّها أُم إسحاق بنت طلحة، وكانت قبله عند الحسن بن على، فولدت له طلحة.

فلمّا حضرت حسناً الوفاة قال لأخيه حسين: يا أخى، لا تخرجن أم إسحاق من دوركم، فخلف على أُم إسحاق الحسين بن على بن أبى طالب.

مواقف عطرة من سيرة فاطمة بنت الحسين

وعاشت فاطمة بنت الحسين حتّى زوّجت ابنتها رقية من هشام بن عبدالملك، ودخلت هى وسكينة عليه، فقال هشام لفاطمة: صفى لنا يا بنت حسين ولدك من ابن عمك، وصفى لنا ولدك من ابن عمنا.

فبدأت بولد الحسن، فقالت: أمّا عبدالله فسيّدنا وشريفنا، والمطاع فينا. وأمّا الحسن فلساننا ومدرهنا[٢]، وأمّا إبراهيم فأشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه

١. أعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٦ برقم ٢٠٢ ترجمة فاطمة بنت الحسين (عليه السلام). وانظر: تاريخ أبى مخنف ١: ٥٠٠، والإرشاد ٢: ١٢٢، وفى سمط النجوم العوالى ٣: ١٨٣ تعليق بعد أن يذكر الخبر.

٢. دَرَه عن القوم: إذا تكلّم عنهم ودافع.

وآله) شمائل وتقلّعاً ولوناً، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا مشى تقلّع، فلا تكاد عقباه تقعان بالأرض[١].

وأمّا اللذان من ابن عمكم، فإنّ محمداً جمالنا الذى نباهى به، والقاسم عارضتنا التى نتمتّع بها، وأشبه الناس بأبى العاص بن أُمية عارضةً ونفساً!

فقال: والله لقد أحسنت صفاتهم يا ابنة حسين، ثم وثب، فجبذت سكينة بنت الحسين بردائه، وقالت: والله يا أحول، لقد أصبحت تتهكّم بنا، أما والله ما أبرزنا لک إلاّ يوم الطفّ.

قال: أنت امرأة كثيرة الشرّ[٢].

وأعطت فاطمة بنت حسين ولدها من حسن بن حسن مورثها من حسن بن حسن، وأعطت ولدها من عبدالله بن عمرو مورثها من عبدالله بن عمرو، فوجد ولدها من حسن بن حسن فى أنفسهم من ذلک; لأنّ ما ورثت من عبدالله بن عمرو أكثر، فقالت لهم:

يا بنى، إنّى كرهت أن يرى أحدكم شيئاً من مال أبيه بيد أخيه فيجد فى نفسه، فلذلک فعلت ذلک[٣].

ويحدّث محمد بن عبدالله بن عمرو فيقول: جمعتنا أُمّنا فاطمة بنت الحسين فقالت: يا بنى.. إنّه والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم، ولا أدركوا ما أدركوه من لذّاتهم، إلاّ وقد أدركه أهل المروءات بمروءاتهم، فاستتروا بستر الله[٤].

ولمّا جاءه نصيبها من الخُمس، وقد نالت خمسين ديناراً، فدعت يحيى بن أبى يعلى وقالت له: اكتب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله عمر أمير المؤمنين، من فاطمة بنت الحسين.. سلامٌ عليک، فإنّى أحمد إليک الله الذى لا

١. رويت الأخبار التى تروى صفة مشى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانّه كان يتقلّع فى مشيه، أى: كأنّه ينحدر، يريد قوة مشيه، وأنّه (صلى الله عليه وآله) كان يرفع رجليه من الأرض إذا مشى رفعاً بائناً بقوة، لا كمن يمشى اختيالاً وتنعمّاً كما عليه النساء. انظر: روايات مشيه (صلى الله عليه وآله) فى سنن أبى داود ١: ٣٦ حديث ١٤٣، ومسند أحمد ۴: ٣٣ و٢١١، ودلائل النبوة للبيهقى ١: ٢٥٢.
٢. أعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٨.
٣. المصدر السابق: ٢٧٩.
۴. تاريخ بغداد ۵: ٣٨۶، أعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٩.

إله إلاّ هو. أمّا بعد.. فأصلح الله أمير المؤمنين وأعانه على ما ولاّه، وعصم له دينه، فإنّ أمير المؤمنين كتب إلى أبى بكر بن حزم أن يقسم فينا مالاً من الكتيبة، ويتحرّى بذلک ما كان يصنع من قبله من الأئمة الراشدين المهديّين، فقد بلغنا ذلک وقسّم فينا، فوصل الله أمير المؤمنين، وجزاه من وال من خير ما جزى أحداً من الولاة، فقد كانت أصابتنا جفوةٌ واحتجنا إلى أن يعمل فينا بالحقّ، فأقسم لک بالله يا أمير المؤمنين، لقد اختدم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنفق من كان لايجد ما يستنفق.

وبعثت إليه رسولاً. قال: فأخبرنى الرسول قال: فقدمت عليه، فقرأ كتابها، وإنّه ليحمد الله ويشكره، وأمر لى بعشرة دنانير، وبعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار، وقال: استعينى بها على ما يعروک، وكتب إليها يذكر فضلها، وفضل أهل بيتها، ويذكر ما أوجب الله لهم من الحقّ. قال: فقدمت عليها بذلک المال[١].

وفاة فاطمة بنت الحسين

عاشت فاطمة بنت الحسين، وعمرت حتّى ماتت، وقد قاربت التسعين سنة، واختلف فى سنة وفاتها، فقيل: سنة عشر ومائة، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمانى عشرة[٢].

ورجّح كثيرون أنّها توفّيت فى سنة عشر ومائة[٣]، وكان ذلک فى خلافة هشام بن عبدالملک. فرحمها الله رحمةً واسعة.

وذكرت فاطمة بنت الحسين عند عمر بن عبدالعزيز، وكان لها معظّماً، فقيل: إنّها لا تعرف الشرّ. فقال عمر: عدم معرفتها الشرّ جنّبها الشرّ.

فرضى الله عن فاطمة بنت الحسين فى عداد بنات حول الرسول (صلى الله عليه وآله).

* * *

١. أعلام النساء: ٢٧٩.
٢. راجع أعلام النساء لابن عساكر: ٢٨٠.
٣. نور الأبصار: ٣٨٥.

السيدة فاطمة
بنت الإمام الحسين عليها وعلى أبيها السلام[١]

حنفى المحلاوى

من هى

إنّها السيدة فاطمة النبوية ابنة الإمام الحسين ابن الإمام على كرّم الله وجهه، وهى لذلك أُخت السيدة سكينة من أبيها الإمام الحسين رضى الله عنهما، وأُمّها ـ كما أجمعت على ذلك معظم المصادر التاريخية الإسلامية ـ هى أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله القرشى، أحد العشرة المبشّرين بالجنّة.

ولدت السيدة فاطمة النبوية فى عام ٤٥ هـ، وذلك قبل مولد أُختها السيدة سكينة بنحو سنتين، وقد نشأت وترعرعت فى حجر والدها الإمام الحسين (رضى الله عنه)، وورثت عنه التقوى والصلاح.

ولمّا بلغت السيدة فاطمة مبلغ النساء، واشتهرت بين مثيلاتها من النساء بالزهد والعفاف، والجمال والكمال، حضر إلى والدها الإمام الحسين ابن عمها الحسن بن الإمام الحسن السبط ـ وكلمة «سبط» هنا تعنى الأمة، وقيل: ولد البنت، والحفيد، ولد الولد، والجمع: حفدة ـ وذلك لخطبة إحدى بنات عمه: فاطمة أو سكينة. فأدخله عمّه بيته وخيّره بينهما، فاستحيا أن يختار إحداهما دون الأخرى، فأخبره عمّه بأنّ سكينة مستغرقة فى صوم النهار وتقوم الليل; ولذلك فهى لا تصلح له حالياً زوجة، وقد اخترت لک فاطمة; لأنّها تكبر سكينة، كما أنّها كثيرة الشبه بجدّتها فاطمة الزهراء، وبالتالى فقد زوّجها إياه، ثم رزق منها بابنهما عبدالله ولقِّب

١. مقتبس عن كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

بالمحض، أى: الخالص، ثم رزق منها بولدين آخرين، هما: إبراهيم القمر، والحسن المثلث[١].

على أنّ أهمّ الأحداث السياسية التى عاصرتها هذه السيدة الطاهرة فاطمة النبوية كانت معركة كربلاء، عندما قُتل والدها الإمام الحسين (رضى الله عنه)، وبعد المعركة سيقت السيدة فاطمة النبوية مع الأسرى والسبايا إلى دمشق حيث مقرّ الخليفة يزيد بن معاوية، ثم أُعيدت مع نساء آل البيت إلى المدينة المنوّرة مع عمّتها السيدة زينب وأُختها السيدة سكينة بالمدينة، حيث لازمت صيام النهار وقيام الليل، والعطف على الفقراء والمساكين، حتّى توفّيت فى عام ١١٠ هـ ; وبالتالى دُفن جسدها الطاهر بالبقيع «جبّانة» مدينة جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله).

صفاتها وأخلاقها

ومن أهمّ ما اتّصفت به السيدة الطاهرة فاطمة النبوية صاحبة المقبرة أو الضريح بمدينة القاهرة.. أنّها كانت تشبه جدّتها لأُمها فاطمة الزهراء صغرى بنات الرسول (صلى الله عليه وآله) وزوجة الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، كذلک كانت السيدة فاطمة النبوية ابنة الإمام الحسين (رضى الله عنه) إحدى بنات هذا الإمام الشهيد التى حضرت مع والدها معركة كربلاء، وهى الفتاة الوضيئة التى كان سيطمع فيها أحد جلساء يزيد بن معاوية حين عرض عليه رأس أبيها الإمام الحسين بدمشق فى الشام.

وممّا يحكى عن وفاء وإحسان السيدة فاطمة النبوية: أنّه بعد مقتل أبيها، وإرسال الرأس إلى يزيد.. وبعد قرار الخليفة إرسال السيدات إلى المدينة بحراسة رجل أمين من أهل الشام، ولمّا وصلن إلى هناک بسلام، أشارت السيدة فاطمة على أُختها السيدة سكينة بأنّه ما دام هذا الحارس الأمين قد أحسن إليهنّ، فلابدّ من أن نمنحه شيئاً.. فقالت السيدة سكينة: ما معى إلاّ سواران، فأخذتهما السيدة فاطمة وقدّمتهما إلى هذا الحارس، فردّهما بأدب شديد

١. نقلاً عن كتاب «فى البيت النبوى الكريم» للشيخ محمد عثمان، سلسلة كتب اسلامية ط. القاهرة.

وتواضع، وقال: لو كان ما صنعته رغبةً فى الدنيا ما كنت اكتفى بهذا.. والله ما فعلته إلاّ لله، ولقرابتكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فشكرن له هذا الجميل، ودعون له بالخيرات[١].

وقد ظلّت حتّى أُخريات أيامها تعيش مع الله.. فى عبادته دائمة، كانت تصوم النهار وتقوم الليل.. كما كانت كثيراً ما تعطف من مالها الخاصّ على المساكين ممّن كانوا حولها[٢].

زهدها وقربها من الله

السيدة زينب عمّتها، والتى تولّت تربيتها من بعد رحيل والدها الإمام الحسين (رضى الله عنه).. هذه السيدة الطاهرة التى عاشت كلّ أيامها تتقرّب إلى الله بالنوافل.. سواء وهى تعيش فى المدينة أو حين مقدمها إلى مصر.. وقد تركت آثار زهدها وقربها من الله داخل نفس كلٍّ من السيدة فاطمة النبوية وأُختها السيدة سكينة، حيث تولّت تربيتهما بعد رحيل والدهما وأُمهما أيضاً.

وصف الضريح

فإنّ ضريح ـ أو مقبرة ـ السيدة فاطمة النبوية والذى ينسب إليها بالقاهرة الآن عليه خلاف... ففى الوقت الذى أشار فيه بعض المؤرّخين إلى أنّها دفنت بالبقيع بالمدينة.. أشار عدد آخر لابأس به إلى أنّ جسدها الطاهر هو المدفون فى مقبرتها الموجودة بالضريح الملحق حالياً بمسجدها الموجود بالدرب الأحمر.

وقد استند أصحاب هذا الرأى إلى أنّ السيدة فاطمة النبوية قد قدمت إلى مصر مع عمتها السيدة زينب وأُختها السيدة سكينة، من بعد إبعادهما من المدينة من قبل يزيد بن معاوية، ولذلك فقد ظلّت تعيش بمصر حتّى توفّيت فى عام ١١٠ هـ ، ودفنت فى المكان الموجود به الضريح الآن.

---

١. البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٧، الدرّ المنثور فى طبقات ربّات الخدور: ٣٦١.
٢. انظر نور الأبصار: ٣٨٣ فصل فى مناقبها.

ومن أشهر المؤرّخين الذين ذكروا ذلک: العلاّمة الأجهورى فى كتابه «مشارق الأنوار» حيث قال: إنّ السيدة فاطمة ابنة الإمام الحسين (رضى الله عنه) مدفونة خلف الدرب الأحمر، بزقاق يُعرف باسم فاطمة النبوية، فى مسجدها الجليل، ومقامها العظيم.. وعليه من المهابة والجلالة والوقار ما يسرّ قلوب الناظرين.. أمّا ما اشتهر من أنّ السيدة فاطمة النبوية مدفونة بدرب سعادة فهو غير صحيح.

وأضاف الأجهورى تعليقاً على هذا القول: وعلى تقرير صحّة ذلک يحتمل أن يكون معبدها، ويحتمل أن تكون فاطمة النبوية أُخرى من بيت النبوة. ثم أكّد ذلک أيضاً الشيخ الصبّان.. وقال: إنّ ضريحها موجود بمصر، وفى الموضع الموجود به حالياً[١].

وبعد فترة زمنية غير معروفة أُلحق بالضريح مسجدٌ، وهو المسجد المعروف الآن باسم مسجد النبوية الموجود بالدرب الأحمر.

وقد أُنشئ فى عام ٢٦٦ هـ ، بالجهة القبلية من ذلک الضريح، وفى العام نفسه رُكِّب على الضريح مقصورة نحاسية فى غاية الروعة. وفى عام ١٩٣٠ م... تمّ تجديد محراب المسجد، وكُسى بطبقة من القيشانى على أشكال زخرفية بديعة.

١. إسعاف الراغبين: ٢٠٢.

٦ ـ السيدة رقيّة
بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام

بقلم
د. حمزة النشرتى
حنفى المحلاوى

السيدة رقيّة
بنت الإمام على عليها وعلى أبيها السلام[١]

حمزة النشرتى

من هى

يقول بعض الرواة: إنّ السيدة رقيّة التى يقع مشهدها بين مشهدى السيدتين نفيسة وسكينة هى بنت الإمام على كرّم الله وجهه، وإنّ أُمّها هى أُمّ حبيب الصهباء التغلبية، كانت أم ولد، تزوّجها على (رضى الله عنه)، فولدت له رقية وعمر الأكبر[٢]، قيل: كانا توأمين، وعاش عمر خمساً وثمانين سنة[٣].

وقال الليث بن سعد: إنّ رقيّة هذه بنت على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها[٤].

وبعضهم يقول: إنّها بنت الإمام على الرضا، وهناك على باب ضريحها يوجد بيت من الشعر يشير إلى ذلك، هو:

بقعة شُرِّفت بآل النبى***وببنت الرضا على رقيّة[٥]

وربّما كان هذا أقرب إلى الصواب.

ولنقرأ معاً هذا التقرير الذى كتبه الأستاذ أحمد أبو كف فى كتابه القيّم «آل بيت النبى فى مصر» عن هذا الموضوع... وهو يسمّى هذه المنطقة التى يوجد بها

١. مقتبس من كتاب «سيرة آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)» المجلّد الثالث، ط. القاهرة.
٢. مروج الذهب ٢: ٩٢، نور الأبصار: ٣٦٣، أعيان الشيعة ٧: ٣٤.
٣. الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٨، نور الأبصار: ٣٦٣.
٤. حكاه الشبلنجى فى نور الأبصار: ٣٦٣ عن الليث والدارقطنى.
٥. ذكر البيت الشبلنجى فى كتابه: ٣٦٣، لكنّه ينسبها إلى الإمام على (عليه السلام)، نقلاً عن الشعرانى فى الباب العاشر من مننه قال: أخبرنى يعنى الخواص: أنّ رقيّة بنت الإمام على كرّم الله وجهه..الخ غير أنّ المصنّف سيأتى على ذكر هذا الرأى قريباً.

المشهد المذكور ببقيع مصر الصغير. وسمّى هذه المنطقة بهذا الاسم; نظراً لوجود عدّة أضرحة منسوبة لأهل البيت فيها.

وهو يقول عن ضريح السيدة رقيّة: إنّ على مبارک فى خططه التوفيقية أشار إلى أنّ هناک تكية معروفة بتكية السيدة رقية، وهى غاية فى الخفّة والنورانية، وبداخلها ضريح السيدة رقيّة، ويعلوه قبّة لطيفة، وبقربه عدّة أضرحة.

ثم يتحدّث بعد ذلک عمّا قرأه فى المصادر المختلفة حول السيدة رقيّة ووجودها فى مصر، فيقول: يذكر الحافظ السلفى وفاة سيدنا على بن أبى طالب، وعدّ له من الأولاد ثلاثين ولداً، وعدّ رقيّة منهم، وقال: رقيّة هذه من الصهباء[١].

ويؤيّد ذلک ما جاء فى كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة الذى ذكر أنّ السيدة رقيّة من بنات سيدنا على (رضى الله عنه)[٢].

وفى الباب العاشر من منن الشعرانى، يقول حول وجود السيدة رقيّة بمصر: وأخبرنى سيدى على الخواص: أنّ رقيّة بنت الإمام على كرّم الله وجهه، فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة، ومعها جماعة من أهل البيت، وهو معروف بجامع شجرة الدر، وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة، المكان الذى فيه السيدة رقيّة عن يمينه، وقيل: إنّ للسيدة رقيّة ضريحاً بدمشق[٣].

أمّا ابن عين الفضلاء صاحب كتاب «مصباح الدياجى» فيقول: قال عبيدالله بن سعيد: بعث لى الحافظ عبدالمجيد فى الليل، فجئت مع الذى دعانى له، فقلت: ما تريد؟ فقال: رأيت مناماً، فقلت: ما هو؟ قال: رأيت امرأةً متلفّفةً، فقلت: من أنت؟ قالت: بنت على ـ رقيّة ـ فجاءوا بنا إلى هذا الموضع، فلم نجد به قبراً. فأمر ببناء هذا المشهد، فبُنى. وهو مكان معروف بالدعاء.

وربّما يقصد صاحب «مصباح الدياجى» هنا أنّ أول من بنى مشهداً على قبر السيدة رقيّة، هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عام ٥٢٤ هـ ـ ٥٤٤ هـ.

١. الصهباء أُمّ حبيب بنت عباد بن ربيعة بن يحيى بن العبد من سبى اليمامة أو سبى عين التمر، اشتراها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأولدها عمر الأطرف ورقيّة (عليها السلام).
٢. الرياض النضرة ٢: ٢١١.
٣. حكاه الشبلنجى فى نور الأبصار: ٣٦٣.

ویؤیّد ذلک النصّ فی کتاب ابن محمود السخاوی «تحفة الأحباب وبغیة الطلاب فی الخطط والمزارات والبقاع المبارکات» حیث یقول: «وبنی هذا المشهد تمیم، المکنّی بأبی تراب الحافظی»[۱] أقول: کان فی آخر مدّة الفواطم.

والحافظ المنسوب إلیه تمیم المذکور، کانت وفاته بعد الأربعین والخمسمائة، وقد بنی هذا المحلّ سنة ثلاث وسبعین ومائة وألف الأمیر عبدالرحمن کتخدا، وهو مشهد مقصود بالزیارة، له مولد کلّ سنة.

ویقول الشیخ الأجهوری حول مجیء السیدة رقیّة إلی مصر: إنّ السیدة رقیّة لمّا جاءت من المدینة، اعترضها شخص من خصوم أبیها وأراد قتلها، فوقفت یده فی الهواء وسقط میّتاً[۲].

ولکن هذا یخالف ما ذکره صاحب کتاب «العدل الشاهد فی تحقیق المشاهد» نقلاً عن کتاب الشیخ محمد الصبّان «إسعاف الراغبین فی سیرة المصطفی وأهل بیته الطاهرین» حیث یقول: وأمّا السیدة رقیّة رضی الله عنها فإنّها ماتت قبل البلوغ، ومحلّها بعد السیدة سکینة بشیء یسیر.

وواضح فی المصادر إذاً الاختلاف علی السیدة رقیّة.

مصادر تقول: إنّ أُمها هی السیدة فاطمة الزهراء، وأخری تری أنّها لیست أُمّها، وإنّما أُمّها أُم حبیب الصهباء التغلبیة، من سبی الردّة. والبعض الثالث یری أنّ هناک رقیّة صغری، ورقیّة کبری، وأنّ رقیة التی فی مصر هی بنت أسماء بنت عمیس الخثعمیة.

وهناک من المصادر من یقول: إنّ السیدة رقیّة ماتت دون البلوغ. وهناک من یری رأیاً آخر یقول: إنّ للسیدة رقیّة ضریحاً بدمشق الشام.

وجمهور المؤرّخین وأصحاب السیر یجمعون علی أنّ للإمام علی رقیّة واحدة، من غیر السیدة فاطمة الزهراء، ولکن یخالفهم فی ذلک اللیث بن سعد،

---

۱. تحفة الأحباب: ۲۴۶.
۲. نقل عنه هذه الکرامة الشبلنجی فی نور الأبصار: ۳۶۴.

الذى قال: إنّ السيدة رقيّة من السيدة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١].

وكما يوجد الاختلاف على من هى رقيّة المدفونة فى مصر، فهناك خلاف حول أُمّها، وخلاف حول موتها.

البعض يقول: إنّها جاءت إلى مصر مع السيدة زينب بنت على أُختها بعد معركة كربلاء. والبعض لا يرى هذا الرأى.

وهناك رأى له بعض المنطق، يقول: إنّ السيدة رقيّة ليست بنت الإمام على بن أبى طالب، وليست السيدة فاطمة الزهراء أُمّها.. بمعنى أنّها ليست أُخت الحسن والحسين رضى الله عنهما، بل يقولون: إنّ السيدة رقيّة المدفونة فى مشهدها فى شارع الخليفة هى بنت الإمام على الرضا ابن الإمام الحسين بن على[٢].. ذكر ذلك فى أحد الأبحاث للشيخ محمد زكى إبراهيم، وهو من العلماء الأفاضل ورئيس جماعة العشيرة المحمدية.

وتأسيساً على هذا الرأى فإنّ السيدة عائشة بنت جعفر الصادق الراقدة فى مشهدها القريب من السيدة رقيّة تعتبر عمّتها; لأنّ السيدة عائشة أُخت الإمام موسى الكاظم المولود فى عام ١٢٨ هـ. كما أنّ السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور تعتبر زوجة عم السيدة رقيّة. وهو إسحاق المؤتمن.

وتأسيساً على التأسيس ـ كما يقول المناطقة ـ فإنّه ربّما يكون هناك خلط جرى بين تاريخ وحياة السيدة عائشة، وبين تاريخ وحياة السيدة رقيّة... أقول: ربّما يكون هناك خلط بين الاثنين، فهناك تشابه غريب فى وفاتهما.

فالمؤرّخون يرون أنّ السيدة عائشة ماتت دون البلوغ، تماماً مثلما يقولون عن السيدة رقيّة. وهذا ما نتركه للعلماء والباحثين فى تاريخ آل البيت فى مصر وفى غير مصر ليقولوا رأيهم، وإن كنّا نحن نميل إلى الرأى القائل بأنّ السيدة

١. راجع نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار: ٣٦٣ فصل فى ذكر مناقب السيدة رقيّة.
٢. لا يخفى أنّ الإمام على الرضا من أبناء الإمام أبى الشهداء الحسين بن على (عليهما السلام)، فهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين (عليهم السلام)، فهو إذاً أحد أجداده الطاهرين، وليس أباه.

رقيّة هى بنت الإمام على الرضا ابن موسى الكاظم، وهى ليست بالقطع بنت الإمام على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء.

على أنّ ذلک ينقلنا إلى قضية أخرى، بمعنى أنّ السيدة رقيّة إذا ثبت أنّها بنت الإمام على، فهى من مواليد الربع الأول من القرن الأول الهجرى، وإذا ثبت أنّها بنت الإمام على الرضا فتكون من مواليد النصف الأول من القرن الثانى الهجرى، وبالطبع شتّان ما بين التاريخين من سنوات وأحداث بالنسبة لآل البيت.

لكن ـ وبلاشكّ ـ فسواء كانت السيدة رقيّة تنتمى للقرن الأول الهجرى، أو القرن الثانى الهجرى، فهى بالتأكيد أيضاً تنتمى لآل البيت، وهى درّة من درره النفيسة. وعلى أيّة حال، فالثابت أنّ السيدة رقيّة تنتمى لآل البيت، وأنّها تنتمى إلى السيدة فاطمة الزهراء، وأنّ الزهراء رضى الله عنها جدّتها، وليست أُمّها.

ويقوّى من رأينا ويدعمه ما قالته الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلّية الآثار، وأستاذة العمارة الإسلامية فيها، وهى مهتمة بتاريخ آل البيت فى مصر، تقول: فمشهد السيدة رقية يعتبر من المشاهد الفاطمية البارزة والباقية فى مصر حتّى الآن، بجانب مشهدين فاطميين آخرين، هما مشهد السبع بنات فى مصر القديمة الفسطاط والذى شُيِّد عام ٤٠٠ هـ ، والمشاهد الفاطمية فى جبانة أسوان، والتى يرجع تاريخ معظمها إلى القرن الخامس الهجرى.

وبالإضافة إلى ذلک، فإنّ مشهد السيدة رقيّة يشبه أحلى وأرقّ الآثار الفاطمية فى حى النحّاسين بالأزهر، وأقصد الجامع الأقمر، خاصّةً واجهته الغربية، والجامع الأقمر بُنى فى عصر الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله عام ٥١٩ هـ . إنّه يشبه تماماً فى واجهته الغربية مشهد السيدة رقيّة، وهذه الواجهة الغربية تعتبر من أجمل واجهات المساجد فى مصر، للنقوش والكتابات المزهرة عليها، وكلّها منحوتة فى الحجر، بالإضاضة إلى تلک العقود والحنيات المجوّفة والمقرنصات التى تتوسطها دوائر، كُتب عليها: محمد وعلى... كما توجد دائرة كبيرة فوق الباب كُتب عليها: بسم الله

الرحمن الرحيم (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الأحزاب: ٣٣].

والذى نريد أن نقوله: إنّ أغلب ما فى واجهة الأقمر، يوجد مثله فى مشهد السيدة رقيّة وفى محاريبه الثلاثة، حتّى إنّ الناظر إليهما، والمقارن بينهما، يظنّ أنّ الجامع الأقمر، ومشهد السيدة رقيّة عُملا فى وقت واحد.. ولكنّ الثابت أنّ الذى بنى مشهد السيدة رقيّة هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله، ثامن الخلفاء الفاطميّين، بينما الجامع الأقمر أُنشئ فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله.

وممّا يثبت أنّ السيدة رقيّة من آل البيت، وأنّ جدّتها السيدة فاطمة الزهراء، ما قيل من أنّ الفاطميّين بالذات كانوا من الحرص بحيث لا يبنون مشهداً على قبر، إلاّ بعد تأكّدهم من أنّ صاحبه أو صاحبته من آل البيت، ومن سلالة فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب بالذات.

ونحن لو عرفنا أنّ فى مصر يزيد عدد المشهور من الأضرحة والمشاهد على الألف، فإنّ اهتمام الفاطميّين ببعض هذه الأضرحة والمشاهد ـ ومنه مشهد السيدة رقيّة ـ دليل دامغ على أنّها فى مصر. وإذا كان بناء القبّة فى مصر قد تطوّر ـ من خلال العمارة الإسلامية ـ وصار لها وظيفة مهمة هى تغطية المساحات المربّعة ـ وفضلاً عن الإشارة إلى أهمية هذا الجزء ـ فإنّ قبّة السيدة رقية قد بُنيت لتقول: هنا ترقد السيدة الشريفة رقيّة رضى الله عنها.

المشاهد التى بجوارها

هذا بالنسبة للسيدة رقيّة، الراقدة فى مشهدها ـ أو ضريحها ـ فى شارع الخليفة، وليس هناك اختلاف بين المشهد والضريح، وإنّما الشيعة يطلقون على القبّة اسم «المشهد»، وأهل السنّة يطلقون عليه «الضريح»، بمعنى أنّ المشهد والضريح اسمان لمسمّىً واحد.

ولكن ماذا عن الأضرحة أو المشاهد الموجودة فى رحاب السيدة رقيّة أو فى تكية السيدة رقيّة، كما يسمّيها على باشا مبارك، فى إطار بقيع مصر الصغير؟!

*** مشهد السيد محمد المرتضى**

أول هذه المشاهد إلى يمين الداخل لمشهد السيدة رقيّة، هو قبر السيد محمد الشهير بمرتضى، وقبر زوجته السيدة زبيدة... يقابل ذلک على يسار الداخل قبرٌ يحمل اسم السيدة أسماء، وعلى بُعد عدّة أمتار قبّتان أثريتان من نفس طراز قبة السيدة رقية لضريحين: أحدهما للسيدة عاتكة، والآخر للسيد على الجعفرى...

ولنتحدّث عن هذه الأسماء التى ذكرناها:

*** مشهد أسماء**

ونبدأ بالسيدة أسماء، فالذين يرجّحون أنّ السيدة رقية هى بنت الإمام على بن أبى طالب، يرون أنّها أسماء بنت عميس الخثعمية، زوجة الإمام على، وبذلک يقولون: إنّ القبر هو قبر والدة السيدة رقيّة: السيدة أسماء، أمّا هؤلاء الذين يرون أنّ السيدة رقيّة من بنات على الرضا، فيقولون عن أسماء: إنّها كانت خادمة السيدة رقيّة ودفنت بجوارها.

ونحن نميل إلى الرأى الذى يقول: إنّ قبر السيدة أسماء هو قبر لخادمة السيدة رقيّة.

*** مشهد السيدة زبيدة**

ونثنّى بقبر السيدة زبيدة، والسيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى. والمعلومات عنهما وفيرة. وجدنا بعضها فى الجبرتى، وبعضها فى بقيع على مبارک.

والسيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى، كما يصفه الجبرتى هو: «الفقيه المحدّث، اللغوى النحوى، الأصولى، الناظم الناثر، أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق، الشهير بمرتضى الحسينى الحنفى... جاء إلى مصر فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف... درس فى مصر حتّى راج أمره وترونق حاله، واشتهر ذكره عند الخاصّ والعام»[1].

١. تاريخ عجائب الآثار ٢: ١٠٣ و١٠٤.

والواقع أنّ الشيخ عبدالرحمن الجبرتى قد أفاض فى سيرة الشيخ مرتضى الحسينى، وأفرد له كثيراً من السطور والصفحات[١]، كما أنّ هذه الشخصية فرضت نفسها على الكتّاب والأُمراء وذوى السلطان فى عصرها، وهو القرن الثانى عشر الهجرى، وكما كان هذا الشيخ مشهوراً فى مصر، كان أيضاً من المشهورين فى المغرب.. يقول الجبرتى: وله عند المغاربة شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة[٢].

هذا بالرغم من أنّ أصله من زبيدة اليمن.

أمّا عن زوجته السيدة زبيدة ـ فقد ذكر أنّها ماتت فى سنة ستّ وتسعين ومائة وألف ـ فحزن عليها حزناً كبيراً، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقيّة، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة، وستوراً وفرشاً وقناديل، ولازم قبرها أياماً كثيرةً، وكان يجتمع عنده الناس والفقراء والمنشدون، ويعمل لهم الأطعمة والثريد والقهوة[٣].

ويقول على باشا مبارك: إنّ السيد محمد الشهير بمرتضى، اشترى مكاناً بجوار مقبرة زوجته، وعمّره بيتاً صغيراً، وفرشه، وأسكن فيه أُمّها ـ أى أُمّ زوجته ـ وكان يبيت به أحياناً. كما كان يقصده الشعراء بالمراثى، فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه، ولحبّه الشديد لزوجته رثاها بجملة قصائد ذكرها الجبرتى.

وقد مات السيد مرتضى بالطاعون، ودفن فى القبر الذى أعدّه لنفسه بجوار زوجته بمشهد السيدة رقيّة[٤].

وقد عدّد على باشا مبارك مؤلّفات الشيخ مرتضى، فذكر منها الكثير، فبجانب شرح القاموس، وشرح الإحياء له كتب أخرى منها: كتاب الجواهر المنيفة فى أصول أدلّة مذهب الإمام أبى حنيفة (رضى الله عنه)، وله أيضاً: كتاب العقد الثمين فى طريق الإلباس والتلقين، وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق، وإعلام الأعلام بمناسك حجّ بيت الله الحرام، ورشف سلاف الرحيق فى نسب حضرة

١. من ص١٠٣ إلى ص١١٤ من المجلّد الثانى من تاريخه.
٢. المصدر السابق: ١٠٤.
٣. المصدر نفسه: ١٠٩.
٤. المصدر: ١١٣.

الصدیق، والقول المثبوت فی تحقیق لفظ التابوت، ومنح الفیوضات الوفیة فیما فی سورة الرحمن ومن أسرار الصفة الإلهیة، وترویح القلوب بذکر ملوک بنی أیّوب، وکثیر من الکتب والمؤلّفات ذکرها الشیخ الجبرتی[۱]، ولا نستطیع حصرها فی هذه السطور.

مشهد عاتکة والجعفری

وأخیراً نأتی إلی مشهدین: للسیدة عاتکة، وللسید علی الجعفری. فبالنسبة للسیدة عاتکة فالعامة یقولون: إنّها السیدة عاتکة عمّة الرسول (صلی الله علیه وآله). ولکنّ الحقیقة أنّ القبر والقبّة هما للسیدة عاتکة بنت شرحبیل، زوجة محمد بن أبی بکر، کان من المتشیّعین لعلی کرّم الله وجهه، وله موقف ضدّ الأمویّین.

وقد ولد محمد بن أبی بکر فی سنة حجّة الوداع. ولموقف محمد بن أبی بکر من الأمویّین، ووقوفه ضدّهم بعد التحکیم معروف، وبعد قتل الإمام علی رحل إلی مصر، خاصّةً وأنّ مصر کانت تلعب دوراً خطیراً فی سیاسة دولة الإسلام منذ أن دخلت الإسلام.

وثابت أنّ السیدة عاتکة کانت مع زوجها محمد بن أبی بکر فی مصر، وأنّها دفنت فیها، لکنّ تاریخها لا یزال یحتاج إلی إماطة اللثام عنه وعن زوجها محمد بن أبی بکر الصدّیق.

أمّا الضریح الثانی لسیدی علی الجعفری، فلیس لصاحب الضریح ترجمة فیما تیسّر من المصادر وإن کانت الصفة التی یحملها اسمه تدلّ علی أنّه ینتسب للإمام جعفر الصادق، لکن وجود هذا الضریح قرب ضریح السیدة رقیّة یدعم الرأی الذی یری أنّ السیدة رقیّة هی بنت الإمام علی الرضا. ویجوز أن یکون سیدی علی الجعفری واحداً من أُسرتها، بل ربّما کان شخصیة مهمة من أبناء جعفر الصادق، تحتاج من المؤرّخین لآل البیت إلی وقفة[۲].

---

۱. المصدر المتقدم: ۱۱۱.
۲. کتاب «آل بیت النبی فی مصر» لأحمد أبو کف.

* * *

تعليق:

أمّا الدكتورة سعاد ماهر فتذكر ما يأتى بالنسبة لمشهدى السيدة عاتكة والجعفرى: مشهد الجعفرى هو مشهد محمد الجعفرى، لا على الجعفرى[١]، وهو المعروف بمحمد الديباج ابن جعفر الصادق الذى سبق الحديث عنه.

وأمّا مشهد عاتكة فتقول عنها: هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، عاصرت الرسول (صلى الله عليه وآله) وهاجرت إلى المدينة، وكانت شاعرة حسناء، تزوّجها عبدالله بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما، وقد شغلته بجمالها عن الجهاد، فأمره أبوه أن يطلّقها، فطلّقها وأنشد يقول:

يقولون طلّقها وخيم مكانها***مقيماً تمنى النفس أحلام نائم
وإنّ فراق أهل بيت جمعتهم***على كبر منّى لإحدى العظائم
أرانى وأهلى كالعجول تروحت***إلى بوّها قبل العشار الروائم[٢]

ودخل عليه أبوه يوماً وهو ينشد:

أعاتك قلبى كلّ يوم وليلة***إليک بما تُخفى النفوس معلّق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها***ولا مثلها فى غير جرم تطلّق
لها خلقٌ جزلٌ ورأى ومنصب***وخلقٌ سوى فى الحياء ومصدّق

فرقّ له أبوه وأمره أن يراجعها، فراجعها وقال:

أعاتک قد طلّقت فى غير ريبة***وروجعت للأمر الذى هو كائن
كذلک أمر الله غاد ورائح***على الناس فيه أُلفة وتباين

وأُصيب عبدالله بن أبى بكر بسهم فى حصار الطائف، استشهد منه بعد عودته إلى المدينة، وحزنت عليه عاتكة حزناً شديداً، ثم تزوّجها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)واستشهد عنها، ثم تزوّجها الزبير بن العوّام فمات عنها

١. ولكنّه يوجد فى اللوحة على الباب: «هذا مقام سيدى على الجعفرى ابن جعفر الصادق» وليس محمداً الجعفرى!
٢. أُسد الغابة ٧: ١٨٣. والعجول من النساء والإبل: الوالدة التى فقدت ولدها، الثكلى لعجلتها فى ذهابها وإيابها جزعاً. والبوّ: ولد الناقة.

فی موقعة الجمل، ثم تزوّجت محمد بن أبی بکر الذی تولّی إمرة مصر من قبل الخلیفة علی بن أبی طالب (رضی الله عنه)، فلمّا قُتل بمصر رثته عاتکة بقولها:

إنْ تقتلوا وتمثّلوا بمحمد***فما کان من أجل النساء ولا الخمر

وخطبها علی بن أبی طالب بعد مقتل محمد بن أبی بکر، فقالت: إنّی أضنّ بک یا ابن عم رسول الله (صلی الله علیه وآله) علی القتل.

لقد علمت أنّ کلّ من یتزوّجها یُقتل، حتّی أصبح المسلمون یتندّرون قائلین: من أحبّ الشهادة فلیتزوّج عاتکة!

وقیل: إنّ الحسن بن علی تزوّجها، جاء ذلک فی کتاب «الاستیعاب» لابن عبدالبر، ولم یذکر أنّ محمد بن أبی بکر تزوّجها، وجاء فی کتاب «الأغانی» أنّ آخر أزواجها الحسین بن علی رضی الله عنهما[1].

۱. راجع مساجد مصر وأولیاؤها الصالحون ۲: ۱۱۷ ـ ۱۱۸.

السيدة رقيّة
من آل بيت النبوة[١]

حنفى المحلاوى

من هى

ممّا لاحظناه ـ ونحن فى سبيل البحث عن معلومات موثّقة عن هذه السيدة الطاهرة السيدة رقيّة رضى الله عنها... بمناسبة الحديث عن ضريحها ـ وجود خلاف واضح وكبير بين عدد من المؤرّخين فى من تكون هذه السيدة صاحبة الضريح؟!

وقد انقسم المؤرّخون حيال ذلک إلى فريقين... فريق يرى: أنّ الضريح الموجود بالقاهرة هو للسيدة رقيّة بنت رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)، وفريق ثان يرى أنّه للسيدة رقيّة ابنة الإمام على (رضى الله عنه).

كما لاحظنا فى الوقت نفسه وجود خلاف كبير بين طائفة ثالثة من المؤرّخين حول الضريح نفسه.. فمنهم من قال: إنّ به جثمان السيدة الطاهرة رقيّة... ومنهم من قال: إنّ السيدة رقيّة ـ سواء ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله) أو ابنة الإمام على ـ قد دفنت بأرض البقيع بالمدينة المنوّرة... وعلى ذلک فإنّ الضريح الموجود حالياً باسمها هو ضريح قد أُقيم ضمن أضرحة الرؤيا.

ومن أجل حسم هذا الخلاف وجدنا من الضرورى التعريف بكلٍّ من السيدة رقيّة ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله) والسيدة رقيّة ابنة الإمام على (رضى الله عنه).

أمّا بخصوص حديث التعريف بالسيدة رقيّة ابنة رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) فتقول عنها كتب التاريخ: إنّها إحدى بنات الرسول (صلى الله عليه

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

وآله) من زوجته السيدة خديجة، وهى تصغر أُختها السيدة زينب بثلاث سنوات... زوّجها النبى (صلى الله عليه وآله) من عتبة بن أبى لهب، وأقامت عنده إلى أن نزلت الآية الكريمة من سورة المسد (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ) فقال أبو لهب لولده: يهجونى محمد وابنته عندک؟! رأسى من رأسک حرام إن لم تفارق ابنة محمد! ففارقها، فتزوّجت من بعده عثمان بن عفّان (رضى الله عنه)، فهاجر بها إلى الحبشة، وكانت بارعة الجمال!

وولدت السيدة رقيّة لعثمان بن عفّان: عبدالله، وبه يكنّى، وقد عاش هذا الولد ستّة أعوام، ثم مات بعدها. ولمّا عاد عثمان بن عفّان بزوجته من الحبشة إلى مكّة، فرحت السيدة رقيّة بلقاء أبيها (صلى الله عليه وآله)، إلاّ أنّها حزنت لمّا علمت بأنّ أُمها السيدة خديجة قد توفِّيت فى اليوم العاشر من شهر رمضان سنة عشر من مبعثه (صلى الله عليه وآله) وعمره خمسون عاماً.

ولمّا هاجر النبى (صلى الله عليه وآله) من مكّة إلى المدينة... لحقت به ابنته السيدة رقيّة بصحبة زوجها عثمان بن عفّان. ولمّا خرج الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لغزوة بدر سنة اثنتين كانت السيدة رقيّة قد مرضت بالحصبة; ممّا تسبّب فى تخلّف عثمان بن عفّان عن الخروج فى معركة بدر! وظلّت على مرضها حتّى أوائل شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة حتّى توفِّيت، ونقل جثمانها الطاهر إلى أرض البقيع لتدفن بجوار الشهداء والصالحين[1].

وجاء فى كتاب البستان ـ كما ذكرت الدكتورة سعاد ماهر ـ أنّ السيدة رقيّة ماتت بعدما خرج الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى بدر، ولمّا عاد وجدها قد ماتت، فتزوّج عثمان بن عفان أُختها أم كلثوم رضى الله عنها.

---

۱. راجع طبقات ابن سعد ۸: ۳۶ ـ ۳۷، نساء حول الرسول (صلى الله عليه وآله): ۱۶۲ وما بعده القسم السادس: بنات النبى (صلى الله عليه وآله)، إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسى: ۱۵۳ ـ ۱۵۴ وفيه: «فطلّقها عتبة قبل أن يدخل بها، ولحقها منه أذىً، فقال النبى (صلى الله عليه وآله): اللّهم سلّط على عتبة كلباً من كلابک، فتناوله الأسد من بين أصحابه..»، ربيع الشيعة لابن طاوس: ۹۸، أعيان الشيعة ۷: ۳۴ ـ ۳۵.

وأمّا بالنسبة لحديث المعرفة عن السيدة رقيّة ابنة الإمام على (رضى الله عنه)، فممّا ذكر عنها قول المؤرّخين ـ على لسان الحافظ السلفى ـ أنّ سيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه)أنجب أطفالاً، كان من بينهم السيدة رقيّة رضى الله عنها، كما ذكر ذلك أيضاً الشيخ على الخوّاص حيث قال: إنّ رقية بنت الإمام على كرّم الله وجهه.

والغريب أنّنا قد عثرنا فى هذا السياق على قول ثالث يخصّ سيدة أُخرى واسمها رقيّة أيضاً... وهى رقية بنت الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام عبدالله الحسين رضى الله عنهم أجمعين، ووالدها بناءً على ذلك هو الإمام على الرضا الذى ولد بالمدينة فى عام ١٤٨ هـ. ثم اختاره الخليفة المأمون العباسى وليّاً لعهده عام ٢٠١ هـ، ثم توفّى (رضى الله عنه) فى آخر صفر عام ٢٠٣ هـ، ودفن بجوار قبر هارون الرشيد بمدينة طرطوس بالعراق[١].

صفاتها وأخلاقها

ولمّا كان هناك خلاف كبير بين المؤرّخين فى من تكون السيدة رقيّة صاحبة هذه المقبرة الموجودة فى مصر حالياً.. فقد آثرنا التوقّف عند حدود هذه الكلمات... الخاصة بالصفات والأخلاق.. وأخصّ ما نقوله فى هذا الموضوع: إنّ صاحبة هذا المقام الشريف.. تنتسب إلى آل البيت، سواء كانت هى السيدة رقيّة ابنة المصطفى (صلى الله عليه وآله)أم كانت رقيّة غيرها... ذلك ووفقاً لما أشارت إليه الدكتورة سعاد ماهر بقولها: إنّ صاحبة هذا المشهد لابدّ وأن تكون من آل البيت، وإلاّ لما أقام الخليفة الحافظ القبّة الفاطمية التى ترجع إلى سنة ٥٢٦ هـ عليها... وأضافت الدكتورة سعاد قولها: لذلك فإنّنى أرجّح أن تكون صاحبة هذا المقام هى السيدة الفاضلة رقيّة بنت

١. هذا خطأ، والصواب أنّ الإمام الرضا دفن فى خراسان أو طوس بإيران. وقد أُطلق على موقع مدفنه اسم مدينة مشهد. وهناك يوجد بجواره قبر هارون الرشيد... ومدينة مشهد معروفة عند الجميع، يفد إليها ملايين من الناس من كلّ العالم الإسلامى لزيارة ضريح الإمام الرضا (عليه السلام).

الرسول (صلى الله عليه وآله)، وشقيقة السيدة فاطمة الزهراء التى تنتسب إليها الدولة الفاطمية.

لقد أكّدت معظم كتب التاريخ التى تناولت المشاهد والأضرحة... أنّ ضريح السيدة رقيّة رضى الله عنها، والموجود حالياً بشارع الخليفة، إنّما هو من مشاهد الرؤيا، والتى لا يوجد بها جثمان صاحبة المقام، وقد استند هؤلاء الذين أشاروا إلى ذلک إلى رواية ذكرها أحد السلف الصالح ويدعى عبدالله بن سعيد.. وجاء فيما رواه: أنّ الحافظ عبدالمجيد طلبه فى الليل، فلمّا جاءه أخبره بأنّه رأى مناماً... فقلت له: ما هو؟ قال: رأيت امرأةً ملثّمةً، فلمّا سألتها: من أنت؟ قالت: بنت الإمام على.. رقيّة! لقد جاءوا بنا إلى هذه المواضع فلم نجد بها قبراً... فأمر ببناء هذا المشهد، فبنى، وهو مكان معروف بالدعاء[1].

وقد أكّدت هذا المعنى الدكتورة سعاد ماهر حين قالت: وعلى أيّة حال، فسواء أكان هذا المشهد للسيدة رقيّة صاحبة السيرة العطرة، أم رقية غيرها من آل البيت، فهى من مشاهد الرؤيا كما أجمع على ذلک كلّ المؤرّخين، مثل ابن الزيّات والسخاوى.. وغيرهما[2].

وصف الضريح

ويقع ضريح السيدة رقيّة فى الربع الكبير الذى يفصل بينه وبين شارع الخليفة أو بينه وبين جامع شجرة الدرّ المقابل باباً من الحجارة، محفوراً فى أعلاه بيت يقول:

بقعة شُرِّفت بآل النبى❊❊❊وبنت الرضا على رقيّة

وعن ذلک الموقع يقول على باشا مبارک: يقع مشهد السيدة رقية بجوار البوّابة الموصلة إلى السيدة نفيسة، بالقرب من جامع شجرة الدرّ على يمين الذاهب من السيدة سكينة طالباً المشهد النفيسى.

١. راجع عواصم مصر الإسلامية لحسن البزّاز ۶: ٢۴١ (كتاب الشعب).
٢. انظر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ٢٨٧.

كما يوجد ذلک المشهد داخل أسوار تحيط به مجموعة من الغرف، كان يطلق عليها فى العصر العثمانى اسم «التكية»، ويمكن الدخول إلى المشهد عن طريق سقيفة تتقدّمه، لها ثلاث فتحات معقودة، يبلغ طول هذه السقيفة ١٢/٥ متر، وعرضها ٢/٥ متر.

أمّا ضريح السيدة رقيّة فهو يتكوّن من مستطيل يتوسّط ضلعه الغربى المدخل، وعلى جانبيه محراب، يعلو كلاًّ منهما شكل محّارة تتفرّع فصوصها من الوسط، كما ينقسم الضريح إلى ثلاثة أقسام: المتوسّط منها مربع يبلغ طوله خمسة أمتار، أمّا القسمان الجانبيان فيبلغ مساحة كلٌّ منهما ٢/٨٥×٥ أمتار، وقد غطّى سقف القسمين الجانبيين، وكذا السقيفة التى تتقدّم الضريح سقف خشب مسطَّح. أمّا القسم المتوسط حيث توجد المقبرة فتغطّيها قبّة.

أمّا عن تاريخ عمارة هذا الضريح فقد نسبه المقريزى إلى الأميرة «علم الآمرية»[١]، حيث ترجع أقدم النصوص المؤرّخة فى هذا الضريح إلى عام ٥٢٧ هـ/١١٣٢ م، فى شريط يدور حول رقبة القبّة، إضافة إلى كتابة أثرية أخرى بالخطّ الكوفى على التابوت الخشبى، تحمل تاريخ عام ٥٣٣ هـ [٢].

والسيدة «علم الآمرية» هى زوجة الخليفة الآمر بأحكا م الله... وقد أمرت القاضى مكنوناً الحافظى ببناء هذا الضريح.

هذا وتحتوى قبّة الضريح على ٢٤ ضلعاً، وترتكز على مثمّنة تقوم بدورها على دلايات فى أركان المربّع، ويرجع تاريخ إنشاء ذلک المشهد أو ضريح السيدة رقية، اعتماداً على المحراب الخشبى المتنقل والموجود بمتحف الفن الإسلامى، إلى عام ٥٢٨هـ /١١٣٤ م.

واستطاع الأستاذ «كزويل» العثور على تاريخ ذلک المشهد على القبة مع كتابات قرآنية باللون الأزرق على أرضية بيضاء. هذه الكتابات جاء فى بعضها

١. عَلَم، جهة مكنون، زوجة الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله، عرفت بالاحسان لسكّان مصر، وترميم وبناء أماكن العبادة، من آثارها مسجد الأندلس شرقى القرافة الصغرى بالقاهرة، ورباط الأندلس بجانب المسجد. وأمّا أنّها عُرفت بجهة مكنون لاختصاص القاضى مكنون بخدمتها، توفِّيت نحو عام ٥٤٥ هـ . راجع خطط المقريزى ٢: ٤٤٦، ٤٥٤، والأعلام للزركلى ٤: ٢٤٨.
٢. الآثار الإسلامية فى مصر للدكتور عبدالله شيحة.

أنّ القاضى مكنوناً الحافظى، الذى كان يعرف بأبى تراب، هو الذى بنى هذا المسجد بما فيه الضريح.

وأبو تراب هذا هو أبو تميم تراب الحافظ، الذى بلغ منصب الوزارة فى أيام الحافظ الفاطمى.

٧ ـ إبراهيم ابن الإمام الحسن (عليهما السلام)

بقلم
د. سعاد ماهر

مرقد إبراهيم بن الحسن (عليهما السلام)[١]

د. سعاد ماهر

لقد تعدّدت أسماء هذا المسجد، فقد عُرف قديماً بمسجد التبر، ومسجد الجميزة، ومسجد التبريز. وتسمّيه العامة: مسجد التبن، أمّا الاسم الذى يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة، فهو مسجد تبر أو مسجد إبراهيم.

أمّا بالنسبة لإبراهيم المقصود بالذكر هنا، فهو إبراهيم الجواد ابن عبدالله الملقّب بالكامل ابن الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

ويقول المقريزى: «إنّ الخليفة المنصور قتله سنة خمس وأربعين ومائة، وأرسل رأسه إلى مصر، فنصبت فى المسجد الجامع العتيق (جامع عمرو)[٢].

ويضيف أبو المحاسن: «أنّ إبراهيم (رحمه الله)، كان ضحية الطمع والجشع، نشأ فى بلدة «باغمرى» من أعمال الكوفة». ويصف كيف جاءت الرأس إلى مصر، فيقول: «وبينما الناس فى ذلك قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبدالله، فنُصب فى المسجد أياماً، ثم طيف به، ودُفن فى الضاحية التى تُعرف بمنية مطر»[٣].

وكذلك أورد القضاعى هذه الرواية، إذ يقول: «مسجد تبر بُنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب، أنفذه المنصور، فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك»[٤].

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» مطبوع فى خمسة مجلّدات، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة.
٢. خطط المقريزى ۴: ٢٧١.
٣. ابن تغرى بردى ٣: ١٣۶.
۴. راجع تاريخ القضاعى: ١٢٢ ـ ١٢٣، وذكره الشبلنجى فى نور الأبصار: ۴٠۶.

وجاء فی کتاب الولاة والقضاة: «ثم قدمت الخطباء إلی مصر برأس إبراهیم بن عبدالله بن الحسن بن علی بن أبی طالب فی ذی الحجّة سنة خمس وأربعین ومائة لینصبوه فی المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذکروا أمره»[۱].

وقد حقّق الشیخ الشبلنجی الاسم فی کتابه «نور الأبصار فی مناقب آل البیت» وانتهی إلی أنّه هو إبراهیم بن عبدالله المحض أخو محمد المهدی، وکان مرضی السیرة، من کبار العلماء، وروی أنّ الإمام أبا حنیفة بایعه، وأفتی الناس بالخروج معه ومع أخیه محمد. قال أبو الحسن المعمری: قُتل إبراهیم فی ذی الحجّة سنة خمس وأربعین ومائة، وهو ابن ثمانی وأربعین سنة، وحمل ابن أبی الکرام رأسه الشریف إلی مصر[۲].

وجاء فی حوادث سنة ۱۴۵ هـ فی کتاب «العبر فی خبر من غبر»: «فیها ظهر محمد بن عبدالله بن حسن، فخرج فی مائتین وخمسین نفساً بالمدینة، فندب الخلیفة المنصور لحربه ابن عمه عیسی بن موسی یدعوه إلی الإنابة، ویبذل له الأمان، فلم یسمع، ثم أنذر عیسی أهل المدینة ورغّبهم ورهّبهم أیاماً، ثم زحف علی المدینة، فظهر علیها، وبادر محمداً وناشده الله، ثم قُتل فی المعرکة وبُعث إلی المنصور»[۳].

ویضیف الذهبی فیقول: وفیها (أی سنة ۱۴۵ هـ) خرج أخوه إبراهیم بن عبدالله بن حسن بالبصرة، وکان قد سار من الحجاز إلی البصرة، فدخلها سرّاً فی عشرة أنفس، ولمّا بلغ المنصور خروجه تحوّل فنزل الکوفة حتّی یأمن غائلة أهلها، وألزم الناس بلبس السواد، وجعل یقتل کلّ من اتّهمه أو یحبسه، وتهاون متولّی البصرة فی أمر إبراهیم حتّی اتّسع الخرق، فجهّز المنصور لحربه خمسة آلاف، فکان بین الفریقین عدّة وقعات، وقُتل خلق من أهل البصرة وواسط. وبقی إبراهیم سائر رمضان یفرّق العمال علی البلدان لیخرج علی المنصور من کلّ جهة

۱. الولاة والقضاة للکندی: ۵۷، نور الأبصار: ۴۰۶.
۲. نور الأبصار: ۴۰۶.
۳. العبر ۱: ۱۹۹ ـ ۲۰۲ وقد أورده المؤلّف بتصرّف واختصار.

فتقاً، فأتاه مصرع أخيه بالمدينة قبل الفطر بثلاثة أيام، فلم يبرح أن ردّ المنصور من المدينة عيسى بن موسى فوجّهه لحرب إبراهيم[۱].

ولعلّ استطرادنا فی سرد تفاصيل الحوادث التی دارت بين المنصور وإبراهيم ما يبرّر جزّ المنصور لرأس إبراهيم والطواف به فی الأمصار; ليكون عبرةً لمن تحدّثه نفسه من العلويّين للخروج عليه أو على غيره من آل العباس، فقد جاء فی أحداث سنة ۱۴۵ هـ أنّ المنصور مكث لا يقرّ له قرار، فجهّز العساكر، ولم يأو إلى فراش خمسين ليلة. وكلّ يوم يأتيه فتق من ناحية[۲].

ويضيف الحافظ الذهبی: ولولا السعادة لثلّ عرشه بدون ذلک، فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور، ولكنّه كان فيه دين، قال: أخاف إن هجمتها أن يستباح الصغير والكبير. وكان أصحابه مع قلّة رأيه يختلفون عليه[۳].

وأخيراً استطاع جيش عيسى بن موسى أن يحيط بجيش إبراهيم، وحمل على عسكره فوقعت الهزيمة على أصحاب إبراهيم حتى بقی سبعون، واشتدّ القتال حتّى تفانى خلق تحت السيف طول النهار، وجاء سهم غريب لا يدرى من رمى به فی حلق إبراهيم، فأنزلوه وهو يقول: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره»، واجتمع أصحابه يحملونه. وأنكر عيسى اجتماعهم وحمل عليهم، فتفرّقوا عن إبراهيم، فنزل جماعة واجتزّوا رأسه وبعثوا به إلى المنصور، وذلک فی الخامس والعشرين من ذی القعدة، وعمره ثمانی وأربعين سنة[۴].

أمّا عن أثر هذه الأحداث فی مصر، وكيف جاء رأس إبراهيم إليها، فيحدّثنا ابن ظهيرة فی كتابه «الفضائل الباهرة فی محاسن مصر والقاهرة» فيقول: وفی أيام يزيد بن حاتم والی مصر من قبل الخليفة المنصور، ظهرت بمصر دعوة بنی الحسن بن على بن أبی طالب، وتكلّم بها الناس، وبايع كثير منهم لبنی الحسن

۱. تاريخ الإسلام ۹: ۳۶ وما بعده، العبر فی خبر من غبر ۱: ۱۹۹.
۲. العبر فی خبر من غبر ۱: ۲۰۰، وانظر تاريخ الإسلام ۹: ۳۸.
۳. العبر ۱: ۲۰۱.
۴. المصدر السابق: ۲۰۲.

فی الباطن، وماجت الناس بمصر، وکاد أمر بنی الحسن أن یتمّ، والبیعة کانت باسم علی بن محمد بن عبدالله.

وبینما الناس فی ذلک قدم یزید برأس إبراهیم بن عبدالله بن علی بن أبی طالبفی ذی الحجّة سنة خمس وأربعین ومائة، فنُصب فی المسجد أیاماً[۱].

وممّا یدلّ علی تحرّج الحالة فی مصر، کما یقول ابن ظهیرة: «إنّ یزید قد منع أهل مصر من الحجّ، بسبب خروج العلویّین بالمدینة، فلمّا قُتل إبراهیم أذن لهم»[۲].

ولابن ظهیرة فی کتابه «الفضائل الباهرة فی محاسن مصر والقاهرة» رأی آخر عن مکان دفن رأس إبراهیم بن عبدالله بن الحسن بن علی بن أبی طالب، إذ یقول: «مسجد البئر والجمیزة فی طریق الجب، بُنی علی رأس إبراهیم بن عبدالله، أرسله أبو جعفر المنصور إلی الأمصار، فأخذه أهل مصر، ودفنوه فی هذا الموضع».

وفی تفسیره لمکان البئر والجمیزة یقول: «هما العریش»[۳].

أمّا عن السبب فی تسمیة المسجد باسم مسجد تبر، فیرجع کما یقول المقریزی:

نسبة إلی «تبر»، أحد الأمراء الأکابر فی أیام الأستاذ کافور الأخشیدی، فلمّا قدم جوهر القائد من المغرب بالعساکر ثار تبر الأخشیدی هذا فی جماعة من الکافوریة والأخشیدیة وحاربه، فانهزم بمن معه إلی أسفل الأرض، فبعث جوهر یستعطفه، فلم یجب، وأقام علی الخلاف، فسیّر إلیه عسکراً حاربه بناحیة صهرجت، فانکسر وصار إلی مدینة صور التی کانت علی ساحل البحر، فقبض علیه بها وأُدخل إلی القاهرة، فسجن إلی صفر سنة ستین وثلاثمائة، فاشتدّت

۱. الفضائل الباهرة: ۸۷.
۲. المصدر السابق: ۸۹.
۳. المصدر نفسه.

المطالبة عليه، وضُرب بالسياط، وقُبضت أمواله، وحُبس عدّة من أصحابه بالمطبق من القيود إلى ربيع الآخر، ثم خرج وأقام أياماً مريضاً ومات[١].

ويضيف المقريزى: فسُلخ بعد موته وصُلب عند كرسى الجبل، ويقول ابن عبدالظاهر: إنّه حُشى جلدة تبناً وصُلب، فربّما سمّت العامة مسجده بذلك![٢]

وجاء فى «تحفة الأحباب وبغية الطلاّب» للسخاوى[٣]: وقد ظلّ هذا المسجد يعرف باسم مسجد تبر إلى عهد بعيد، ثم تحوّل إلى زاوية صغيرة، ثم اندثرت المبانى وبقيت التربة فقط. ومن عهد قريب تطوّع الأهالى ببنائه، فأُعيد إلى شبه حالته سنة ١٩٢٢ م. وهو باق إلى الآن بالمطرية بشارع البرنس «ماهر حالياً» يُعرف بجامع سيدى إبراهيم، وعليه ضريح يُزار، لكن بعض العامة تقول: إنّه إبراهيم الدسوقى! وهذا خطأ بطبيعة الحال.

وتوجد زاوية سيدى إبراهيم فى شارع ماهر «البرنس سابقاً» وعلى ناصية حارة سيدى إبراهيم، وتتكوّن من مبنىً مستطيل الشكل، مدخلها فى الجهة الجنوبية، حيث يوجد بابان داخل حنيتين، يعلوهما عقد ذو ثلاثة فصوص، ويعلو الباب نافذة صغيرة معقودة، والجدران الخارجية مزخرفة بطلاء جيرى مخطّط باللون الأحمر والأبيض، وتبدو وكأنّها أبلق.

أمّا داخل الزاوية فبسيط جدّاً، ويتكوّن من ستة أروقة موازية لحائط القبلة، وبكلّ رواق أربعة أعمدة. وبالرواق الثانى وأمام المحراب توجد قبّة بها ثمانى فتحات، القصد منها الإنارة.

وقد اقتطع من الزاوية مستطيل فى الركن الشمالى الغربى، توجد فى جزء منه مقبرة سيدى إبراهيم، وهى عبارة عن حجرة مربّعة، غُطِّيت بقبّة تقوم على رقبة مثمّنة، بكلّ ضلع منها نافذة، وفوقها تقوم قبّة مدبّبة. أمّا جدران المستطيل فقد

١. خطط المقريزى ٤: ٢٧١ ـ ٢٧٢، وأورده عنه الشبلنجى فى نور الأبصار: ٤٠٧.
٢. المصدران السابقان.
٣. تحفة الأحباب: ٢٢.

فُتحت فى كلٍّ من الضلع الشرقى والغربى نافذتان قنديليتان. وفى الجهة الغربية من الزاوية توجد الميضأة ودورة المياه.

ولعلّ السبب فى اختيار جهة المطرية لتكون مقرّاً لرأس إبراهيم، هو إبعاد الناس عن زيارة المقبرة حتّى تخمد الثورة، وتضعف الدعوة للعلويّين. فقد كانت منطقة المطرية فى ذلك الوقت مهجورة غير مسكونة، لبُعدها عن العاصمة، وهى الفسطاط ثم العسكر، كما أنّ مقابر المسلمين فى ذلك الوقت كانت عند جبل المقطم. وممّا ينهض دليلاً على أهمية هذه المقبرة فى تلك المنطقة النائية ـ وأعنى بها المطرية ـ هو اهتمام الأمير «تبر» ببناء مسجد بجوارها.

٨ ـ الإمام حسن الأنور
حفيد الإمام الحسن بن على (عليهم السلام)

بقلم
أحمد أبو كف

الإمام حسن الأنور
والد السيدة نفيسة، وشيخ بنى هاشم فى عصره[١]

أحمد أبو كف

هذا الذى حدث منذ سنوات، ما زال فى ذاكرة الناس وكأنّه حدث بالأمس; فى منتصف إحدى الليالى، وكان بعض عمّال المعمار يجدّدون القبلة، فتح ملاحظ المسجد باب الغرفة التى تضمّ ضريحى سيدى حسن الأنور وأبيه سيدى زيد الأبلج، وفاجأ الملاحظ ضوء باهر، كأنّه نور الشمس يتجمّع ويسلّط على العمامة فوق غطاء ضريح سيدى حسن الأنور، وأجفل الملاحظ عبدالوهاب حسن وأغمض عينيه، ثم أغلق الباب ثانية، وتمتم بآيات الله البيّنات.

ولاحظ العمّال ما حدث، فاعتقدوا أنّه من الكهرباء! لكن أنوار المسجد أُطفئت كلّها، لتظلّ بقعة الضوء فى الضريح تخرج إشعاعاتها من تحت عقب الباب، وسط الظلام الشديد.

ويتوقّف العمّال، بعد أن تأكّدوا وشاهدوا بأنفسهم الأنوار الربانيّة، ويذهبون إلى مقاوليهم، وفجأة يأتى الصباح الجديد، ويشترى المقاولون على حسابهم كميات من مواد البناء من أجل أن يتجدّد المسجد كلّه، وتتضاعف مساحته، من أجل هذا القطب من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

❊ ❊ ❊

هذه الشخصية الكريمة من آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) لها فى نفوس المؤمنين بمصر الشىء الكثير، فهى قد أنجبت الدرّة النفيسة من درر آل البيت على أرض الكنانة. وأقصد بها السيدة نفيسة التى أجمع المؤرّخون ـ ولم يختلف

١. مقتبس من «سيرة آل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) فى مصر» ط. دار المعارف، القاهرة.

منهم أحد ـ على أنّها مدفونة فى مسجدها فى حى الخليفة بالقاهرة. والشخصية الكريمة بالطبع هى سيدى حسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن حسن السبط ابن على بن أبى طالب (عليهم السلام). وهذه الشخصية النبوية الكريمة تعتبر من أهمّ شخصيات آل البيت فى القرن الثانى الهجرى، بل هى أهمّها جميعاً.

إنّ سيدى حسن الأنور ـ رغم تلك الشذرات المتناثرة حوله من المخطوطات والكتب ـ من القلائل من آل البيت الذين لعبوا دوراً مهماً فى العصر العباسى الأول. فقد كان والياً على المدينة المنوّرة، وهذه ـ كما أرى ـ تعتبر استثناءً لكلّ من يتتبّع تاريخ آل البيت بعد كربلاء وفى أيام الأمويّين، بل هى استثناءً كذلك فى عهد العباسيّين، الذين سرعان ما تنكّروا لآل بيت النبى، وفعلوا مع أبناء عمومتهم ما فعله الأمويون من قبل، بل وأشرس ممّا فعلوا.

وحتّى سيدى حسن الأنور الذى تولّى إمارة المدينة وعمره ٦٧ سنة من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور، وظلّ فيها حوالى ستّ سنوات من عام ١٥٠ إلى ١٥٥ هجرية، لم ينج من اضطهاد العباسيّين، رغم أنّه ـ كما تذكر بعض الكتب، ومنها ما جاء فى ديوان ابن هرمة ـ دون بقية آل البيت، أول من لبس السواد شعار العباسيّين[١]; تأييداً لهم، وتدعيماً لقيام دولتهم، والسواد بالطبع جاء سنّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واعتبره العرب رمزاً للقوة كما يقول كتاب «سمط الدرر العوالى»، فالرسول (صلى الله عليه وآله) لبس عمامة سوداء وهو يفتح مكّة.

لقد عُزل الحسن الأنور فجأة من ولاية المدينة المنوّرة وأُلقى فى غياهب السجن عام ١٥٦ هـ، إلى أن ولى المهدى العباسى فأخرجه منه[٢]; لأنّ هذا الخليفة كان يعرف أقدار الأشراف من آل البيت، وكان فاضلاً حتّى إنّ ابن طباطبا فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانية، وصف المهدى قائلاً: كان شهماً كريماً، شديداً على أهل الإلحاد والزندقة، ولا تأخذه فى إهلاكهم لومة لائم،

١. راجع عمدة الطالب: ٧.
٢. انظر تفصيله فى تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ وما بعده، والمنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ٨: ٢٩٤، وشذرات الذهب ٢: ٢١.

وكان يجلس فى كلّ وقت للمظالم، كما كان ذكياً فصيحاً بعيد الهمّة، شديد الرأى، ثاقب الفكر، قوى البيان، فصيح اللسان، عالماً بضروب السياسة وفنونها; ممّا أهّله لأن يلى الأمور[١].

ونحن لو عرفنا أنّ المهدى تولّى الخلافة ابتداءً من عام ١٥٨ الهجرى، فإنّ سيدى حسن الأنور قضى فى سجن المنصور سنتين أو يزيد[٢].

وكانت العلاقة بين بنى هاشم ـ آل البيت ـ من علويّين وعباسيّين ـ كما يقول د. حسن إبراهيم حسن فى كتابه تاريخ الإسلام السياسى ـ تقوم على الودّ والصفاء أيام كان البيتان متّحدين على العدوّ المشترك وهو بنى أُمية، ولكن ما أن قام البيت العباسى، وسلس له قيادة الخلافة الإسلامية، حتّى تنكّر العباسيون لآل البيت[٣].

والواقع أنّ العلويّين لم ينسوا حقّهم فى الخلافة بعد كربلاء، بل كانت هى شغلهم الشاغل. فإنّهم ما فتئوا فى كلّ أدوار حياتهم يطلبون حقّهم بكلّ وسيلة، فإذا ما وجدوا الفرصة سانحة لإعمال القوة وتجريد السيف اغتنموها، ولم يدعوها تمرّ، وإذا آنسوا من أنفسهم ضعفاً استكانوا مكتفين بلقب الإمام، وقرابتهم من الرسول (صلى الله عليه وآله) وآثروا المعيشة الهادئة والاشتغال بالتجارة، والانصراف إلى العبادة على الاشتغال بالسياسة والحرب، اللّهم إلاّ فى أواخر الدولة الأموية، حين قام والد سيدى حسن الأنور، وهو الإمام زيد بن على زين العابدين، وابنه يحيى، فى عهد هشام بن عبدالملك، الخليفة الأموى مطالبين بحقّهم فى الخلافة. وهنا لاقوا عسفاً واضطهاداً، بل شدّةً وقتلاً وصلباً.

١. الفخرى فى الأنساب السلطانية: ١٤٢.
٢. انظر: تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، المشجر الكشّاف عن أصول السادة الأشراف: ٧٦، أعيان الشيعة ٥: ٧٥.
٣. تاريخ الإسلام ٢: ١١.

وعلى العموم، فقد عاش العلويون عيشةً هادئةً، إلى أن تجدّدت الدعوة لآل البيت على أيدى العباسيّين. لكن لمّا ظفر العباسيون بالخلافة دونهم نابذوهم العداء، ونظروا إليهم كما ينظرون إلى الأمويّين من قبل.

وهكذا صار اضطهاد آل البيت قضية العباسيّين[١]، خاصّةً فى عصر الهادى العباسى، الذى تولّى الخلافة عام ١٦٩ هـ، وكان الهادى كما وصفه المسعودى فى مروج الذهب: قاسى القلب، شرس الأخلاق، صعب المراس[٢]. وممّا يؤخذ عليه تنكيله بالعلويّين، كما أنّ عصر الهادى شاهد ثورةً أخرى للعلويين قادها الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكانت موقعة فخّ[٣].. التى وصفت بأنّها لم تكن مصيبة بعد كربلاء، أشدّ وأفجع من فخّ.

وكان من أوائل العلويين المطالبين بحقّهم فى الخلافة أيام العباسيين: محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب[٤]، وأخوه إبراهيم[٥]. واستمرّت سلسلة اضطهادات آل البيت أيام العباسيّين.

---

١. حتى قيل لأبى جعفر المنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتّى كأنّك لم تسمع بالعفو! فقال: لأنّ بنى مروان لم تبل رممهم بعد، ونحن بين قوم قد رأونا بالأمس سوقة ونحن اليوم خلفاء، فليس تتمهّد مصيبتنا فى نفوسهم إلاّ بنسيان العفو واستعمال العقوبة!! انظر: تاريخ دمشق ٣٢: ٣٣١، سير أعلام النبلاء ٧: ٨٥.

٢. مروج الذهب ٣: ٣٣٥.

٣. وفخ موضع يبعد عن مكّة ستة أميال. وحدثت الواقعة سنة ١٦٩ هـ يوم التروية، وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة، وكان على رأس الجيش العباسى موسى بن عيسى الذى جاء برأسه إلى الخليفة الهادى ليقبض جائزته، لكنه رأى السخط عليه وكأنّه لم يرسله لمحاربته، وبدلاً من ذلك قبض الخليفة أمواله ليرى للناس أنّه لم يرض بصنع ابن عيسى هذا! وذكر المسعودى أنّه أقاموا ثلاثة أيام لم يواروا القتلى حتّى أكلتهم السباع والطير! انظر مروج الذهب ٣: ٣٣٦.

٤. ومحمد هذا هو الملّقب بالأرقط وبالمهدى وبالنفس الزكية، كان أحد الأشراف من الطالبيين، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ، فلمّا قامت الدولة العباسية لم يبايع السفاح وتوارى، فطلبه المنصور خوفاً على عرشه، وقبض على أبيه واثنى عشر من أهل بيته وعذّبهم، فماتوا بحبسه بعد سبع سنوات! فلمّا علم محمد بموت أبيه خرج ثائراً، فغلب على مدن كثيرة، ثم حدثت بينه وبين جيش المنصور وقعة على أبواب المدينة، فقتل فيها سنة ١٤٥ هـ. انظر الأعلام ٦: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

٥. وأخوه إبراهيم المعروف بقتيل باخمرى، وكان على شاكلة أخيه محمد فى الدين والعلم والشجاعة والثورة على الظلم، بايعه أربعة آلاف مقاتل، فاستولى على البصرة فهزم المنصور منها إلى الكوفة، واستولى على بلاد كثيرة أخرى، وجرت وقائع مع المنصور حتّى انتهت باستشهاده. انظر مقاتل الطالبيين: ٢١٠ ـ ٢٥٦.

لقد وصف الحسن الأنور ـ كما يذكر الشيخ أحمد فهمى فى كتابه «كريمة الدارين، الشريفة الطاهرة السيدة نفيسة بنت الحسن رضى الله عنها» ـ بأنّه كان شيخ بنى هاشم فى زمنه من بنى الحسن، حتّى إنّ رئاسة البيت الهاشمى انتهت إليه فى عصره.

وكما فى تهذيب التهذيب عن ابن سعد فى طبقاته: كان أبو محمد الحسن الأنور عابداً ثقةً، وكان إماماً عظيماً من كبار آل البيت، وكان مجاب الدعوة[١]، بل إنّ الزبير بن بكّار وصفه بأنّه كان فاضلاً شريفاً.

* * *

ولد الحسن الأنور لأبيه زيد بن الحسن السبط عام ٨٣ هـ. وكما فى خطط المقريزى: «أنّ أُمّه أُمّ ولد»[٢]، وأُمّ الولد هى الجارية التى يعتقها سيدها ويتزوّجها على عادة العرب. وقد نشأ الحسن فى بيت شريف، وفى رحاب أبيه زيد فى المدينة، وتربّى تربيةً إسلاميةً جليلة.

ويروى: أنّه كما كان سيدى حسن الأنور يأخذ ابنته نفيسة، ويدخل معها حجرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ويقول: يا رسول الله أنا راض عن ابنتى نفيسة. فقد كان الإمام زيد والد سيدى حسن الأنور يأخذ ابنه، حتّى رأى النبى (صلى الله عليه وآله) فى المنام يقول له: «يا زيد إنّنى راض عن ابنك حسن برضاك عنه، والحقّ سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه»[٣].

وقد توفّى الإمام زيد ـ كما يقول الشبلنجى فى نور الأبصار[٤] ـ فى عام ١٢٠ هـ، أى أنّه توفّى والحسن الأنور فى السابعة والثلاثين من عمره، وترك والده عليه ديناً مقداره، كما يحدّده الخطيب البغدادى فى كتاب تاريخ بغداد[٥]: أربعمائة دينار، فحلف الحسن ـ كما فى خطط المقريزى[٦] ـ ألاّ يظلّ رأسه تحت

١. تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، وانظر المشجر الكشّاف عن أُصول السادة الأشراف: ٧٦.
٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزى ٤: ٣٢٥.
٣. نور الأبصار: ٣٣٧.
٤. المصدر السابق.
٥. تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.
٦. خطط المقريزى ٤: ٣٢٦.

سقف إلاّ سقف مسجد جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو رجل يكلّمه فى حاجة حتّى يقضى ما على أبيه من دين، وكان أن وفى الدين[١].

والواقع أنّ سيدى حسن الأنور قد نشأ فى رحاب جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله)، يقرأ القرآن الكريم، ويكثر العبادة والقيام والصيام، مع زهد وورع، وتقوىً وصلاح.

وقد صقلته هذه الحياة، وفتح الله عليه بالعلم والبيان والثراء، حتّى صار إماماً عالماً، وله تلاميذ ومريدون، وحمل الكثير من الألقاب التى ذُكرت فى كثير من الكتب، جمعنا منها هذه الألقاب، وهى: شيخ الشيوخ، شيخ بنى هاشم، من كبار آل البيت، أبو محمد المدنى الأنور، التابعى، النابه، عالم، عابد، فاضل، شريف، علوى.

وقد صار ثقةً فى رواية الأحاديث، ومن تلاميذه الإمام مالک بن أنس، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن أبى ذئب المحدّث الجليل، وأبو أُويس، ووكيع.

أمّا عن شيوخه ـ كما جاء فى تهذيب التهذيب لابن حجر[٢] ـ فمنهم: أبوه الإمام زيد، وابن عمه عبدالله بن الحسن، وعكرمة، ومعاوية بن عبدالله بن جعفر، وغيرهم[٣].

ولذا صار سيدى حسن الأنور قطباً وإماماً، وكان ـ كما يقول كتاب مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ ـ يقصده الناس من القرى والبلاد، وكان يعدّ بألف من الكرام[٤].

والواقع أنّ حياة الإمام حسن الأنور التى امتدّت ٨٥ عاماً دارت فى عدّة محاور، أهمها:

أولاً: المحور الدينى والعلمى: ويكفيه تربيته للسيدة ابنته. وكذلک ابنه إسماعيل العالم العابد الناسک. وكان سيدى حسن الأنور متشدّداً وحازماً فى

١. راجع المنتظم لابن الجوزى: ٢٩٤.
٢. تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩.
٣. هذا وعدّه الشيخ الطوسى فى رجاله فى أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام).
٤. انظر خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.

المسائل الدينية، والأخذ على أيدى الناس بآداب الإسلام. ومن يقرأ كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة يجد فيه الكثير.

ثانياً: **المحور السياسى**: وقد استطاع الحسن الأنور أن يعيش نافذ الرأى، متقلّداً لمنصب الولاية فى دولة تضطهد العلويّين وتتوجّس منهم.

ثالثاً: **المحور الاقتصادى**: فهو رغم علمه وتقواه، اشتغل بالتجارة; ليصبح ذا ثروة كبيرة، أغنى بها الحياة، وأمسک نفسه عن أن يردّ طالب حاجة.

الحياة الدينية والعلمية

من الأحاديث المنسوبة إلى سيدى حسن الأنور فى ابن حبّان[١] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)أنّه احتجم وهو صائم، ومعنى الاحتجام، أى استخراج الدم من الجبهة. وهذا دليل إجازة الحجامة فى الصيام. وهذا الحديث موجود فى كتاب الذهبى «ميزان الاعتدال»[٢].

وفى أمالى المرتضى[٣] عن «الفرائد ودرر القلائد» نسب للإمام حسن الأنور، أنّه رأى رجلاً محرماً فى مكة المكرمة، وعلى صلعته الغالية ـ وهى نوع من الطيب كالعجين ـ ولم يعترض الإمام الحسن الأنور على ذلک، وهذا يعنى أنّ الطيب قبل الإحرام جائز شرعاً.

وفى كتاب «الكامل»[٤] للمبرد: أنّ سيدى حسن الأنور ذهب للحجّ، فلفت نظره شخص يزاحم الحجيج، فأشار إليه بيده ـ فعل الغازلة، أى مثل التى تغزل صوفها ـ وقال: «خرقاء وجدت صوفاً!» بمعنى أنّ المزاحمة والسرعة فى الحجّ تضرّ أكثر ممّا تكسب من الإيمان.

١. انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ۴: ١۵۶ باب حجامة الصائم، وذكره عنه الذهبى فى الميزان ١: ۴٩٢.
٢. ميزان الاعتدال ١: ۴٩٢ رقم ١٨۵٠.
٣. أمالى المرتضى ٢: ١٨۶.
۴. الكامل ۴: ٢٢١.

وهذا كما يقولون يقترب من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»[١]، أى: أنّ المنقطع عن الرفقة، أى المتخلّف عن الركب بسبب السرعة يجهد دابّته، فتعجز عن مواصلة الطريق.

أمّا فى معجم البلدان[٢] لياقوت الحموى، فقد روى أنّ سيدى حسن الأنور عزل عبدالله بن مسلم بن جندب الهزلى عن إمامة الصلاة فى مسجد الأحزاب.

فقال له: لِمَ تعزلنى عن منصب أبى وأجدادى؟

فردّ عليه حسن الأنور قائلاً: إنّما عزلك عنه يوم الأربعاء! وكان هذا اليوم مسموحاً فيه للنساء بالصلاة فى المسجد، وقد تعرّض الرجل لبعض النساء بأبيات غزلية، لم يحملها سيدى حسن الأنور محمل العفو. وهذه الواقعة تدلّ على شدّة سيدى حسن الأنور فى الدين، كما تدلّ أيضاً على أنّه كان ناقداً للشعر، متذوّقاً، وحافظاً له.

لقد وصف الحسن وهو والى المدينة المنوّرة بأنّه: «كان ذا حزم فى ولايته، وعزم فى إمرته، وشدّة فى أخذ الناس بالحدود وحرمات الله، لا تأخذه رأفة فى دين الله، ولا توقفه رحمة عن إقامة حدوده».

والأمثلة على حزم سيدى حسن الأنور كثيرة: فلقد كان للحسن شاعر مشهور من أصفيائه ومواليه يسمّى ابن هرمة، وله معه أحاديث ظريفة وذكريات ممتعة، فلمّا صار الحسن والياً على المدينة المنوّرة، جاء بهذا الشاعر وقال له بحزم، بعد أن سمع أنّه يشرب الخمر: أنا لست كمن باعک دينه رجاء مدحک، أو خوفاً من ذمّک، فقد رزقنى الله عزّ وجلّ بولادة نبيه الممادح، وجنّبنى المقابح، وأنّ من حقّه علىَّ ألاّ أغضى عن تقصير فى حقّ ربى. وأنا أقسم بالله لئن أوتيت بک سكراناً لأضربنّک حدّاً للخمر وحدّاً للسكر، ولأزيد لموضع حرمتک بى، فليكن تركک لها لله تعالى، تعن عليها، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم[٣].

١. أخرجه البيهقى فى السنن ١: ١٩.
٢. معجم البلدان ٥: ٨٦ ـ ٨٧.
٣. خطط المقريزى ٤: ٣٢٦.

وشاعر آخر اسمه ورد بن عاصم، جاءت قصّته مع الإمام حسن الأنور فى عيون الأخبار[١]. هذا الشاعر هجا الحسن أثناء ولايته للمدينة لتشدّده فى إقامة الحدود، فلمّا سمع الحسن هجاءه طلب الشاعر، لكنّه خاف وهرب، إلى أن مثل بين يديه، واعتذر للحسن بتقصيره، وهنا يعفو عنه ويصله بمال.

ومع الحزم كان العطف، فقد جىء إليه بشاب ذى حسب ونسب هو سكران، فقال الشاب: يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا أعود، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم»[٢]، وأنا ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، وكان أبى مع أبيك.

فقال الحسن للشاب: صدقت، هل أنت عائد؟

قال الشاب: لا والله. فأقاله الحسن، وأمر له بخمسين ديناراً، وكان الحسن يبرّه دائماً[٣].

على أنّه مع الشدّة، كان التواضع الجمّ لسيدى حسن الأنور، ونذكر هنا حادثةً جاءت فى كتاب «حسن المحاضرة»[٤]. فقد دخل على الحسن الأنور وهو والى المدينة المنوّرة أحد الشعراء لينشده قصيدةً مطلعها:

الله فرد وابن زيد فرد

وبسرعة يردّ عليه الحسن قائلاً:

بفيک الأثلب! ألا قلت:

الله فرد وابن زيد عبد

وينزل الحسن من على كرسى الإمارة، أو سرير الإمارة كما يسمّى، ويلصق خدّه بالأرض، ويمرّغ وجهه فى التراب، ويسبّح الله العلى القدير، ويستغفره ويبكى[٥].

* * *

١. عيون الأخبار ٢: ١٦١.
٢. رواه الإمام أحمد فى المسند ٦: ١٨١، وأبو داود فى السنن ٤: ٣٣ حديث ٤٣٧٥.
٣. راجع خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.
٤. حسن المحاضرة فى أحوال القاهرة: ٢٣٢.
٥. ذكره الشبلنجى فى نور الأبصار: ١٣٧.

حياة الحسن الأنور السياسية

إنّه رغم القرابة بين سيدى حسن الأنور والعباسيّين، بل المصاهرة، فإنّ ابنته أُمّ كلثوم ـ أخت السيدة نفيسة ـ كانت متزوّجة من أبى العباس السفّاح، أقول رغم ذلک فلم يشفع هذا القطب آل البيت فى زمنه عند المنصور العباسى الذى أقصاه عن الولاية، وصادر ممتلكاته، وألقاه فى غياهب سجن مظلم.

ولاشکّ أنّ العباسيّين كانوا يتوجّسون من آل البيت، ويرصدون عليهم العيون فى كلّ مكان، حتّى من كسب ثقتهم، ربّما لاعتقاد العباسيّين من جهة أنّهم اغتصبوا الخلافة من مستحقّيها، ولإيمان العلويّين من جهة أخرى بحقّهم المغتصب الذى ينبغى أن يعود إليهم. وهذا ما جعل العباسيّين يأخذون بالوشايات، بل لا يتحقّقون كثيراً فيما إذا كانت هذه الوشاية صحيحة أم دسيسة.

ونحن قد بحثنا فى الماوردى «الآداب السلطانية» عن مهام الولاية، أيام الحسن الأنور، والذى كان نقيباً للأشراف كذلک، فاتّضح أنّ الوالى كان مسؤولاً عن أخلاق الناس وأمنهم، كما كان مسؤولاً عن تدبير أمر الجيوش، وكذلک إمامة الصلاة، وتعيين الائمة، وإقامة الحدود، لكنّ الملاحظ أنّ العباسيّين حين ولّوا سيدى حسن الأنور، أعفوه من مهمّة تدبير أمر الجيوش حتّى لا يقوى الولاة من آل البيت، ويخرج أحدهم على الخلافة!

والوشاية جاءت من شخص مقرّب للإمام حسن الأنور، واسمه ابن أبى ذئب محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة، وهذا ذهب إلى المنصور العباسى وأخبره أنّ الحسن الأنور «يطمح للخلافة، ويتشوّف لنسيمها، ويعمل على عودها للعلويّين».

وهذا الواشى ـ رغم قربه من الإمام حسن الأنور ـ غلب على ظنّه طماحية آل البيت للخلافة، ولذلک أسرع إلى المنصور العباسى، وكان الواشى نفسه ـ كما يقولون ـ يؤمن فى قرارة نفسه أنّ الخلافة حقّ للعلويّين، رغم أنّ عمله كان عيناً للعباسيّين على سيدى حسن الأنور.

ونتيجة لذلک، يظلّ الحسن الأنور سجين العباسيّين أكثر من سنتين، حتّى يتولّى المهدى الخلافة، الذى كان يقدّر فى سيدى حسن الأنور علمه واعتداله

وزهادته، فأمر بإخراجه من السجن، وردّ عليه ما أخذ من ماله، لكنّه من الثابت أنّ المهدى لم يعد الحسن إلى ولايته، رغم أنّ البعض يقول: إنّه بعد الإفراج عنه عاد الحسن إلى منصبه والياً على المدينة، بل إنّ هناك رأياً يرى أنّ المنصور نفسه والذى أمر بالحبس، هو الذى أخرج سيدى حسن الأنور من السجن لمّا ظهر له كذب الواشى، لكنّ هذا الرأى أضعف من أن يقف مع ما أجمع عليه الطبرى وابن كثير والزركلى وغيرهم[١].

الحياة الاقتصادية

أمّا ثالث المحاور فهو الجانب الاقتصادى، فقد كان الحسن كريماً غاية الكرم، وكان معطاءً. وفى الأغانى[٢] لأبى الفرج الأصفهانى أنّه كان لسيدى حسن الأنور قصور فى بطحاء ابن أزهر فى المدينة المنوّرة، وكان الناس يقصدون سيدى حسن من كلّ مكان طمعاً فى كرمه ونواله. فقد كانت له تجارة رابحة، حتّى إنّه أراد توسيع جامع الرسول (صلى الله عليه وآله) على نفقته، لكنّ المنصور العباسى عارض هذا الأمر.

وهناك قصّة تدلّ على كرم سيدى حسن الأنور، رواها ابنه سيدى إسماعيل، وجاءت فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى[٣]. فلقد أتاه فى الصباح الباكر مصعب بن ثابت الزبيرى وابنه عبدالله، أتياه وهو يهمّ بالركوب إلى ماله ـ أملاكه ـ بالغابة فى الطريق إلى مكة المكرّمة، استجارا به حتّى يدفع عنهما ديناً، فأرسل الحسن إلى صاحب الدين واسمه ابن ثوبان فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائة، وعلى ابنه مائة! وهنا يقضى الدين عن الرجل وابنه، بل زاد وأعطاهما مائتى دينار.

لقد اشتهر الحسن الأنور بالعطاء، ولم يكن يردّ صاحب حاجة، بل إنّه كان يصل أعداءه، وربّما لأنّ أباه مات وهو عليه دين، فقد نذر أن يدفع دين كلّ من يلجأ إليه، وكان يؤمن بأنّ المال مال الله، وأنّه يجب أن يصرف فى سبيل الله.

* * *

١. كالخطيب البغدادى وابن حجر وابن الجوزى والسيد محسن الأمين.
٢. الأغانى ١٤: ١٦١.
٣. تاريخ بغداد ٧: ٣١٠ ـ ٣١١.

كيف لاقى الحسن وجه ربّه؟ وأين دُفن؟ وما هى حكاية مشهده بالقرب من سور مجرى العيون أو سور القاهرة القديم؟

خلال الخمسة والثمانين عاماً التى عاشها سيدى حسن الأنور، عاش حياةً واسعةً ثريةً متعدّدة الجوانب، وأنجب أحد عشر ولداً تسعة ذكور[١]، واثنتين من الأُناث هما: نفيسة و أم كلثوم، وكما يقول الشبلنجى فى «نور الأبصار»: إنّ أُمّهم جميعاً هى أُمّ سلمة زينب بنت الحسن المثنّى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب[٢].

لكنّ الخلاف كثير حول موت الحسن الأنور، وحول دفنه. فقد ذكر ابن خلّكان فى وفيات الأعيان[٣]: أنّه مات بمصر، لكنّه غير مشهور. وقيل: إنّه توفّى ببغداد ودُفن فى مقبرة الخيزران[٤]، ويرى ابن خلّكان[٥] أنّه مات بالحاجر، أثناء حجّة المهدى سنة ثمان وستين ومائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة[٦].

أمّا الشيخ عبدالخالق سعد فى كتابه «الجواهر النفيسة» فيؤكّد أنّه جاء مصر مع ابنته نفيسة، بعد ما زار معها قبر الخليل إبراهيم، وأنّه عاش فى مصر القديمة بدءاً من يوم السبت السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة من الهجرة. وهذا الرأى بالطبع يحتاج إلى تمحيص، إذا عرف أنّ المراجع أجمعت على أنّ الحسن الأنور مات سنة ١٦٨ هـ، أو ١٨٦ هـ كما تقول مراجع قليلة. فالسيدة نفيسة جاءت لتعيش فى مصر فى التسعينيات من القرن الثانى الهجرى، وتوفّيت عام ٢٠٨ هـ، فلربّما جاء الحسن الأنور مع ابنته وهو فى أُخريات أيامه.. ونحن بالطبع لا نميل إلى هذا الرأى.

١. وقد ذكر صاحب عمدة الطالب: ٧١ أنّه أعقب سبعة ذكور وليس تسعاً، وهم: القاسم وعلى وزيد وإبراهيم وعبدالله وإسحاق وإسماعيل.
٢. نور الأبصار: ٣٣٨.
٣. وفيات الأعيان ٢: ٢٦٨.
٤. ذكر الخطيب عن محمد بن خلف وكيع أنّه مات ببغداد، ودفن فى مقابر الخيزران، لكنّه لم يقوّيه. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.
٥. وفيات الأعيان ٥: ٤٢٣ عند ترجمة السيدة نفيسة برقم (٧٦٧).
٦. وهو قول أغلب النسّابة. انظر عمدة الطالب: ٧٠، والمنتظم ٨: ٢٩٤. وحاجر: موضع يبعد عن المدينة مسافة خمسة أميال باتجاه مكّة.

لكنّ الملاحظ أنّ أُسرة سيدى حسن الأنور فيها الكثيرون الذين دفنوا بمصر، بل البعض يؤكّد أنّ سيدى زيداً مدفون فى ضريح ابنه سيدى حسن الأنور... الذى مات عن تسعين عاماً.. والبعض يقول: إنّ الضريح ليس لسيدى زيد الأبلج، وإنّما هو لزيد بن حسن الأنور، كما يقولون: إنّ السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج، عمّة السيدة نفيسة بنت الحسين أيضاً مدفونة فى مصر. كما أنّ سيدى محمداً الأنور أخا سيدى حسن الأنور، مدفون فى مشهده القريب من مسجد السيدة سكينة على يمنة الذاهب إلى السيدة رقيّة والسيدة نفيسة.. كما يؤكّد ذلک كتاب «العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد».

والسؤال ما زال مطروحاً: هل الحسن الأنور مدفون فى مصر؟!

يؤكّد لى فضيلة الشيخ عبدالغفور محمود جعفر شيخ جامع سيدى حسن الأنور، والذى يبحث دائماً فى تاريخه، أنّ هناک مخطوطاً ينقل عن ابن النحوى قصةً طويلةً مفادها: أنّ السيد حسن الأنور توفّى فى ريف مصر، وأنّه إن صحّ هذا الكلام، فقد نقل رفات الحسن الأنور إلى مسجده الحالى.

ويتّفق مع رأى الشيخ ما أورده الشيخ الصبّان فى كتابه «إسعاف الراغبين»[١] نقلاً عن الشعرانى[٢] فى مننه: «أنّ الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريباً من جامع القرّاء، بين مجراة القلعة وجامع عمرو». وأنّ الذى أشهر هذه التربة وبنى عليها قبةً ـ كما يرى على مبارک[٣] ـ حضرة عبدالرحمن كتخدا أحسن الله إليه، وأسبل سرادقات لطفه عليه.

من هذا يتّضح اختلاف الكتّاب حول دفن الحسن الأنور فى مصر وإن كان الإمام الشعرانى يرى أنّ الروح فى البرزخ كمن يسبح فى نهر جار، يطف فى أىّ مكان، أىّ يظهر فى أىّ مكان وهذه ـ كما يقول البعض ـ مظاهر شوهدت، أو

١. إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٣٨، وانظر لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ٢: ٢٧١.
٢. انظر لواقح الأنوار ٢: ٢٧٠.
٣. الخطط التوفيقية ٥: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

ظهر فيها الروح، بل إنّ هناک من الصوفية يعتقدون أنّ هناک نقلاً باطنياً، فبعد أيام قليلة من دفن القطب، يفتحون القبر، فلا يجدون به شيئاً، وإنّما يوجد فی مكان آخر.

والواقع أنّ هناک شواهد كثيرة تدلّ على وجود لآل البيت فی مصر، خاصّةً الذين ثار حول دفنهم الخلاف. والحسن الأنور ـ من خلال ضريحه ومسجده ـ فی التاريخ والمعمار تجعلنا نقول: إنّ إثبات دفنه أو نقل جسده الطاهر إلى مصر يحتاج إلى أبحاث المجتهدين.

* * *

إنّ أقدم تاريخ عثرت عليه لجامع سيدی حسن الأنور، منذ أيام دولة المماليک البحرية، فی القرن الثامن الهجری، وفی عصر الناصر محمد بن قلاوون، أی منذ حوالی ستة قرون. وليس معنى ذلک أنّ الجامع قد بدأ بناؤه فی هذا التاريخ، وإنّما قبل ذلک. يدلّ على ذلک ما ورد فی خطط على مبارک، إذ يقول: عمّره القاضی فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش باسم الملک الناصر محمد بن قلاوون، وانتهت عمارته سنة ٧١٢هـ، وأُقيمت فيه الجمعة حينئذ، وله أربعة أبواب، وفيه ١٣٧ عموداً، وذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع، بذراع العمل، وما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله[1].

لكن لسبب أو لآخر، فإنّ ما أقامه قلاوون سقط أيضاً، مع أنّ الجامع كما يقول الشعرانی: «كانت مساحته كبيرة، وكان حوله بساتين من أجمل المنتزهات..» ويؤكّد ذلک على مبارک حين يقول: «.. ثم زالت آثاره بالكلية، وقيل ـ أی الجامع ـ : كان محلّ السبع سواقی ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج، التی تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة. ويدلّل على ذلک ما اشتهر من أنّ الفرنساوية زمن دخولهم مصر وجدوا هناک كثيراً من العمد الرخام الضخمة، وأحجاراً، ونحو ذلک»[2].

١. الخطط التوفيقية ٥: ٢٧٥.
٢. المصدر السابق: ٢٧٨.

لكن عمارة المماليک سرعان ما انهارت هى أيضاً، بعد حوالى أربعة قرون ونصف. وظلّ الجامع متخرّباً حتّى تجدّد فى عام ١٢٨٠ هـ ـ وكما جاء فى على مبارک ـ على يد ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل كما هو مرقوم بأعلى بابه الغربى، عليه قبّة حديثة، وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب عليه اسم سيدى حسن الأنور، وبجوار هذا الضريح ضريحان: أحدهما لسيدى زيد الأبلج، واسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته، والآخر لسيدى جعفر، ولا يعرف من هو سيدى جعفر حتّى الآن.

لكن هذا التجديد لا ينفى أنّ الأمير عبدالرحمن كتخدا فى القرن الثانى عشر الميلادى كان قد بنى قبةً على ضريح سيدى حسن الأنور، كما سبق أن أسلفنا.

وكما هو ظاهر فإنّ المسجد الحالى بمقارنته بما فى أوراق الأوقاف، فإنّ مساحته قلّت كثيراً، بل إنّه الآن ليس حوله خضرة سوى نخلة واحدة، رغم ما يقوله على مبارک من أنّه كان «بجوار ميضأته شجرتان من اللبخ ونخلات»، وحتّى الخمسينيات من القرن العشرين وصل المسجد إلى حالة يرثى لها; ممّا دفع بعض أهل الحى إلى الاشتراک فى تجديده وتوسيعه.

وهكذا تبدو أهمية جامع سيدى حسن الأنور، وأهمّيته تكمن بالطبع فى الضريحين الموجودين به لسيدى حسن الأنور ووالده اللذين ينتميان للحسن السبط، وهو فرع كثير من أوراقه المضيئة على تراب مصر.

❊ ❊ ❊

يقع ضريح حسن الأنور فى المنطقة التى تسمّى بخرطة أبى السعود بمصر القديمة، من جهة سور القاهرة، فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص.

وقد حدّثوا عنه أنّه كان تقياً ورعاً مجاب الدعوة، وكان إماماً عظيماً عالماً، من كبار أهل البيت، معدوداً من التابعين.

وكان أبوه زيد الأبلج (رضى الله عنه) جليل القدر كريم الطبع، يتّصف بالصفات الكريمة، وكان يتولّى أمر صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان يقصده الناس فيبرّهم ويكرمهم، ويفد إليه الشعراء فيمدحونه وينالون

عطاءه، فكان ذلک سبباً فى إيغار صدر سليمان بن عبدالملک عليه، فكتب إلى عامله بالمدينة يقول له: أمّا بعد، فإذا جاءک كتابى هذا فاعزل زيد بن حسن عن صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وادفعها إلى رجل ـ سمّاه ـ من ذوى قرابته..

ولكن عمر بن عبدالعزيز حينما تولّى الخلافة ردّه عليها.

ومن الشعر الذى امتدح به زيد قول محمد بن بشر الخارجى:

وزيد ربيع الناس فى كلّ شتوة***إذا اختلفت أبراقها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنّه***سراج الدجى قد قارنتها سعودها

وحينما مات بكى عليه الناس كثيراً، ورثاه الشعراء، ومن ذلک قول قدامة بن موسى الجمحى:

فإن يک زيد غالت الأرض شخصه***فقد كان معروف هناک وجود

وأن يک أمسى رهن رمس فقد ثوى***به وهو محمود الفعال حميد

هذا هو والد الحسن الأنور الذى كان زعيم البيت النبوى فى حياته.

أمّا ابنه حسن الأنور، فقد سار على نهج أبيه، وصار علماً من أعلام التقى والصلاح والنور...

حسن الأنور والولاية

جاء أبو جعفر المنصور فولّى حسن بن زيد إمارة المدينة ـ ولعلّه أراد أن يستلّ بذلک سخائم أهل البيت ـ وقرّبه وكرّمه، وقد انتهت إلى حسن الأنور بعد أبيه رئاسة بنى الحسن، وقصده الشعراء يمدحونه. وكان كريماً متواضعاً.

ومن الشعر الذى امتدح به الحسن، ما يرويه الحصرى فى زهر الآداب[1] قائلاً: كان أبو عاصم الأسلمى قد هجا الحسن بن زيد قبل تولّيه الإمارة، فلمّا ولى المدينة جاءه متنكّراً فى زى الأعراب، فقال:

سنأتى مدحتى الحسن بن زيد***وتشهد لى بصفين القبور

قبور لم تزل منذ غاب عنها***أبو حسن تعاديها الدهور

١. زهر الآداب وثمر الألباب ١: ١٢٣ وما بعده.

قبوراً لو بأحمد أو على***يلوذ مجيرها حمى المجير
هما أبواك من وضعا فضعه***وأنت برفع من رفعا جدير

فقال الحسن: من أنت؟

قال: أنا الأسلمى.

قال: إذن حباك الله، وبسط له رداءه وأجلسه عليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وكان كريماً سخيّاً، يطمع فيه الطامعون، حدّث الحصرى أيضاً قال: أتى الغاضرى المتطفّل يوماً إلى الحسن بن زيد، فقال: جعلت فداك، إنّى عصيت الله ورسوله.

قال: بئسما صنعت، وكيف ذلک؟

قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:، «لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» وأنا أطعت امرأتى، فاشتريت غلاماً فهرب منّى.

قال الحسن: فاختر واحدةً من ثلاث: إن شئت فثمّن الغلام وخذ ثمنه.. وإن شئت..

قال الغاضرى: بأبى أنت، قف عند هذه ولا تتجاوزها.

قال الحسن: أعرض عليک الخصلتين.

قال: لا، حسبى هذه[1].

وكان عفوّاً متسامحاً، محسناً إلى من أساء إليه.. ففى أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير وقرّبه، يقال له: ابن أبى ذئب حتّى كثر ماله، وقدّمه إلى المنصور.

ولكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة، فقد سعى بالحسن إلى المنصور، وما زال به حتّى أوغر صدره عليه وتنكّر له، فعزل المنصور الحسن عن ولاية المدينة. وبعد فترة تبيّن للمنصور كذب هذا الساعى، فردّ الحسن إلى عمله،

١. المصدر السابق: ١٩٨.

وأحسن صلته، واعتذر إليه، وردّ عليه أمواله التى صادرها[١].

وأبى الحسن مع ذلک أن يعاتب ابن أبى ذئب، وكان قد قصده، فعفا عنه وأمدّه بمال وأهداه، وهذه طبيعة هذا البيت الكريم[٢].

ويقال: إنّ الذى ردّ للحسن بن زيد اعتباره وأعاده إلى عمله هو المهدى، وليس المنصور، وكان ذلک فى اعتذار طويل له[٣].

وقد تولّى الأنور المدينة وعمره ١٧ سنة، وظلّ فيها ستّ سنوات، من عام ١٥٠ إلى عام ١٥٥ هـ، ثم لم ينجُ من اضطهاد العباسيّين، فعُزل عن الولاية، وأُودع السجن سنة ١٥٦ هـ إلى أن ولى المهدى الخلافة فأخرجه من السجن عام ١٥٨ هـ[٤].

وكان والد الحسن ـ الإمام زيد ـ قد توفّى وترک ديناً قدره أربعة آلاف دينار، فحلف الحسن ألاّ يظلّ رأسه سقف، إلاّ سقف مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو بيت رجل يكلّمه فى حاجة، حتّى يقضى دين أبيه[٥]. ووفّى بيمينه، وأدّى دين والده.

ذرّية الحسن

وقد أعقب الحسن الأنور من الذرّية الكثير من الأبناء البررة.. وهم كما يسمّيهم الأستاذ صلاح عزّام[٦]: أبا القاسم، ومحمداً، وعلياً، وإبراهيم، وزبيراً، وعبدالله، ويحيى، وإسماعيل، وأسماء، وأم كلثوم، ونفيسة. وكلّهم من أُمّ سلمة،

١. والمشهور أنّ المنصور لم يردّه ويعيد إليه أمواله، بل حبسه ما يقارب السنتين، وضيّق عليه حتّى وفاته، فلمّا ولى المهدى الخلافة قام بإخراجه من السجن، وقرّبه وأعاد إليه أمواله. راجع: تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم ٨: ٢٩٤، أعيان الشيعة ٥: ٧٥.
٢. راجع خطط المقريزى ٤: ٣٢٦.
٣. نفيسة العلم والمعرفة لصلاح عزام: ١٩.
٤. انظر كتاب السيدة نفيسة لتوفيق أبو علم: ٥٨ وما بعده، من تحقيقنا، طبع ونشر المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
٥. راجع خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.
٦. نفيسة العلم والمعرفة: ٢٥.

وهى زينب ابنة عمّه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. وكان الحسن محبّاً لها، مهتمّاً بأمرها.

وقد كانت شغله الشاغل فى معتقله على عهد المنصور، فكان يسأل عنها، ويتابع ما حفظت من كتاب الله وعلوم دينها.

منزلته العلمية

كان الحسن عالماً عاملاً بعلمه، وقد ورث عن أبيه كثيراً من العلوم، وأصبحت له ألقاب تشير إلى منزلته العلمية، فكان يقال له: شيخ أهل البيت، وشيخ الشيوخ، والعابد، والفاضل، والشريف.

كما كان ثقةً راوياً، ومن تلاميذه: الإمام مالک بن أنس، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن أبى ذئب المحدّث الجليل ـ وهو غير ابن أبى ذئب الذى وشى به ـ ومن تلاميذه أيضاً: أبو أُويس ووكيع.

وشيوخه: منهم أبوه الإمام زيد، وابن عمه عبدالله بن الحسن، وأخذ عن عكرمة، ومعاوية بن عبدالله بن جعفر.

وجاء فى كتاب الكامل[1] للمبرّد: أنّ حسن الأنور ذهب إلى الحجّ فلفت نظره شخص يزاحم الحجيج، فأشار إليه وقال: خرقاء وجدت صوفاً. ومعنى ذلک أنّه يفعل فعلاً يضرّ أكثر ممّا ينفع، وكأنّه بذلک يفسد حجّه; لأنّ المزاحمة فى الحج مكروهة.

تشدّده فى إقامة معالم الدين

وكان الحسن فى أثناء ولايته مثالاً فى إقامته الحدود، ومراعاة الآداب الدينية والشرعية. وحدث أنّ عزل عبدالله بن مسلم بن جندب الهزلى عن إمامة الصلاة فى مسجد الأحزاب.

فقال له: لم تعزلنى عن منصب أبى وأجدادى؟

فقال: إنّما عزلک يوم الأربعاء.

---

١. الكامل ۴: ٢٢١ وقد تقدّم ذكره.

وكان هذا اليوم مسموحاً فيها للنساء بالصلاة فى المسجد، وقد تعرّض هذا الرجل لبعض النساء بأبيات غزلية، فعاقبه الأنور عليها بالعزل[١].

وكان هناك شاعر اسمه ابن هرمة له مع الحسن أحاديث ظريفة، فلمّا ولى الحسن إمارة المدينة قال له: أنا لست كمن باعک دينه رجاء مدح، أو خوفاً من ذمّ، فقد رزقنى الله عزّ وجلّ بولادة نبيّه الممادح، وجنّبنى المقابح، وإنّ من حقّه علىّ ألاّ أغضى عن تقصير فى حقّ ربّى، وأنا أقسم بالله لئن جىء بک سكران لأضربنّک حدّاً للخمر وحدّاً للسكر، ولأزيدنّ لموضع حرمتک بى، فليكن تركک لها لله تعالى، تعن عليها، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم[٢].

كرمه

وكان كريماً سخياً معطاءً. حكى الخطيب البغدادى قال: جاءه فى الصباح الباكر مصعب بن ثابت الزبير ومعه ابنه عبدالله، وكان الحسن يهمّ بالركوب إلى مال له بالغابة فى الطريق إلى مكّة، واستجارا به حتّى يدفع عنهما ديناً مستحقّاً، فأرسل الحسن إلى صاحب الدين واسمه ابن ثوبان، فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائة، وعلى ابنه مائة[٣]. فقضى عنهما الدين، وأعطاهما مائتى دينار.. وهذا مجرّد مثل من أمثلة كثيرة.

وفاته

عاش الأنور حياةً مديدةً، تقدّر بخمسة وثمانين عاماً... ويذكر الرواة فى مكان وفاته أقوالاً متعدّدة.

فقد قال ابن خلّكان: مات بمصر، لكنّه غير مشهور[٤]. وقيل: إنّه توفّى ببغداد ودُفن فى مقبرة الخيزران[٥]. وقيل: مات بالحاجر أثناء حجّه مع المهدى عام ثمانية وستين ومائة[١].

---

١. معجم البلدان ٥: ٨٦ ـ ٨٧.
٢. خطط المقريزى ٤: ٣٢٦.
٣. تاريخ بغداد ٧: ٣١٠ ـ ٣١١.
٤. وفيات الأعيان ٢: ١٦٨.
٥. قاله محمد بن خلف وكيع. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.

ويذكر ابن إياس فى تاريخه: أنّ السيدة نفيسة دخلت مصر مع أبيها الأمير حسن فى بعض الأقوال[٢].

ويؤكّد الشيخ عبدالخالق سعد فى كتابه الجواهر النفيسة: أنّ الإمام الأنور جاء مصر مع ابنته نفيسة بعدما زارا معاً قبر الخليل إبراهيم، وعاش فى مصر القديمة بدءاً من السبت السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة.

إلاّ أنّ هذا التاريخ ليس دقيقاً; لأنّ الأنور مات قبل ذلك بكثير.. ويقول: لكن الملاحظ أنّ أسرة سيدى حسن الأنور فيها الكثيرون الذين دفنوا بمصر.

بل إنّ البعض يقول: إنّ زيداً مدفون فى ضريح ابنه سيدى حسن الأنور.. الذى مات عن تسعين عاماً.. والبعض يقول: إنّ الضريح ليس لزيد الأبلج، وإنّما هو لزيد بن حسن الأنور.

كما يقولون: إنّ السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج مدفونة فى مصر، كما أنّ محمداً الأنور أخا حسن الأنور، مدفون فى مشهده القريب من مسجد السيدة سكينة، على يمنة الذاهب إلى السيدة رقيّة، والسيدة نفيسة.. كما يؤكّد ذلك كتاب العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد.

والسؤال ما زال مطروحاً: هل الحسن الأنور مدفون فى مصر؟!

يؤكّد فضيلة الشيخ عبدالغفور محمود جعفر ـ شيخ جامع حسن الأنور، والذى يبحث دائماً فى تاريخه ـ أنّ مخطوطاً ينقل عن ابن النحوى قصةً طويلةً مفادها: أنّ السيد حسن الأنور توفّى فى ريف مصر، وإن صحّ هذا الكلام فقد نقل رفاة الحسن إلى مسجده الحالى.

ويتّفق مع رأى الشيخ ما أورده الشيخ الصبّان فى كتابه «إسعاف الراغبين»[٣] نقلاً عن الشعرانى فى مننه: من أنّ الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريباً من جامع القرّاء بين مجراة القلعة وجامع عمرو. وأنّ الذى

١. وهو القول المشهور بين أصحاب التراجم والنسّابة. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و٣١٣، عمدة الطالب: ٧٠، المنتظم ٨: ٢٩٤.
٢. تاريخ ابن إياس: ٢١ و٢٣ ط. الشعب، وابن إياس ينقل ذلك عن وفيات الأعيان لابن خلّكان.
٣. إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٣٧، وانظر لواقح الأنوار٢: ٢٧١.

أشهر هذه التربة وبنى عليها قبّةً ـ كما يرى على مبارک[1] ـ حضرة عبدالرحمن كتخدا، أحسن الله إليه، وأسبل سرادقات لطفه عليه.

من هذا يتّضح اختلاف الكتّاب حول دفن الحسن الأنور فی مصر، وإن كان الإمام الشعرانی يرى «أنّ الروح فی البرزخ كمن يسبح فی نهر جار، يطفو فی أیّ مكان» أی يظهر فی أیّ مكان.

والواقع أنّ هناک شواهد كثيرة تدلّ على وجود لآل البيت فی مصر، خاصّةً الذين ثار حول دفنهم الخلاف. والحسن الأنور من خلال ضريحه ومسجده فی التاريخ والمعمار، تجعلنا نقول: إنّ إثبات دفنه أو نقل جسده الطاهر إلى مصر يحتاج إلى أبحاث المجتهدين.

إنّ أقدم تاريخ عُثر عليه لجامع الإمام حسن الأنور، منذ أيام دولة المماليک البحرية، فی القرن الثامن الهجرى، وفی عصر الناصر محمد بن قلاوون، أی منذ حوالی ستة قرون، وليس معنى ذلک أنّ الجامع قد بدأ بناؤه فی هذا التاريخ، وإنّما قبل ذلک. يدلّ على ذلک ما ورد فی خطط على مبارک[2]، إذ يقول: «... عمّره القاضی فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش باسم الملک الناصر محمد بن قلاوون، وانتهت عمارته سنة ۷۱۲ هـ ، وأُقيمت فيه الجمعة حينئذ، وله أربعة أبواب، وفيه ۱۳۷ عموداً، وذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع، بذراع العمل، وما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله».

لكن لسبب أو لآخر، فإنّ ما أقامه قلاوون سقط أيضاً، مع أنّ الجامع كما يقول الشعرانی: «كانت مساحته كبيرة، وكان حوله بساتين من أجمل المنتزهات...» ويؤكّد ذلک على مبارک حين يقول: «... ثم زالت آثاره بالكلّية، وقيل: إنّ الجامع كان محلّ السبع سواقی ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج، التی تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة. ويدلّ على ذلک ما اشتهر من أنّ

۱. الخطط التوفيقية ۵: ۲۷۱ ـ ۲۷۲.
۲. المصدر السابق: ۲۷۵.

الفرنسيين زمن دخولهم مصر، وجدوا هناک كثيراً من العمد الرخام الضخمة وأحجاراً ونحو ذلک»[١].

لكن عمارة المماليک سرعان ما انهارت هى أيضاً بعد حوالى أربعة قرون ونصف، وظلّ الجامع متخرّباً حتّى تجدّد فى عام ١٢٨٠ هـ ـ وكما جاء فى خطط على مبارک[٢] ـ على يد ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل ـ كما هو مرقوم بأعلى بابه الغربى ـ عليه قبّة حديثة، وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب عليه اسم: سيدى حسن الأنور، وبجوار هذا الضريح ضريحان: أحدهما لزيد الأبلج، واسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته.. والآخر لجعفر. ولا يُعرف من هو جعفر حتّى الآن.

لكن هذا التجديد لا ينفى أنّ الأمير عبدالرحمن كتخدا فى القرن الثانى عشر الميلادى قد بنى قبّة على ضريح سيدى حسن الأنور، كما سبق أن أسلفنا.

وكما هو ظاهر فإنّ المسجد الحالى بمقارنته بما فى أوراق الأوقاف... فإنّ مساحته قلّت كثيراً، بل إنّه الآن ليس حوله خضرة سوى نخلة واحدة، بالرغم ممّا يقوله على مبارک من أنّه كان «بجواره شجرتان من اللبخ ونخلات». وحتى الخمسينيات

من القرن العشرين وصل المسجد إلى حالة يرثى لها; ممّا دفع بعض أهل الحى إلى الاشتراک فى تجديده وتوسيعه.

وهكذا تبدو أهمّية جامع الأنور.. وأهمّيته تكمن بالطبع فى الضريحين الموجودين به لحسن الأنور ووالده، اللذين ينتميان للحسن السبط، وهو فرع كثير من أوراقه المضيئة على تراب مصر.

١. المصدر السابق: ٢٧٨.
٢. المصدر نفسه: ٢٧٩.

٩ ـ الإمام زيد
ابن الإمام على زين العابدين (عليهما السلام)

بقلم
حنفى المحلاوى
د. سعاد ماهر

الإمام زيد بن على زين العابدين (عليهما السلام)[١]

حنفى المحلاوى

من هو

حين يأتى الحديث عن الإمام زيد بن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم أجمعين، لابدّ وأن نقترب بذات الحديث من والده الإمام على زين العابدين... وذلک لعدّة أسباب، أولها: أنّ المقبرة أو الضريح أو المشهد الموجود بالقاهرة الآن... يُعرف باسم ضريح زين العابدين ابن على.. وقد نسب إليه حى بأكمله يقع بالقرب من حى السيدة زينب. أمّا السبب الثانى والرئيسى فهو أنّ الإمام على زين العابدين، هو الابن الذى نجّاه الله ربّ العالمين من بين يدى يزيد بن معاوية... وعن طريقه زادت ذرّية الإمام الحسين (عليهم السلام)، وأنارت الدنيا بأخلاقها وعلمها وصفاتها الطيّبة.

وبطبيعة الحال فإنّ الحديث عن الأب لاشكّ سوف يقرّبنا كثيراً من الابن، وبالتالى التعريف به..

وكما هو معروف تقريباً ـ وفق الإجماع ـ فإنّ الإمام على زين العابدين قد ولد فى المدينة، وفى بيت جدّته السيدة فاطمة الزهراء، وذلک فى يوم الخميس السابع من شعبان فى السنة السابعة والثلاثين من الهجرة[٢]

وقد علّمه والده الإمام الحسين علوم الدين وهو طفل، فنما والدين يملأ عقله وقلبه، وكما مرّ علينا من قبل، فقد شاء القدر أن يسافر مع والده الإمام الحسين

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

٢. الإجماع على محلّ ولادته (عليه السلام) وهى المدينة، أمّا تاريخ ولادته (عليه السلام) فهناک اختلاف فيه بين العلماء، فقيل: الخامس من شعبان، وقيل: السابع منه، وقيل: التاسع منه، وقيل: بل النصف من جمادى الأولى. وهكذا فى سنة ولادته، فقيل: ٣٦ هـ وقيل: ٣٧ وقيل: ٣٨. راجع سيرة المعصومين: ٢٦ والأنوار البهية: ١٠٧.

ليشهد موقعة كربلاء، واستشهاد أبيه، بل كان هو نفسه قاب قوسين أو أدنى من الموت لولا موقف عمّته السيدة زينب رضى الله عنها.

اشتغل الإمام على زين العابدين بالتجارة، ففاضت عليه بالرزق الوفير... وقد خصّص جانباً كبيراً من ماله لتحرير الموالى، الذى كان يشتريهم ويؤدّبهم بأدب الإسلام، ثم يعتقهم لوجه الله.

والغريب أنّ الإمام الشعرانى قد ذكر فى طبقاته أنّ علياً زين العابدين، عندما مات نقل جثمانه الشريف إلى القاهرة فى عام ٥٢٩ هـ[١]، بل وهناك رواية أُخرى تقول: إنّه وفد إلى مصر بصحبة عمّته السيدة زينب![٢].

هذا عن الأب.. أمّا عن زيد بن على زين العابدين، فقد ولد عام ثمانين من الهجرة[٣]، وأُمه أُم ولد... وهى امرأة كانت مملوكة لأبيه، وإليه تنسب طائفة الزيدية، وهى إحدى الطوائف الشيعية، وأكثرها اعتدالاً وقرباً إلى أهل السنّة.

وكان خلفاء بنى أُمية يهابون زيد بن على زين العابدين ويخشونه، ويقولون عنه: إنّ له لساناً أحدّ من السيف، وكلاماً أبلغ من السحر[٤].

---

١. كذا.

٢. والمشهور أنّه توفّى (عليه السلام) بالمدينة يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٩٤ أو ٩٥ للهجرة وله يومئذ ٥٦ أو ٥٧ سنة ودفن بالمدينة، وقبره فى البقيع فى القبة التى فيها العباس وعمه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام). وقد سمّيت سنة وفاته بسنة الفقهاء; لكثرة من مات فيها من العلماء والفقهاء، حيث مات بعده: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير.. راجع ارشاد المفيد: ٢٥٤، توضيح المقاصد: ٣ وما بعده، تاج المواليد: ٣٨، نور الأبصار: ٢٨٦، مسار الشيعة: ٤٥، تذكرة الخواص: ٣٣٢، الأنوار البهية: ١٢٧.

٣. اختلفت الأقوال فى سنة ولادته، فقيل: ولد سنة ٥٧ هـ، وقيل: ٦٦ أو ٦٧ هـ، وقيل: ٧٨ هـ، وقيل: ٨٠ هـ كما فى تقريب التهذيب لابن حجر. لكن رواية شراء المختار لأمه وبعثه إياها إلى أبيه على بن الحسين (عليهما السلام)، والحديث الحاكى عن سبب تسميته بزيد يدلاّن على أنّها علقت به فى السنة التى بعثها المختار إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام)، والمختار ـ كما هو معروف ـ قتل سنة ٦٧ هـ، فلا يمكن والحال هذه أن تكون ولادته فى سنة ٨٠ هـ ولا سنة ٧٥ هـ كما يرويها صاحب الحدائق الوردية، ولا سنة ٧٨ هـ كما فى تاريخ ابن عساكر.

٤. انظر زهر الآداب وثمرة الألباب ١: ٧٢، والروض النضير ١: ٧٢ ـ ٧٣.

وعندما نقرأ سيرة هذا الإمام الذى ينتسب إلى آل البيت... نجد أنّه حاول فى مسيرته نحو تحقيق حلم الخلافة اتّباع خطوات جدّه الإمام الحسين.. ثم جدّه الأعلى الإمام على رضى الله عنهم أجمعين.

وقد بدأ تحقيق أولى خطوات الحلم بتكوين جيش صغير من مجموعة من أتباعه... ثم ثار بعد ذلك إلى الكوفة، ولكنّه همّ بالرجوع إلى المدينة المنوّرة، فتتبّعه أهل الكوفة وأقنعوه بالبقاء لمحاربة بنى أُمية، وتحقيق حلمه وحلم أجداده!!

والغريب فيما يرويه التاريخ: أنّ أهل الكوفة قد أعطوه ميثاقاً... رغبةً منهم فى أن يكون هذه الزمان الذى يهلك فيه بنو أُمية، وما زالوا على ذلك حتّى أعادوه إلى الكوفة... وهم فى ذلك قد اتّبعوه معه نفس ما اتّبع مع جدّه المباشر الإمام الحسين، وجدّه الأكبر الإمام على بن أبى طالب (عليهما السلام).

ولمّا علم بذلك الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك[١]... حدّث فى شأنه أمير الكوفة التابع له... يوسف بن عمر الثقفى[٢]، الذى أعدّ بدوره جيشه لملاقاة زيد ابن الإمام على زين العابدين، وجرى بين هذين الفريقين قتال[٣] تفرّق فيه أصحاب زيد، وبقى منهم فئة قليلة من أهله يقاتلون معه قتالاً شديداً، حتّى سقط هو الآخر شهيداً... وكان ذلك فى شهر صفر عام ١٢٢ هـ، وقيل: ١٢١ هـ.

١. هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، من ملوك الدولة الأموية، ولد فى دمشق ٧١ هـ، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ، نشبت فى ايامه حروب هائلة، خصوصاً مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان والاستيلاء على بعض بلاده، فاجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزانة أحد من ملوك بنى أمية، توفى بدمشق سنة ١٢٥ هـ. (اعلام الزركلى ٨: ٨٦)

٢. يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى، من جبابرة الولاة فى العهد الأموى، ولى اليمن لهشام سنة ١٠٦ هـ، ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ هـ، وما لبث أن أضاف إليه إمرة خراسان، فأقام بالكوفة بعد أن قتل سلفه فى الإمارة خالد بن عبدالله القسرى تحت العذاب واستمر حتّى أيام يزيد بن الوليد بن عبدالملك، فعزله أواخر سنة١٢٦ هـ وقبض عليه فحبسه بدمشق، ولبث إلى أن أرسل إليه ابن خالد القسرى من قتله بالسجن ثأراً لأبيه. كان شديداً ظلوماً، يضرب بالتيه والحمق (وفيات الأعيان ٢: ٣٦٠، الاعلام ٨: ٢٤٣).

٣. فقد جرت جملة معارك انتهت أخيراً باستشهاده. وكان قد بايعه أربعون ألفاً، ولم يبق معه سوى ثلاثمائة رجل، حتّى إذا كان عند جنح الليل رُمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى، فنزل السهم فى الدماغ. راجع حوادث سنة ١٢١ هـ من كتب التاريخ: الطبرى وابن الأثير والمسعودى.

ووقع له ما وقع لجدّه الإمام الحسين... حيث قطعوا رأسه وأرسلوا به إلى الخليفة فى دمشق!. وقد دُفن جسده فى الكوفة بعد انتهاء المعركة..

أمّا رأسه الشريفة قد اختلف الرواة فى مكان دفنها، فقيل: إنّ هذه الرأس حملت إلى الكوفة ثم أُحرقت، وذُرى رمادها فى الفرات![1]. وقيل أيضاً: إنّه قد بعث بها إلى هشام بن عبدالملک فنصبها على باب دمشق ثم أرسلها إلى المدينة[2].. أمّا الكندى فيؤكّد قدوم الرأس إلى مصر، كما قيل فى شأن هذه الأمر فى كتاب «الجوهر المكنون» أنّه بعد قدوم رأسه إلى مصر، طيف بها، ثم نصبت على المنبر الجامع بمصر أى «جامع عمرو» فى سنة ۱۲۲ هـ ، فسُرقت ودُفنت فى هذا الموضع، إلى أن ظهرت وبُنى عليها مشهد فى الدولة الفاطمية.

صفاته وبلاغته

كان من شأن شخصية فريدة مثل شخصية زيد بن على زين العابدين، أن تتأثّر كثيراً فى صفاتها وأخلاقها بما كان عليه والده على زين العابدين الذى أُطلق عليه هذا اللقب; نظراً لأنّه كان يصوم النهار ويقوم الليل، أى يتعبّد آناء الليل وأطراف النهار.. كما لقِّب والده أيضاً بشيخ الساجدين; لأنّه كان يطيل السجود لله تعالى، وكذلک لقِّب بشيخ البكّائين; لأنّه كان يبكى حتّى تخضلّ لحيته بالدموع.

---

۱. روى الصدوق فى أماليه من المجلس (۶۲) حديث ۲ بسنده إلى محمد بن أبى عمير عن حمزة بن حمران قال: دخلت إلى الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقال لى: يا حمزة من اين أقبلت؟ قلت: من الكوفة، فبكى حتّى بلت دموعه لحيته، فقلت: يا بن رسول الله ما لک أكثرت البكاء؟ قال: ذكرت عمى زيد وما صنع به فبكيت، فقلت له: وما الذى ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله، وقد أصاب جبينه سهم فجاء ابنه يحيى فانكبّ عليه، وقال له: ابشر يا أبتاه، فإنّک ترد على رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، قال: أجل يا بنى. ثم دعى بحداد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجرى عند بستان زائدة، فحفر له فيها ودفن، وأجرى عليه الماء، وكان معهم غلام سندى لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إياه، فأخرجه يوسف فصلبه فى الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأُحرق بالنار وذرى فى الرياح.
وبنحوه ذكر أبو الفرج فى المقاتل، والمسعودى فى مروج الذهب.

۲. الخطط المقريزى ۳: ۳۳۱، النفحة العنبرية: ۷۳.

وقد قدّم لنا وللتاريخ أبو إسحاق وصفاً فريداً للإمام زيد، قال فيه: «رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل من زيد بن على، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين..»[١].

وتنسب إليه طائفة الزيدية، وهى من أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالاً[٢].. ولعلّ ذلک يرجع فى الاساس إلى إمامها زيد بن على، الذى تتلمذ عليه واصل بن عطاء، فتأثّر به فى علمه، وقوة حجّته، وسلامة حكمه. والطائفة الزيدية الشيعية هذه[٣]... قد انتشرت فى طبرستان واليمن.

١. القول منسوب إلى أبى حنيفة. راجع تاريخ دمشق ٢٣: ٢٩٩، خطط المقريزى ٣: ٣٣٥، الروض النضير للسياغى ١: ٩٨.

٢. وهى الطائفة القائلة بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى وقته، ثم ابنه يحيى بن زيد بعده. تشتمل على جملة عقائد وأحكام تميّزت بطابع خاصّ بها ميّزها عن غيرها من الطوائف الأخرى. ففى التوحيد تقول هو عدم شرک الغير بالله تعالى، وتقول: إنّه ليس المراد من الوحدة العددية التى يتركب بها الأعداد، ويعلّلون ذلک بقولهم: إنّ البرهان قام عن طريق التفكير والتدبير، كما أنّ معرفة الله هو اليقين عليه، ويكون على وجهين: إثبات ونفى معاً، فالاثبات هو اليقين به والاقرار به، والنفى هو نفى التشبيه عنه. وأمّا فى العدل فتقول: إنّ الله لا يفعل القبيح، ولذا فهو لايعذّب أحداً إلاّ على ذنب ارتكبه أو جرم اقترفه، وهو لايحب الفساد، ولايخلق أفعال العباد، كذلک فهو لايثيب أحداً إلاّ بعمله. وتقول أيضاً بالوعد والوعيد، وأنّه لايخلف وعده. وتؤمن بالمنزلة بين المنزلتين. وأمّا الإمامة فعندها من أفرض الفرائض وأوكدها، وهى نوع من النبوة، وهى تأتى على طريقين:

١ ـ اليقين: وهى لاتكون إلاّ فى أهل البيت.

٢ ـ والترشيح: بمعنى أن يختار من آل البيت ممّن تتوفّر فيه شروط الإمامة. وآل البيت سواء من نسل الحسن أو الحسين واحد. ولا تشترط فى الإمامة العصمة، ولا أفضل أهل زمانه، وانّما شرطه أن يكون من ولد فاطمة، وأن يكون شجاعاً عالماً، يخرج بالسيف. وبعض الزيدية أجاز الإمامة فى غير الفاطميين من ولد على (عليه السلام) وهو من أقوالهم الشاذة.

هذا ويذكر أنّ الزيدية تعتقد بإمامة على بن أبى طالب، إلاّ أنّ امامته لم تكن عن طريق نصّ الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل تراه إماماً حين دعا إلى نفسه، فهو بالانتخاب والوصف إمام لا بالنصّ. وأمّا فقههم فيأخذونه من فقه زيد الذى هو قريب من فقه الأئمة المشهورين فى وقته، فلم تخرج عن فقهاء الأمصار، ومنهاجهم فى الاستنباط لايبعد عن مناهج الأئمة المعاصرين كأبى حنيفة وابن أبى ليلى والزهرى. فهم يأخذون بالكتاب ثم السنّة. وعندهم نصوص الكتاب مراتب وكذلک السنّة. فإن لم يكن فالقياس، ويدخلون الاستحسان والمصالح المشتركة فى القياس، ويتمسّكون بفتح باب الاجتهاد. ولايقولون بالتقية بمكان. وبذلک يتبين أنّ الزيدية ليسوا من الشيعة. كما أنّهم ليسوا من السنّة ولا من الخوارج، بل هم طائفة مستقلة بين الشيعة والسنّة. راجع معجم الفرق الاسلامية شريف يحيى الأمين ١٢٧ ـ ١٢٩، وتاريخ الفرق الاسلامية للعلاّمة محمد خليل الزين ١٧٧ ـ ١٨١.

٣. تقدّم فى الهامش السابق بأنّ الزيدية ليست من الشيعة; لأنّهم لايوجبون النصّ على الإمام، ولايشترطون الإمامة من ولد الحسين (عليه السلام)، ويجيزون تقديم المفضول، كما أنّهم ليسوا من السنّة، لأنّهم حصروا الإمامة فى ولد فاطمة الحسن والحسين، ويعتقدون بإمامة على بن أبى

وسبق أن أوضحنا كيف كان الأمويون يخشون على أنفسهم من لسانه لفصاحته، وممّا يروى فى هذا السياق... تلك المحاورة التى وقعت بين الخليفة الأموى هشام بن عبدالملک وبين الإمام زيد. فقد حدث أن اجتمع الخليفة بالإمام زيد، فقال له هشام: بلغنى أنّک تريد الخلافة، وأنت لاتصلح لها; لأنّ أُمک أُم ولد!

فردّ عليه زيد قائلاً: كان لنبى الله إبراهيم ولدان، أحدهما: إسماعيل من هاجر، وهى أمة، أى: مملوكة، وإسحاق من حرّة، وهى سارة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم، وهو جدّنا محمد (صلى الله عليه وآله).

فقال له هشام: قم.

فقال زيد بن على زين العابدين: إذن لاترانى إلاّ حيث تكره![1].

رحم الله الإمام زيد بن على زين العابدين، فقد لاقى مثل ما لاقاه جدّه الإمام الحسين، وجدّه الأعلى الإمام على بن أبى طالب (عليهم السلام).

وكان هذا الإمام العابد ـ ومنه ما أكّده عبدالرحمن الشرقاوى فى كتابه عن الأئمة ـ يدعو دائماً إلى إعمال العقل، فالعقل وحده هو الذى يحكم على الأفعال بالحسن أو بالقبح، وكان الحكّام آنذاک يحاولون أن يخنقوا الفكر والرأى، وأن يعطّلوا العلم والعقل; ليفرضوا على الأمة قبول ما يفعلون.

وبقدر ما كانت الأمة تحتقر صنّاع الزيف من أشباه الفقهاء، كانت تكبِّر كبار الفقهاء والعلماء الشرفاء، والمفكّرين الأحرار; لذلک كان الخليفة هشام بن عبدالملک بن مروان وعمّاله على الأمصار يتربّصون بهؤلاء الشرفاء.. وقد خافوا ذلک وابتعدوا عن السياسة.. ولكن الإمام زيد بن على زين العابدين، قد سلک طريقاً آخر.. طريق البحث عن الحقيقة.. وأعلن أنّه لايحقّ لمسلم أن يقبل هديةً أو عطاءً من حاكم ما لم يكن عادلاً يحقّق مصالح الأمة... ثم أذن فى الناس بأنّ

طالب، فليسوا اذاً من الخوارج. هذا إلى أنّهم يأخذون بفقه أبى حنيفة، وأنّ فقههم أقرب إلى الفقه الحنفى منه إلى الإمامى.

١. روى تفصيل القصة ابن عساكر فى تاريخه ٢١: ٣٣٣ ـ ٣٣٤، والمسعودى فى مروج الذهب ٣: ٢٠٦، وابن حجر فى الصواعق: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب شرعى، وأصل من أصول الدين... كما كان يصرّح فى مجالسه كثيراً برأيه فى شروط الخلافة.. وجاهر بأنّ الخليفة لايكون خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأميراً للمؤمنين إلاّ فى ضوء هذه الشروط[١].

وصف المشهد

هناک اتّجاه عام لدى العديد من المؤرّخين... بشأن جثمان كلٍّ من الإمام على زين العابدين، ورأس ابنه زيد... إذ أكّد معظم هؤلاء أنّ المقام أو الضريح أو المشهد الموجود حالياً بحىّ زين العابدين بالسيدة زينب، إنّما يحوى جثمان كلٍّ من الإمام زين العابدين ورأس ابنه زيد.. وقد أكّد ذلک الكاتب الصحفى الإسلامى الراحل عبدالمنعم قنديل فى كتابه حياة الصالحين عندما قال: «وحين يدخل الزائر إلى مقامه يجد عمامتين على المقام.. الأولى تشير إلى زين العابدين، والثانية إلى ابنه زيد الذى قُتل فى الكوفة ونقل رأسه إلى القاهرة».

وممّا يقال بشأن مقبرة زيد ابن الإمام على زين العابدين... إنّ والى مصر حنظلة بن صفوان هو الذى دفن الرأس الشريف بالمكان الذى يُعرف الآن بمشهد الرأس بحىّ زين العابدين بالقاهرة.

هذا المشهد أُنشئ فى بادئ الأمر داخل بناء قديم لم يبق منه الآن إلاّ مدخله بالواجهة القريبة فى الفتحة الصغيرة، المركّب فوقها مصراع واحد من الجرانيت، ومحاط بحلق من الجرانيت أيضاً. ويوجد بالطرقة الداخلية للمشهد عقد فاطمى على يمين الداخل للمصلّى والمسجد الحالى... عدا بقايا المبنى القديم.

هذه المقبرة أو هذا المشهد ـ كما يحلو لرجال الآثار تسميته ـ يوجد الآن بحىّ زين العابدين، نسبة إلى العصر الإسلامى باسم «الحمراء القصوى» ـ وفق ما أورده المقريزى فى خططه ـ هى منطقة تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط ـ مصر القديمة الآن ـ وعليها أسّس العباسيون مدينة العسكر ثانية عواصم مصر الإسلامية.

---

١. تقدّم آنفاً الكلام حول هذه الشروط.

أمّا المسجد الملحق به المقبرة، والمعروف باسم مسجد زين العابدين، فيرجع تاريخه إلى أوائل القرن التاسع عشر، حيث جدّده وأعاد معظم مبانيه عثمان أغا مستحفظان.. وقد بنى له وللسيدة حرمه حفيظة هانم مقبرةً بالمسجد، حيث دفن بها بعد وفاته عام ١٢٣١ هـ /١٨١٦م.. كما لحقته زوجته بعد وفاته، حيث توفيّت عام ١٢٤١ هـ /١٨٢٦م... وذلک كما هو واضح ممّا كُتب على قبر كلٍّ منهما.

أمّا العمارة الفاطمية لهذا المسجد ولهذه المقبرة فلم يتبقّ منها إلاّ لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية، وقد كُتب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا مشهد الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين، فى سنة ٥٤٩ هـ ».

أمّا القبّة التى تعلو المقبرة فترجع إلى العصر المملوكى... حيث شُيِّدت فى القرن الثامن الهجرى، وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى شيِّدت مقصورة جديدة للضريح، وهى تعتبر ـ على حدّ قول الدكتورة سعاد ماهر ـ نموذجاً لصناعة الحديد المزخرف فى مصر... كُتب عليها: «أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ ، وهو الذى كسا عتبة باب القبّة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل».

ويؤكّد الكاتب الإسلامى الراحل عبدالمنعم قنديل فى حديثه عن الإمام على زين العابدين على أنّ الزائر حين يدخل إلى المقام يجد عمامتين على المقام.. الأولى تشير إلى الإمام على زين العابدين... والثانية تشير إلى زيد ابنه الذى قُتل فى الكوفة ونقل رأسه إلى القاهرة.

وكان لايمكن لنا أن نترک البحث عن هذه المقبرة دون أن نذكر ما جاء فى كتاب خطط المقريزى، تحت عنوان: «ذكر المشاهد التى تتبرّک الناس بزيارتها»[1] وممّا ذكره المقريزى فى هذا الشأن قوله: هذا المشهد فيما بين الجامع الطولونى ومدينة

١. خطط المقريزى ٣: ٣٣٨.

مصر، تسمّيه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ، وإنّما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب حين أنفذه هشام بن عبدالملک إلى مصر، ونصب على المنبر بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع.

وقال الكندى فى «كتاب الأمراء»: وقدم إلى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبى الأبيض القبس خطيباً برأس زيد بن على رضوان الله عليه، يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة، واجتمع الناس إليه فى المسجد.

❊ ❊ ❊

مرقد زين العابدين[١]

د. سعاد ماهر

يوجد هذا المشهد فی الحی المعروف الآن بحی زين العابدين، وكان يُعرف فی أوائل العصر الإسلامی باسم «الحمراء القصوى»، وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقی من مدينة الفسطاط ـ مصر القديمة الآن ـ وعليها أسّس العباسيون مدينة العسكر، ثانی عواصم مصر الإسلامية.

والمسجد الموجود حالياً يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر، فقد جدّده وأعاد معظم مبانيه عثمان آغا مستحفظان، أمّا عمارة الدولة الفاطمية فلم يبق منها سوى عقد واحد يوجد بالطرق الداخلية، على يمين الداخل إلى رواق القبلة، كما توجد لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية، كُتب عليها مايلی:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مشهد الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبی طالب صلوات الله عليهم أجمعين فی سنة ٥٤٩ هـ ».

أمّا القبّة التی تعلو الضريح فترجع إلى العصر المملوكی فی القرن الثامن الهجرى، وفی أواخر القرن الثالث عشر الهجرى عملت مقصورة جديدة للضريح تعتبر نموذجاً لصناعة الحديد المزخرف بمصر، كُتب عليها: «أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ »، كذلک كسا عتب باب القبّة ببلاطات من القيشانی الأزرق العثمانی الجميل[٢].

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون».
٢. المرقد الآن تحت التجديد والتوسعة، ويقول بعض المؤرّخين: إنّ هذا المرقد مقبرة للإمام زيد ابن الإمام على زين العابدين (عليهما السلام)، وقد نقلنا آراءهم فی هذا الكتاب.

١٠ ـ محمد الجعفرى
ابن الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)

بقلم
حنفى المحلاوى

الإمام محمد الجعفرى
ابن الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)[١]

حنفى المحلاوى

من هو..

وتتوالى فيوضات آل البيت الذين اختاروا مصر مقاماً لهم... بعدما وجدوا فيه الأمان فى الحياة وفى العبادة... وقد سكنها ـ كما سبق وبيّنا ـ ثمانية من هؤلاء الأشراف من الذين قدموا إلى مصر; للمقام بها فى الدنيا وفى الآخرة!

هذا، ويحتلّ الإمام محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام) مرتبةً متقدّمةً فى أشراف آل البيت الذين عاشوا فى مصر، ودُفنوا تحت ترابها وينسب الإمام محمد إلى والده الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام)... وممّا يقال فى هذا السياق: إنّ الإمام جعفراً قد أنجب من الأولاد غير ما هو معروف الكثير[٢]، وهم: موسى، وإسماعيل.. ومنهم عبدالله الأفطح، ومحمد الديباج المعروف باسم محمد الجعفرى... صاحب المقبرة الموجودة حالياً فى القاهرة[٣].

وقد ذكر أبو الحسن النوبختى فى كتابه «فرق الشيعة»: أنّ فريقاً من هؤلاء ذهب إلى أنّ الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه محمد، أخو موسى وإسحاق![٤].

---

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».
٢. ذكر صاحب المجدى فى أنساب الطالبيّين: ٩٦ وما بعده: أنّه ولد اثني عشر ذكراً وأربع عشرة امرأة، وهنّ: خديجة وحكيمة وزينب وأسماء وفاطمة وعالية وريطة وأم كلثوم وأم محمد ولبابة ومليكة وعشيرة وبريهة ورقية. وأمّا الرجال: إسحاق وعبيدالله وعبدالله وجعفر والحسن الأكبر والأصغر، وإسماعيل والحسين ومحمد وعلى والعباس وموسى.
٣. المشهور بين المصادر أنّه توفّى فى ايران، منهم من قال: توفّى بخراسان، وإنّ المأمون بنفسه حمله من سريره ووضعه فى لحده. راجع مقاتل الطالبيّين: ٣٦٠. ومن علماء الإمامية أنّه مات بجرجان بعدما أُخرج من خراسان. راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ٢٠٧ حديث ٨، بحار الأنوار ٤٩: ٣٢، موسوعة الإمام الصادق (عليه السلام) ٢: ١٨٨.
٤. فرق الشيعة: ٧٦.

وقبل الاسترسال فى الحديث عن سيرة هذا الإمام... رأينا ضرورة أن نُعرِّف الذين يتابعون معنا هذه الرحلة فوق هذه الأوراق... بجعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن على زين العابدين، وأخى الإمام زيد رضى الله عنهم أجمعين.

ومن أشهر الكتب الحديثة التى تناولت حياة هذا العبد الصالح، ما كتبه الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى فى كتابه المهم «أئمة الفقه التسعة» وممّا قاله عن الإمام جعفر الصادق: «إنّه لم يجمع الناس على حبّ أحد فى عصره كما أجمعوا على حبّ الإمام جعفر ابن الإمام محمد، الذى اشتهر فيهم باسم جعفر الصادق... وهو من العترة الطاهرة، عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ كان جدّه لأمه هو أبو بكر، وجدّه لأبيه هو الإمام على بن أبى طالب... وهو نسب لم يجتمع لأحد غيره»[١].

ولد الإمام جعفر الصادق فى المدينة سنة ٨٠ هـ، ومات فيها سنة ١٤٨ هـ، وخلال هذا العمر المديد.. أغنى الحياة والفكر، بحسن السيرة والعلم الغزير.

وقد حفظ القرآن الكريم وهو صبى، كما أخذ يتقن تفسيره، ويحفظ الأحاديث والسنّة من أواثق مصادرها عن آل البيت.

وكان عصر ذلك الإمام قد شهد التوتر والنزاعات السياسية التى راح ضحيتها العديد من آل البيت. كما كانت الدولة الأموية تضع العيون والجواسيس على آل البيت منذ استشهاد الإمام الحسين، فقد كانت تضطهدهم، وتخشى أن ينهض واحد منهم لينتزع الخلافة.

وكان الإمام جعفر، منذ رأى بطش الحكّام بآل البيت وأنصارهم، وبالباحثين عن الحقيقة، وبمقاومى الاستبداد، قد أخذ بمبدأ التقية، فلم يجهر بالعداء لبنى أُمية; اتّقاء شرّهم، وحذر الفتنة. ورأى أنّ خير ما يقاوم به البغى هو الكلمة المضيئة التى تنير للناس طريق الهداية.

وكان قد اختار العراق مقاماً له بعد ما ترك المدينة; أملاً فى توصيل علمه وأفكاره إلى قطاع عريض من المسلمين هناك، وللبلاد التى حولها.

١. أئمة الفقه التسعة لعبدالرحمن الشرقاوى، ط. القاهرة (منه).

ولكن هذه الأفكار لم ترق لخلفاء بنى العباس... فطلب منه الخليفة المنصور ـ وهو الخليفة الثانى من خلفاء الدولة العباسية ـ أن يغادر البلاد! فتركها وهو فى سنّ الخامسة والستين من عمره إلى المدينة... حيث عاش حتّى مات ودفن هناك. وقد اعتبره المؤرّخون إمام الشيعة وشيخ أهل السنّة، لما تركه وراءه من ثروة من الفقه والعلم والتأمّلات[١].

وإذا كان ما سبق ومرّ علينا من كلمات هى بحقّ تعبير عظيم عن إمام اجتهد كثيراً فى الله، بما أُوتى من علم وفقه حتّى صار أحد أئمة الفقه الإسلامى..

هذا الإمام كان حفيّاً به أن ينجب إماماً آخر من الأئمة، ومن العلماء الذين واصلوا العطاء.. حتّى صار ينسب إليه معظم فرق الشيعة... وهو الإمام محمد الجعفرى صاحب المقام والمقبرة التى هى حديث الأوراق.

ولد محمد الجعفرى من أم ولد يقال لها: حميدة، وكان محمد منذ نعومة أظفاره وقوراً، يترفّع عن الصغائر، ولايجارى أترابه فى لعبهم ولهوهم.

وكان هذا الصبى قريباً إلى قلب والده الإمام جعفر لشدّة شبهه بالوالد، وبرسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢].

وعن هذا الحبّ الخالص بين الأب وابنه أورد المؤرّخون الكثير من الحكايات، منها: أنّ محمداً دخل على أبيه جعفر يوماً وهو صبى، فعدا نحوه، فكبا فى قميصه ووقع لحرّ وجهه، فقام إليه جعفر وقبّله، ومسح التراب عن وجهه، ووضعه على صدره، وقال: سمعت أبى يقول: إذا ولد لک ولد يشبهنى فسمِّه باسمى، فهو شبيهى وشبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى سنّته.

١. والحديث فى هذا الموضوع يتطلّب المجلّدات، ولعلّ خير ما اختصر ذلک الأستاذ المستشار عبدالحليم الجندى فى كتابه «الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)» حيث أشار بعناية إلى نبوغ الإمام فى زمانه، ومدرسته الكبرى، وأهم ملامح منهجه العلمى والاقتصادى والاجتماعى وربما السياسى. وهو كتاب يجدر مطالعته بعدما تمّ تحقيقه وطبعه ونشره بأجمل حلله على يد المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٢. الرواية ينقلها النوبختى فى كتابه فرق الشيعة: ٧٦ ـ ٧٧ سيذكرها المؤلّف بلفظها.

ويضيف النوبختى على ذلک فيقول: لذلک فقد جعل جماعة من الشيعة الإمامة لمحمد بن جعفر وولده من بعده فرقة، وهذه الفرقة تسمّى «السمطية» التى تُنسب إلى رئيس لهم، يقال له: يحيى بن أبى سميط![1].

ودعوة محمد بن جعفر الصادق الشيعية فى الإمامة، لم تمت بموته كما أقرّ ذلک كلّ مؤرخى الشيعة، حيث ذكر ذلک المؤرّخ يحيى بن الحسين فى كتابه المهمّ «تاريخ الأئمة السادة على مذهب الزيدية» وممّا قاله فى السياق: وقد كاتبه أهل البصرة والأهواز، وحثّوه على الظهور، فاتّصل خبره بمسامع الخليفة! فأمر بالتشديد فى طلبه... فلم يطب للقاسم المقام فى مصر، فعاد إلى الحجاز، ومنها إلى تهامة.

ولحق به جماعة من بنى عمه وغيرهم... فبثّوا الدعوة باسمه فى بلخ والبلقان ومرو، وغيرها... فذاع خبره، وبعث الخليفة إلى بلاد اليمن جنداً يطلبونه، فاختفى فى حيٍّ من بدو كثيف، فانتقض عليه أمره، وذلک عام ٢٢٠ هـ.

صفاته وعلمه

نظراً لاحتلال الإمام محمد الجعفرى هذه المكانة الدينية داخل عقول وقلوب أصحاب مذهب الشيعة، فقد حظى بالكثير من الدراسات التى قدّمت لنا وصفاً له ولغزارة علمه.

فقد وصفه المؤرّخ محمد بن الحسن الطوسى فى كتابه «فهرست كتب الشيعة»، فقال عن مرحلة رجولته: وكان محمد بن جعفر شيخاً من شيوخ آل أبى طالب، يقرأ عليهم العلم، روى عن أبيه رضوان الله عليه علماً جمّاً، فمكث بمكة مدّة[2].

أمّا الفخرى فقال عنه فى كتابه «الآداب السلطانية» وذلک عند حديثه عن خلافة المأمون: وفى أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق رضوان الله عليهما بمكة، وبويع خليفة، وسمّوه أمير المؤمنين، وكان بعض أهله قد أحسن له ذلک

١. المصدر السابق: ٧٧.
٢. فهرست كتب الشيعة وأُصولهم: ۴۴۶.

حين رأى كثرة الاختلاف ببغداد، وما بها من فتن وخروج الخوارج. وكان الغالب على أمر محمد ابنه وبعض بنى عمه، فلم يحمد سيرتهما، وأرسل المأمون إليهم عسكراً، فكانت الغلبة له، وظفر به المأمون، وعفا عنه[١].

وصف المقبرة

نحن نقدّم من خلال هذه الإطلالة السريعة وصفاً للمقبرة التى قيل: إنّ الإمام محمد بن جعفر الصادق المعروف باسم محمد الجعفرى، قد دُفن بها، رغم ما قيل ويقال عن هذه المقبرة أو هذا المشهد، من أنّه ينتمى إلى مشاهد الرؤيا التى أُقيمت بدون أحداث!

ولقد أقرّت هذه الصفة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها عن المساجد والأضرحة، ولأجل تأكيد ما توصّلت إليه روت قصةً، ثم أردفتها بتعليق سوف نقف عنده كذلك.

وتفاصيل هذه القصة تقول على لسان يحيى بن الحسن عن خادم القاسم بمصر: ضاقت بالإمام القاسم الممالک، واشتدّ الطلب، ونحن مختفون معه خلف حانوت إسكاف يقطن قرب مشهد السيدة نفيسة، فنودى نداء يبلغنا صوته: برئت الذمّة ممّن أوى القاسم بن إبراهيم، وممّن لايدلّ عليه، ومن دلّ عليه فله ألف دينار، ومن البز كذا وكذا.. والإسكاف يسمع ويعمل ولايرفع صوته، فلمّا جاءنا قلنا له: أما ارتعت؟ قال: من لى، وما ارتياعى منهم... ولو قرضت بالمقاريض بعد إرضاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)حتّى فى وفايتى لولده بنفسى؟!

أمّا بالنسبة للتعليق الذى ذكرته الدكتورة سعاد ماهر، تأكيداً لكلامها السابق عن مقبرة الإمام الجعفرى.. فقالت له: إنّنا نستطيع أن نستنتج من هذه القصة نقطتين هامتين بالنسبة لموضوع مشهد الجعفرى الذى ينسب إلى الإمام محمد بن جعفر الصادق:

أولاهما: أنّ المكان الذى اختبأ فيه أخوه القاسم عند الإسكافى كان بالقرب من ضريح السيدة نفيسة.

---

١. الآداب السلطانية: ٢١٨.

وثانيتهما: أنّه من المرجّح أنّ المصريّين قد اعتزّوا بهذا المقام الذى سكنه أحد أفراد آل البيت، وأقاموا مكانه زاويةً أو مسجداً أعاد بناءه خلفاء الدولة الفاطمية، أو لعلّه من الأضرحة أو مشاهد الرؤيا التى كثر بناؤها فى العصور الوسطى، وخاصّةً لآل البيت[١].

وقد اهتمّ رجال الآثار، بتقديم وصف شكلى لهذا المشهد أو لمقبرة الإمام محمد الجعفرى.. وممّا قالوه فى هذا السياق: إنّه يتكوّن من شكل مربّع يبلغ طول ضلعه ثلاثة أمتار وثمانين سنتيمتراً، وسمک الحائط سبعون سنتيمتراً.

وكان باب المشهد أو هذه المقبرة يوجد بالجهة المقابلة للقبلة، أو الجهة الغربية، ولكنّه سُدَّ وبُنى مشهد السيدة عاتكة ملاصقاً لمشهد الجعفرى فى تلک الجهة، حيث حلّ محراب مشهد السيدة عاتكة محلّ باب مشهد الجعفرى، وهذا يدلّ على أنّ مشهد الجعفرى أسبق تاريخياً من مشهد السيدة عاتكة.

لذلک فمن المرجّح أن يكون تاريخ حفر هذه المقبرة عام ٥١٣ هـ، لأنّ مشهد السيدة عاتكة أُقيم عام ٥١٥ هـ.

وهناک من رجال الآثار، من جمع فى حديثه عن مقبرة الإمام محمد الجعفرى بين ما تضمّنته هذه المقبرة وبين ما يوجد بمشهد السيدة عاتكة.. باعتبار وجود المقبرتين فى مكان واحد تقريباً.

وممّا ذكره الدكتور مصطفى شيحة أستاذ ورئيس قسم الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة عن هذين المشهدين، قوله: توجد هذه المجموعة بشارع الأشرف على مقربة من جامع أحمد بن طولون، حيث يضمّهما بقعة واحدة، يتمّ الدخول إليهما بواسطة فتحة مدخل معقودة يعلوها عتب منقوش عليه بحران من الكتابة النسخية، تقرأ: بقعة شُرِّفت بآل البيت.

١. ليس من المعقول أن يقوم الناس العقلاء، ومعهم العلماء الأزهريّون، ببناء ضريح أو مسجد كبير، لأىٍّ من الأولياء أو آل البيت لمجرّد الرؤيا!! فلانشكّ أنّه كانت هناک وثائق وأدلّة دامغة لأجل بناء الأضرحة والمقابر لآل البيت والأولياء فى مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية، لم تصل بأيدينا، وكانت عند الذين قاموا ببناء هذه المشاهد المشرفة، ولنا أن ندرس ونحقّق أكثر فأكثر، حتّى نصل إلى واقع الأمر وحقيقة التاريخ.

هذا المدخل يفضى إلى دهليز مستطيل ممتدّ، ويعلوه جزء من سقف خشبى، وبالجهة الجنوبية الشرقية منه مشهد السيدة رقيّة، وينكسر هذا الدهليز فى نهايته جهة اليمين حيث يؤدّى إلى قبّتى عاتكة والجعفرى[١].

وقبة الجعفرى حالياً مجدّدة، ويقع مدخلها فى الضلع الشمالى الشرقى، وتقوم على بناء مربّع، وبصددها تجويف المحراب الخالى من الزخارف.

❊ ❊ ❊

١. كُتب على باب مرقد محمد بن جعفر: «هذا مقام سيدى على الجعفرى بن جعفر الصادق» انظر ملحق الصور فى آخر الكتاب.

١١ ـ السيدة عائشة
بنت الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)

بقلم
حنفى المحلاوى
د. سعاد ماهر

السيدة عائشة
بنت الإمام جعفر الصادق عليها وعلى أبيها السلام[١]

حنفى المحلاوى

من هى

من أشهر الأضرحة أو المقابر الموجودة فى مصر الآن، ومنذ زمن بعيد... ضريح السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم جميعاً.

وقد تحدّثت كتب السيرة وكتب التاريخ باستفاضة عن صاحبة هذا الضريح، وعن مدى تفانيها فى العبادة، شأنها فى ذلك شأن سيّدات آل البيت من الأهل والأحفاد، ولقد قدمت السيدة عائشة إلى مصر وعاشت بها طويلاً حتّى توفّيت، ودُفنت بأرض مصر، وفى المنزل الذى كانت تُقيم فيه.. وحدث ذلك فى عام ١٤٥ هـ.

وممّا جاء فى الأثر عن هذه السيدة العابدة القول بأنّها وفق النسب السابق تعدّ من آل البيت، حيث أبوها جعفر الصادق الذى كان إماماً نبيلاً، أخذ الحديث عن أبيه، وعن جدّه لأمه: القاسم بن محمد بن أبى بكر، وعروة وعطاء ونافع والزهرى[٢].

وجاءت السيدة عائشة إلى مصر فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور فراراً من بطشه، وقد سبقها إلى ذلك معظم آل البيت من الذين فرّوا إلى المغرب طلباً للأمان، وكان فى صحبة السيدة عائشة فى رحلتها إلى مصر: إدريس بن عبدالله

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

٢. يقول المستشار عبدالحليم الجندى فى كتابه عن الصادق (عليه السلام) ما نصّه: «ولقد كان علم أهل البيت حسبه ـ حيث تلقّى من أبيه كلّ ما وعاه قلبه ـ فكيف إذا اجتمع إليه علوم هؤلاء، ليملأ بالفقه الشيعى وبالفقه المقارن مدينة الرسول، من يوم مات أبوه وهو بعد فى ثلاثيناته؟!» الإمام الصادق (عليه السلام): ١٨٤ الفصل الثانى: إمام المسلمين.

بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكعادة أهل مصر فقد لاقت السيدة عائشة حفاوةً بالغةً حين عرفوا بمقدمها الشريف... وقد عرفها كلّ من كانوا حولها بلقب «أم فروة»، كما تزوّجت من عمر بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم، والذى تولّى إمارة المدينة.

عُرفت السيدة عائشة رضى الله عنها بزهدها وعبادتها الخالصة لله تعالى[١]... وكانت تدرک تماماً أنّ الخوف من الله يعنى الهروب إليه... من هنا اكتسب ضريحها ومسجدها شهرةً كبيرةً، خاصّةً لدى مريديها من أهل الله الذين يحتفلون بمولدها كلّ عام فى الفترة من ٩ إلى ١٤ شعبان.

ويجمع المؤرّخون ممّن تناولوا سيرة أهل البيت بالبحث والدراسة على أنّ السيدة عائشة رضى الله عنها قد شرّفت أرض مصر، وأقامت بها حتّى توفّيت فى عام ١٤٥ هـ. وقد جاء فى كتاب تحفة الأحباب[٢] للسخاوى.. أنّه رأى قبراً للسيدة عائشة... وقد ثبت به لوح رخامى مكتوب عليه: «هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام على بن أبى طالب كرّم الله وجهه».

صفاتها وعلمها

ومن أخصّ صفات السيدة عائشة رضى الله عنها، وفق الإجماع: الورع والتقوى.. إذ كانت بحقّ من السيدات العابدات القانتات المؤمنات برضا الله عنهنّ... لذلک يؤثر عنها أنّها حين كانت تتعبّد، كانت تتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى بقولها: وعزّتک وجلالک، لئن أدخلتنى النار لأخذت توحيدى بيدى وأطوف به على أهل النار وأقول: وحّدته فعذّبنى![٣]

كما كانت رضى الله عنها، تدرک من كثرة ورعها: أنّ الخوف من الله يعنى الهروب إليه وحده[٤].

١. نور الأبصار: ٣٨٦ نقلاً عن الشعرانى فى طبقاته.
٢. تحفة الأحباب: ٥٥١.
٣. نور الأبصار: ٣٨٦ نقلاً عن طبقات الشعرانى والمناوى.
٤. المصدر السابق.

وحتّى عندما جاءت إلى مصر واستقرّ بها المقام فيها، ظلّت على تقواها وورعها، تعيش فى رحاب الله وعبادته إلى أن توفّيت ودُفنت حيث كانت تقيم.

وممّا لاحظنا، ونحن ننقب فى آثار هؤلاء العظماء من آل البيت: أنّ هناك نوعاً من الندرة المعلوماتية فيما يخصّ مناقب وصفات السيدة الطاهرة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، وقد قرأنا فى أحد المصادر أنّ ذلك ربّما يرجع فى الأساس إلى حياتها القصيرة! إذ عاشت فقط حوالى عشرين عاماً، وكلّ ما قيل ويقال عنها فى هذا السياق هو ارتباطها فقط بآل البيت من ناحية جدّها الإمام الحسين (رضى الله عنه)، وذلك فى تصورنا يكفيها شرفاً ما بعده شرف. وقد ذكره حسن الرزّاز فى موسوعته المصوّرة «عواصم مصر الإسلامية».

وصف المقبرة

أشار العلاّمة شمس الدين بن محمد فى كتابه «الكواكب السيّارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى» إلى ضريح السيدة عائشة رضى الله عنها، وذكر الإمام الشعرانى أنّ أستاذه على الخوّاص أخبره أنّ السيدة عائشة رضى الله عنها بنت الإمام جعفر الصادق دُفنت بباب القرافة بحى الرميلة بالقلعة، وقد دُفنت السيدة عائشة رضى الله عنها بالدار التى تُقيم بها منذ أن قدمت إلى مصر.. وكانت تلك الدار تقع فى الطريق الموصل إلى جبل المقطم ناحية القلعة، وهو مكان الضريح حالياً، ومكان مسجدها أيضاً.

هذا الضريح كان فى البداية مزاراً صغيراً وبسيطاً حتّى القرن السادس الهجرى... وكان فى بدايته يتكوّن من حُجرة مربّعة الشكل، تعلوها قبّة ترتكز على صفّين من المقرنصات.

وهناك العديد من المصادر التاريخية التى أشارت إلى موضع مقبرة السيدة عائشة رضى الله عنها، كما ذكرها على باشا مبارك فى خططه حين قال: إنّه يوجد خارج «ميدان محمد على» بالقرب من قرّة ميدان، شمال الذاهب إلى

القرافة الصغرى من بوابة حجّاج، فى خطٍّ يُعرف بها الآن.. والضريح أو مقبرة السيدة عائشة يتبع الآن «حى الخليفة»[١].

وقد اهتمّ الفاطميون ثم الأيوبيون بهذا الضريح، حيث أنشأوا بجوار قبر السيدة عائشة مدرسةً لتحفيظ القرآن الكريم، فى الوقت نفسه الذى أحاط فيه الناصر صلاح الدين الأيوبى عواصم مصر الإسلامية الأربع «الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع ـ ثم القاهرة» بسور ضخم طوله ١٥ كيلومتراً، ولمّا فصل هذا السور قبّة السيدة عائشة عن باقى القرافة... فُتح فى سور القاهرة باب يسمّى «باب عائشة» والمعروف الآن بباب القرافة.

ويؤكّد الآثرى حسن عبدالوهاب: أنّ هناك العشرات من الأدلّة على وجود ضريح السيدة عائشة فى المكان الموجود به حالياً... ومن هذه الأدلّة أنّ ابن الزيات ـ وهو خير من ألّف فى أعلام القرافتين الكبرى والصغرى ـ قد أكّد ذلك عند ذكره لمشاهد باب القرافة، فقال: وأصحّ ما بالحوامة مشهد السيدة عائشة، ولها نسب متّصل بالإمام الحسين بن على بن أبى طالب. ثم تبعه السخاوى فى كتابه «تحفة الأحباب» فقال: إنّ السيدة عائشة مدفونة بمصر، وإنّه عاين قبرها فى تربة قديمة، على بابها لوح رخامى مدوَّن عليه حسبها ونسبها، وقد توفّيت فى عام ١٤٥ هـ[٢].

وقد أُلحق بهذا الضريح مسجد يعرف الآن بمسجد السيدة عائشة، وهو الموجود بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق إلى المقطم، وقد تهدّم المسجد القديم وتمّ إعادة بنائه فى عام ١١٧٦ هـ /١٧٦٢م على يد الأمير عبدالرحمن كتخدا.

ويتكوّن هذا المسجد من مربّع يتوسّطه صحن تحيط به الأروقة.. كما أُقيم بداخله الضريح الذى تأكّد منه المرحوم أحمد باشا زكى، فكتب عن ذلك يقول:

١. الخطط التوفيقية ٥: ٦٢١.
٢. تحفة الأحباب: ٥٥٢.

«إنّ المشهد القائم جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية، هو حقيقة متشرّف بضمّ جثمانها الطاهر، وفيه مشرق أنوارها، ومهبط البركات بسببها».

ولمسجد السيدة عائشة واجهة غربية شملت بابين فوقهما منارة، والموجود منها الآن دورتها الأولى، ومن هذا الباب يتمّ الوصول إلى داخل المسجد، أمّا الباب الثانى فتوجد على يساره المنارة، وهو يؤدّى إلى طرقة، على يسارها باب له عقد تحيط به كرانيش متعرّجة، ويؤدّى أيضاً إلى المسجد، ثم إلى باب القبّة.

ويؤكّد الأثرى حسن عبدالوهاب أنّه من المرجّح وجود حجرة تحت أرضية القبلة الموجودة الآن، وتضم تابوتاً أثرياً، كما هو مألوف فى كثير من المشاهد.

هذا وقد تمّ هدم المسجد فى عام ١٩٧١م، وتمّ إعادة بنائه على ما هو عليه الآن، وتبلغ مساحته الكلّية حوالى ٦٦٠ متراً.

❊ ❊ ❊

مرقد السيدة عائشة
ابنة الإمام جعفر الصادق عليها وعلى أبيها السلام[١]

د. سعاد ماهر

يقع المسجد بشارع السيدة عائشة، عند بداية الطريق إلى مدينة المقطم، وقد تهدّم المسجد القديم وأعاد بناءه الأمير عبدالرحمن كتخدا فى القرن الثامن عشر.

ويتكوّن المسجد من مربّع يتوسّطه صحن، وتحيط به الأروقة. وممّا يسترعى النظر فى رواق القبلة أنّ المحراب لايتوسّط جدار القبلة، وإنّما يقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجدار.

ومثل هذه الظاهرة وجدناها فى مشاهد الموصل، التى بُنيت فى العصر السلجوقى، ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد بابان، بينهما المئذنة التى لم يبق منها سوى الدورة الأولى، وقد كتب على الباب البحرى ما نصّه:

مسجد أمة التقى فتراه***كبدور تهدى بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أرّخوه***تلألأ بحبّه الأنوار

وكُتب على الباب القبلى ما نصّه:

بمقام عائشة المقاصد أرّخت***سل بنت جعفر الوجيه الصادق

وقد كُتب على باب القبّة ما نصّه:

لعائشة نورٌ مضىٌ وبهجةٌ***وقبّتها فيها الدعاء يجاب

١. مقتبس من كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون».

١٢ ـ السيدة كلثوم
حفيدة الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام)

بقلم
حنفى المحلاوى

السيدة كلثوم بنت القاسم
ابن محمد بن جعفر الصادق (عليهم السلام)[١]

حنفى المحلاوى

من هى

وخير ختام لجولتنا وسط مقابر ومشاهد المشاهير من آل البيت... أن نتوقّف عند مقبرة السيدة كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب... وهى أخت السيد يحيى الشبيه.

وعلى الرغم من شهرة هذه السيدة; لما اتّصفت به من الورع والتقوى، هذا بالإضافة إلى كونها من آل البيت، إلاّ أنّهم لم يزيدوا عن قولهم: وشهرتها تغنى عن الإطناب فى مناقبها.

ويقال عن هذه السيدة العظيمة ـ رغم قلّة المعلومات المدوّنة عنها ـ : إنّها تزوّجت وأقامت فى مصر... كما أنجبت عدداً من الأولاد لم يُذكر عددهم ولا أسماؤهم، ويفهم من العبارات التى تواترت عنها فى كتب المؤرّخين أنّ أولادها ماتوا جميعاً دون أن تترك ذرّية!

وقد أكّد ذلک كتاب «الكواكب السيارة» لابن الزيّات عندما قال: إنّها تزوّجت وحصل لها أولاد، وقد انقرضت ذرّيتها، وقيل: إنّ معها فى قبرها جماعة أولادها، وقيل: لم يكن بالمشهد غيرها.

توفّيت السيدة كلثوم بعد والدها القاسم الطيّب، وذلک فى نهاية القرن الثالث الهجرى.

علمها وورعها

١. مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت» ط. القاهرة.

لقد تربّت هذه السيدة صاحبة هذا المقام المنير فى حجر والدها القاسم الطيّب... الذى قيل: إنّه كان أحفظ الناس لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما كُتب عنه أربعمائة محبرة، وتأثّراً وتأسّياً بوالدها العالم والتقى الجليل القاسم الطيّب فقد حفظت السيدة كلثوم كلّ ما كُتب عن والدها، وكانت تحدّث به بعد وفاته، وقد ذكر الإمام الرازى: أنّ أتباع القاسم كانوا يعرفون بالطهّارة.. أمّا الأسعد النسّابة فقال كذلک: كانوا يعرفون بالكلثميّين، نسبةً إلى هذه السيدة الطاهرة.

أمّا المقريزى[١] فقد وصفها فى كتابه بأنّها من السيدات الزاهدات العابدات، وقد اختلط الأمر على بعض كتّاب السير والتراجم بين السيدة كلثوم والسيدة أم كلثوم ابنة الإمام محمد بن جعفر الصادق (عليهم السلام); ذلک لأنّ الأخيرة مدفونة بمشهد آخر يُعرف بمشهد الضياء... والسبب فى هذا الخلط ـ كما تؤكّد ذلک الدكتورة سعاد ماهر[٢] ـ أنّ كلاً من هذين المشهدين موجود بطريق الإمام الليث بن سعد.

وصف المشهد

ذكر الإمام تقى الدين المقريزى فى كتابه عن خطط القاهرة[٣]: أنّ مقبرة أو مشهد السيدة كلثوم إنّما هو الموجود بموضع يعرف بمقابر قريش بجوار الخندق... أمّا بالنسبة لتحديد مكانه فى العصر الحديث، فهو يقع بمنطقة القرافة بالقرب من مشهد يحيى الشبيه.

ويرجع بناء هذا المشهد فوق مقبرة السيدة كلثوم إلى عام ٥١٦ هـ /١١٢٢م. كما يبعد هذا المشهد كذلک مقدار مائة ياردة عن ضريح أبى منصور الثعالبى[٤].

١. خطط المقريزى ۴: ۴۶۳.
٢. مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: ٣٧٨.
٣. خطط المقريزى ٢: ٢٠٧ وما بعده.
٤. أبو منصور عبدالملک بن محمد بن إسماعيل الثعالبى، من أئمة اللغة والأدب، ولد فى نيسابور عام ٣٥٠ هـ، وكان فرّاءً يخيط جلد الثعالب، فنُسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ، وسافر وصنّف كتباً كثيرة، أشهرها: يتيمة الدهر وفقه اللغة وطبقات الملوک والأمثال... وغيرها، توفّى عام ۴۲۹ هـ. (وفيات الأعيان ١: ٢٩٠، الأعلام ۴: ١۶٣ ـ ١۶۴).

ويتكوّن المشهد حالياً من زاوية بسيطة مغطّاة بسقف خشبى، يتوسّطها الضريح، ويعلو المحراب الرئيسى طاقية على شكل محارة، وهى تعتبر الأُولى من نوعها فى مصر، وتشمل هذه الزاوية إلى جانب الضريح مساحة مستطيلة يتوسّطها أربعة أعمدة، يعلوها كمر خشبى يحمل السقف الذى بُنى حديثاً، ويتوسّط هذه الأعمدة مقصورة خشبية تحيط بالتركيبة التى تعلو قبرها.

أمّا محراب الزاوية فهو مجوّف من الحجر المنحوت، وبه زخارف حجرية منحوتة أيضاً... وعلى يسار هذا المحراب محرابان صغيران لايوجد بهما زخارف. كما يوجد شاهد مثبَّت على الجدار فى موضع رأسى، تحته مباشرة شاهد آخر مثبَّت أُفقياً.

وعلى الشاهد الأول، نقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تشهد به فاطمة بنت يحيى، تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريک له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحقّ، وأنّ الله باعث من فى القبور، على ذلک حيت، وعليه ماتت، وعليه تُبعث إن شاء الله، غفر الله ذنبها، وفسح لها فى قبرها، وألحقها بنبيّها محمد (صلى الله عليه وآله). توفّيت فى شهر المحرّم سنة اثنتين ومائتين».

أمّا الشاهد الثانى، فيتكوّن من سبعة أسطر، ويبدأ بالبسملة، فسورة الإخلاص، ويحمل اسم نصر الله، لأربعة خلون من شوّال سنة أربع وخمسين!

زيارة قبور أهل البيت (عليهم السلام)

بقلم
النبوى جبر سرّاج

زيارة قبور أهل البيت (عليهم السلام)[١]

النبوى جبر سرّاج

لم يختلف العلماء فى نفع الدعاء للأموات، لثبوته بنصّ القرآن الكريم، فى قوله تعالى فى سورة الحشر: (وَالَّذِينَ جَاؤُوا من بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا وَلاخْوَاننَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالاْيمَانِ وَلاَتَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

أمّا العبادات، فقد اختلف العلماء فى وصول ثواب من يؤدّيها بنيّة وصول ثوابها للموتى، وكذلک تلاوة القرآن وإهدائه للموتى، فهم ما بين معترض ومؤيّد، فيما عدا فريضة الحجّ، غير أنّه ورد أنّ الصحابة كانوا يعتمرون ويهدون ثواب العمرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنهم ابن الموفّق وابن عمر أيضاً، كما ورد أنّ رجلاً يسمّى السراج ختم عشرة آلاف ختمة قرآن، وأهدى ثوابها لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

ويرى العلماء أنّه يفضّل لمن يتصدّق نفلاً، أن ينوى بصدقته جميع المؤمنين والمؤمنات، فإنّ ثوابها يصل إليهم، ولايُنقص من ثوابه شيء.

ومن العلماء من ردّ على منكرى زيارات قبور الأولياء والصالحين بحجّة وقوع بعض المنكرات، فقالوا فى ردّهم: لايجب أن تترک القربات والأعمال الصالحة لمثل هذه الأسباب، كاختلاط الرجال بالنساء عند القبور، لكنّ الواجب أن يؤدّى الإنسان الزيارة وهو ينكر ما يراه منكراً، فإنّ زيارة القبور مندوبة، والرحلة إلى المندوب مندوبة كذلک، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنّها تذكّركم بالآخرة».

الحديث عن ابن مسعود[١].

١. مقتبس من كتاب «أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله)» ط. مكتبة طاهر للتراث ـ القاهرة ٢٠٠١م.

ولقد شرّعها رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّها تذكّر بالآخرة، وتحثّ على الزهد فى متاع الدنيا، وعدم الاغترار بها، والإقبال على الآخرة.

هذا مع ملاحظة أنّ قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزيد فى فضله على ذلك، فالزائر يرجو شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتحصل للزائر منفعة عظيمة إذا شملته شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد قال (صلى الله عليه وآله).

«من زار قبرى وجبت له شفاعتى».

والحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما[٢].

ولاشكّ أنّ أولياء الله هم أقرب الناس إلى خالقهم بعد الأنبياء، وهم فى درجات عليا عند ربّهم (لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ) [الزمر: ٣٤]. والناس حين يثقون فى ولاية واحد من أهل الله المتّقين، فإنّهم يعتقدون فيه البركة التى ينالونها على يديه فى حياته، متمثّلة فى دعائه وفى خيره الذى يصلهم بواسطته من عند الله تعالى، ولم تكن هذه الثقة قد جاءتهم إلاّ بعد ممارسات وتجارب أكّدت لهم

---

١. ولفظ رواية ابن مسعود: «فانّها تزهّد فى الدنيا، وتذكّر الآخرة». وفيها زيادة بعد «زيارة القبور»: «وأكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث، وعن نبيذ الأوعية...». أخرجه عنه الحاكم فى المستدرک ١: ٣٧٥. وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأنس بن مالک وأُم سلمة وبريدة بألفاظ متقاربة. انظر كنز العمال ١٥: ٦٤٦ رقم ٤٢٥٥١ إلى ٤٢٥٥٩. وراجع تاريخ البخارى ٢: ٢٨٧ و٦: ٢٤٧، وسنن البيهقى ٤: ٧٧ و٨: ٣١١، واتحاف السادة المتقين ١٠: ٣٦٣.

٢. أخرجه بهذا اللفظ الدارقطنى فى السنن ٢: ٢٧٨، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤: ٢. وأمّا فى الترغيب والترهيب ٢: ٢٢٤ بلفظ: «من زار قبرى كنت له شفيعاً وشهيداً»، عنه فى كشف الخفا ٢: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

وفى المصادر الإمامية عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) عن على (عليه السلام) عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «من زارنى بعد وفاتى كمن زارنى فى حياتى، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة» رواه ابن قولويه فى كامل الزيارات: ٤٥ رقم ١٧، بحار الأنوار ١٠٠: ١٤٢. ورواية السدوسى عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أتانى زائراً كنت له شفيعاً يوم القيامة» المصدر السابق رقم ١٨.

ويروى الشيخ الطوسى فى التهذيب ٦: ٢٠ والشيخ المفيد فى المقنعة: ٧٢ وابن قولويه فى كامل الزيارات: ٣٩ رقم ١ حديثاً مسنداً عن عبدالله بن سنان عن الصادق (عليه السلام) قال: «بينما الحسين بن على (عليه السلام) فى حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ رفع رأسه فقال له: يا أبه ما لمن زارک بعد موتک؟ فقال: يا بنى، من أتانى زائراً بعد موتى فله الجنّة، ومن أتى أباک زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاک زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتاک زائراً بعد موتک فله الجنّة».

أنّ له عطاءً من عند الله يستفيد منه أهل محبّته، ويستشفع به عند الله فى حسن ظنٍّ به، ولم تنقطع هذه البركة بعد وفاته.

والذى ثبت أنّ زوار أهل البيت والأولياء الصالحين فى أضرحتهم، ليسوا جميعاً من العوام الذين لاتكتمل الثقة فى رواياتهم، بل المشهور أنّ هؤلاء المتردّدين على المزارات من أهل العلم والثقافة، ومن أهل الثقة الذين لايشكّ فى رواياتهم، وهذا يدلّ على أنّ الذين يذوقون حلو الزيارة، ويشعرون بجمالها، يلزمون أنفسهم المداومة عليها، وينشدون الراحة النفسية والسكينة فى هذه الرياض الطيّبة.

فقد وصلوا إلى حدّ الاعتقاد بأنّ الضريح فى مكان طاهر يستجاب فيه الدعاء، وهذا الأمر مجرَّب لديهم، ومن يأتى إلى مكان طاهر كهذا فإنّه يكون فى حالة قرب من الله تعالى، فالملائكة ترفرف حول الطهارة والتقوى، وبإذن الله تقضى حاجات الزائرين، ويستجاب دعاؤهم عندها.

وإن قيل: إنّ الإنسان بعد الموت يبلى! ألا يعلم أنّ الروح موصولة بالجسد، تحوم حوله؟ وإلاّ فما فائدة قراءة السلام على الأموات عند القبور؟ وما فضل دعاء الولد الصالح لأبيه وهو فى قبره؟

وقد سنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنا ذلک، وأمرنا القرآن بذلک (**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً**) [الإسراء: ٢٤].

ولقد جاء فى كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» بضرورة الحرص على زيارة الأضرحة وتذكّر يوم الحساب، وهى عامة فى كلّ الأيام عند الحنابلة، وعند الشافعية من عصر يوم الخميس إلى طلوع يوم السبت، وعند المالكية والحنفية تكون الزيارة أيام الخميس والجمعة والسبت، كما اهتمّ أئمة المذاهب بزيارة قبور الصالحين; لأنّ هذه الأماكن تأنس لها الملائكة، ويستجيب الله فيها الدعاء، فإنّ الصالحين كانت لهم أعمال وأنوار من الله، ونور الله لايُحجب عنهم: أحياء وميّتين[١].

١. فالقبور تضمّ أجساد الأنبياء والمرسلين الذين حملوا على عاتقهم رسالات السماء وبلّغوها الناس، وتضمّ أيضاً أبناءهم وأحفادهم الذين عُرفوا بالتقوى والإيمان والورع والصلاح، فكانوا محطّ أنظار

وإذا كان هناک من ينهى عن زيارة الأضرحة من باب سدّ الذرائع، فهذا قياس مع الفارق; لأنّ الذين كانوا يتّجهون إلى الأصنام، كانوا كفّاراً مشركين يعبدونها، بينما هؤلاء مسلمون موحّدون يحبّون أصحاب القبور، وفرق بين المحبّة والعبادة، بدليل أنّ الزائر المسلم يصلّى لله ويعبده فى نفس المكان، ولايصلّى إلاّ لله قبل الزيارة.

ولقد كان الأئمة والصالحون حريصين على زيارة أضرحة أهل البيت، ومنهم الإمام الشعرانى (رضى الله عنه) ـ وكان شيخاً للأزهر ـ يقول فى كتابه «المنن»: وممّا منّ الله تعالى به علىَّ: زيارتى بين فترة وأخرى لآل البيت الذين دفنوا فى مصر، كلّهم أو بعضهم، حيث أزورهم فى السنّة ثلاث مرّات بقصد صلة رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكره ذلک أحد إلاّ لقلّة فهمه وإدراكه لمنزلتهم، أو لعدم ثبوت دفنهم فى قبورهم المقامة، وهذا جمود، فإنّ الظنّ يكفينا فى كلّ خير.

وإنّ المؤمنين لايلجأون إلى قبور الأولياء الصالحين وآل البيت المطهّرين إلاّ حبّاً فيهم، واتّعاظاً وتأسّياً بأخلاقهم، وكذا ترحّماً واستغفاراً من الزائر للمزور، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب خيرٌ للاثنين، وكلّ من تُرجى بركته فى الدنيا تُرجى بركته كذلک فى الآخرة، فإنّ للصالحين شفاعة لإخوانهم عند الله تعالى.

كما أنّ لروح الميّت تعلّقاً شديداً بجسده، وعندما يقف الزائر عند القبر ـ وخاصّةً قبور الصالحين ـ تتلاقى الأرواح، فيسلّم الزائر وتردّ روح المزور السلام، ومن هنا تكون الزيارة سبباً لراحة الزائر والمزور، ولهذا شرِّعت الزيارة، كما أنّ اتّصال أرواح الأموات بالأحياء ثابت بالسنّة.

الناس واحترامهم، ثم على الامتداد من العلماء والفقهاء الورعين الذين عاشوا حياة الزهد والحرمان وطلب العلم ونشر الدين والأخلاق الكريمة بصورة كتابات جليلة وآثار رائعة جذبت قلوب وعقول الناس، والناس يزورون هؤلاء باستمرار، ويذرفون الدمع الغزير، ويستذكرون تضحياتهم، ويستمدّون منهم روح الصبر والتقرّب إلى الله تعالى، وامتثال أوامره.

إنّ زيارة قبور الأولياء والصالحين والشخصيات العظيمة هيـ بالحقيقة ـ نوع من الوسائل التى تدفع الإنسان إلى الميل باتجاه الدين والخلق الكريم من جهة، ومن جهة أخرى إعلام للأجيال المتلاحقة بأنّ هذا جزاء الذين يسلكون دين الحق وطريق الهدى والفضيلة، وكلاهما يصبّ فى خدمة دين الله، وليس فيهما محذور.

وإذا كان البعض يخشى على الزائر الوقوع فى الشرک، فلينظر إلى الزائر وهو يتوجّه إلى القبلة يدعو الله; ليقينه أنّ المعبود هو الله، وأنّ المتوجّه إليه بالدعاء هو الله سبحانه وتعالى لا غير، وليس هناک بين الزائر والمزور إلاّ علاقة اتّصال روحى تسرى بينهما.

وفى الأثر: أنّ الملكين الموكلين بالعبد فى الدنيا يقولان عندما يموت العبد: «يا ربِّ مات فلان فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله تعالى: إنّ سماواتى مملوءة من ملائكتى يسبّحوننى، فيقولان: ربّنا نقيم فى الأرض، فيقول الله تعالى: إنّ أرضى مملوءة من خلقى يسبّحوننى، فيقولان: يا ربِّ فأين نكون؟ فيقول الله تعالى: كونا على قبر عبدى فكبِّرانى وهلِّلانى وسبِّحانى، واكتبا ذلک لعبدى إلى يوم القيامة» (القرطبى).

ومع هذا فإنّ هناک من يرفض الزيارة وحتّى الصلاة فى هذه المساجد، متعلّلاً بمفهومه من الحديث الشريف «لاتشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[1].

غير أنّ الواضح من معنى الحديث: أنّ هذه الصيغة لاتفيد المنع من الرحلة إلى مساجد غير المذكورة، بل تفيد التفضيل لثواب الصلاة فى هذه المساجد على غيرها، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن بعده الصحابة الكرام يشدّون الرحال للصلاة فى مسجد قباء بضواحى المدينة المنوّرة. ومن هنا فإنّ شدّ الرحال إلى بيوت الله غير ممتنع، ولكن ثوابها أقلّ من شدّها إلى هذه المساجد الثلاثة المذكورة فى الحديث الشريف[2].

---

١. أخرجه مسلم ٢: ١٠١٤ حديث ٥١١، وأحمد ٢: ٢٧٨ عن أبى هريرة.

٢. وثمة ردّ آخر يورد على ما ذهب إليه البعض استدلالاً بهذا الحديث، وهو أنّ تقدير المستثنى منه يكون فى صورتين: الأولى: لاتشدّ إلى مسجد من المساجد إلاّ ثلاثة مساجد...، والثانية: لاتشدّ إلى مكان من الأمكنة إلاّ إلى ثلاثة مساجد...، فإذا كان على التقدير الأول كان معنى الحديث: عدم شدّ الرحال إلى أىّ مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة المذكورة، ولو سلّم فهو لايعنى عدم جواز شدّ الرحال إلى أىّ مكان آخر حتّى لو لم يكن مسجداً. فلا يشمل النهى من شدّ الرحال لزيارة الأنبياء والأئمة الطاهرين والاولياء الصالحين.

وأمّا على التقدير الثانى فلازمه النهى عن شد الرحال إلى كل بقاع العالم ما عدا المساجد الثلاثة المذكورة، أى حرمة شدّ الرحال إلى كلّ مكان سوى المساجد الثلاثة، وفيه ما فيه، إذ المسلمون طالما شدّوا الرحال فى موسم الحج للسفر إلى عرفات والمشعر ومنى...، وشدّ الرحال

كما أنّ التضييق على المسلمين فى زيارة الأولياء فى قبورهم وأضرحتهم بعد الصلاة لله فى هذه المساجد الملحقة بها أضرحتهم يمنع خيراً عن المسلمين. ولقد بلغت المغالاة فى النهى بالبعض إلى إبطال الصلاة إذا كانت نيّة المصلّى بعدها هى الزيارة! فتلك دعوىً فيها تضييق، وتعطّل بيوت الله، بينما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»[١] وقال: «ألا وقد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها»[٢].

وكلمة أخيرة نقولها لمن يقاطع زيارة أهل البيت والأولياء الصالحين، ويتشكّك فى الصلاة فى المساجد المسمّاة بأسمائهم أو التى تضمّ قبورهم وأضرحتهم: إذا كان الهجر لكلّ مسجد فيه قبر، لهُجر مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففيه دُفنت إلى جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) السيدة فاطمة الزهراء، ودُفن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وبعض الصحابة رضى الله عنهم، ويزور المسلمون والسلف الصالح القبر الشريف، ويسلّمون على فاطمة، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهم بعد أداء واجب العبادة لربّ العالمين، بل إنّ الصلاة فى المسجد النبوى بألف صلاة فيما سواه، ولما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة»[٣]

وقياساً على ذلك قال الإمام النووى: يسنّ الإكثار من زيارة القبور، والإكثار من الوقوف عند قبور أهل التقوى والصلاح.

لطلب العلم فى بغداد أو بخارى أو جبل عامل أو...، وهكذا لطلب الجهاد فى سبيل الله فى الثغور وغيرها. انظر إحياء علوم الدين للغزالى ٢: ٢٤٧ آداب السفر، وكذلك الفتاوى الكبرى ٢: ٢٤.

١. أخرجه الترمذى ٢: ١٣١ ذيل حديث ٣١٧، والنسائى ٢: ٥٦، وابن ماجة ١: ١٨٧ حديث ٥٦٧، والصدوق فى الخصال: ٢٠١ بلفظ «فُضِّلت بأربع: جُعلت لى الأرض...» وفى الفقيه ١: ١٥٥ حديث ٧٢٤ «أُعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلى: جعلت لى الأرض...».

٢. نقلته كتب الحديث بأسانيد صحيحة وبألفاظ متقاربة عن ابن مسعود وأنس وابن عباس وزيد وأبى هريرة وبريدة وأم سلمة وعائشة. راجع سنن النسائي ٤: ٨٩، مستدرک الحاكم ١: ٣٧٤ و٣٧٥، سنن ابن ماجة ١: ٤٧٦، مسند أحمد ١: ٤٤١، سنن أبى داود ٢: ٧٢، سنن البيهقى ٤: ٧٦.

٣. أخرجه مسلم ٢: ١٠١٠ حديث ٥٠٠ و٥٠١ و٥٠٢، وأحمد ٣: ٦٤، والصدوق فى معانى الأخبار: ٢٦٧ حديث ١، وفى الفقيه ٢: ٣٤١ حديث ١٥٧٣ و١٥٧٤ و١٥٧٥، وفى الكافى ٤: ٥٥٤ حديث ٣ و٥ بلفظ «بيتى» بدل: «قبرى».

كما قال ابن الحاج فى مدخله: ما زال العلماء كابراً عن كابر، مشرقاً ومغرباً، يتبرّكون بزيارة قبور الصالحين، فإنّ بركتهم جارية بعد موتهم كما كانت فى حياتهم.

وإنّ السفر لأجل العبادة يدخل فى جملة زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، وسائر العلماء والأولياء.

فما القول بعد ذلک فى زيارة أضرحة أهل البيت، الذين وصّانا رسول الله (صلى الله عليه وآله)بمودّتهم، وحدّث عن فضلهم؟

فمن اعتقد خلاف ذلک فهو المحروم; ولذلک تبارى أهل المحبّة فى الحديث عن فضل زيارة أهل البيت، أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله) خاصةً فى كلّ عصر وزمان.

وما أصدق المحبّ شاعر الأولياء الشيخ على عقل حين أنشد:

يقولون من هم قلت آل محمد❊❊❊همو ثقتى روحى لهم تتبتّلُ
وحبّهمو فرض على الكلّ واجب❊❊❊بنصّ حديث للبرية يشملُ
ومعناه أنّى تارک فيكم الهدى❊❊❊كتابى وأهلى وعترتى فهو أشملُ
إذا اتّخذت جاه الملوک وسيلةً❊❊❊فإنّى بأهل المصطفى متوسّلُ
على بابهم ما دمت حيّاً وإن أمت❊❊❊يؤانسنى منهم ضياء مجمّلُ
وآتى بأصحابى إلى باب عزّهم❊❊❊يقال لنا تحت الستار ألا ادخلوا
فأعتابهم من فوق رأسى نسيمها❊❊❊كأنّى بدار الخلد إذ أنا أنهلُ

ويدعو الولى الشيخ صالح الجعفرى (رضى الله عنه) الزائر إلى تطهير قلبه بتلاوة القرآن، وبالصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لكى ينال بركة الزيارة، وتكون نافعة بإذن الله، فيقول:

نحن آل البيت يا من جئتنا❊❊❊طهِّر القلب إذا ما زرتنا
واذكر المختار طه جدّنا❊❊❊واقرأ القرآن تلقى ودّنا

وقال العارف بالله أحمد الحلوانى فى قصيدته «الحلواء» فى مدح أبناء الزهراء رضى الله عنهم أجمعين:

بنفسی أفدی الزهر من بضعة الزهرا***وإن هم رضوا نفسی فقد عظمت قدرا

هم الدين والدنيا لعمری هم هم***فقل ما شئت فيهم لاترهبن نكرا
وعال بهم من شئت إن ذكروا العلا***وفاخر بهم من شئت إن ذكروا الفخرا
بدور سمت عن شمس أكرم مرسل***أناروا دياجی الكون بالطلعة الغرّا
وبالحلم والندی وبالبرّ والتقوی***وبالعلم والفتوی وبالذكر والذكری
ومن ذا يدانی أو يقارب بضعةً***بهم تنتهی العلياء والرتبة الكبری
محبّتهم باب الرضا ورضاهمو***يسام بأرواح المحبّين لو يشری
فيا من يواليهم ويحفظ ودّهم***ويكرم مثواهم هنيئاً لک البشری
فلابدّ يوم العرض تسمع قائلاً***تفضّل تفضل فادخل الجنّة الخضرا

وربّما يكون صاحب «الكشّاف» قد أوضح المقصود بآل البيت فی تعليقه علی حديث رسول الله (صلی الله عليه وآله): أنّه لمّا نزلت الآية: (**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی**) سئل رسول الله (صلی الله عليه وآله): من قرابتک هؤلاء يا رسول الله الذين وجبت علينا مودّتهم.

فقال: «علی وفاطمة وابناهما»[1] أی الحسن والحسين.

فثبت أنّ هؤلاء الأربعة هم أخصّ أقاربه (صلی الله عليه وآله)، وهو المخصوصون بمزيد من الفضل. ويستدلّ علی ذلک بأنّ رسول الله (صلی الله عليه وآله) كان يحبّ فاطمة رضی الله عنها; لقوله: «فاطمة بضعة منّی، يريبنی ما رابها، ويؤذينی ما آذاها» (أحمد فی مسنده والحاكم فی مستدركه)[2].

١. الكشاف ۴: ٢١٩ ـ ٢٢٠ ضمن تفسير الآية: ٢٣ من سورة الشوری. وقد أخرج الحديث الطبرانی فی الكبير ٣: ٣٩ و١١: ۴۴۴، والهيثمی فی مجمع الزوائد ٧: ١٠٣، وابن كثير والقرطبی فی تفسيرهما عند تفسير الآية: ٢٣ من سورة الشوری.

٢. مسند أحمد ۴: ٣٢٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٥٨. ويذكر أنّ الخبر متواتر وبألفاظ مقاربة، فمنها: «مضغة منّی» ومنها: «شجنة منّی»، ومنها زاد: «فمن أغضبها فقد أغضبنی» ومنها: «يقبضنی ما يقبضها ويبسطنی ما يبسطها». والبضعة والمضغة واحد، وهو القطعة من اللحم. راجع صحيح البخاری بحاشية السندی ٢: ٥٥٠ حديث ٣٧۶٧ باب مناقب فاطمة و٢: ٥٣٨ حديث ٣٧١۴ باب: مناقب قرابة الرسول، فتح الباری شرح صحيح البخاری لابن حجر ٧: ۴٧٧ وقال: أخرجه الترمذی وصحّحه، مصابيح السنّة ٢: ۴٥٥ حديث ٢٧١٢، شرح السنّة للبغوی ٨: ١٢٠ حديث ٣٩٥۶ وقال: هذا حديث صحيح، المعجم الكبير ٢٠: ٢٥ حديث ٣٠ و٢٢: ۴٠۴ حديث ١٠١٢

كما ثبت بالنقل المتواتر أنّه (صلى الله عليه وآله) كان يحبّ علياً، فقد تولّى تربيته، وعاشره معاشرة الأب والأخ، وكذلک الحسن والحسين، فقد دعا لهما وأشهد الناس على حبّه لهما، وما دام ذلک قد ثبت، فقد أصبح لزاماً على الأمة محبّة هؤلاء الأربعة; لقوله تعالى: (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الأعراف: ١٥٨] ولقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١].

ويدلّ كذلک على لزوم ووجوب محبّة آل البيت: هذا الدعاء لهم فى التشهدّ فى كلّ صلاة: «اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد»، وهذا دعاء لهم بالصلاة التى

هى الرحمة من الله تعالى عليهم.

ولهذا، فقد أظهرت مصر تعاطفاً كبيراً مع أهل البيت أيام كربلاء وبعدها، فأحسنت استقبال السيدة زينب ومن معها من آل البيت حين اختارت مصر مقاماً لها عقب مقتل الحسين (رضى الله عنه)، ومع أنّ الخلفاء العباسيّين حاولوا فيما بعد إخماد شعلة التعاطف لدى المصريّين مع آل البيت، إلاّ أنّ المصريّين ازدادوا تعاطفاً وحبّاً لهم، ويشهد على ذلک كثرة الأضرحة التى تضمّها مصر لآل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)، ولإيثارهم الإقامة فيها دون غيرها من الأمصار الإسلامية.

رغم أنّ بعض الحكّام فى الشام وفى العراق كانوا يرسلون رؤوس القتلى من آل البيت إلى مصر; لتخويف أهلها من الالتفاف حول آل البيت والتعاطف معهم، لكنّ ظلّ المصريون أكثر الناس حبّاً لهم، مع أنّه كانت ظاهرة التنكيل بالعلويّين من ذرّية الإمام على على امتداد العصرين: الأموى والعباسى، فيما عدا بعض الخلفاء الذين عرفوا حقّ آل البيت ومنزلتهم، مثل عمر بن عبدالعزيز (رضى الله

و٤٠٥ حديث ١٠١٤، مصنف ابن أبى شيبة ١١: ١٨٤ حديث ٣٢٨٠٨، السنن الكبرى للنسائى ٥: ٩٧، كشف الخفا للعجلونى ٢: ٨٠ حديث ١٨٢٩ وقال: رواه الشيخان عن المسوّر، ورواه أحمد والحاكم والبيهقى، فيض القدير ٤: ٥٥٤ حديث ٥٨٣٣ وقال: استدلّ به السهيلى على أنّ من سبّها كفر; لأنّه يغضبه (صلى الله عليه وآله)، فضائل الصحابة: ٧٨، سبل الهدى ١٠: ٣٢٧ وقال: وهو يقتضى تفضيل فاطمة على جميع نساء العالم، ومنهنّ: خديجة وعائشة وبقية بنات النبى، فضائل الصحابة لأحمد ٢: ٧٥٥ حديث ١٣٢٤، وغيرها.

عنه)، الذی لم یکن یخاف علی ملکه وسلطانه مثل باقی الخلفاء الأمویّین، ومثل الخلیفة العباسی المأمون، الذی کان بطبیعته یمیل إلی أهل البیت، فقد قرّب الإمام علی الرضا منه، ثم ولاّه العهد فی حیاته، ووصّی له بالخلافة، غیر أنّه لم یتمّ له تولّی الخلافة.

ولقد عرفت مصر حبّ آل البیت المحمدی منذ عرف أهلها حبّ رسول الله (صلی الله علیه وآله)، آخذاً من توجیه الله تعالی فی کتابه العزیز: (**قُل لا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْه أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی**) [الشوری: ٢٣]، ومن توجیه رسول الله (صلی الله علیه وآله): «أحبّوا الله لما یغذوکم به من نعم، وأحبّونی لحبّ الله، وأحبّوا آل بیتی لحبّی لهم»[١] (عن ابن عباس رواه الترمذی والحاکم).

وإن کان هناک من یشکّک فی سکنی آل البیت أضرحتهم فی مصر، فنحن نعلم أنّ تاریخ الإسلام بصفة عامة کتبه رجال ثقات، ومنهم المقریزی الذی عرض لموضوع رأس الحسین، فقال فی خططه: «وبنی الصالح طلائع الوزیر مسجداً للرأس خارج باب زویلة من جهة الدرب الأحمر، وهو المعروف بجامع الصالح طلائع، فغسل الرأس فی المسجد المذکور علی ألواح الخشب». ثم قال کذلک، وهو المؤرّخ الثقة: «ثم نقلت رأس الحسین (رضی الله عنه) من عسقلان إلی القاهرة فی یوم الأحد ثامن من جمادی الآخرة سنة ثمان وأربعین وخمسمائة»[٢]

وکذلک جاء فی کتاب «العدل الشاهد فی تحقیق المشاهد»: أنّ عبدالرحمن کتخدا لمّا أراد توسیع المسجد المجاور للمسجد الشریف سنة خمس وسبعین ومائة وألف للهجرة، قیل له: إنّ هذا المشهد لم یثبت فیه دفن رأس الحسین، فأراد التحقّق من ذلک، فکشف المشهد الشریف بمحضر من الناس، ونزل به العالمان الجلیلان: الشیخ الجوهری الشافعی والشیخ الملوی المالکی، فشاهدا

١. أخرجه الترمذی ٥: ٦٦٤ حدیث ٣٧٨٩، والطبرانی فی الکبیر ٣: ٤٦ حدیث ٢٦٣٩، وأبو نعیم فی الحلیة ٣: ٢١١، والخطیب فی التاریخ ٤: ١٦٠، والحاکم فی المستدرک ٣: ١٤٩، والشیخ الطوسی فی الأمالی: ٢٧٨ حدیث ٥٣١ المجلس (١٠).
٢. خطط المقریزی ٢: ١٨١.

ـ كما ذكرا بعد أن خرجا ـ كرسيّاً من الخشب الساج، عليه طست من الذهب، فوقه ستارة من الحرير الأخضر، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف».

وعلى أيّة حال، فإنّ الإمام ابن الجوزى قال فى هذا المقام: «ففى أىّ مكان كان رأس الحسين أو جسده، فهو ساكن فى القلوب والضمائر، قاطن فى الأسرار والخواطر».

ولهذا نقول: إنّ حبّ آل البيت، وحسن الظنّ بأماكن أضرحتهم، خير من الإعراض عن زيارتهم بحجج لايقين معها، وصدق المحبّ القائل:

لاتطلبوا المولى الحسين❊❊❊بأرض شرق أو بغربِ

وذروا الجميع ويمّموا❊❊❊نحوى فمشهده بقلبى

ومن هنا فإنّ الزائر مُثاب على قراءة شىء من القرآن والدعاء لواحد من المسلمين، ومثاب على نيّته بصلة رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ومن العجيب أنّ أناساً قد حرموا أنفسهم من نعمة حبّ آل البيت، لقصور فهمهم لدلالة الآية الكريمة التى تقول: (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى**) [الزمر: ٣]، ولم يفطنوا إلى كلمة (**مَا نَعْبُدُهُمْ**) فى الآية تشير إلى العبادة بما فيها من ركوع وسجود! نقول لهم: فرق كبير بين العبادة والمحبّة، فأحباب أهل البيت يقولون: نحن نحبّهم طاعةً لوصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبعد أن نصلّى لله ونركع ونسجد خشوعاً وخضوعاً; إقراراً بأنّنا عبيد لله تعالى، وبعد أن نؤدّى واجب الطاعة نؤدّى واجب المحبّة بالدعاء لأهل البيت; إظهاراً لمكانتهم فى قلوبنا. فالمعبود هو الله ولا أحد غيره، والمحبّة له سبحانه ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ولآل بيته، كما وصّانا بذلك (صلى الله عليه وآله): «أحبّوا الله لما يغذوكم به من نِعَم، وأحبّونى لحبّ الله، وأحبّوا آل بيتى لحبّى»[1] (عن ابن عباس رواه الترمذى والحاكم).

١. تقدم تخريجه آنفاً.

فلايجب أن تكون الغيرة الخاطئة سبباً فى قطع رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحتّى الرجل العامّى حين يدخل مسجداً فيه ضريح، يبدأ بأداء واجب الطاعة وهى تحيّة المسجد بالصلاة، ثم يزور الولىّ ويدعو له، ويقرأ ما تيسّر من القرآن صلةً وهديةً له، وهذا العمل إنّما يؤدّى إلى شيوع المحبّة بين المسلمين، كما أنّه اقتداء بالصالحين، وبيان منزلة أولياء الله الصالحين فى قلوب الناس[١].

والإمام الشافعى (رضى الله عنه) يقول: من لم يصلِّ على الآل فى التشهّد تبطل صلاته، فقال فى هذا المعنى:

يا آل بيت رسول الله حبّكمُو ❊❊❊ فرضٌ من الله فى القرآن أنزله

يكفيكمُو من عظيم الفضل أنّكمُو ❊❊❊ من لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ له

ومعلوم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لايزيد فى الدين شيئاً من عنده، بل لابدّ أنّ الله تعالى أوحى إليه أن يعلّم المسلمين الصلاة والدعاء لآل البيت فى التشهّد، أن يقولوا فى التشهّد: اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. والمعنى كما ذكره سيدى محيى الدين ابن عربى: «اللّهم صلِّ على سيدنا محمد من حيث ما له آل، كما صلّيت على سيدنا إبراهيم من حيث ما له آل، وحيث إنّ آل سيدنا محمد ليس فيهم نبيّون; لأنّ النبوة والرسالة خُتمت بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، فالمعنى ينصرف إلى آله (صلى الله عليه وآله); ليكونوا فى الفضل كآل سيدنا إبراهيم الذين فيهم أنبياء كسيدنا إسماعيل وسيدنا يوسف (عليهما السلام)، فالرفعة لآل سيدنا محمد لا له (صلى الله عليه وآله); لإنّ مقامه معروف عند ربّه، وهو أسمى مقام، وإنّما الدعاء والصلاة فى التشهّد لآل البيت، وكلّ مسلم يفعل ذلك. ويدلّ ذلك على أنّهم مكرَّمون من الله تعالى، ومن يحبّهم يكرَّم بكرامتهم، ويحشر معهم إن شاء الله».

١. سبق أن ذكرنا أنّ لزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء والصالحين، وعظماء التاريخ من المؤمنين، أهدافاً وآثاراً أخرى كثيرة تؤدّى بمجموعها إلى بثّ روح الدين بين الناس، وتكريس احترام الآخرين فيهم، وتعزيز التمسّك بالأخلاق الحميدة. وكلّها فضائل يطلبها الإسلام ويدعو إليها.

* * *

...وهذا الكتاب أيها القارئ الكريم هو كتاب محبّة، ودعوة من القلب إلى القلب لمحبّة أهل البيت، بأداء واجب المودّة التى هى وصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بآل بيته وذرّيته من باب الوفاء له (صلى الله عليه وآله)، وقد دلّت أفعالهم وأحوالهم على أنّهم استحقّوا شرف الانتساب لأكرم خلق الله، فلهم جهاد فى سبيل الحقّ، ولهم مواقف كريمة، ولهم كلام نافع، شهد لهم العلماء بذلک; لذلک كانت لهم منزلتهم الكريمة عند السلف الصالح، وخاصّةً الخلفاء الراشدين، فكان سيدنا أبو بكر (رضى الله عنه) يقول: «لصلة رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحبّ إلىَّ من صلة رحمى»، كما تزوّج سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)بالسيدة أم كلثوم بنت الإمام على; لتكون له صلة بذرّية المصطفى (صلى الله عليه وآله)، كما أخبر بذلک، ثم سار على ذلک أهل الصلاح وكلّ المحبّين لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

وأحفاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين يحدّثک عنهم هذا الكتاب، هم المطهّرون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لشرف انتسابهم إلى أحبّ أحبابه (صلى الله عليه وآله)، ولتمسّكم بأخلاقه وبسلوكه، واهتدائهم بهداه، فاستحقّوا محبّة الناس الذين وصف محبّتهم، فقال أحدهم:

فإن كان ذنبى أنّ قلبى يحبّهم***فإنّ ذنوبى لن تلمّ بها حصرا

ومن هنا، فإنّ محبّة آل البيت أحفاد النبى (صلى الله عليه وآله)، ليست إلاّ تعويضاً لهم عن معاناة وآلام تحمّلوها صابرين، لا لذنب اقترفوه، وإنّما لسوء ظنّ الحكّام بهم، كما خذلهم بعض أعوانهم، الذين قالوا لهم: قلوبنا معكم، ولكن سيوفنا على رقابكم!! نكثاً للعهد، وخوفاً من بطش السلطان.

فما أحوجهم إلى نفحة الحبّ والمودّة! فهم نماذج إسلامية رائعة، يلزم أن تعرف الأجيال عنهم مواقفهم ومبادئهم الكريمة، وسلوكهم الطيّب المهتدى بسلوک المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فلهم واجب المودّة التى يعبّر عنها بزيارتهم فى أضرحتهم والدعاء لهم، وأنّ أرواح الصالحين لتتعارف مع أرواح

الزوّار، وخاصّةً فى أماكن جرّب الناس عندها استجابة الدعاء، ونزول السكينة والرحمة، بشرط أن يكون بنيّة الزائر الالتزام بالآداب الشرعية لزيارة أحد هؤلاء الأحفاد فى المسجد أو المزار المنتسب إليه، والذى يحمل اسمه.

وقد تكون المساجد والمزارات التى تسمّى بأسماء أحفاد المصطفى (صلى الله عليه وآله) مثل: مسجد السيدة سكينة، والسيدة فاطمة النبوية، قد شيّدها بعض الصالحين الذين نذروا لله أن يبنوا مسجداً يحمل اسماً شريفاً من آل البيت، تيمّناً وتبرّكاً وإحياءً لذكرى أهل البيت الذين لهم فى قلوب الناس المنزلة الكبيرة والمحبّة.

كما قد يكون المسجد قد بُنى بسبب رؤيا منامية لأحد الصالحين، يُفهم منها أن يقيم بيتاً لله يحمل اسماً شريفاً من أسماء آل البيت، وهذه البيوت تُعرف بمشاهد الرؤيا.. وهى منتشرة فى كثير من البلاد الإسلامية، ومصر خاصّةً لها النصيب الأكبر من هذه المساجد والزوايا والمشاهد والأضرحة، وكلّها معدّة للصلاة والعبادة، وتلاوة القرآن وذكر الله فى كلّ وقت، فهى بيوت أذن الله أن تُرفع لذكره.

وإذا اختلف المؤرّخون فى من دُفن فى القبر الذى بجوار المزار أو المسجد، فإنّ ذلک لايقلّل من ثواب المصلّى لله فى بيت من بيوت الله، كما يصل منه الثواب لمن سُمِّى باسمه من الأحفاد كهدية من المصلّى له من قراءة قرآن ودعاء، فضلاً عن التأسّى بأخلاق هؤلاء الذين دعا لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصّانا بمحبّتهم ومودّتهم، وما يُعرف بالضريح تسميةٌ أطلقها أهل السنّة، وما يُعرف بالمشهد تسميةٌ أطلقها الشيعة، وكلاهما يعنى القبر الذى غالباً ما يعلوه قبّة دُفن تحتها رجل مسلم أو امرأة مسلمة من الأحفاد الذين يُعتقد فى صلاحهم وتقواهم، كالمشهد الحسينى، والمشهد الزينبى، وضريح الإمام الشافعى، فى مصر وفى كثير من بلاد المسلمين.

* * *

خاتمة

من بين كتابات كثيرة عن أهل البيت فى مصر، تمّ انتخاب هذه الفصول التى حواها هذا الكتاب..

ومثل هذه الكتابات إنّما تعكس مدى عمق حالة العشق التى يعيشها المصريون مع أهل البيت (عليهم السلام)، وهى تبرهن من جانب آخر على قيمة أهل البيت وعظمتهم فى نفوس المصريّين من أهل الفكر وعامة الناس.

وهذا الكتاب ليس فقط مجرّد عرض لسيرة أهل البيت، ومشاهد أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله)فى مصر، بل هو بالإضافة إلى ذلك، بمثابة مرشد ودليل لكلّ من يريد التعرّف على مراقد أهل البيت وتاريخها وحالتها المعمارية، فهو يحوى وصفاً مجملاً لهذه المراقد، وما فيها من زخارف وفنون، وما لعبه الأُمراء والتجّار وكبار البلد من دور فى رعاية هذه المراقد، وتوفير الخدمات الخاصّة بها، فى شتّى العصور الإسلامية حتّى عصرنا الحاضر.

إنّ وجود أهل البيت فى مصر، متنفّس كبير للمصريّين على المستوى الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، فإنّ بركاتهم وكرماتهم دائمة، ومستمرّة على مصر وأهلها.

ولقد طغى الواقع على القلم، فقدّم الوقائع والشواهد وشتّى الأدلّة الملموسة التى تجرى طوال العام بلا انقطاع حول مراقد أهل البيت (عليهم السلام)، والتى هى أبلغ من القلم، وأشدّ تأثيراً من الكتب.

والرموز التى خطّت فصول كتابنا هذا قد عبّرت أصدق تعبير عن أهل البيت، بحيث لايجد القلم مجالاً للتعليق والإضافة سوى أن يبارک هذا الجهد، ويدعو لأصحابه بدوام التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سيد هادى الخسروشاهى ـ

القاهرة

١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م

ملاحق الكتاب

ملحق (١)

كتاب
أخبار الزينبات

تأليف

العلاّمة الجليل أبى الحسين يحيى بن الحسن بن
جعفر الحجّة ابن عبيدالله الأعرج ابن الحسين
الأصغر ابن الإمام السجّاد

قدّم له

سيد هادى الخسروشاهى

مقدّمة

وثيقة تاريخية حول مرقد السيدة زينب (عليها السلام)

وقع بين أيدينا كتاب تاريخى قيّم، من نفائس المخطوطات القديمة، يطلّ علينا لأول مرّة، وهو كتاب «أخبار الزينبات» الذى قام بتأليفه علاّمة عصره أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة ابن عبيدالله الأعرج... وينتهى نسبه إلى الإمام السجّاد زين العابدين (عليه السلام) وكان يعتبر من أفاضل العلماء فى علم الأنساب، بل كان من أصحاب الشأن، وأهل العلم والمعرفة والتاريخ فى عصره.

جاء فى ترجمته فى كتاب: «الثبت المصان» لابن الأعرج الحسينى الواسطى، و«بحر الأنساب» للشريف الأزورقانى، و«نسب الطالبيّين» لتاج الدين الحسينى: «أنّه يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة ابن الأمير عبيدالله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن الإمام على زين العابدين.

قال الحسينى فى أنسابه: «هو أول من جمع الأنساب بين دفتّين، وكان إلى بنيه إمارة المدينة، وهى فى عقبه إلى يومنا هذا، صنّف كتاب نسب آل أبى طالب، ابتدأ فيه بولد أبى طالب، ثم بولدهم بطناً بعد البطن إلى قريب زمانه، وهو كتابٌ حسنٌ، ما رأيت فى مصنّفات الأنساب أحسن ولا أعدل ولا أنصف ولا أرضى منه».

وقال ابن الأعرج فى «الثبت المصان» بعد ذكر نسبه: «وله من التآليف: أخبار المدينة، أخبار الزينبات، وكتاب النسب. سكن مدينة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووليها بعد أبيه وجدّه، ولازالت الإمارة فى عقبه إلى عصرنا هذا، وكان سيدنا عظيم القدر، جليل الشأن، مشكور الطريقة، ولد فى المحرّم سنة ٢١٤ هـ بالمدينة بالعقيق فى قصر عاصم، وتوفّى بمكة سنة ٢٧٧ هـ عن ٦٣ عاماً».

وفى «أُقنوم الآثار فى الكشف عن الكتب والأسفار» لأبى يعقوب الأزمورى الأمغارى: «أخبار الزينبات رسالة للعبيدلى يحيى بن الحسن شيخ الشرف، أولها:

بحمد الله وثنائه نستفتح أبواب رحمته... وله غيرها تآليف حسنة، منها: كتاب النسب، وله أخبار المدينة، وأنساب قبائل العرب... توفّى بمكّة فى ذى القعدة عام ٢٧٧ عن ٦٣ عاماً وصلّى عليه أميرها...».

وله مؤلّفات أُخرى، منها: كتاب المناسک، كتاب المسجد، كتاب الفواطم، رسالة الخلافة وغيرها...

وقد قام آية الله المرحوم السيد شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى، الذى لاتزال آثاره وبركاته ومكتبته العامرة المليئة بالمخطوطات (أكثر من اثنين وثلاثين ألف مجلّد فى أكثر من ستين ألف عنوان ٦٠٪ منها باللغة العربية) بتحقيق هذه الرسالة المخطوطة بعدما فتّش عنها لمدة طويلة، وأخرجها إلى النور مع مقدّمة مفصّلة فى تاريخ حياة المؤلّف وآثاره، بعد أن كانت طوال قرون متمادية محجوبة عن الأبصار، مع الحاجة الماسّة إليها لحسم الخلاف فى مسألة مكان مرقد السيدة زينب (عليها السلام).

وتعدّ هذه الرسالة وثيقةً تاريخيةً معتمدةً عن حياة السيدة زينب الكبرى بنت الإمام على (عليهما السلام)، وأنّها دخلت مصر بعد إجبارها على الخروج من المدينة، وتوفّيت فى مصر ودُفنت بها. أمّا السيدة زينب المدفونة بالشام، هى زينب الوسطى بنت الإمام على (عليه السلام)، المكنّاة بأُم كلثوم.

ويكفى فى هذا الموضوع، اعتماد آية الله المرعشى لهذه الوثيقة التاريخية، ودعوته إلى نشرها، فإنّ من شأنها أن تحسم الخلاف المستمرّ حول مكان مرقدها المبارک.

وها نحن ننشر هذه الرسالة الوثيقة، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى كملحق لهذه الطبعة من كتاب «أهل البيت فى مصر» عسى الله أن ينفع به الجميع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سيد هادى
الخسروشاهى
القاهرة ـ ١۴٢٣ هـ

تصدير

السيدة زينب رمز الحقّ والفضيلة

إنّ اشتهار فضائل السيدة زينب، والآثار المرويّة فيها وعنها فى كتب التاريخ، ليغنى عن التوسّع فى ترجمتها الشريفة، وبوجه إجمالى فهى ينبوع فضائل باقية الذكر، ولا عجب أن عدَّت المثل الأعلى لرمز الحقّ ومثال الفضيلة، وشأن الحقّ أن يستمرّ، والفضيلة أن تشتهر.

وقد طبّع آل على (عليه السلام) على الصدق، حتّى كأنّهم لايعرفون غيره، وفطروا على الحقّ فلايتخطّونه قيد شعرة، فهم مع الحقّ، والحقّ معهم، يدور حيثما داروا.

ولقد كانت حركة أخيها الحسين (عليه السلام) المظهر الأتمّ للحقّ، وكانت هى فى هذه النهضة داعيةً للحقّ، هاتفةً باسمه، ونور الحقّ لايُطفأ، وروح الصدق لاتبيد.

ولقد كانت مواقفها بين أُمراء الظلم أُمثولة الحقّ والعدل، حيثما كانت مواقف الظَلَمة أُمثولة العسف والجور، فكانت تحارب القوم بكلّ ثبات وجسارة وإقدام، الأمر الذى لم يقم به أحد من البشر غيرها، فإنّه لمّا أُحيط بها وهى فى هذا الموقف الرهيب، ناداها منادى الحقّ، فهتفت باسمه، وأجابت تلبيته، وحينئذ قالت تخاطب يزيد:

«صدق الله يا يزيد! (**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون**) [الروم: ١٠].

أَظننت يا يزيد! أنّه حين أُخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أنّ بنا هواناً على الله، وأنّ بک عليه كرامة؟ وتوهّمت أنّ هذا العظيم خطرک، فشمخت بأنفک، ونظرت فى عطفيک جذلان

فرحاً، حين رأيت الدنيا مستوسقة لک، والأُمور متّسقة عليک؟ إنّ الله إن أمهلک فهو قوله: (وَلاَيَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [آل عمران: ١٧٨].

أمن العدل يا بن الطُلقاء تخديرک بناتک وإمائک، وسوقک بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله)كالأُسارى؟! قد هُتكت ستورهنّ، وأصحلت أصواتهنّ، مكتئبات تجرى بهنّ الأباعر، وتحدو بهن الأعادى، من بلد إلى بلد، لايراقبن ولايؤوين، يتشوّفهنّ القريب والبعيد، ليس معهنّ قريب من رجالهن! وكيف يستبطأ فى بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنان، والأحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخى ببدر شهدوا؟! غير متأثّم ولا مستعظم، وأنت تنكث ثنايا أبى عبدالله بمخصرتک؟! ولم لاتكون كذلک وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإهراقک هذه الدماء الطاهرة، دماء نجوم الأرض من آل عبدالمطلب، ولتردن على الله وشيكاً موردهم، وعند ذلک تودّ لو كنت أبكم أعمى وأنّک لم تقل: لأهلّوا واستهلّوا فرحاً.. اللّهم خذ بحقّنا، وانتقم لنا ممّن ظلمنا.

يا يزيد، والله ما فريت إلاّ فى جلدک، ولاحززت إلاّ فى لحمک، سترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) برغمک، ولتجدن عترته ولحمته من حوله فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث: (وَلاَتَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: ١٦٩].

وستعلم أنت ومن بوّأک ومكّنک من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم ربّنا، والخصم جدّنا، وجوارحک شاهدة عليک، فبئس للظالمين بدلاً! هنالک تعلم أيّنا شرّ مكاناً وأضعف جنداً! مع أنّى والله أستصغر قدرک، وأستعظم تقريعک، غير أنّ العيون عبرى، والصدور حرّى، وما يجزى ذلک أو يغنى وقد قُتل أخى الحسين.

ألا إنّ حزب الشيطان يقرّبنا إلى حزب السفهاء; ليعطوهم أموال الله عوناً على انتهاک محارم الله، فهذه الأيدى تنطف من دمائنا، وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلک الجثث الزواكى يعتامها عسلان الفلوات، فلئن اتّخذتنا فى هذه الحياة مغنماً، لتجدنّنا عليک مغرماً حين لاتجد إلاّ ما قدّمت يداک، تستصرخ

بابن مرجانة ویستصرخ بک، وتتعاوی وأتباعک عند المیزان، وقد وجدت أفضل زاد تزوّدت به: قتل ذرّیة محمد (صلی الله علیه وآله)! فوالله ما اتّقیت غیر الله، وما شکوت إلاّ لله. فکد کیدک، واسع سعیک، وناصب جهدک، فوالله لایرحض عنک عار ما أتیت إلینا أبداً».

جثمان السیّدة فی مصر

لم أقصد بوضعی هذه الرسالة التی تضمّنت کثیراً من أخبار هذه البضعة النبویة، إقامة الحجّة علی من یستبعد وجود جثمانها الشریف فی مصر، وخاصّةً فی هذا الموضع التی تُزار به الآن، إذ التواریخ[1] لم ترو لنا ذلک، ولم یرد فیها تفاصیل ثابتة تؤیّد هذا القول. وروایة أهل الکشف فی هذا الخصوص تتعلّق بشخصیاتهم; إذ هی من قبیل المشاهدات الروحیة، ولیس لها فی بحثنا هذا مجال، والمقصود: الوقوف مع الحقائق الثابتة المؤیّدة بأدّلة علمیة.

فلهذا کنت قد اعتزمت علی أن لا أخوض هذا البحث; حیطةً من الوقوع فیما لم یرد به نصّ ثابت، فاقتصرت علی ما أوردته من أخبارها التی تضمّ بین دفّتیها أُسلوباً من البلاغة العربیة، والتی تمثّل سلسلة فضائل یتّخذ منها أُنموذجاً ترتکز علیه شعور الأُمم الحیّة، الأمر الذی جعل هذه السیدة الطاهرة فی مصافّ شهیرات النساء.

فلمّا أتممت ما قصدت، وألممت بما إلیه أشرت، مع ما اندرج فی طیّ ذلک من المناسبات بقدر ما وصل إلیه علمی، خطر لی أن أطرق باب البحث مرّةً ثانیةً لعلّی أصل إلی نتیجة تقضی علی هذا الخلاف، لاسیّما ما هو واقع لبعض معاصرینا، فعبثاً حاولت، وما کنت لأملّ أو أشعر بالملل ولی شغف باستجلاء مثل هذه الآثار، فتمادیت فی أبحاثی طویلاً، فأسفرت لی هذه البحوث عن وجود حقائق غامضة لابد وأن یکون وراءها نتائج حسنة، وعزّزت ذلک بما ظهر لی من تضارب أقوال المؤرّخین واضطراباتهم الکثیرة، فکلّفت نفسی بعناء البحث، فصادفتنی

۱. المتناول منها کالمطبوع وبعض المخطوط، وهی أقلیّة سحیقة بالنسبة لما أُلّف منها فی کلّ عصر.

عقبات كثيرة، وكأنّى بدور الكتب المصرية الغاصّة بمئات الألوف من الكتب والأسفار لم يرق فى نظرى منها شيئاً، إذ ما أتطلبه منها مفقود.

كلّ هذه العقبات لم تثنِ من عزمى شيئاً، فزاولت مهنتى التى كرّست حياتى من أجلها، فتصادف أن ابتاعنى بعض الكتبيِّين مجموعةً من الكتب، فجلتُ بنظرى فى بعضها، فإذا بى أجد من بينها رسالةً صغيرة الحجم مخطوطةً، عنوانها: «الرسالة الزينبية لشمس الدين أبى الخير السخاوى المصرى» وكنت أحسبها لأول وهلة رسالة السيوطى[1]، فإذا بى أرى اسم مؤلّف آخر، فتصفّحتها فإذا هى تفوق رسالة السيوطى; لتضمّنها ترجمة السيدة مع إثبات شرف فروعها، وأنّهم يحوزونه ويمتازون به كبقية طوائف الأشراف، فكأنّها زادت على رسالة السيوطى بإيراد شذرة من ترجمة السيدة على نهج مختصر، وقف فيها على استقرار السيدة فى المدينة بعد تجهيزها من الشام عقب محنة أخيها الحسين، ولم يزد على ذلك، فهى وإن كانت جديرة بالعناية فليست بشىء، إذ ينقصها بحثى، فأهملتها.

ثم بعد مرور فترة من الزمن كتبت إلى بعض أصدقائى بالشام، وهم من الذين اعتمد عليهم فى حلّ مثل هذه المشاكل، فكتب إلىّ يخبرنى أنّ المؤرّخ «ابن طولون الدمشقى» له رسالة فى ترجمة السيدة زينب، وأنّها محفوظة بخزانة بعض أصدقائه بنابلس، وعدنى بأن يكتب إليه ويستعيرها منه ويرسلها إلىّ، فلم يمض وقت طويل إلاّ وجاءتنى هذه الرسالة، فإذا هى فى نحو كراسة ونصف ترجم فيها الشقيقة صاحبة الترجمة، السيدة زينب الوسطى المكنّاة بأُم كلثوم، وقال: إنّها المدفونة بالشام، وكانت قد قدمت إليها فى وقعة الحرّة، وترجم لأُختها عرضاً، واستشهد لصحّة ما ذكره بما رواه «ابن عساكر» أنّ السيدة زينب الكبرى قدمت مصر وماتت بها، وأنّ دفينة الشام هذه هى الوسطى، ولا صحّة لما يزعمه أهل دمشق. فاستنسخت منها بعض ما أهمّنى الوقوف عليه، ثم رددتها بالتالى.

١. «المجاجة الزرنيبية فى السلالة الزينبية» منها مخطوط بدار الكتب المصرية، وطُبعت بفاس على القاعدة المغربية، واختصرها هو بنفسه بعض الاختصار فى كتابه «الحاوى فى الفتاوى» وأورد معظمها العدوى فى «النفحات الشاذلية» و«مشارق الأنوار».

وبعد فترة قصيرة من الزمن أرسل إلىّ صاحبى هذا رسالةً عثر عليها فى حلب عند بعض أصدقاء له هناك، عنوانها: «أخبار الزينبات للعبيدلى النسّابة» وذكر لى: إنّک تجد ـ إن شاء الله تعالى ـ فى هذه الرسالة أُنشودتک الضالّة; ولذا فقد سمحت لک باستنساخها، فلمّا تصفّحتها تلمّحت منها ترجمة السيدة زينب الكبرى بنت على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى عنه، وإذا بى أجد فى آخر الترجمة: أنّ السيدة زينب قدمت مصر بعد مصرع أخيها بيسير من الزمن، وماتت بها، ودُفنت بموضع يقال له: الحمراء القصوى حيث بساتين الزهرى...

فنسخت الكتاب ورددته لصاحبى شاكراً له مسعاه، ونظراً لأهمّية هذا الكتاب، استصوبت أن أدرجه هنا بنصّه حرفياً، إذ لايوجد نظيره فى سائر دور الكتب على ماوصل إليه بحثى، وإذ هو الحجر الأول الأساسى الذى قضى على هذا الخلاف القائم بين جمهرة المؤرّخين من قرون عديدة.

فهذه الرسالة مع صغر حجمها هى نفسها الحجّة على من كان يستبعد دخول السيدة إلى مصر، ووفاتها بها، ودفن جثمانها الشريف فى هذا الموضع، على أنّ المؤلّف (رحمه الله) عرف عن الخطّة بهذا التعريف المذكور بحسب ما كان يعرف به فى عصره بين أهل مصر، واستطلعنا التعريف عنه قديماً وحديثاً من الخطط المصرية، وممّا كتبه لى الأستاذ صاحب العزّة مصطفى بک منير أدهم السكرتير العام لمصلحة التنظيم المصرية، أمتع الله بأنفاسه، وسيأتى بيان ذلک مفصّلاً فى محلّه.

وهذه الرسالة المشار إليها، والتى أدرجناها فى كتابنا هذا، نقلناها عن الأصل المرسل لنا من السيد المذكور، كُتبت بتاريخ سنة ۶۷۶ هـ، ومخطوط بخطّ مَن يدعى الحاج محمد البلتاجى الطائفى المجاور بالحرم الشريف النبوى، ومنقول عن أصل مؤرّخ بتاريخ سنة ۴۸۳ هـ مخطوط بخطّ السيد محمد الحسينى الواسطى الأصل، المتوطّن حيدر آباد.

وإنّى لأغتبط سروراً بتناولى هذه الوثيقة التاريخية التى أسعدنى بتناولها التوفيق، كما أنّى أشكر كلّ من تفضّلوا على بمديد المساعدة من أهل الفضل والسداد، وفّقنا الله جميعاً إلى خدمة العلم والدين.

❊ ❊ ❊

أخبار الزينبات

للعلاّمة النسّابة الجليل

أبی الحسن يحيی العبيدلی المتوفّی سنة ۲۸۸ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّی الله علی سيدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلّم.

حدثنا محمد بن سليمان، قال: حدثنی أبو طالب جعفر النقيب، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتح السلمانی، قال: حدثنی الشريف أبو محمد الحسن والشريف مهنّا بن سبيع القرشی، قالا: حدثنا محمد بن يحيی بن الحسن، قال: أملی علیَّ أبی وأنا أكتب: بحمد الله وثنائه نستفتح أبواب رحمته، وبالصلاة والتسليم علی نبيّه الكريم نستمنح الفضل، ونستوهب القرب يوم القرب من حضرته.

وبعد، فهذه رسالة جمعت فی طيّها أخبار الزينبات من آل البيت، والصحابيات اللاتی[1] عرفن بإشارة بعض المنتمين إلی جنابنا لقصد له فی ذلک.

فمن الزينبات:

*** زينب بنت النبی (صلی الله عليه وآله)**

أمّها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزّی بن قصیّ، وكانت أكبر بناته (صلی الله عليه وآله)، زوّجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزّی بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصیّ قبل النبوّة، وكانت أول من تزوّج من بنات رسول الله (صلی الله عليه وآله)، وأُم أبی العاص هالة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزّی. وولدت زينب لأبی العاص علياً وأُمامة، فتوفّی علی وهو صغير، وبقيت أُمامة فتزوّجها علی بن أبی طالب بعد موت فاطمة بنت رسول الله (صلی الله عليه وآله).

---

۱. فی نسخة: اللاتی وقفنا علی أخبارهنّ، كذا بالأصل.

حدثنا أبو عبدالله التميمى، قال: نا نعيم، عن جمال، عن يحيى التمّار، عن سفيان الثورى، عن أبى عبدالحق بن عاصم، عن زرارة، عن على (عليه السلام).

وحدثنى أبى، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن على، عن على بن الحسين، عن على (عليه السلام)، قالا: إنّ زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت تحت أبى العاص بن الربيع، وهاجرت مع أبيها.

وبالسند إلى عامر الشعبى، عن عائشة رضى الله عنها: أنّ أبا العاص كان فى من شهد بدراً مع المشركين، فأسره عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصارى[1]، فلمّا بعث أهل مكة فى فداء أُساراهم، قدم فى فداء أبى العاص أخوه عمرو بن الربيع، وبعثت معه زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وهى يومئذ بمكّة ـ بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار ـ اسم لجبل باليمن ـ وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبى العاص حين بنى بها، فبعثت بها فى فداء زوجها، فلمّا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) القلادة عرفها ورقّ لها، وذكر خديجة وترحّم عليها، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فعلتم» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، وردّوا على زينب قلادتها، وأخذ النبى (صلى الله عليه وآله) على أبى العاص أن يخلّى سبيلها إليه، فوعده ذلك، ففعل.

حدثنى موسى بن عبدالله، قال: حدثنى محمد بن مسعدة، عن أبيه، عن جدّه، عن عمرو بن حزم، قال: توفّيت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أول سنة ثمان من الهجرة.

وبالسند إلى عبدالله بن رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال: كانت أُم أيمن ممّن غسّل زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وبالإسناد إلى أُم عطيّة قالت: لمّا غسّلنا زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضفرنا شعرها ثلاثة قرون، ناصيتها وقرنيها، وألقيناه خلفها، وألقى إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقوةً ـ أو قالت: حقواً ـ وقال: «أشعرنها هذا».

١. والذى فى سيرة ابن هشام: أنّ الذى أسره خرّاش بن الصمّة أحد بنى حرام... إلخ مصحّحه.

*** زینب بنت جحش**

ابن رئاب بن یعمر بن صبرة بن مرّة بن کثیر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزیمة، أُمّها أُمیمة بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف.

أخبرنا الحسین بن جعفر، قال: حدثنا سلمة بن شبیب، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبیه، قال: کانت زینب ممّن هاجر مع رسول الله (صلی الله علیه وآله)، وکانت امرأةً جمیلةً، فخطبها رسول الله (صلی الله علیه وآله) علی زید بن حارثة، فقالت: یا رسول الله، لا أرضاه لنفسی وأنا أیم قریش، قال: «فإنّی قد رضیته لک». فتزوّجها زید بن حارثة.

حدثنی جدّی بسنده إلی علی بن الحسین، عن أبیه، قال: جاء رسول الله (صلی الله علیه وآله)ببیت زید بن حارثة یطلبه فلم یجده، فقامت إلیه زینب بنت جحش، وقالت له: لیس هو هاهنا یا رسول الله، فادخل بأبی أنت وأمی، فأبی رسول الله (صلی الله علیه وآله) أن یدخل وولّی معلناً بالتسبیح، یقول: «سبحان الله العظیم، سبحان مصرِّف القلوب». فجاء زید إلی منزله فأخبرته امرأته أنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) أتی منزله، فقال زید: ألا قلت له أن یدخل؟ قالت: قد عرضت ذلک علیه فأبی، قال: أفسمعت منه شیئاً؟ قالت: سمعته حین ولّی یقول: «سبحان الله العظیم، سبحان مصرِّف القلوب».

فجاء زید حتّی أتی رسول الله (صلی الله علیه وآله)، فقال: یا رسول الله، بلغنی أنّک جئت منزلی، فهلاّ دخلت بأبی أنت وأمی یا رسول الله، لعلّ زینب أعجبتک أفأُفارقها؟ فقال له رسول الله (صلی الله علیه وآله): «أمسک علیک زوجک». فما استطاع زید إلیها سبیلاً بعد ذلک الیوم، وکان یأتی إلی رسول الله (صلی الله علیه وآله) فیخبره، فیقول له: «أمسک علیک زوجک»، ففارقها زید واعتزلها وحلّت. قال: فبینما رسول الله (صلی الله علیه وآله) جالس یتحدّث مع عائشة أخذته غشیة، فسری وهو یتبسّم، ویقول: «مَن یذهب إلی زینب یبشّرها أنّ الله قد زوّجنیها فی السماء» وتلا: (**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ**) [الأحزاب: ٣٧].

قالت عائشة: فأخذنى ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وما هو أعظم من هذا مفاخرتها علينا بما صنع لها، زوّجها الله من السماء، فخرجت سلمى خادمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحدثتها بذلک، فأعطتها أوضاحاً عليها.

وبالإسناد المرفوع إلى ابن عباس رضى الله عنهما، قال: لمّا أُخبرت زينب بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها سجدت.

وعن محمد بن عبدالله بن جحش، قال: قالت زينب بنت جحش: لمّا جاءنى الرسول بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إيّاى جعلت لله علىّ صوم شهرين، فلمّا دخل علىَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كنت لا أقدر أصومهما فى حضر ولا سفر تصيبنى فيه القرعة، فلمّا أصابتنى فى المقام صمتهما.

وعن ثابت بن أنس قال: نزلت فى زينب بنت جحش: (**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا**) [الأحزاب: ٣٧] فكانت لذلک تفتخر على نساء النبى (صلى الله عليه وآله).

وعن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش امرأةً قصيرةً، صنَّاعة اليد، تدبغ وتخرز، وتتصدّق فى سبيل الله.

وعن الشعبى قال: سأل النسوة رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيّنا أسرع بک لحوقاً؟ قال: «أطولكنّ يداً» فلمّا توفِّيت زينب علمن أنّها كانت أطولهنّ يداً فى الخير والصدقة.

ماتت زينب بنت جحش فى خلافة عمر بن الخطاب، وصلّى عليها عمر، وقالوا له: من ينزل فى قبرها؟ قال: من كان يدخل عليها فى حياتها.

حدثنى الزبير بن أبى بكر، عن محمد بن إبراهيم بن عبدالله، عن أبيه، قال: سئلت أُم عكاشة بنت محصن: كم بلغت زينب يوم توفِّيت؟ فأجابت: قدمنا المدينة للهجرة وهى بنت بضع وثلاثين سنة، وتوفِّيت سنة ٢٠.

* زينب بنت عقيل بن أبى طالب أُمها أُم ولد، وكانت فيما رويناه أسنّ بنات عقيل، وأوفرهنّ عقلاً.

*** زینب الکبری بنت علی بن أبی طالب**

أُمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلی الله علیه وآله)، ولدت فی حیاة جدّها (صلی الله علیه وآله)، وخرجت إلی عبدالله بن جعفر، فولدت له أولاداً ذکرناهم فی کتاب النسب.

أخبرنی أبو الحسن ابن جعفر الحجّة، قال: أخبرنی عبّاد بن یعقوب، عن یحیی بن سالم، عن صالح بن أبی الأسود، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبیه، عن علی بن الحسین، قال: إنّی والله لجالس مع أبی الحسین عشیّة مقتله وأنا علیل، وهو یعالج ترساً له، وبین یدیه «جون» مولی أبی ذرّ، فسمعته یرتجز فی خبائه ویقول:

یا دهر أُفٍّ لک من خلیل***کم لک بالإشراق والأصیل
من طالب أو صاحب قتیل***والدهر لایقنع بالبدیل
والأمر فی ذلک للجلیل***وکلّ حی سالک السبیل

قال: أمّا أنا فسمعته ورددت عبرتی، وأمّا زینب عمّتی فسمعته دون النساء، فلزمها الرقّة والجزع، فخرجت حاسرةً تنادی: واثکلاه! واحزناه! لیت الموت أعدمنی الحیاة، یا حسیناه! یا سیّداه، یا حبیباه، یا بقیة الماضین وثمال الباقین! بئست الحیاة، الیوم مات جدّی وأُمی، وأبی وأخی، فسمعها الحسین، فقال لها: یا أُختاه! لایذهبنّ بحلمک الشیطان، والله یا أُختاه، لو تُرک القطا لنام، فقالت: ما أطول حزنی، وما أشجی قلبی! ثم خرت مغشیّاً علیها، فلم یزل یناشدها ویواسیها حتّی احتملها وأدخلها الخباء.

حدثنی إبراهیم بن محمد الحریری، قال: حدثنی عبدالصمد بن حسّان السعدی، عن سفیان الثوری، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبیه، عن الحسن بن حسن، قال: لمّا حملنا إلی یزید وکنّا بضعة عشر نفساً، أمر أن نسیر إلی المدینة، فوصلناها فی مستهلّ[1] وعلی المدینة عمرو بن سعید الأشدق، فجاء عبدالملک بن الحارث السهمی فأخبره بقدومنا، فأمر أن ینادی فی أسواق

۱. کذا بالمخطوط، ویبدو أنّ بهذا الموضع سقطاً.

المدينة: ألا إنّ زين العابدين وبنى عمومته وعمّاته قد قدموا إليكم، فبرزت الرجال والنساء والصبيان، صارخات باكيات، وخرجت نساء بنى هاشم حاسرات تنادى: واحسيناه، واحسيناه! فأقمنا ثلاثة أيام بلياليها ونساء بنى هاشم وأهل المدينة مجتمعون حولنا.

حدثنا زهران بن مالک، قال: سمعت عبدالله بن عبدالرحمن العتبى، يقول: حدثنى موسى بن سلمة، عن الفضل بن سهل، عن على بن موسى، قال: أخبرنى قاسم بن عبدالرازق وعلى بن أحمد الباهلى، قالا: أخبرنا مصعب بن عبدالله، قال: كانت زينب بنت على وهى بالمدينة تألّب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين، فلمّا قام عبدالله بن الزبير بمكة، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين، وخلع يزيد، بلغ ذلک أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلّبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلک عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه أن فرِّق بينها وبينهم، فأمر أن ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء. فقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيِّرنا، وانسقنا كما تُساق الأنعام، وحُملنا على الأقتاب، فوالله لاخرجنا وإن أُهريقت دماؤنا، فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه! قد صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، فطيبى نفساً، وقرّى عيناً، وسيجزى الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً؟ ارحلى إلى بلد آمن، ثم اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلطّفن معها فى الكلام وواسينها.

وبالإسناد المذكور مرفوعاً إلى عبيدالله بن أبى رافع، قال: سمعت محمداً أبا القاسم ابن على يقول: لمّا قدمت زينب بنت على من الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان ثارت فتنةٌ بينها وبين عمرو بن سعيد الأشدق والى المدينة من قَبل يزيد، فكتب إلى يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب له بذلک، فجهّزها هى ومن أراد السفر معها من نساء بنى هاشم إلى مصر، فقدمتها لأيام بقيت من رجب.

حدثنى أبى، عن أبيه، عن جدّى، عن محمد بن عبدالله، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن، قال: لمّا خرجت عمّتى زينب من المدينة خرج معها من نساء بنى هاشم: فاطمة ابنة عم الحسين، وأُختها سكينة.

وحدثنى أبى، قال: روينا بالإسناد المرفوع إلى على بن محمد بن عبدالله، قال: لمّا دخلت مصر فى سنة ۴۵ سمعت عسامة المعافرى، يقول: حدثنى عبدالملک بن سعيد الأنصارى، قال: حدثنى وهب بن سعيد الأوسى، عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصارى، قال: رأيت زينب بنت على بمصر بعد قدومها بأيام، فوالله ما رأيت مثلها، وجهها كأنّه شقّة قمر!

وبالسند المرفوع إلى رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهرى، قالت: كنت فى من استقبل زينب بنت على لمّا قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدّم إليها مسلمة بن مخلد وعبدالله بن الحارث وأبو عميرة المزنى، فعزّاها مسلمة وبكى، فبكت وبكى الحاضرون، وقالت: (**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**) ثم احتملها إلى داره بالحمراء، فأقامت بها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وتوفّيت وشهدتُ جنازتها، وصلّى عليها مسلمة بن مخلد فى جمع بالجامع، ورجعوا بها فدفنوها بالحمراء بمخدعها من الدار بوصيّتها.

حدثنى إسماعيل بن محمد البصرى ـ عابد مصر ونزيلها ـ قال: حدثنى حمزة المكفوف، قال: أخبرنى الشريف أبو عبدالله القرشى، قال: سمعت هند بنت أبى رافع بن عبيدالله بن رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهرى، تقول: توفِّيت زينب بنت على عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ۶۲ من الهجرة، وشهدتُ جنازتها، ودُفنت بمخدعها بدار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى، حيث بساتين عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى.

*** زينب الوسطى بنت على بن أبى طالب**

أُمها وأُم إخوتها الحسن والحسين ومحسن وزينب الكبرى ورقيّة: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

حدثنا موسى بن عبدالرحمن، قال: حدثنى موسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، عن أبيه، عن جدّه، قال: ولدت زينب قبل وفاة النبى (صلى الله عليه وآله)، وسمّتها أُمها زينب، وكنّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أُم كلثوم، ولمّا خطبها عمر بن الخطاب من أبيها، فوّض أمرها إلى العباس، فزوّجها عمر، فولدت له زيداً ورقيّة، فقُتل زيد فى حرب كانت فى بنى عدىّ ليلاً، وكان قد خرج للاصلاح بينهم، ضربه خالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب فى الظلام ولم يعرفه، فصُرع، وعاش أياماً ومات هو وأُمه فى وقت واحد، ولم يعقّب، فلم يدر أيّهما مات قبل الآخر، فلمّا وضع للصلاة قدِّم زيد قبل أُمه ممّا يلى الإمام، وصلّى عليهما عبدالله بن عمر بن الخطاب وسعيد بن العاص أمير الناس.

وعاشت رقيّة، وتزوّجت إبراهيم بن عبدالله النحام ابن أسد بن عبيد بن عولج بن عدى بن عمر بن الخطاب.

*** زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب**

أُمها أُم ولد، تزوّجت ابن عمّها محمد بن عقيل، فولدت له القاسم وعبدالله وعبدالرحمن، أعقب منهم عبدالله، وماتت زينب بالمدينة.

*** زينب بنت الحسن بن على بن أبى طالب**

خرجت إلى على بن الحسين، فولدت له محمد بن على الباقر وأخاه عبدالله.

حدثنى محمد بن القاسم، قال: أول من اجتمعت له ولادة الفرعين من العلويّين: محمد الباقر وأخوه عبدالله، فإنّ أُمهما زينب بنت الحسن بن على.

*** زينب بنت على زين العابدين ابن على بن أبى طالب**

حدثنى عمى الحسين بإسناده، قال: إنّ علياً زين العابدين له زينب. قال: وماتت بالمدينة وأُمهما أُم ولد.

*** زينب بنت عبدالله الكامل**

ابن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط، خرجت إلى على العابد ابن الحسن المثلّث ابن الحسن المثنّى، وكان يقال لها: الزوج الصالح، وهى أُم الحسين بن على صاحب فخّ، وأُمها هند بنت أبى عبيدة.

*** زينب بنت خزيمة بن الحارث**

ابن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة أُم المساكين، زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سمِّيت بذلک فى الجاهلية، وكانت عند الطُفيل بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف، فتزوّجها عبيدة بن الحارث فقُتل عنها يوم بدر.

حدثنى أبى، عن أبيه، عن جدّه، قال: روينا عن محمد بن بشير، قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) زينب بنت خزيمة الهلالية أُم المساكين، فجعلت أمرها إليه، فتزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصدقها اثنتى عشرة أُوقية، فتزوّجها فى رمضان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، ومكثت عنده ثمانية أشهر.

وتوفّيت فى آخر شهر ربيع الآخر على رأس مضى ۳۹ شهراً من الهجرة، وصلّى عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودفنها بالبقيع.

*** زينب بنت يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب**

أُمها أُم ولد.

حدثنى أبو جعفر الحسين، عن محمد بن يحيى العثمانى، قال: كنت بمصر حين قدمت زينب بنت يحيى مع عمّتها نفيسة بنت الحسن، قال: سألتها: كم لک فى خدمة عمّتک نفيسة؟ قالت: أربعين سنة.

ماتت زينب بنت يحيى بمصر، ولا عقب لها.

*** زينب بنت عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب**

تزوّجها سليمان بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب، فولدت له محمداً، وله عقب.

*** زينب بنت عيسى الجون**

ابن عبدالله الكامل ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

تزوّجها محمد بن جعفر الأمير، فولدت له عيسى وإبراهيم وداود وموسى، لهم أعقاب كثيرة.

*** زينب بنت الحسن المثنّى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب**

أُمها أُم ولد تُدعى حميدة، تزوّجها الحسن بن زيد بن الحسن بن على، فولدت له القاسم ومحمداً ويحيى وأُم كلثوم وسلمة وبها كانت تكنّى، وللقاسم عقب من ولديه: محمد وعبدالرحمن. ماتت زينب بنت الحسن المثنّى بالمدينة سنة ١٦٠ هـ.

*** زينب بنت القاسم الطيب ابن محمد المأمون ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر**

أُمها أُم الذرّية بنت موسى الكاظم، تُدعى فاطمة، قدمت مصر هى وأبوها وجماعة من بنى عمومتها على أحمد بن طولون.

*** زينب بنت موسى الكاظم**

حدثنى جدى، قال: أحسب أنّ زينب بنت موسى الكاظم هاجرت إلى مصر مع زوج أُختها القاسم بن محمد بن جعفر الصادق.

ورأيت بخطّ عمّى الحسين: كان فى من هاجر إلى مصر، ومعه جماعة من الأشراف: القاسم الطيّب، وزينب بنت موسى الكاظم، وسمّى آخرين.

*** زينب بنت محمد الباقر ابن على زين العابدين**

تزوّجها ـ فيما رويناه ـ عبيدالله بن أبى القاسم محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، وأُمها أُم ولد، ولا عقب لها. وأُم عبيدالله: خديجة ابنة على بن الحسين.

*** زينب بنت أحمد بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب**

قال أبو القاسم بن الحنفية: ذكر لنا جعفر بن الحسن: أنّها دخلت مصر هى وأخ لها يدعى محمداً فى سنة ٢١٢ مائتين واثنتى عشرة، أو قال: وثلاث عشرة.

*** زينب بنت القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب**

أُمها أُم ولد، وأُم القاسم بن الحسن: أُم سلمة زينب بنت الحسين المثنّى ابن الحسن السبط. خرجت إلى عبدالله بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب، ولها عقب.

*** زينب بنت عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح**

خرجت إلى عبدالله بن عمر بعد وفاة أبيها، زوّجه إياها عمّها قدامة بن مظعون، فأرغبه المغيرة بن شعبة فى الصداق، فكرهت الجارية النكاح وأعلمت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فردّ نكاحها، فنكحها المغيرة بن شعبة.

*** زينب بن مظعون بن حبيب بن وهب أُخت عثمان بن مظعون**

تزوّجها عمر بن الخطاب، فولدت له عبدالله بن عمر، وحفصة أُم المؤمنين زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله).

*** زينب بنت عمر بن الخطاب**

أُمها أُم ولد تُدعى فكيهة

روينا عن الزبير بن بكّار وغيره: تزوّج عمر فكيهة امرأةً من اليمن، فولدت له عبدالرحمن وزينب، وهى أصغر ولد عمر.

*** زينب بنت صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غنم بن كعب بن مسلم**

أُمها نائلة بنت قيس بن النعمان بن سنان. تزوّجها الحبّاب بن المنذر ابن الجموح، فولدت له خشرماً والمنذر، أسلمت زينب وبايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

*** زينب بنت الحبّاب بن الحارث بن عمرو بن عوف بن مبذول من بنى النجّار**

تزوّجها قيس بن عمرو من بنى ثعلبة ابن الحارث بن زيد، فولدت له سعيد بن قيس، وكانت ممّن بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله).

*** زينب بنت أبى سلمة بن عبدالأسد بن هلال**

مخزومية من بنى مخزوم، أُمها أُم سلمة بنت أبى أُمية بن المغيرة، زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله). تزوّجها عبدالله بن زمّعة، فولدت له عبدالرحمن ويزيد ووهباً وأبا سلمة وكبيراً وأبا عبيدة وقرينة وأُم كلثوم وأُم سلمة وكان اسمها برّة، فسمّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) زينب، روت عن أُمها، وعنها عروة بن الزبير، وكان أخاً لها من الرضاعة، وأرضعتها أسماء بنت أبى بكر. توفّيت بالمدينة ودُفنت بالبقيع وصلّى عليها طارق أمير الناس وعبدالله بن عمرو، هى وأخواتها: عمرة ودرّة وسلمة، ربائب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

***زينب بنت المهاجر الأحمسية أُخت جابر بن المهاجر**

روى عنها عبدالله بن جابر.

*** زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبى عقيل أُخت الحجّاج الثقفى**

زوّجها الحجّاج من ابن عمه الحكم بن أيوب، وولاّه البصرة.

*** زينب بنت نبيط بن جابر بن مالک بن زيد بن النجّار**

أُمها الفريعة بنت سعد بن زرارة، تزوّجها أنس بن مالک.

*** زينب بنت كعب بن عميرة**

روت عن الفريعة بنت مالک بن سنان، وهى أُخت أبى سعيد الخدرى.

*** زينب امرأة قيس بن أبى حازم**

روت عن عائشة رضى الله عنها، وروى عنها زوجها قيس بن أبى حازم.

*** زينب بنت الحارث**

أُخت أسماء بنت عميس لأُمها، وأُم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله).

*** زينب بنت عمر بن أبى سلمة المخزومى**

أُم عمرو بن مروان بن الحكم; أبو حفص الأموى.

*** زينب بنت الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة**

أُمها زائفة بنت الحارث بن جبيلة، ولدت ببلاد الحبشة، وماتت بها.

*** زينب بنت الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصىّ**

تزوّجها يعلى بن منية بنت الحارث بن جابر من بنى مازن بن منصور، ومنية أُمه وإليها نُسب، وأبوه أُمية بن أبى عبيدة من بنى زيد بن مالک بن حنظلة.

وجاء يعلى بابنه من زينب بنت الزبير، فدخل به على النبى (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، بايعه على الهجرة، فقال: «لا هجرة بعد الفتح». ولمّا ماتت امرأته زينب وجد عليها وجداً شديداً، ورثاها بقوله:

بوجهک عن مسّ التراب مضنةٌ***فلاتبعدينى كلُّ حى سيذهب
تنّكرت الأبواب لمّا دخلتها***وقالوا ألا قد بانت اليوم زينب
أأذهب قد خليت زينب طائعاً***ونفسى معى لم ألقها حيث أذهب

وكان ليعلى ابنٌ يقال له: عبدالله، وكان ينزل عليه إذا أتى مكة، وكان على بن أبى طالب يقول فى يعلى: «هو أنضى الناس» يعنى: أكثرهم مالاً.

هذا ما أملاه علىّ والدى يحيى بن الحسن أمير المدينة وابن أميرها رضى الله تعالى عنه وعن آبائه الطاهرين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

ملحق (٢)

مالك الأشتر

مالک الأشتر[۱]

قال فیه الإمام علی: «کان لی کما کنت لرسول الله (صلی الله علیه وآله)»، وقضی حیاته لنصرة أهل البیت (علیهم السلام). ولمّا کانت مصر کلّها موالیة لأهل البیت ما عدا قریة «خربتا» ـ ومنها ثار المسلمون فی وجه الظلم الأموی ـ ونظراً لأهمّیتها فی العالم الإسلامی، کان الجیش المعادی للإمام علی یحاول بشتّی الطرق أن لاتستمرّ فیها حکومة الإمام وولاته، وکان للإمام علی (رضی الله عنه) فیها أربعة ولاة، هم کالآتی:

أولاً: محمد بن أبی حذیفة (اغتیل).

ثانیاً: قیس بن سعد بن عبادة الخزرجی (استدعاه الإمام علی (علیه السلام) للمشارکة فی حرب صفین).

ثالثاً: مالک الأشتر، الذی قُتل مسموماً، وکان آخرهم.

ولّی الإمام علی (علیه السلام) مالک الأشتر مصر فی عام ۳۷ هـ، ولمّا أُخبر بذلک معاویة أرسل رسولاً إلی والی قلزم بأنّه سیعفیه عن الخراج ما دام حیّاً إذا تمکّن من اغتیال مالک، ولمّا نزل مالک القلزم أکرمه غایة الإکرام، ثم سقاه شربة عسل مات علی أثرها، وأبلغ معاویة بذلک، فقال: کان لعلی یمینان: قُطع أحدهما بصفّین، والآخر فی القلزم. یعنی بالأول الصحابی عمار بن یاسر، وبالثانی مالک الأشتر رضی الله عنهما.

قال فی صبح الأعشی ج۳ ص۳۱۹ ما نصّه: ثم ولیها (مصر) عنه أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) مالک بن الحارث النخعی المعروف بالأشتر، فی وسط سنة سبع وثلاثین، وکتب له عنه عهداً یأتی ذکره فی الکلام علی العهود، فسُمَّ ومات قبل دخوله إلی مصر، انتهی.

---

۱. مقتبس من کتاب الأستاذ محمد حسین الحسینی الجلالی: «مزارات أهل البیت وتاریخها» ط. مؤسسة الأعلمی، بیروت.

قال الجلالى: أورد العهد فى ج١٠، ص١٢ وقد روى العهد بأسانيد متعدّدة،استوعبنا البحث حوله فى مستند نهج البلاغة، فليراجع.

ولايخفى أنّ مراد المقريزى بقوله: مصر هو خصوص القاهرة وحدها، ولايزال هو المتبادر اليوم عند المصريّين أنفسهم، ففى عام زيارتى لها (١٣٨٦ هـ) كان المصريون يعنون بمصر خصوص القاهرة، على خلاف غير المصريّين فإنّهم يعنون بمصر دولة مصر.

وأمّا مرقد مالک، فقد عرفت أنّ المؤرّخين صرّحوا بأنّه نزل القلزم وتوفّى بها مسموماً، وقبره اليوم خارج القاهرة فى منطقة تسمّى: القلج، وتبعد حوالى عشرة كيلومترات عن القاهرة، والقبر عامر مشيَّد، عليه قبّة عالية، وعلى القبر الشريف لوحة نصّها كالآتى:

تلک آثارنا تدلّ علينا***فانظروا بعدنا إلى الآثار

سيدنا مالک الأشتر النخعى هو مالک بن الحارث النخعى الكوفى، أحد الأبطال المشهورين من شيعة الإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه، وكان جليل القدر، متقدّماً عند الخليفة وتابعيه، ورئيس قومه، وكان ممّن شهد واقعة الجمل وصفّين، ولاّه عمر بن الخطاب[1] (رضى الله عنه) على مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة، فلمّا وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات رحمة الله عليه رحمة واسعة، فقد مات سعيداً وعاش حميداً، وكانت وفاته سنة ٣٧ هجرية وحفظ الأثر الجليل.

قد أبدع وأودع هذه العلاّمة عبدالرسول الشيرازى المقيم بمصر، أعانه الله وإيّانا لما يحبّ ويرضى، وهو حسبنا ونعم الوكيل فى سنة ١٣٤٣ هجرية، انتهى.

ولنجعل هذا المزار ختام المسک لمزارات أهل البيت فى القاهرة، عسى أن يقيّض إليه بعض ذوى الهمّة فى التتبّع والتحقيق عن سائرها، وخاصّةً بعض أهلها، فإنّ أهل البيت هم أدرى بما فى البيت.

* * *

١. كذا.

ملحق (٣)

محمد بن أبى بكر (رضى الله عنه)

محمد بن أبى بكر (رضى الله عنه)[١]

هو ابن الخليفة الأول أبى بكر (رضى الله عنه)، وأُمه أسماء بنت عميس الخثعمية، تزوّجها جعفر بن أبى طالب، فلمّا مات تزوّجها أبو بكر، ولمّا مات تزوّجها الإمام على، وقد ولاّه الإمام على بن أبى طالب على مصر فى رمضان عام ٣٧ هـ ، قال القلقشندى فى قلائد الجمان ص١٤٣ ما نصّه: وكان من نسّاك قريش، وأُمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولاّه عثمان (رضى الله عنه) فى خلافته مصر، ثم ولاّه له أيضاً على فى خلافته، بعد مرجعه من صفّين، فجرى بينه وبين عمرو بن العاص حرب، انتهت به الحال فيه، إلى أن هرب محمد بن أبى بكر، فيقال: إنّه وجد حماراً ميّتاً، فدخل فى جوفه، فوجد فأُحرق فيه فمات، وقيل: بل قُتل ثم جُعل فيه، وأُحرق، وذلک فى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، انتهى.

وكان عمرو بن العاص من ولاة مصر الذين هربوا منها حين ثار المصريون ناقمين عليه، واتّصلوا بعثمان وجرى ما جرى.

فاتّصل بمعاوية واشترط عليه ولاية مصر، ولم ينفكّ من الدسائس حتّى دخلها على رأس جيوش الشام، واقتتلوا قتالاً شديداً، ولمّا أُسر محمد بن أبى بكر فى جمع من أصحابه طلب الماء، فقال معاوية بن خديج: لا سقانى الله إن سقيتک قطرةً أبداً! إنّكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنّک حتّى يسقيک الله من الحميم الغسّاق.

١. مقتبس عن كتاب «مزارات أهل البيت وتاريخها» ط. بيروت.

فقال محمد بن أبى بكر: يا بن اليهودية النسّاجة، ليس ذلک إليک، إنّما ذلک إلى الله يسقى أولياءه، ويظمئ أعداءه أنت وأمثالک، أما والله لو كان سيفى بيدى لما بلغتم من هذا.

فقال ابن خديج: أتدرى ما أصنع بک؟ أدخلک جوف حمار ثم أُحرقک بالنار!

فقال محمد بن أبى بكر: إن فعلت بى ذلک، فطالما فعلتم ذلک بأولياء الله تعالى، وإنّى لأرجو أن يجعلها عليک وعلى أوليائک: معاوية وعمرو ناراً تلظّى، كلّما أُطفئت زادها الله سعيراً.

ثم قتله ابن خديج وألقاه فى جيفة حمار ثم أحرقه بالنار، كما فى الكامل لابن الأثير: ج٣ ص١٨٠.

وقد دُفن رأس محمد بن أبى بكر فى المكان المعروف اليوم بـ (جامع محمد الصغير) بشارع الوداع بمصر القديمة، تزوره العامة وتقرأ الفاتحة.

وقد جاء فى وصف الجامع وصفاً دقيقاً فى كتاب مساجد مصر للدكتورة سعاد ماهر، طُبع سنة ١٣٩٣ هـ ، وإليک نصّ كلامها بطوله: يقع هذا المسجد فى مصر القديمة، بشارع باب الودائع، قريباً من الباب عن يسرة السالک نحو الشرق إلى باب الوداع، وبجوار قبر منهدم يعرف بالكردى، ويعرف الجامع باسم (محمد الصغير) كما كان يعرف باسم (زمام)، وذلک أنّه بعد مضىّ مدّة من قتله أتى زمام مولى محمد بن أبى بكر إلى الموضع الذى دُفن فيه، وحفر، فلم يجد سوى الرأس، فأخذه ومضى به إلى المسجد المعروف اليوم بمسجد زمام، فدفنه فيه وبنى عليه المسجد. ويقال إنّ الرأس مدفون فى القبلة، وبه سمِّى مسجد زمام.

وقيل: لمّا شقّ بعضٌ أساس الدار التى كانت لمحمد بن أبى بكر وجد رمّة رأس قد ذهب فكّه الأسفل، فشاع فى الناس أنّه رأس محمد بن أبى بكر، وتنادر الناس، ونزلوا الجدار وموضعه قبلة المسجد القديم، كما حفر محراب مسجد زمام، وطلب الرأس منه فلم يُوجد، وحفرت أيضاً الزاوية الشرقية من هذا المسجد والمحراب القديم المجاور له، والزاوية الغربية، فلم يجدوا شيئاً، على أنّه

مهما قيل فى وجود رأس محمد بن أبى بكر فى المحراب أو فى جدار بيته، فإنّه من الثابت أنّ مشهده موجود فى مكان المسجد المعروف باسمه بمصر القديمة الآن، فقد جاء فى الكواكب السيارة:أنّ أكثر قبور أهل مصر فيها الاختلاف، ولم يكن بمصر أصحّ من قبر مسلمة بن مخلد، ومشهد محمد بن أبى بكر الصدّيق، ومشهد زين العابدين، ومشهد عفّان، كذلك الأسعد النسّابة فى تاريخه (مشاهد الرؤوس)، وذكر من بينها مشهد رأس محمد بن أبى بكر.

وقد أُعيد بناء المسجد فى القرن التاسع الهجرى سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦م) فى عهد السلطان الأشرف برسباى، على يدى المعزّ تاج الدين الشوكلى الشامى والى القاهرة، وأُقيمت فيه صلاة الجمعة وباقى الأوقات، وعمل فيه السماعات، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء عند أهل مصر. ثم جدِّد فى العصر العثمانى سنة ١٢٨٧ هـ على يدى سعادة محمد باشا أمير، كما هو ثابت من اللوحة التى تعلو المدخل الرئيسى.

ويعتبر المسجد من الجوامع المعلَّقة، إذ يصعد إليه بمجموعة من الدرجات، ويقع المدخل الرئيسى فى الجهة الشمالية المواجهة لحائط القبلة، ويتكوّن من عقد كبير مرتفع ذى ثلاثة فصوص، ملىء تجويفه بمجموعة من الدلايات المنحوتة فى الحجر، والمسجد من الداخل مغطّىً كلّه، وفى الركن الشمالى الغربى منه توجد غرفة الضريح التى ترجع عمارتها إلى العصر المملوكى، وهى عبارة عن مربّع تحيط به أربعة عقود، وكانت تعلوها قبّة سقطت هى والجزء العلوى من المئذنة إثر زلزال أطاح بها. والسقف مغطّىً الآن بألواح خشبية، وتعلو المئذنة مدخل المسجد، وتتكوّن من ثلاث دورات: الأُولى مربّعة، والثانية مثمّنة، وبكلّ وجهة من أوجه المثمّن تجويف مخلّق، فى جانبيه عمودان، وبه فتحة واحدة يتقدّمها شرفة للمؤذّن، ويفصل بين الدورة الثانية والثالثة شرفة خشبية. أمّا الدورة الثالثة فهى مجدّدة، وترجع إلى العصر العثمانى، وهى تشبه المسلّة أو طرف قلم الرصاص، انتهى.

الفهارس الفنّيّة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن

فهرس الآيات

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) ٨٦، ١٢٧
(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ٤٠، ٤١، ٤٢، ١٠٥، ١٠٦
(أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً) ١٢٦
(أَلَمْ نَشْرَحْ) ١٢٧
(اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ) ١٣٢
(اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) ١٦٢
(تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ) ٣٣٤
(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) ٤٤٣
(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) ٢٢٧
(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا) ٤٥٢
(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ) ١٦٨، ٣٠٩
(قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) ٣٩، ٤٦، ١٣٢، ١٧٤، ٤٢٤
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ٤٢٥
(لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٢٤٥
(لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ) ٤١٩
(مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ) ١٧٣، ٣٠٩
(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ٤٢٨
(هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) ١٧٩، ٤٥٥
(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ٤٢٥
(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ) ٤٥٢

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمناً وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ) ٢٢٧
(وَالَّذِينَ جَاؤُوا من بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا) ٤١٧
(وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَيَكُونُوا أَمْثَالَكُم) ٢٢٢
(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) ١٧٦
(وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً) ٤٢٠
(وَلاَتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ١٧١، ٤٤٤
(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ) ١٧٠، ٢٧٨، ٤٤٤
(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) ٢٧٧
(وَمَا أَصَابَكُم من مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) ١٧٣، ٣١٠
(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً) ١٤٥
(ومن ذرّيته عيسى) ٤٩
(يَا بَنِى آدَمَ) ٤٩
(يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) ٤٩

فهرس الأحاديث

أبالموت تخوّفنى؟، ١٩٧
أتامروننى أن أطلب النصر بالجور، ١٩٢
أتطلبوننى بقتل منكم قتلته؟، ١٩٨
أثبتكم على الصراط أشدّكم حبّاً، ٣٦
أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم، ٤٢٦، ٤٢٨
إذا استحال هذا التراب دماً، ١٤٧
أُذكركم الله فى أهل بيتى، ١٨٤
اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا، ٥١
أصبحت ولى ربّ فوقى، ١٤٣
أعرف ذلک يا أبى، ١٨٨
إعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله، ١٤٣
أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان، ١٣٦
أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم، ٢١٧، ٣٥٧
ألا ترون الحقّ لايُعمل به، ١٩٥
ألا وقد نهيتكم عن زيارة القبور، ٤٢٢
الحسين منى وأنا منه، ١٠٩
الحمد لله الذى أكرمنا بنبيّه، ١٦٠، ٢٧٥
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، ١٧٠
الحمد لله عدد الرمل والحصى، ١٥٦
الزموا محبّتنا أهل البيت، ٣٥
ألست ابن بنت نبيكم؟، ١٩٨

اللّهم اجعل غنائی فی نفسی، ۱۴۰
اللّهم إنّا نرغب إلیک فی دولة کریمة، ۲۴
اللّهم أوسع علیَّ من رزقک الحلال، ۱۴۱
اللّهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتک وبرکاتک، ۴۰
اللّهم هؤلاء أهل بیتی، فاذهب عنهم الرجس، ۴۰
المرء مع من أحب، ۷۳
المعروف بقدر المعرفة، ۱۳۹
إلهی، أنعمتنی فلم تجدنی شاکراً، ۱۴۰
إلهی وسیدی ومولای: متِّعنی برضاک عنّی، ۲۴۵
أمسک علیک زوجک، ۴۵۲
أُمی خیر من أُمّه، ۱۶۸، ۳۰۹
أنا علی بن الحسین، ۱۶۱، ۲۰۵
أنتما سیّدا شباب أهل الجنة، ۱۶۸
أنت منّی بمنزلة هارون من موسی، ۴۳، ۱۳۵
إنّ الله یتوفّی الأنفس حین موتها، ۲۰۵
إنّ أمتک ستقتله، وإن شئت أریتک، ۱۴۵، ۱۹۳
إنّ جبریل أخبرنی أنّ ابنی هذا، ۱۴۵
إن رأیتم أن تطلقوا لها اسیرها، ۴۵۰
إنّکم ستفتحون أرضاً یُذکر فیها القیراط، ۱۷۸
إنّکم ستفتحون مصر، وهی أرض یسمّی فیها القیراط، ۷۱، ۱۷۸
إنّی أوشک أن أُدعی فأُجیب، ۷۳
إیاکم والمثلة ولو بالکلب العقور، ۱۹۲، ۲۷۴
إیاک وما یعتذر منه، ۱۴۳
أیّها الناس، من عرفنی فکفی، ۱۵۷
أیّ الأعمال أفضل، ۱۳۹

ثلمة الدين موت العلماء، ١٩٠
جعل الله فيک الخير يا زينب، ١٨٧
جعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، ٤٢٢
حبيباه! يا ابن أخاه! يا ولدی، ١٩٧
حوائج الناس إليكم من نعَم الله، ١١٦، ١٤٣
خابت صفقة من باع الدنيا بالدين، ١٩٠
خف الله لقدرته عليک، ١٩٠
خُلق الناس من أشجار شتّی، ٣٥
دخلت الجنّة فسمعت قراءة، فقلت من هذا؟، ٢٢٣
رحم الله امرءاً قبل نصيحتی ووصيتی، ١٥٨
سبحان الله العظيم، سبحان مصرّف القلوب، ٤٥١
شر الولاة من خافه البرئ، ١٩٠
علی منّی بمنزلة هارون من موسی، ١٨٨
علی وفاطمة وابناهما، ٤١، ٤٢٥
كان لی أخ أكبر منّی يسمّی علياً، قتله الناس، ٢٠٥
كان لی كما كنت لرسول الله (صلی الله عليه وآله)، ٤٦٥
كنت أدفن ابنی الحسين، ١٤٦
لاتتكلّف ما لاتطيق، ولاتنفق، ١١٦
لاتشدّ الرحال إلاّ إلی ثلاثة مساجد، ٤٢١
لا حاجة لی فی أمركم، ٥٧
لأن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إلیَّ، ٥٩
لصلة رحم رسول الله (صلی الله عليه وآله) أحبّ إلیَّ من صلة رحمی، ٤٢٩
لكل بنی آدم عصبةٌ، إلاّ ابنی فاطمة، ٤٣
لما ولد الحسن سميته حرباً، ١٠٩
لو رآنا رسول الله (صلی الله عليه وآله) مغلولين لفكّ عنّا، ١٧٣

ما بال أقوام يتحدثون، ٣٦
ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى، ٣٦
ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة، ٥٢، ٤٢٣
ما لى ولقريش، أما والله لقد قتلتهم كافرين، ١٩٢
مناولة المسكين تقى ميتة السوء، ٢٢٤
من زار قبرى وجبت له شفاعتى، ٤١٨
نعم الحارس الأجل، ١٩٠
والله لقد أُعطى على تسعة أعشار العلم، ١٨٨
والله ما ترک ذهباً ولا فضّة، ١٩٣
والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس فى يمينى، ١٨٦، ١٩٦
وامحمداه! هذا الحسين بالعراء، ١٩١
هذا المقبل حجّتى على أمتى يوم القيامة، ١٨٨
هما ريحانتاى من الدنيا، ١٠٩
هيهات هيهات! أيها الغدرة المكرة، ١٥٨
هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس، ١٠٦
يا أماه، هذه مقبرة أُمة محمد (صلى الله عليه وآله)، ٦١
يا حسن، زوج نفيسة من إسحاق المؤتمن، ٢٢٣
يا عماه! إنّ الله قادر أن يغيّر ما قد ترى، ١٣٨
يا فلان... يا فلان... يا فلان... ألم تكتبوا إلىَّ، ١٩٨
يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثن الله، ١٩٢

فهرس الأعلام

إبراهيم (عليه السلام)، ٤٩، ٢٢٧، ٢٤٦
إبراهيم الدسوقى، ٢٠٧، ٣٤٥
إبراهيم بن المنذر، ٢٢٥
إبراهيم بن عبدالله النحام ابن اسد بن عبيد بن عولج بن عدى بن عمر بن الخطاب، ٤٥٦
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، ١٠٢
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنّى، ٩٠
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على، ٧٢
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على ابن أبى طالب، ٩٣، ١٠٢، ٣٤٢، ٣٤٤
إبراهيم بن عبدالله بن على بن أبى طالب، ٣٤٤
إبراهيم بن محمد الحريرى، ٤٥٤
ابن الأثير، ٢٥، ٨٧، ١٠٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٦، ١٩١، ١٩٢، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣٨٠
ابن الزيات، ٢٤٩، ٣٣٦، ٤٠٤
ابن الضحاک، ١٤٦، ٣٠٦، ٣٠٧
ابن الفحام الفقيه، ١٩
ابن إياس، ٨٧، ١١٤، ٣٧٠
ابن أبى أُمامة بن سهل بن حنيف، ٢١٧، ٣٥٧
ابن أبى حاتم الرازى، ١٩
ابن أبى ذئب محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة، ٢١٦، ٣٥٩
ابن بطوطة، ٧٧، ١٨٠

ابن ثوبان، ٢١٩، ٣٦٠، ٣٦٩
ابن جابر الأندلسی، ١٣٣
ابن جبیر، ٨٢، ٨٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٨٠
ابن جریر الطبری، ١٩، ٣٥
ابن حبان، ٣٦، ٣٧، ٧٣، ٣٥٥
ابن حجر، ١٩، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٥١، ٧٣، ١٤٦، ٢٩٥، ٣٥٩، ٣٨٣
ابن خالویه، ١٩
ابن خلکان، ٧٦، ٢٢٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٦١، ٣٧٠
ابن سریج، ٢٨٥، ٢٨٦
ابن سعد، ١١٣، ١٥٩، ١٦٢، ٢٠٢، ٣٠٦، ٣٣٤، ٣٥٣
ابن طباطبا، ٩٥، ٣٥١
ابن عبدالبر، ٤٤، ٥١
ابن عساکر، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ١١٠، ١١٥، ١٣٦، ١٤٦، ١٨٠، ٣٠٧، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤٤٧
ابن عین، ٣٢٣
ابن قتیبة، ١١١، ١٧٣، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٩٢
ابن قحطبة، ١٠١
ابن کثیر، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٧٦، ٧٨، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١٧٤، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٣٠٩، ٣٥٩، ٤٢٥
ابن میسر، ١١٤
ابن هرمز، ٣٠٦
أبو الحسن المعمری، ٩٣، ٣٤٢
أبو الحسن النوبختی، ٣٩٢
أبو الحسین یحیی بن الحسن بن جعفر الحجة ابن عبیدالله الأعرج، ٤٣٩
أبو الدیلم، ١٧٤

أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، ٤٥٠
أبو العباس السفاح، ٩٦، ٢١٩
أبوالعباس الوليد بن مسلم الدمشقى، ٢٣٤
أبو الفتح السلمانى، ٤٤٩
أبو الفرج الأصفهانى، ١١٠، ٢٨٥، ٢٩٦
أبو القاسم بن الحنفية، ٤٥٩
أبو أُويس، ٣٥٤، ٣٦٨
أبو أيوب الأنصارى، ٢٥
أبو بكر الصديق، ٦٣، ١٧٧
أبو تميم تراب الحافظ، ٣٣٨
أبو جعفر الحسين، ٤٥٨
أبو حنيفة، ٥٠، ٢٢٢
أبو ذر الغفارى، ٢٥، ٧٤
أبو سعيد الخدرى، ١٠٧
أبو سفيان، ١٧٠، ١٨٦، ٢٧٧
أبو سلمان الدارانى، ٢٣٤
أبو طالب جعفر النقيب، ٤٤٩
أبو عاصم الأسلمى، ٣٦٥
أبو عبدالله التميمى، ٤٥٠
أبو عبدالله القرشى، ٤٥٥
أبو عميرة المزنى، ١٧٩، ٤٥٥
أبو كف، ٥٥، ٦٧، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٤٩
أبو لؤلؤة المجوسى، ٧٤
أبو محمد الحسن، ٢١٦، ٣٥٣، ٤٤٩
أبو محمد المدنى الأنور، ٣٥٤

أبو مسلم، ٧٩
أحمد المحروقی، ٢٠٧
أحمد بن حنبل، ٣٧، ١٠٩، ٢٣١، ٢٧٦
أحمد بن طولون، ١٨٠، ٣٩٧، ٤٥٩
أحمد حسن الباقوری، ٣٠
أحمد فهمی، ٣٥٣
إدریس بن عبدالله بن الحسن بن علی ابن أبی طالب، ٤٠٢
إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق، ٢٢٣، ٢٤٢
أسماء بنت عمیس، ٦٣، ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٢٧، ٤٦١، ٤٧١
إسماعیل، ٧١، ٨٢، ٨٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٤، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٧، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٩١، ٤١٣، ٤٢٩
إسماعیل بن محمد البصری، ٤٥٥
أشعب، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٥
أصبغ بن عبدالعزیز بن مروان، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١
الأجهوری، ٢٤٤، ٣١٨، ٣٢٣
الإسکافی، ٣٩٦
الإمام الحسن (علیه السلام)، ١٦٩
الإمام الحسین (علیه السلام)، ٢٤، ١١٤، ١٧٣، ٢٢٤
الامام الرضا (علیه السلام)، ٣٣٥
الإمام الصادق (علیه السلام)، ٢٤، ٩٤، ٣٥٥، ٣٩٢، ٤٠٢
الإمام علی بن أبی طالب (علیه السلام)، ٢٤
الإمام مالک، ٩٨، ٩٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٤٧، ٣٥٤، ٣٦٨
الآمر بأحکام الله، ٣٢٦، ٣٣٧
الأمیر المعز لدین الله، ٢٧
البلاوی، ١٣٣

البخاری، ۴۴، ۴۵، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۸، ۷۳، ۱۰۹، ۱۱۳، ۱۳۵، ۱۴۱، ۱۷۶، ۳۰۷، ۴۱۸، ۴۲۵
البیهقی، ۷۳، ۱۰۹، ۱۷۸، ۱۸۴، ۱۹۴، ۳۵۶، ۴۱۸، ۴۲۲، ۴۲۵
الترمذی، ۴۲، ۴۴، ۵۰، ۷۳، ۱۰۶، ۱۰۹، ۱۲۶، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۹۲، ۲۵۵، ۴۲۵، ۴۲۶، ۴۲۸
الجعابی، ۱۹
الجوهری الشافعی، ۷۹، ۴۲۷
الجیزی، ۲۲۹، ۲۴۷
الحافظ لدین الله، ۲۵۱، ۳۲۳، ۳۲۶
الحاکم، ۳۶، ۳۷، ۳۹، ۴۰، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۷، ۷۴، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۳۶، ۱۴۶، ۲۱۸، ۲۷۶، ۴۱۸، ۴۲۲، ۴۲۵، ۴۲۶، ۴۲۸
الحباب بن المنذر ابن الجموح، ۴۶۰
الحجاج بن یوسف الثقفی، ۹۷
الحسن بن زید بن الحسن بن علی، ۲۴۱، ۴۵۸، ۴۵۹
الحصین بن نمیر، ۶۰
الحکم بن أیوب، ۴۶۱
الخدیوی توفیق، ۲۰۷
الخدیوی عباس الثانی، ۱۱۸، ۲۹۹
الذهبی، ۴۰، ۴۳، ۹۹، ۱۰۱، ۱۱۰، ۱۲۶، ۳۴۳، ۳۵۵
الرباب بنت امرئ القیس، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۷۴، ۲۸۰
الزبیر بن أبی بکر، ۴۵۳
الزبیر بن بکار، ۲۸۲، ۲۹۵، ۳۵۳، ۴۶۰
الزرکلی، ۳۵۹، ۳۷۹
الزهری، ۴۴، ۲۶۰، ۳۸۱، ۴۰۲، ۴۴۷، ۴۵۶
السبط ابن الجوزی، ۱۹

السبکی، ۵۰، ۲۶۴
السخاوی، ۱۹، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۸، ۲۷۱، ۲۹۱، ۳۲۳، ۳۳۶، ۴۰۵
السری بن الحکم، ۲۳۳، ۲۳۸، ۲۴۳، ۲۴۸، ۲۵۱
السلطان خان، ۱۱۷
السلفی، ۳۲۲، ۳۳۵
السیدة زبیدة، ۳۲۷، ۳۲۸
السیدة عاتکة، ۳۲۹، ۳۳۰، ۳۹۷
السیدة نفیسة، ۲۴، ۷۲، ۱۰۷، ۱۰۸، ۲۱۱، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۵، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۲۲، ۲۲۴، ۲۲۵، ۲۲۶، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۳۰، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۳۶، ۲۳۷، ۲۳۸، ۲۴۱، ۲۴۲، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۸، ۲۴۹، ۲۵۱، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۸۹، ۲۹۷، ۲۹۸، ۲۹۹، ۳۲۴، ۳۳۷، ۳۴۹، ۳۵۰، ۳۵۳، ۳۵۸، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۶۷، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۹۶
الشافعی، ۴۰، ۴۵، ۴۶، ۴۹، ۵۰، ۷۹، ۸۳، ۱۱۳، ۱۳۰، ۱۳۴، ۲۲۴، ۲۲۷، ۲۲۹، ۲۳۵، ۲۴۳، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷، ۴۲۷، ۴۲۸، ۴۳۱
الشامی، ۱۶۹
الشبلنجی، ۳۶، ۴۰، ۴۵، ۴۶، ۷۲، ۹۳، ۱۱۳، ۲۱۸، ۲۶۹، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۳، ۳۴۲، ۳۴۵، ۳۵۴، ۳۵۸، ۳۶۱
الشعرانی، ۷۹، ۲۲۰، ۲۷۱، ۲۸۹، ۲۹۱، ۲۹۷، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۶۲، ۳۷۱، ۳۷۲، ۳۷۸، ۴۰۲، ۴۰۳، ۴۰۴، ۴۲۰
الصبان، ۲۵۸، ۲۸۷، ۲۹۱، ۳۱۸، ۳۲۳، ۳۶۲، ۳۷۱
الطبرانی، ۳۵، ۳۶، ۳۷، ۳۹، ۴۰، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۷۳، ۷۴، ۱۰۹، ۱۳۶، ۱۴۵، ۱۹۴، ۲۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶
الطبری، ۱۹، ۳۵، ۳۸، ۴۲، ۹۶، ۹۸، ۱۰۰، ۱۴۶، ۱۶۸، ۱۹۴، ۱۹۶، ۲۱۵، ۲۸۹، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۵۹، ۳۸۰
الطفیل بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف، ۴۵۷

العباس، ٢٦، ٣٦، ٤٤، ٥٠، ٦٠، ٦٣، ٩٦، ١١٢، ١٨٥، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٤، ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٦
العبيدى، ٧٧، ٨١، ٢٩٧، ٣٠١
العقاد، ٥٣، ٧٦، ٨١، ١١٤
الفخر الرازى، ١٩، ٤٦
الفخرى، ٩٥، ٣٥١، ٣٩٥
الفرزدق، ٣٨، ١٧٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٥
الفريعة بنت مالک بن سنان، ٤٦١
الفضل بن سهل، ٤٥٤
القاسم بن إبراهيم، ٣٩٦
القاسم بن محمد بن أبى بكر، ٤٠٢
القاسم بن محمد بن جعفر الصادق، ٤٥٩
القضاعى، ٦٣، ٩٣، ٣٤٢
القلقشندى، ١١٤، ٤٧١
الكندى، ٩٣، ٣٨١، ٣٨٦
الليث بن سعد، ٢٤٧، ٣٢١، ٣٢٤، ٤١٢
الماوردى، ٤٣، ٣٥٩
المأمون، ٢٣٨، ٢٤٣، ٣٣٥، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٢٦، ٤٥٩
المبرد، ٢٧٠
المتوكل، ٧٨
المحب، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ١٤٦، ٤٢٣، ٤٢٧
المرادى، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٤٧
المسعودى، ٦٠، ٧٨، ٩٨، ١١٠، ٣٥٢، ٣٨٠، ٣٨٣
المعزّ تاج الدين الشوكلى الشامى، ٤٧٣
المغيرة بن شعبة، ٣٠٧، ٤٦٠

المقداد بن الأسود الكندى، ٢٥
المقريزى، ٢٥، ٧١، ٨١، ٨٨، ٩٣، ١١٣، ١٢٢، ١٨٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥١، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤١٢، ٤٢٧، ٤٦٦
الملک فؤاد، ١١٨
الملوى المالكى، ٤٢٧
المنذر، ٤٢، ٢٢٥، ٤٦٠
المنصور العباسى، ٩٣، ٩٦، ١٠١، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠
النويريج، ٧٨
الوالى عباس، ١١٧
الوليد بن عبدالملک، ٢١٥، ٣٨٠
الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ١١١، ١٩٤
اليعقوبى، ٩٧، ١١٠، ٢١٥
أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيمى، ٣٠٥
أُم البنين بنت حزام الوحيدية، ٦٣
أُم الفضل بنت الحارث، ١٣٦
أُمامة، ٢٠٢، ٢١٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٨، ٤٥٠
أُم أبى العاص هالة بنت خويلد بن اسد، ٤٥٠
أُم أبيها، ٦٣
أُم أيمن، ٤٥١
أُم جعفر، ٣٠٥
أُم حبيب الصهباء التغلبية، ٣٢١، ٣٢٤
أُم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى، ٦٣

أُم سلمة، ٤٢، ٤٤، ٦٣، ٧١، ١٠٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٤، ٢٢١، ٢٧٦، ٣٦٨، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٥٩، ٤٦١
أُم عبدالله، ١٦٩، ١٨٩، ٢٠٣
أُم عطيّة، ٤٥١
أُم عكاشة بنت محصن، ٤٥٣
أُم عمرو بن مروان بن الحكم، ٤٦٢
أُم كلثوم، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ١٠٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٥، ١٨٠، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٩١، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦١
أُم كلثوم الصغرى، ٦٣
أُم كلثوم الكبرى، ٦٣
أُم هانئ، ١٨٩، ٢٣٦، ٢٤٣
أُم هشام بنت زياد، ٣٠٥
أُميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، ٤٥١
أنس بن مالك، ١٨٨، ١٩٣، ٤١٨، ٤٦١
برقوق، ٨٨
بلال، ٣٠٥
بنت الشاطئ، ١٨٧، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٢
بيبرس، ٨٤، ٨٧، ١٢٢، ٢٠٦، ٢٠٩
تاج الدين، ٨٧
جرير، ١٩، ٣٥، ٤٢، ٧٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٥
جعدة بنت الأشعث بن قيس، ١٩٣
جعفر، ٤٣، ٦٣، ٩٤، ٩٥، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٠٥، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥،

٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩،
٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥،
٤٥٨، ٤٥٩، ٤٧١
جعفر الطيار، ٦٣، ١٨٩
جعفر بن الحسن، ٤٥٩
جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفى، ٦٣
جمال، ٩٨، ١٤٢، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٤٥٠
جمال الدين، ١٢٢
جمال الدين عبدالله الجصّاص، ٢٣٥، ٢٤٣
جمانة، ٦٣
حرملة، ٢٢٩، ٢٤٧
حسن إبراهيم حسن، ١٠١، ٣٥١
حسن الأنور، ٧٢، ٩٠، ٢٢٠، ٢٤١، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤،
٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨،
٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢
حسن الرزاز، ٤٠٣
حسن عبد الوهاب، ٨٣، ١٣٤، ٤٠٤، ٤٠٥
حسن كامل الملطاوى، ٣٠
حسن كتخدا، ١١٧، ١٢٢
حفصة، ٤٦٠
حمزة المكفوف، ٤٥٥
حمزة سيد الشهداء، ١٥٢
حميدة، ٢٢٤، ٣٩٤، ٤٥٨
خالد بن عبدالله القسرى، ٩٦، ٣٨٠
خالد محمد خالد، ٣٠

خدیجة بنت خویلد بن اسد بن عبدالعزی بن قصی، ۴۴۹
خولة بنت إیاس الحنفیة، ۶۳
داود، ۵۱، ۷۳، ۱۳۶، ۱۴۶، ۳۱۱، ۳۵۷، ۴۲۲، ۴۵۸
درّة، ۱۴، ۲۰، ۲۵، ۸۶، ۹۶، ۱۲۷، ۲۳۷، ۲۳۸، ۲۸۷، ۳۲۵، ۴۶۱
ذی النون المصری، ۲۴۷
راتب باشا، ۱۲۵
رقیة، ۶۳، ۱۰۸، ۳۰۶، ۳۱۰، ۳۱۹، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۳، ۳۲۴، ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۲۷، ۳۲۸، ۳۲۹، ۳۳۰، ۳۳۳، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۶، ۳۳۷، ۳۳۸، ۳۶۲، ۳۷۰، ۳۹۱، ۳۹۷، ۴۵۵، ۴۵۶
رقیة بنت عامر الفهری، ۱۷۹
رملة، ۶۳
زبیر، ۳۶۷
زرارة، ۴۵۰
زکی مبارک، ۲۶۵، ۲۹۶
زیاد بن أبیه، ۱۸۴
زید الأبلج، ۲۱۶، ۲۲۰، ۲۴۱، ۳۴۹، ۳۵۰، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۶۴، ۳۷۰
زید بن الأرقم، ۱۵۹
زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب، ۲۴۱، ۴۵۸، ۴۵۹
زید بن علی زین العابدین، ۷۲، ۹۰، ۳۵۲، ۳۷۷، ۳۷۸، ۳۷۹، ۳۸۱، ۳۸۳
زید بن عمرو العثمانی، ۲۶۱
زینب الصغری، ۶۳، ۴۵۶
زینب الکبری، ۶۳، ۱۸۰، ۱۹۰، ۴۴۰، ۴۴۷، ۴۵۳، ۴۵۶
زینب بنت الحسن المثنی ابن الحسن، ۳۶۱، ۴۵۸
زینب بنت جحش، ۴۵۱، ۴۵۲
زینب بنت عقیل، ۴۵۴

زینب بنت عقیل بن أبی طالب، ۴۵۳
زینب بنت یحیی المتوّج، ۲۲۷، ۲۲۸
زینب بنت یوسف بن الحکم بن أبی عقیل، ۴۶۱
سارة، ۳۸۳
سعاد ماهر، ۷۴، ۷۶، ۷۷، ۸۷، ۸۹، ۹۲، ۱۰۳، ۱۱۲، ۱۱۸، ۱۲۱، ۲۰۲، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۵۱، ۲۹۷، ۳۰۱، ۳۲۵، ۳۳۰، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۶، ۳۳۹، ۳۴۱، ۳۷۵، ۳۸۵، ۳۸۷، ۳۹۵، ۳۹۶، ۳۹۹، ۴۰۷، ۴۱۲، ۴۷۲
سعد بن زرارة، ۴۶۱
سعید بن العاص، ۷۵، ۴۵۶
سفیان الثوری، ۴۵۰، ۴۵۴
سکینة، ۱۰۸، ۱۵۲، ۱۶۸، ۱۷۳، ۱۷۹، ۲۲۰، ۲۵۳، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۴، ۲۷۵، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۸۲، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۸۹، ۲۹۱، ۲۹۲، ۲۹۳، ۲۹۴، ۲۹۵، ۲۹۶، ۲۹۷، ۲۹۸، ۲۹۹، ۳۰۱، ۳۰۲، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۵، ۳۱۶، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۲۱، ۳۲۳، ۳۳۷، ۳۶۲، ۳۷۰، ۴۳۰، ۴۵۵
سلمان الفارسی، ۱۸۷
سلیمان بن إبراهیم بن محمد بن علی ابن عبدالله بن جعفر الطیار ابن أبی طالب، ۴۵۸
سلیمان بن عبدالملک، ۱۱۳
سلیمان خان، ۱۲۲
سمرة بن جندب، ۱۶۵
شمر بن ذی الجوشن، ۷۶، ۱۶۵، ۳۰۸
شمس الدین أبی الخیر السخاوی المصری، ۴۴۶
شمس الدین بن محمد، ۴۰۳

شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى، ۴۴۰
صالح الجعفرى، ۴۲۴
صالح بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، ۲۲۵
صلاح الدين الأيوبى، ۸۲، ۸۳، ۱۳۴، ۴۰۴
صلاح عزّام، ۳۶۷
طلائع بن رزيک، ۷۶، ۷۹، ۸۱
طه حسين، ۷۴، ۲۸۴
عائشة، ۴۲، ۴۵، ۱۰۸، ۱۴۶، ۲۶۳، ۲۶۴، ۳۰۵، ۳۲۴، ۳۲۵، ۳۹۹، ۴۰۱، ۴۰۲، ۴۰۳، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۲۲، ۴۲۵، ۴۵۰، ۴۵۲، ۴۶۱
عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق، ۴۰۱
عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، ۴۰۳
عائشة بنت جعفر الصادق، ۳۲۴
عائشة بنت طلحة، ۲۵۹، ۲۶۳
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، ۳۳۰
عاتكة بنت شرحبيل، ۳۲۹
عادل المعلّم، ۳۲
عامر الشعبى، ۴۵۰
عباس باشا، ۲۰۷، ۲۵۲، ۲۹۸
عباس كتخدا الفزدوغلى، ۷۹
عبدالحسين شرف الدين العاملى، ۲۹
عبدالحليم البشرى، ۲۹
عبدالحليم الجندى، ۲۸، ۳۰، ۹۴، ۳۹۳، ۴۰۲
عبدالحليم محمود، ۳۰
عبدالحميد جودة السحّار، ۳۰

عبدالرحمن، ۱۸۵، ۲۱۶، ۲۲۹، ۲۴۷، ۲۶۰، ۲۶۲، ۳۰۲، ۳۵۹، ۴۵۶، ۴۵۸، ۴۶۰
عبدالرحمن البویطی، ۲۲۹، ۲۴۷
عبدالرحمن الجبرتی، ۳۲۸
عبدالرحمن الحسینی العلوی العیدروسی، ۲۰۷
عبدالرحمن الشرقاوی، ۳۸۳، ۳۹۲
عبدالرحمن بن الضحاک، ۳۰۶
عبدالرحمن بن ملجم، ۱۹۲
عبدالرحمن کتخدا، ۲۰۷، ۲۰۹، ۲۵۲، ۲۹۸، ۳۲۳، ۳۶۲، ۳۶۴، ۳۷۱، ۳۷۲، ۴۰۵، ۴۰۷، ۴۲۷
عبدالرحیم البیسانی، ۸۲، ۱۲۲
عبدالرسول الشیرازی، ۴۶۷
عبدالصمد بن حسّان السعدی، ۴۵۴
عبدالعزیز العثمانی، ۸۲
عبدالعزیز سید الأهل، ۳۰
عبدالفتاح عبدالمقصود، ۳۰
عبدالله، ۳۸، ۴۳، ۴۴، ۵۲، ۵۸، ۶۰، ۶۳، ۷۲، ۸۸، ۹۰، ۹۲، ۹۳، ۹۵، ۹۶، ۹۷، ۱۰۲، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۳۳، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۵۲، ۱۵۹، ۱۶۴، ۱۶۹، ۱۷۱، ۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۵، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۶، ۲۰۳، ۲۱۴، ۲۱۹، ۲۲۱، ۲۲۵، ۲۲۹، ۲۳۵، ۲۳۸، ۲۴۳، ۲۴۷، ۲۵۱، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۲، ۲۶۵، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۸۳، ۲۸۷، ۲۹۳، ۲۹۵، ۳۰۵، ۳۱۱، ۳۱۶، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۷، ۳۴۱، ۳۴۲، ۳۴۴، ۳۵۶، ۳۶۰، ۳۶۷، ۳۶۸، ۳۶۹، ۳۸۰، ۳۹۱، ۴۰۲، ۴۱۸، ۴۴۴، ۴۵۰، ۴۵۳، ۴۵۴، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۵۹، ۴۶۰، ۴۶۲
عبدالله الافطح، ۳۹۲
عبدالله الشبراوی، ۱۳۲

عبدالله المحض، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٦٩، ٣٤٢
عبدالله بن الحارث، ١٧٩، ٤٥٥
عبدالله بن الحسن، ٢٥٨، ٣٠٦، ٣٥٥، ٣٦٨
عبدالله بن الزبير، ٥٧، ٥٨، ٢٥٩، ٢٨٨، ٢٩٣، ٤٥٤
عبدالله بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله ابن جعفر بن أبی طالب، ٤٥٩
عبدالله بن أبی بكر، ٣٣٠، ٣٣١
عبدالله بن جابر، ٤٦١
عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصاری، ٤٥٠
عبدالله بن جعفر المخزومی، ٢٢٥
عبدالله بن حسن، ٣٠٦، ٣٤٢، ٣٤٣
عبدالله بن رافع، ٤٥١
عبدالله بن زمعة، ٤٦٠
عبدالله بن سعد بن أبی سرح، ٢٨٠
عبدالله بن سعيد، ٣٣٦
عبدالله بن عامر بن كريز، ١٦٧
عبدالله بن عباس، ٣٠٥
عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاری، ١٧٩، ٤٥٥
عبدالله بن عبدالرحمن العتبی، ٤٥٤
عبدالله بن عبدالملک، ٢١٥
عبدالله بن عبدالملک بن مروان، ٢٤٩
عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام، ٢٦٠
عبدالله بن عفيف الأزدی، ١٦٣
عبدالله بن علی بن عبدالله بن عباس، ٢١٩
عبدالله بن عمر بن الخطاب، ٤٠٢، ٤٥٦
عبدالله بن عمرو، ١٤١، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٤٥٧، ٤٦١

عبدالله بن مروان، ٢٩٣
عبدالمجيد خان، ٨٥، ١٢٦
عبدالمطلب، ٣٦، ٤٠، ٤٤، ١٠٨، ١٧١، ١٩٢، ٢٠٥، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٥٧
عبدالملک بن الحارث السهمى، ٤٥٤
عبدالملک بن سعيد الأنصارى، ١٧٩، ٤٥٥
عبدالملک بن مروان، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠١
عبدالمنعم قنديل، ٣٨٤، ٣٨٥
عبدالواحد بن عبدالله النصرى، ٣٠٦
عبيدالله المهدى، ٢٦
عبيدالله بن أبى القاسم، ٤٥٩
عبيدالله بن أبى رافع، ٤٥٥
عبيدالله بن زياد، ١١٢، ١٥٨، ١٦٥، ١٧٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٠٨
عبيدالله بن سعيد، ٣٢٣
عبيدة بن الحارث، ٤٥٧
عتبة بن أبى لهب، ٣٣٤
عثمان بک الطنبورجى المرادى، ٢٠٧
عثمان بن عفان، ٧٤، ١٠٧، ١٢٧، ١٣٨، ١٩١، ٢٦٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٣٤، ٣٣٥
عثمان بن محمد بن أبى سفيان، ٥٩، ٦٠
عروة بن الزبير، ٤٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٧٨، ٤٦١
عزة الميلاء، ٢٨٥، ٢٨٦
عسامة المعافرى، ١٧٩، ٤٥٥
عطاء، ٣٦٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٠٢، ٤١٩
عقيل، ٥٩، ١٨٥، ٤٥٣، ٤٥٤
عكرمة، ٤١، ٣٥٥، ٣٦٨

علم الآمرية، ٣٣٧، ٣٣٨
على الأكبر، ١٨٩، ٢٥٧، ٢٨٠
على الجعفرى، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٩٧
على باشا الحكيم، ٢٥٢
على باشا مبارک، ٨٢، ٨٥، ١٢٩، ٢٠٧، ٢٩٨، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٧، ٤٠٤
على بن أحمد الباهلى، ٤٥٤
على بن محمد بن عبدالله، ٢٦، ١٠٢، ١٧٩، ٣٤٤، ٤٥٥
على بن موسى، ٤٥٤
على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين (عليهم السلام)، ٣٢٤
عمار بن ياسر، ١٩١، ٤٦٦
عمر، ٣٨، ٤٢، ٥٨، ٦٣، ٧٢، ٧٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٢
عمر الأكبر، ٣٢١
عمر بن الخطاب، ٣٨، ٤٣، ٧٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣٣١، ٤٠٢، ٤٢٩، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٦
عمر بن أبى ربيعة، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٤
عمر بن سعد، ١٥١، ١٩٨
عمر بن عبدالعزيز، ٣٧، ٥٢، ٢٧٦، ٣١٣، ٣٦٥، ٤٢٦
عمرو بن العاص، ٦٩، ٩٣، ١٤١، ٢٢٠، ٢٢٨، ٣٦٤، ٤٧١

عمرو بن حریث، ۱۶۰
عمرو بن حزم، ۱۱۵
عمروبن سعید الأشدق، ۱۹۸، ۴۵۴، ۴۵۵
عمرة، ۴۶۱
عوف بن خارجة المرّی، ۲۵۵
عون، ۱۸۵، ۱۸۹، ۲۰۳
عیسی (علیه السلام)، ۴۹، ۶۱
عیسی بن موسی، ۹۵، ۱۰۰، ۱۰۱، ۳۴۲، ۳۴۳
فاطمة الزهراء (علیها السلام)، ۲۶، ۲۷
فاطمة الصغری، ۱۵۵
فاطمة بنت الحسین، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۸۹، ۲۷۸، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۲، ۳۱۳
فرعون، ۶۱، ۱۷۶، ۲۶۲
فضّة، ۷۷، ۸۷، ۱۰۹، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۳۶، ۲۳۴، ۲۷۳، ۲۸۷
قدامة بن مظعون، ۴۶۰
قیس بن سعد الأنصاری، ۲۵
قیس بن سعد بن عبادة الخزرجی، ۴۶۵
کافور الأخشیدی، ۳۴۵
کثیر بن عبدالله بن عمرو بن عوف، ۲۲۵
کرزویل، ۱۲۹، ۱۳۰
کلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق، ۴۱۱
لیلی بنت أبی مرّة، ۲۸۰
لیلی بنت مسعود، ۶۳، ۲۰۳
محسن، ۶۳، ۱۸۰، ۳۵۹، ۴۵۶

محمد، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٢، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٣

محمد الجعفری، ٣٣٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧

محمد الحسینی الواسطی، ٤٤٨

محمد النفس الزکیة، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢

محمد أبو زهرة، ٣٠

محمد باشا الشریف، ١١٧، ١٢٢

محمد بن إبراهیم بن عبدالله، ٤٥٣

محمد بن إسحاق، ٣٥٤، ٣٦٨

محمد بن إسماعیل ابن الإمام جعفر الصادق (علیه السلام)، ٢٦

محمد بن الحسن الطوسی، ٣٩٥

محمد بن الحنفیة، ٤٣

محمد بن القاسم، ٤٥٧

محمد بن أبی بکر، ٢٥، ٨٣، ١٢١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٤٠٢، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣

محمد بن أبی ذئب، ٣٥٤، ٣٦٨

محمد بن بشر، ٣٦٥
محمد بن جعفر الأمیر، ٤٥٨
محمد بن سلیمان، ٤٤٩
محمد بن عبدالله (صلی الله علیه وآله)، ٦٨
محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علی بن أبی طالب، ٩٥، ٣٥٣
محمد بن عبدالله بن جحش، ٤٥٢
محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، ٣٠٥
محمد بن عبدالله بن محمد اللواتی الطنجی، ٧٧
محمد بن عقیل، ٤٥٦
محمد بن قلاوون، ٨٢، ٨٨، ١٢٢، ٢٥٢، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٢
محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحی، ٨٤
محمد بن مسعدة، ٤٥٠
محمد بن یحیی العثمانی، ٤٥٨
محمد بن یحیی بن الحسن، ٤٤٩
محمد خالد، ٣٠
محمد خسرو باشا، ٢٠٧
محمد رسول الله (صلی الله علیه وآله)، ١٥٢، ٢٢٧
محمد زکی إبراهیم، ٣٠، ٣٢٤
محمد عثمان، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٦
محیی الدین ابن عربی، ٤٢٩
مروان بن الحکم، ٦٠، ١٦٦
مروان بن الحکم الولید، ١٩٤
مروان بن محمد الطاطری، ٢٣٤
مسلم بن عقیل، ١١١، ١١٢، ١٩٥، ١٩٦
مسلم بن عقیل بن أبی طالب، ١١١

مسلمة بن عبدالملک، ٣٠٧
مسلمة بن عقبة المری، ٩٦، ٩٧
مسلمة بن مخلد الأنصاری، ١٧٩، ٢٠٦
مصعب بن الزبیر، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦
مصعب بن ثابت الزبیری، ٢١٩، ٣٦٠
مصعب بن عبدالله، ٤٥٤
مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت ابن عبدالله بن الزبیر بن العوّام، ٢٩٥
معاویة بن أبی سفیان، ٢٦، ٣٧، ٢٧٧، ٢٨٠
معاویة بن عبدالله بن جعفر، ٢٢٥، ٣٥٥، ٣٦٨
موسی بن سلمة، ٤٥٤
موسی بن عبدالرحمن، ٤٥٦
موسی بن عبدالله، ٤٥٠
موسی بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علی بن أبی طالب، ٤٥٦
مهنا بن سبیع القرشی، ٤٤٩
میمونة بنت الحارث الهلالیة، ٤٦١
نائلة بنت قیس بن النعمان بن سنان، ٤٦٠
نافع، ٢٣٠، ٤٠٢، ٤٢٩، ٤٥٥
نجم الدین أیوب، ٨٢، ٨٣، ١٢١
نعیم، ٣٩، ١٣٧، ٢٢٤، ٤٢٦، ٤٥٠
نفیسة بنت زید، ٢١٥، ٢٣٢
نور الدین، ٥٠، ٥٢، ١١٣
ورد بن عاصم، ٣٥٧
وکیع، ٣٥٤، ٣٦٨، ٣٧٠
ولی الدین أبو زُرْعَة أحمد بن محمد، ٨٧
وهب بن سعید الأوسی، ١٧٩، ٤٥٥

هاجر، ۴۰، ۷۱، ۱۷۹، ۲۲۱، ۲۵۲، ۳۳۰، ۳۳۴، ۳۸۳، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۹
هارون الرشید، ۳۳۵
هشام بن عبدالملک، ۹۱، ۲۲۱، ۳۱۰، ۳۱۳، ۳۵۲، ۳۷۹، ۳۸۱، ۳۸۲، ۳۸۶
هشام بن عبدالملک بن مروان، ۳۸۳
هشام بن عبدالملک بن مروان بن الحکم، ۳۷۹
هند بنت أبی رافع بن عبیدالله بن رقیّة بنت عقبة بن نافع الفهری، ۴۵۵
هند بنت أبی عبیدة، ۴۵۷
یحیی، ۶۳، ۸۲، ۱۲۱، ۱۲۶، ۱۶۷، ۱۷۵، ۱۹۰، ۲۱۹، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۴، ۲۴۷، ۲۵۹، ۳۱۲، ۳۲۲، ۳۵۲، ۳۶۷، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۹۴، ۴۱۱، ۴۱۳، ۴۴۹، ۴۵۳، ۴۵۸
یحیی التمار، ۴۵۰
یحیی بن الحسن، ۳۹۶، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۴۹، ۴۶۲
یحیی بن الحکم، ۱۶۶، ۱۶۷
یزید بن عبدالملک، ۳۰۶
یزید بن معاویة، ۷۵، ۷۶، ۷۸، ۹۷، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۴۴، ۱۵۸، ۱۶۵، ۱۶۹، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴، ۲۰۳، ۲۰۵، ۲۷۴، ۲۹۲، ۲۹۳، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۶، ۳۱۸، ۳۷۷
یعقوب بن حمید بن کاسب، ۲۲۵
یعقوب بن حمید بن کاسب المدنی، ۲۲۴
یعقوب بن محمد الزهری، ۲۲۵
یعلی بن منیة بنت الحارث بن جابر، ۴۶۲
یوسف بن عمر الثقفی، ۳۸۰

فهرس الأماكن

استانبول، ٨٩، ١١٨
أفريقيا الشمالية، ١١٤
الاسكندرية، ٢٦، ٦٩
البصرة، ٤٨، ٩٥، ٩٩، ١١١، ١١٢، ٢٠٣، ٢٨٨، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٩٤، ٤٦١
البقيع، ٥٠، ٧٥، ٧٨، ١٠٧، ١١٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٧٨
الحبشة، ٣٣٤، ٤٦٢
الحجاز، ٦٠، ٦١، ٩٦، ٩٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٦٥، ٣٠٢، ٣٤٣، ٣٩٤
الحرة، ٥٩، ٦٠، ٩٧، ٤٤٧
الحمراء القصوى، ٩٠، ٢٠٦، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٤٧
الرقة، ٥٣، ٧٦، ٤٥٣
الشام، ٦٠، ٦١، ٧٦، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩٢، ١١٤، ١٣٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٩٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٤٢٦، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٧١
الطائف، ٣٣١
العراق، ١٩، ٢١، ٢٣، ٦٠، ٦١، ١٠٧، ١٣٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤٢٦
العسكر، ٦٤، ٧٤، ٨٤، ١٠٠، ٢٣٨، ٣٤٦، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤
الفسطاط، ٢٠٦، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٠٤
القاهرة، ١٤، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٥، ٥٣، ٥٧، ٦٤، ٦٨، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ١٠٢، ١٠٥، ١١٣، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥١، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٩، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٠،

٣٠٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٣
القدس، ٧٧، ٤٤٤
القسطنطينية، ٨٢، ٨٥، ١١٤، ١٢٦، ٢٨١
القطائع، ٦٤، ٤٠٤
القلج، ٤٦٦
الكوفة، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٨٤، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥
المدينة المنوّرة، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١١٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣١٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٧٩، ٤٢٢
المطرية، ٩٢، ٩٣، ٣٤٦
المغرب العربى، ١٤٧
المقطم، ٦١، ٣٤٦، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧
الموصل، ٨٢، ٢٤٨، ٤٠٤، ٤٠٧
اليمن، ١٦٣، ٣٢٨، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٩٥، ٤٦٠
ايران، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ١٢٧، ٢١٣، ٣٩٢
باخمرى، ١٠٠، ١٠١، ٣٥٣
باغمرى، ١٠٠، ٣٤١
بغداد، ٨٢، ١٠٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٤، ٣١٢، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٢٢
بلبيس، ٧١، ١٨٠، ١٩٩

تونس، ٢١، ٢٦، ٨٩
خیبر، ١٢٧
دمشق، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٥٣، ٧٦، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩١، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣١٦، ٣٥٢، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٤٧
صهرجت، ٣٤٥
طبرستان، ١١٤، ٢٨١، ٣٨٢
طرطوس، ٣٣٥
طنطا، ٨٩
عسقلان، ٥٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ١١٤، ١٤٧، ٤٢٧
قم، ٢٧، ٣٢، ٨٤، ٢٢١، ٣٨٣
قنطرة السباع، ٢٠٦، ٢٠٩
کربلاء، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٧٠، ٧٦، ٧٨، ٩٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٨، ٤٢٦
مرو، ٢٤، ٣٧، ٦٠، ٧٦، ٧٩، ٨٦، ٩١، ٩٨، ١١٤، ١٢٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٥، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣٤، ٣٢١، ٣٥٢، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤٤٦
مصر، ١، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٧، ١٦٣، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣،

٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩،
٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١، ٣١٧،
٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥،
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠،
٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦،
٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠،
٤٣١، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٢،
٤٧٣
مكة، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧١، ٧٤، ٩٨، ١٠٧، ١١١، ١٩٥، ١٩٦،
٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٣٤، ٣٥١، ٣٥٢،
٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٩، ٤٥٠، ٤٦٢
ينبع، ٧٤، ٨٧، ٨٩

مسجد الامام الحسين(عليه السلام) و تظهر إلى اليمين قبة المرقد
مسجد الإمام الحسين(عليه السلام)ليلا

باب غرفة الآثار النبوية بمسجد الإمام الحسين(عليه السلام)
صفحة من مصحف الإمام على بغرفة الآثار النبوية
ميدان مسجد السيدة زينب
مسجد السيدة زينب فى ليلة الاحتفال بمولدها

مسجد السيدة سكينة فى ليلة الاحتفال بمولدها

مسجد السيدة عائشة

مدخل مرقد السيدة عائشة

قبة مرقد السيدة رقية

مدخل مرقد السيدة رقية

لوحة تحوى تاريخ السيدة رقية داخل مرقدها

مسجد السيدة نفيسة
مرقد السيدة النفيسة

مدخل مرقد عم السيدة نفيسة

مرقد على بن جعفر الصادق(عليه السلام)